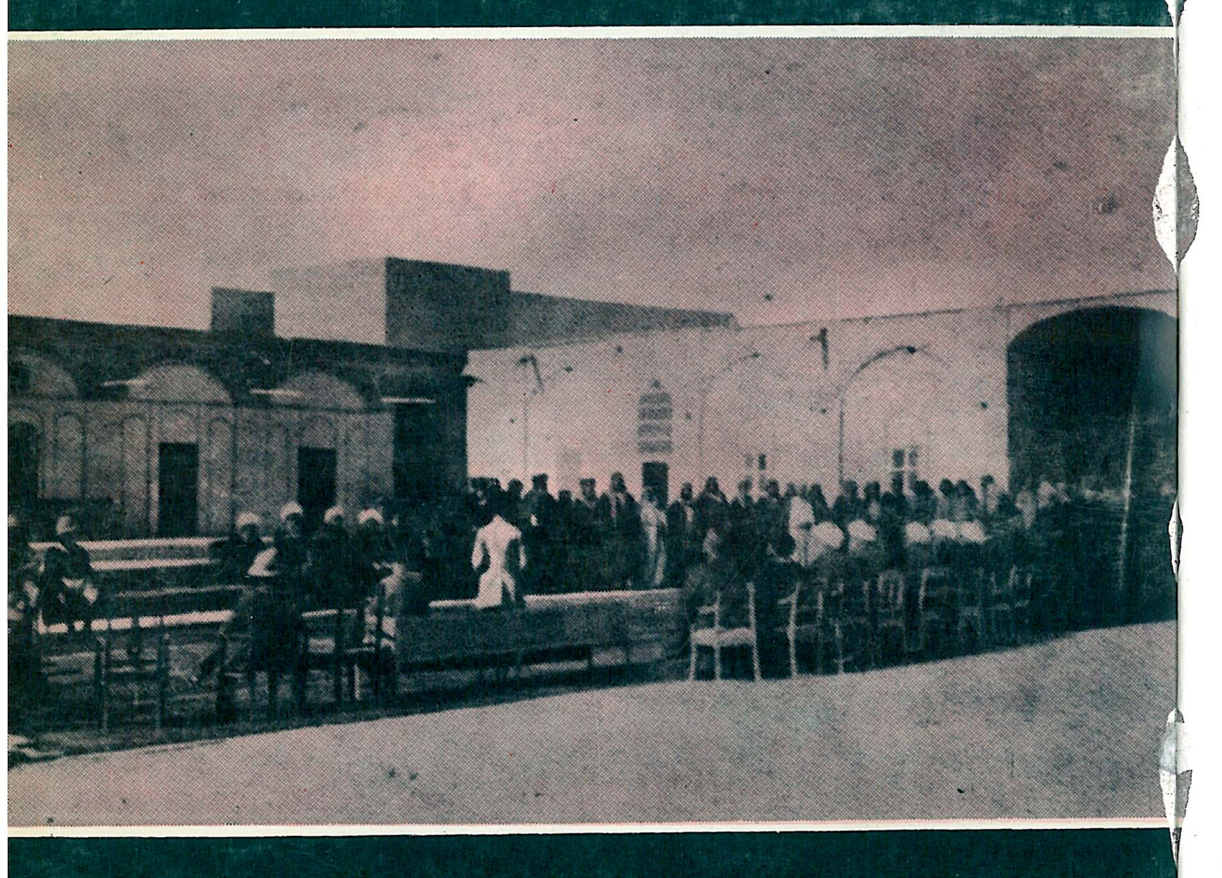
حسن شبر

تاريخ العراق السياسي المعاصر

الجزء الثاني



التحرّك الاسلامي ١٩٠٠ م ـ ١٩٥٧ م

هذا الكتاب

هذا الكتاب الذي يؤرّخ للحركة الإسلامية في العراق، يمثّل وثيقةً تاريخيّةً حيّةً للكثير من نشاط الحركة الإسلامية في العراق بالمعنى العام للتحرّك الإسلامي الذي يشمل حركة المرجعيّة في إمتداداتها الشعبيّة الواسعة وحركة الشعب المسلم في ظلال المرجعيّة كما يتحدّث عن الحركة الإسلاميّة بالمعنى المصطلح.

وهو كتاب يتّسم بالكثير من الموضوعيّة والشمول لا سيّما إذا عرفنا أنّ مؤلّفه فضيلة السيّد حسن شبّر من الشخصيّات المجاهدة في العراق، فقد قدّم للإسلام شهيدين من خيرة الشباب المجاهد في معركة الإسلام مع الكفر، كما عانى الكثير من السجن والعذاب والتشريد في سبيل الله، وعمل في خطّ الإسلام بكلّ جهده.

ولذلك فإنّه عندما يكتب عن الإسلام الحركة في مفهومها العامّ أو الخاصّ فهو يكتب من وحي المعاناة بعيداً عن الترف الفكري والتجريد النظري.

محمّد حسين فضل الله

تاريخ العراق السياسي المعاصر

الطبعة الأولى
١٩٩٠م

● دار المنتدىٰ للنشر
بيروت: الغبيري ـ ص.ب ٢٥/١٩٠
لندن: ص.ب ٧٤٣٠ ـ P.O.BOX: 7430



حسن شبّر

تاريخ العراق السياسي المعاصر

الجزء الثاني



مقدمة بقلم:
آية اللّه السيد محمد حسين فضل اللّه

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وآله الطيّبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

إنّ قيمة التاريخ في حياتنا هو أن يحدّد لنا عمق الجذور الضاربة في أعماق التجربة الإنسانية الإسلامية في الإتجاهات السلبية أو الإيجابية، لأن الحاضر في كثيرٍ من مواقعه وإتجاهاته وسائر أوضاعه، هو نتاج الماضي في مؤثّراته الداخلية والخارجية.

ولذلك فإنّ المعرفة التاريخية قد تحمل لنا الكثير من المفردات التفصيلية للانسان وللمرحلة ولحركة الحياة، التي تفتح لنا أكثر من نافذةٍ على معرفة الواقع من حولنا بحيث نستطيع من خلالها أن نعالج المشاكل التي نتخبّط فيها من خلال معرفتنا لأسبابها، سواء كانت من قبيل مشاكل التخلّف في المفاهيم أو كانت من قبيل مشاكل الإرتباك في العلاقات، أو من قبيل مشاكل المناهج والأساليب في الفكرة والحركة في الشكل والمضمون.

وللاسلام في حركته في مسيرته الطويلة، تاريخ كبير واسع، في إنتصاراته وهزائمه في ساحات الصراع، على مستوى الدعوة والحكم والوضع الإجتماعي العام الذي يختزن في داخله السياسة والإقتصاد والأمن والثقافة فيما هي القضايا المتنوعة المتحركة في دائرة الوحدة وفي دائرة الخلاف في الساحة الإسلامية الواسعة التي تركت تأثيراتها على الخلفيات الفكرية للانسان المسلم في كل مراحله، وعلى الرواسب العميقة الداخلية في كل أوضاعه، مما جعل كل حاضر في أيّة مرحلةٍ يحمل أثقال الماضي على كتفيه، ويعاني مشاكله في علاقاته الداخلية والخارجية، بالمستوى الذي يثقل وعيه وحركته لا سيّما في الحالات التي يتحوّل فيها الماضي إلى قداسةٍ عمياء في جميع أوضاعه .. حتى الأخطاء تتحوّل إلى مقدّسات والخطايا إلى فضائل، فلا يستطيع المصلحون مواجهتها إلّا بطريقة العنف التي تحرق الأخضر واليابس وتثير الكثير من كلمات التكفير والتضليل والتفسيق وما إلى ذلك من كلمات لا توحي بالهدوء الموضوعي فيما هي الفكرة العاقلة والكلمة المسؤولة.

وربّما يقف المصلحون في حيرة ضائعة أمام الضّغوط الهائلة التي تمنعهم من التحرّك بعيداً في مواجهة الأفكار المنحرفة والأوضاع المتخلّفة، ليقتنعوا بعد ذلك بأنّ عليهم أن يصبروا ويتحرّكوا مع التيّار الطّاغي، ريثما تفتح لهم الظّروف الآفاق الملائمة التي يملكون فيها واقعيّة الحركة، وحريّة التّعبير.

وقد تطول المدّة التي ينتظرها هؤلاء حتى يتحجّر الواقع في الذهنيّة العامة فلا يبقى هناك مجال للتغيير.

وللعراق دور كبير في التاريخ الإسلامي، حتى أصبح يمثّل الحجم الكبير في هذا التاريخ بإعتبار أنّه البلد الذي عاشت فيه الأحداث الكثيرة التي تركت بصماتها على كل ملامح الأوضاع الإسلامية اللاحقة في مختلف بلاد العالم الإسلامي في حياة الشعوب الإسلامية، بحيث لا تجد أيّ تجمّع إسلامي في إنتماءاته المذهبية، أو في إتجاهاته الفكرية، أو في خطوطه السياسية، إلّا وتلاحظ وجود شيء عراقي في أيّ جانب من تلك الجوانب، سواءً كانت فقهيّةً أو كلامية أو لغوية، أو سياسية، لأن العراق كان يحمل في تاريخه إتجاهات تلك الجوانب، سواءً كانت فقهيّةً أو كلامية أو لغوية، ولأنّ العراق كان يحمل في تاريخه إتجاهات التشيّع والتسنّن، وكما يلتقي الأشاعرة والمعتزلة ويواجه الخلاف النحوي بين الكوفيين والبصريين، ويحرّك الذّاكرة التاريخية الدموية في كل الخلافات الداخلية بين المسلمين، وفي الإحتلالات الخارجية المتكررة له، وفي تعقيدات الحكم الذي كان يتحرك في مواقعه السياسية.

لذلك كان الحديث عن تاريخ العراق حديثاً عن حركة الإسلام في خط الزمن على مستوى واقع المسلمين المتنوّع الذي يعطينا صورةً عن أكثر ملامح تاريخ الإسلام حيويّةً وحركيّةً وتعقيداً وتأثيراً في الفقه والفلسفة والسياسة والإجتماع.. ويمنحنا من خلال ذلك فهمًا لبعض ملامحنا الفكرية والعملية التي تنتسب إلى كثير من ملامحه الخاصة والعامة.

وتلك هي حكاية التاريخ في الزمن البعيد.

وللعراق تاريخ قريب. وللاسلام فيه أكثر من موقع وموقف وحركة. فهناك في العراق مدينة النجف الأشرف التي تمثّل المركز العلمي الديني

الأول للمسلمين الشيعة في العالم، فهو الذي يتولّى إعداد الفقهاء الذين ينطلقون لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون، أو ليمنحوا الفكر الفقهي والفلسفي، عمقـاً وإمتـداداً وحيويةً وليفتحوا النوافذ على آفاق الشعر والأدب من خلال الشعراء والأدباء الذين يعيشون في دائرة النشاط الثقافي الإسلامي في النجف الأشرف.

وهـو ـ بعـد ذلك ـ يراقب الأوضاع السياسية المتحركة في العالم الإسـلامي، لا سيّما في البلدان التي ترتبط بالمرجعية الدينية في النجف، وتتحرّك من خلال الفتاوي الصادرة عنها لتواجه حاكمًا ظالماً، أو دولةً جائرةً، أو محتلًا كافراً غادراً، لأن الحركة التي تنطلق من الفتاوي الشرعية تُبدع الشهادة في مواقع الجهاد وتوحي بالأجر العظيم في مواقع التضحية.. الأمر الـذي يجعل الواقع السياسي الإسلامي متأثّراً بطريقة سلبيةٍ أو إيجابية بالواقع الفقهي الذي يمثّله العلماء الفقهاء في حركتهم الشرعية في الصعيد السياسي سلباً أو إيجاباً.

وقد عاشت المرجعية الدينية في القرن الرابع عشر الهجري حركةً حيّةً في الواقع السياسي الذي كان يُطِلّ ـ في أكثر من مرحلةٍ تاريخيةٍ ـ على إيران بإعتبار الإرتباط العضوي المباشر بين المرجعية وبين الشعب الإيراني المسلم الذي يلتزم بفتاواها، ويتحرّك من خلال تعليماتها في قضاياه الداخلية على مستوى التعقيدات المتصلة بشخصيّة الحاكم، وطبيعة الحكم وشرعية القانون، وقضاياه الخارجية المتصلة بعلاقاته بالدول الأجنبية الكافرة التي كانت تحاول السيطرة على مقدراته السياسية والإقتصادية، فيما كانت تخطط له من معاهدات وإتصالات، وما إلى ذلك، فكانت الفتاوي الشرعية تواكب

التحـرك الشعبي وتـوجهـه وتقـوّي مواقعـه، وكانت التعليمات الحركية، والمداخلات السياسية تعمل على ترشيد الحركة.. ولعلّ القارىء الذي يتابع حركة «المشروطة والمستبدة» يجد الكثير الكثير من الإنفتاح السياسي في ذهنية المرجعية الدينية، وفي حركيتها الثوريّة بالمستوى الذي قد يفتقده لدى الكثيرين من المراجع الذين عاشوا بعد تلك الفترة.. وهذا ما نلاحظه في النشـاط الثـوري المنفتـح على الواقع السياسي في تلك المرحلة وفي الكلمات التي توحي بالعمق الإسلامي السياسي في مستوى العمق الفقهي الأصـولي الذي كان يتميّز به الشيخ محمد كاظم الخراساني.. وفي الفكر الإسلامي الطليعي في فكر الشيخ محمد حسين النائيني.

وإذا جرينا مع «ثورة العشرين» في العراق فإننا نجد وعياً إسلامياً وحدوياً متقدماً في مواجهة الإنكليز بالإنضمام إلى الجيش التركي الذي كان يمثّـل الـدولة العثمانية الإسلامية، في الوقت الذي كان علماء الشيعة في النجف وفي غيرهـا يعـانـون من ضغط الأتراك على المستوى السياسي والمذهبي، ممّا قد يترك تأثيراً على مستوى التحرك في الأوساط التي تفكّر في الـدائـرة الإسـلامية بطريقةٍ مذهبيةٍ، كما يفعل البعض الذي قد يفضّل الخضوع للحاكم الكافر على الخضوع للحاكم المسلم إذا كان من مذهب آخر إنطلاقاً من العقدة المذهبية، أو من الممارسات الظالمة في تصرّفه تجاه أهل مذهبه.

إنّ دراسة وثائق «ثورة العشرين» توحي إلينا بأنّ المرجعية عندما تتحـرّك في خط الثـورة الشعبية ضد المستعمـر الكافر، فإنّها تتحرّك في المستوى الرفيع من الوعي السياسي المنفتح، والإرادة الحديدية والموقف

الصلب، إنطلاقاً من عمق الحكم الشرعي الإسلامي في مسألة الجهاد بنفس القوة التي يمارسون فيها الحكم الشرعي في العبادات من الصلاة والصيام والحج ونحوها وإنسجاماً مع مصلحة الإسلام العليا في مقابل الكافرين والظالمين بعيداً عن العقدة المذهبية.

وهكذا سوف نجد الكثير في هذا التاريخ الذي ترك تأثيراته الروحية والفكرية والسياسية على الخلفيات الفكرية لحركة الثورة في المراحل المتأخرة التي كانت تظهر بين وقت وآخر لتعبّر عن نفسها في حركة مرجع في دائرةٍ معينة من دوائر التحرك السياسي الذي يتنقّل بين الظروف الموضوعية الضاغطة هنا وهناك، كما تعبّر عن نفسها في بعض الإنتفاضات الشعبية المحدودة.

وإذا كانت الظروف التي أعقبت هذه الإنطلاقات، قد ضغطت على الوعي الإسلامي السياسي، فعملت على تجميده، حتى تحوّلت ممارسة السياسة في بعض الحوزات العلمية ـ ومنها النجف الأشرف ـ إلى تهمةٍ يتبرّأ منها الكثيرون، أو ينكرها الكثيرون على هذا العالِم أو ذاك، لأنّها لا تتناسب مع الموقع الديني الكبير، أو مع القيمة الروحيّة الصافية التي توحي بالإبتعاد عن كل مشاكل الدنيا.. الأمر الذي جعل المرجعية الدينية تعيش فيما يشبه العزلة السياسية عن الأمة، لو لا بعض الإنطلاقات هنا وهناك.

ولكن الأحداث الضاغطة على الواقع الإسلامي في العراق وفي إيران والتطورات التي بدأت تزحف على واقع المسلمين هناك قد دفعت بالمرجعية الدينية بطريقةٍ وأخرى، لمواجهة ضغط الواقع بالوسائل التي تملكها بمختلف أساليب التدخّل.. وبدأت تقف في واجهة الأحداث بقوّة

تبعاً للامكانات التي تملكها..

وتـطوّر الوضع فنشأت الحركة الإسلامية في أجواء المرجعية التي حضنت ولادتهـا ورعت نمـوها وحرّكت خطواتها.. واشتدّ الصراع بفعل القوى الإستعمارية التي هيّأت الأجواء لبعض القوى المحليّة للضغط على التحـرك الإسلامي، وتكاثرت الضغوط، وبدأ القمع الذي تمثّل بالإعدام والسجن والتعـذيب والتشريد، لا سيّما بعد إنطلاقة الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني (قدّس سرّه) ممّا جعل الحكم الطاغي في العراق يخشى من ثورة مماثلة هناك، وهكذا أعدم السيد محمد باقر الصدر بإعتباره الشخصية القيادية التي بدأت تخطو نحو المرجعية خطوات واسعة.. وبدأت عملية القمع للحوزة بالضغط والتهجير وإمتدت المسألة حتى لم تعد الحوزة العلمية في النجف الأشـرف تمثّل القوة الضاغطة على الواقع.. ومازالت المؤامرة مستمرة.

أمّا هذا الكتاب الذي يؤرّخ للحركة الإسلامية في العراق، فإنّه يمثّل وثيقـةً تاريخيةً حيّةً للكثير من نشاط الحركة الإسلامية في العراق بالمعنى العام للتحرّك الإسلامي الذي يشمل حركة المرجعيّة في إمتداداتها الشّعبية الواسعة وحركة الشعب المسلم في ظلال المرجعية كما يتحدّث عن الحركة الإسلامية بالمعنى المصطلح.

وهو كتاب يتّسم بالكثير من الموضوعية والشمول لا سيّما إذا عرفنا أنّ مؤلّفه فضيلة السيد حسن شبّر من الشخصيات المجاهدة في العراق، فقد قدّم للاسـلام شهيدين من خيرة الشباب المجاهد في معركة الإسلام مع الكفـر، كما عانى الكثير من السجن والعذاب والتشريد في سبيل اللّه،

وعمل في خط الإسلام بكل جهده.

ولذلك فإنّه عندما يكتب عن الإسلام الحركة في مفهومها العام أو الخاص فهو يكتب من وحي المعاناة بعيداً عن الترف الفكري والتجريد النظري.

وقد قرأت الكثير من هذا الكتاب فرأيته وافياً بتقديم الفكرة التي يريد أن يثيرها في أجواء المجتمع الإسلامي المعاصر من خلال إثارة التاريخ الإسلامي الحركي في العراق.

فأسأل اللّه له الموفقيّة والتأييد والمزيد من الإنتاج الإسلامي النافع، وطول العمر والثواب الجزيل على ما قدّمه من جهد وعطاء وجهاد في سبيل الإسلام والمسلمين.

والحمد للّه ربّ العالمين...

بيروت ٢٥ج٢ ـ ١٤١٠هـ

محمد حسين فضل اللّه

مقدمة بقلم:
المؤرّخ الكبير سماحة الشيخ علي دواني

بسم الله الرحمن الرحيم

خلال تأليفي لبعض الكتب عن دور علماء الشيعة الإمامية في الثورات الدينية السياسية في البلد الإسلامي العراقي والتي خصّصت فيها فصولاً تتعلّق بثورة العراق ودور العلماء فيها، وعن علاقة أحداث إيران بمراجع الشيعة في العراق كالميرزا محمد حسن الشيرازي في فتوى تحريم التنباك والآيات العظام الآخوند ملا محمد كاظم الخراساني، والحاج ميرزا حسين الخليلي والحاج الشيخ عبدالله المازندراني وغيرهم.

كنت أفكّر فيما لو أنّي وفقت فإنّي سوف أكتب كتاباً خاصاً بهذا الدور، أتحدّث فيه بالتفصيل عن التحرّك السياسي الديني للعلماء الشيعة الإيرانيين والعراقيين في الأحداث المهمة في تاريخ العراق، ولكنّني لم أوفّق لذلك لحدّ الآن.

في هذه الأيام: الأخ العالم والكاتب العزيز الأستاذ السيد حسن شبّر

دامت إفاضاته ـ ومن خلال حسن ظنّه بي ـ عرض عليّ نتاجه الثمين (التحرك الإسلامي، في موسوعته تاريخ العراق السياسي المعاصر) وطلب منّي مطالعة الكتاب وإبداء رأيي فيه.

قرأت الكتاب من أوّله إلى آخره واستفدت من علمية المنهجة والتبويب ودقّة المعلومات ومن طريقة التحليل. وقد وجدت ضالّتي فيه، حيث ان ما كنت أريد كتابته هو نفس هذه المعلومات التي كتبها وحقّق فيها خلال جهوده المشكورة، ولا أرى هنالك حاجة لأن تُبحث هذه المواضيع أكثر مّما بُحثت، لأنّ الكتاب الذي نحن بصدده قد إستوفاها بصورة جيّدة.

وقد صرفت النظر عن فكرتي تلك، فقد قام السيد شبّر بالبحث والكتابة عن الأحداث بصورة مجملة ومضغوطة.

والسيد شبّر حفظه اللّه من البيوتات العريقة والأصيلة في العراق ولآبائه دور مهم في نشر الثقافة والمعارف الإسلامية.

وللسيد شبّر حفظه اللّه معرفة جيّدة في مجريات الأمور في تلك البلاد، ولذلك فقد قام بهذه المهمّة على أكمل وجه (وشهد شاهدٌ من أهلها).

المرحوم العلّامة الجليل السيد عبداللّه شبّر الجد الخامس للمؤلّف، والمتوفى عام ١٢٤٢هـ، كان قد أدّى لوحده خدمة للاسلام والمسلمين تضاهي خدمة مجموعة من العلماء، وقد خلّف ثروة ثمينة في العلوم والفنون الإسلامية.

وقد نحى أبناؤه العلماء خلال قرن ونصف مضت منحى جدّهم، وأخذوا بزمام المسؤولية الدينية والثقافية في العراق والمناطق الإسلامية الأخرى.

وها أنا أرى اليوم نتاجات قيّمة ونفيسة لحفيدهم المحترم.

ومن المناسب أن أقول (صدر من أهله ووقع في محلّه).

بأبــه إقتــدى عدي في الكــرم ومــن يشــابــه أبــه فما ظلم

فالبيوتـات العلمية الأصيلة وحاملو الرسالات الإلهية هي بمثابة الشجرة الطيّبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها.

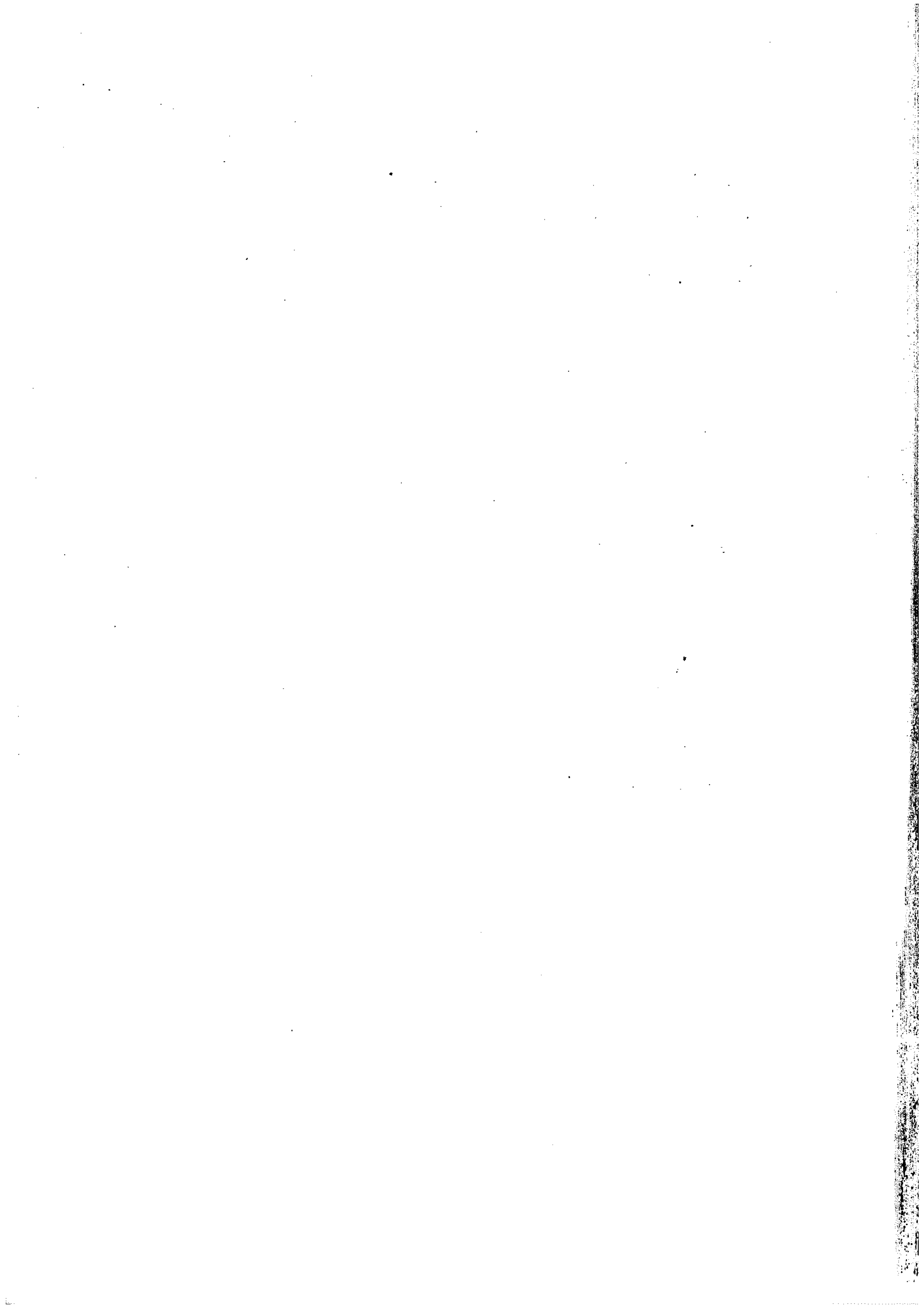
إنّ تعـريف الـوجوه العلمية المعروفة والتي هي من مفاخر علماء الإسلام والشخصيات العظيمة للعالم الإسلامي والذين نهضوا بأدوارهم في أحلك الظروف وأكثرها حساسية من أجل حفظ وحماية وقيادة وتوجيه الأمة الإسلامية، إنّ ذلك يعتبر مسؤولية أولئك المؤمنين الملتزمين في تنفيذ رسالة اللّه.

وإنّ بحثاً كهذا لا يستطيع أن ينوء به أي أحد، وإنّما لا بدّ أن يكون شخصاً من بيت علمي عريق وأصيل وملتزم دينياً، وبحمد اللّه فإنّ السيد شبّر حفظه اللّه هو ذلك الشخص الذي تتوفّر فيه هذه الصفات في تحقيق هذا العمـل الكبـير الـذي أنجـزه بتمام الصدق والأمانة وبمهارة فائقة وأخلاقية كاملة.

فسلام عليه وعلى عباد اللّه الصالحين.

طهران ـ علي دواني

٣ رجب المرجب ١٤١٠هـ



مقدمة المؤلف

تتميّز الفترة التاريخية التي يتناولها هذا الجزء، وهي الفترة المحصورة بين عامي ١٩٠٥م و ١٩٥٧م، بأنّها مرحلة على مستوى كبير من الدقّة والخطورة للحياة العراقية بشكل خاص والمنطقة الإسلامية بصورة عامة. حيث شهدت تحولات هائلة على الأصعدة السياسية والإجتماعية والثقافية. مما ساهم في خلق أجواء جديدة لم تكن معروفة في الفترات السابقة، وأوجد مظاهر عديدة غريبة كل الغرابة عن واقع البلاد الإسلامية وعن خصوصيات الأمة الإسلامية، سواء في العراق أو في غيره.

إنّ ما حدث خلال هذه الفترة، إنّما كان في حقيقته جزء من حركة التحوّل التي سادت العالم بأسره. ويكفي لتوضيح هذه المسألة التذكير بالحربين العالميتين اللّتين إندلعتا في النصف الأول من هذا القرن وبفاصلة زمنية لا تزيد على إحدى وعشرين سنة.

ولعلّ هاتين الحربين أهم وقائع فترة البحث. على إعتبار أنّ كل

واحدة منها أفرزت عالماً جديداً لا يشابه العالم القديم من وجوه كثيرة. فالأولى أخرجت العراق ـ وغيره من البلاد الإسلامية ـ من سلطة الدولة العثمانية إلى سلطة الإستعمار الغربي. مما جعل حياة العراق تواجه نمطاً سياسياً وإجتماعياً وثقافياً يختلف في قواعده عن القرون العديدة التي مرّت بها من قبل.

والحرب الثانية فرضت على العراق أجواء تختلف كثيراً عن الفترة التي سبقت إندلاعها. وهو إنعكاس لما شهده العالم من متغيرات في السياسة الدولية، تأثّرت بها الساحة العراقية بحكم خضوعها للسيطرة البريطانية.

على أنّ هذين الحدثين ليس هما كلّ التاريخ العراقي خلال النصف الأول من القرن العشرين. فلقد سبقتها أحداث مهمة خطيرة ساهمت في بلورة شخصيته التاريخية ودفعت به إلى الأمام في مجالات الفكر والسياسة. وفي المقابل فإنّها تركت آثاراً سلبية على واقعه الإجتماعي والسياسي، كما هو الحال في الأحداث القلقة والفترات المضطربة، كما أنّ هناك أحداثاً جاءت بعد الحرب الثانية كان لها تأثير مهم في واقع العراق السياسي.

إنّ هذا وغيره من معالم تلك المرحلة، تناولها الجزء الثاني من كتاب (تاريخ العراق السياسي المعاصر). وقد حاولت فيه السير مع المواقف والأحداث الإسلامية التي عاشها العراق، دون إهمال الوقائع الأخرى، على إعتبار أنّ التاريخ مترابط الأجزاء في كل مرحلة من مراحله، ولا يمكن الفصل بين مجال وآخر.

وأود الإشارة هنا بعدما وفّقني اللّه تعالى لانجازه. بأن الجزء الثاني كان بالإمكان إصداره بعد الجزء الأول بفترة قصيرة. لكن الذي دفعني

للتريّث، رغبتي في تقصّي المزيد من المعلومات والمصادر التاريخية. وقد عرضته على أكثر من مختص في التاريخ وفي الفكر الإسلامي. كآية اللّه السيد محمد حسين فضل اللّه وسماحة حجة الإسلام والمسلمين المؤرّخ الإيراني الكبير الأستاذ الشيخ علي دواني وغيرهما. كما إستفسرت حول بعض الأحداث المهمّة من المعاصرين والواعين بتلك الفترة لزيادة التوثيق، وقد تفضّلوا مشكورين بالإجابة على أسئلتي وإعطائي معلومات قيّمة ربما تفتقر إليها المصادر التاريخية. وقد وردت أسماؤهم خلال البحث.

وإضافة إلى ذلك فقد طلبت من العديد من الأخوة والأصدقاء والمعنيين أن يقدّموا لي ملاحظاتهم ومعلوماتهم الشخصية التي تخدم البحث، سواء بطلب مباشر أو عن طريق جريدة الجهاد. وقد تفضّل قسم من هؤلاء الكرام بتقديم مساعداتهم العلمية.

وملاحظة مهمّة لا بدّ من ذكرها هي أنّ الأُستاذ السيّد سليم الحسني ساهم مساهمة جادّة وفعّالة في إنجاز الجزء الأول وهذا الجزء الثاني من الكتاب.

وقد كان لدأبه ومتابعته وحرصه ومثابرته أكبر الأثر في هذا المشروع.

فأنا مدين له ومعجب بنبوغه وحيويته ومتوسّم له مستقبلاً زاهراً في عالم الكتابة والتأليف.

فإلى كل هؤلاء العلماء والأساتذة والأخوة أقدّم شكري الجزيل على ما بذلوه من جهود مشكورة صادقة.

أسأل اللّه تعالى أن يوفّقنا لما فيه خدمة الإسلام والمسلمين، وأن

يسدّدنا في خطانا، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

حسن شبّر
١٠ رمضان ١٤١٠هـ

الفصل الأول:

الشيعة في عقائدهم
وحركتهم السياسية المعارضة

يعرف الشيعة بأنّهم شيعة علي بن أبي طالب، أي الذين يعتقدون بإمامته للأمة من بعد الرسول (ص) والتي كان منصوصاً عليها من قبل الرسول (ص) نفسه. وارتبط تاريخ الشيعة بالتاريخ الإسلامي منذ بدايته، فمنذ الأيام الأولى التي صدع بها الرسول الأكرم (ص) برسالته، كان يعرّف عليه السلام بمنزلة علي بن أبي طالب منه، ويصفه بأنّه أخوه ووزيره ووصيّه من بعده، وظلّ طوال فترة تبليغ الرسالة في مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة يؤكّد هذا المعنى الذي كلّفه به اللّه سبحانه وتعالى. ولم تكتمل الرسالة المحمّدية إلّا في يوم الغدير بعد أن أنهى الرسول (ص) حجّة الوداع. حيث خطب خطبته الشهيرة التي جاء فيها: (من كنت مولاه فهذا علّي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله)[1]. وقد أخذ الرسول الأكرم بيعة المسلمين للامام علي عليه السلام. وفي أعقاب الخطبة نزلت الآية الكريمة: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً).

---

(١) رواه إبن حجر عن ثلاثين صحابياً في صواعقه المحرقة، ص ٣٥.

إنّ هذه المسألة واحدة من العقائد الأساسية عند الشيعة، فهم لا يرون خليفة للرسول (ص) إلّا في علي وأبنائه من فاطمة عليهم الصلاة أجمعين، وذلك حسب التعيين الإلهي للامامة وحصرها بأئمّة أهل البيت الإثني عشر.

وهكذا مثّل التشيّع على إمتداد التاريخ الإسلامي حركة المعارضة للسلطات السياسية التي لا تقيم الحكم الإسلامي في الدولة وبرز مفهوم الشيعة المعارض لنظام الحكم، وإنضوى تحت إسمهم عدد من الفرق الغالية، غير أنّ الإمامية الإثنى عشرية ظلّت أقرب إلى مفهوم الإمامة العلوية[٢]. وهو ما جعل الشيعة عرضة للاضطهاد والملاحقة والتنكيل على طول التاريخ. غير أنّ الإرهاب لم يستطع أن يلغي دورهم المعارض، ويغيّر من نظرتهم للسلطة.

إنّ الصفة التي تطبع التاريخ الشيعي على إمتداد حلقاته الزمنية هي إضطهاد الحكّام لهم، ماعدا بعض الفترات التي كانت تتخلّل الإرهاب السلطوي، فيعيش الشيعة بأمان. وسنحاول هنا المرور بشكل سريع على أهم الأدوار التي مرّ بها التشيّع في العراق.

تعود جذور التشيّع في العراق إلى زمن فتحه ودخوله ضمن حدود الدولة الإسلامية. ويعود الفضل في ذلك إلى جيش الحجاز، حيث ضمّ في قيادته بعض شيعة الإمام علي أمثال عمّار بن ياسر وإبن مسعود.

غير أنّ إنتشار التشيّع في العراق لم يأخذ حجمه الساحق إلّا بعد

---

(٢) أنور الجندي، العالم الإسلامي والإستعمار السياسي والإجتماعي والثقافي، ص ٧٣.

أن نقل الإمام علي عليه السلام عاصمته ـ خلال خلافته ـ من المدينة إلى الكوفة بعد واقعة الجمل عام ٣٦هـ. فتحوّلت الكوفة إلى مركز التشيّع. كما تشيّع كثير من أهل البصرة وغيرها. ولّما تفرّق عـمّال الإمام علي في البلاد الإسلامية، تشيّع كثير من أهالي تلك البلدان. وكان في مكة والمدينة والطائف واليمن ومصر كثير من الشيعة بالإضافة إلى العراق وفارس .

وعندما قتل يزيد بن معاوية، الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء وسبى أهل بيته، إستعظم أكثر المسلمين ذلك وتنبّهوا لفضل أهل البيت وما أصابهم من الظلم، وشعروا بتقصيرهم في نصرهم، فتحوّل كثير من موالاة بني أميّة إلى موالاة بني هاشم وخاصة العلويين. وكانت وقعة الحرة ووقعة التوابين ووقعة نهر الخازر وغيرها عوامل جديدة لتحوّل الناس من بني أميّة.[٣]

حاول الأمـويون إقتـلاع جذور التشيّع من العراق ومن الكوفة بشكل خاص، فمرّت على العراق فترات مظلمة، لكنّهم فشلوا في جعله أموياً، حيث ظلّ طابعه شيعياً موالياً لأهل البيت، بإستثناء فترات قليلة مرّت على البصرة.

وحين جاء العبّاسيون إلى الحكم تحت شعار الرضا من آل محمد، إستكملوا سياسة الأمويين في محاولة للقضاء على التشيّع، فنكلوا بالشيعة وإضطهدوهم أشدّ الإضطهاد، وتفننوا في وسائل القتل والتعذيب، فقد قتل أبـو جعفر المنصور من أبناء علي وفاطمة عليهم السلام ألفاً أو يزيدون

---

(٣) السيد محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة، المجلد الأول، ص ٢٥.

بإعترافه. وقتل من شيعتهم ما لا يعد ويحصى، وتفنّن في ظلمهم، وإخترع ألواناً من القتل وألواناً من التنكيل، كالضرب بالسياط على الأعين حتى تسيل، وهدم البيوت على الأحياء، ورصفهم مع الأحجار في الجدران، وتسميمهم بالفضلات والقذارات وغير ذلك[٤]. وواصل العبّاسيون نفس إسلوب الأمويين إن لم يكن أشدّ وأنكى في التضييق على أئمة أهل البيت عليهم السلام وقتلهم بالسم، فقد قتل العبّاسيون ستة من أئمة أهل البيت وقتل الأمويين أربعة منهم عليهم السلام، وأودع الإمام السابع (موسى بن جعفر الصادق عليه السلام) في السجن من قبل هارون الرشيد مدة قد تزيد على أربعة عشر عاماً في حبس مظلم لا يعرف فيه الليل من النهار. وكان أشدّ ملوك بني العبّاس على الأئمة وشيعتهم، المتوكّل العباسي الذي إعتدى على قبور الشيعة ورموزهم، وهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وما حوله من المنازل والدور، ومنع الناس من زيارته ونادى: من وجدناه عند قبر الحسين حبسناه في المطبق ـ سجن تحت الأرض ـ. فقال الشاعر:

تالله إن كانت أميّة قد أتت   قتل إبن بنت نبيّها مظلوماً
فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها   هذا لعمرك قبره مهدوماً
أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا   في قتله فتتبّعوه رميًما

واجه العبّاسيون نفس الفشل الذي واجهه الأمويون من الإصرار الشيعي على عقيدتهم وموالاتهم لأهل البيت، ممّا دفع بعض ملوكهم في بعض

---

(٤) الشيخ محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون، ص ١٥١، والكتاب يحوي بشكل واف المظالم التي تعرّض لها الشيعة على أيدي الحكومات التي تعاقبت على حكم المسلمين حتى الفترة المتأخّرة.

الفترات إلى ممانعة الشيعة والعلويين مثل المأمون الذي إستخدم الأساليب السياسية في إظهار تقرّبه من العلويين. وقد تشيّع منهم فعلاً الناصر لدين الله (٥٥٢هـ ـ ٦٢٢هـ) والذي جعل المناطق المقدسة أمناً لمن لاذ بها[٥].

إنّ وقوع العراق تحت سيطرة سلطات سياسية عديدة، جعل شيعته يتأثرون في القوة والضعف تبعاً لميول السلطة وعقيدتها المذهبية، فقد مرّت عليهم فترات مظلمة سوداء تعرّضوا فيها لأشدّ أنواع الإرهاب الجسدي والفكري، لكن كانت تتخلّلها فترات مشرقة يعيشون فيها بحريّة، مما جعل مساحة التشيّع تتسّع في بعض مناطق العراق. حيث تكوّنت عدة دول وإمارات شيعية، مثل دولة آل بويه، وإمارة بني مزيد في الحلّة، وبني شاهين في البطائح، وبني حمدان وآل المسيّب في الموصل ونصيبين، والدولة الجلائرية والدولة الصفوية.

وإختلف تأثير هذه الحكومات على أوضاع الشيعة في العراق، فالحكومات المحلية كانت أقل تأثيراً في تقوية التشيّع من الدول الأخرى التي تبسط هيمنتها على العراق، بإعتبارها تمتلك ثقلاً سياسياً مؤثّراً على كافة الأوضاع في الحياة العراقية، وتمثّل إرادتها توجهاً سياسياً عاماً.

حكم البويهيون من غرب إيران وحتى بغداد، وإستمرت سلطتهم من ٣٢٤هـ ـ ٤٤٧هـ، وقد إنتعش التشيّع في العراق خلال فترة حكمهم، وإن كانت الخلافة بإسم بني العبّاس.

---

(٥) الشيخ محمد حسين المظفّر، تاريخ الشيعة، ص ٧٩.

بإعترافه. وقتل من شيعتهم ما لا يعد ويحصى، وتفنّن في ظلمهم، وإخترع ألواناً من القتل وألواناً من التنكيل، كالضرب بالسياط على الأعين حتى تسيل، وهدم البيوت على الأحياء، ورصفهم مع الأحجار في الجدران، وتسميمهم بالفضلات والقذارات وغير ذلك[٤]. وواصل العبّاسيون نفس إسلوب الأمويين إن لم يكن أشدّ وأنكى في التضييق على أئمة أهل البيت عليهم السلام وقتلهم بالسم، فقد قتل العبّاسيون ستة من أئمة أهل البيت وقتل الأمويين أربعة منهم عليهم السلام، وأودع الإمام السابع (موسى بن جعفر الصادق عليه السلام) في السجن من قبل هارون الرشيد مدة قد تزيد على أربعة عشر عاماً في حبس مظلم لا يعرف فيه الليل من النهار. وكان أشدّ ملوك بني العبّاس على الأئمة وشيعتهم، المتوكّل العباسي الذي إعتدى على قبور الشيعة ورموزهم، وهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وما حوله من المنازل والدور، ومنع الناس من زيارته ونادى: من وجدناه عند قبر الحسين حبسناه في المطبق ـ سجن تحت الأرض ـ. فقال الشاعر:

تالله إن كانت أميّة قد أتت ... قتل إبن بنت نبيّها مظلوماً
فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها ... هذا لعمرك قبره مهدوماً
أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا ... في قتله فتتبّعوه رميماً

واجه العبّاسيون نفس الفشل الذي واجهه الأمويون من الإصرار الشيعي على عقيدتهم وموالاتهم لأهل البيت، ممّا دفع بعض ملوكهم في بعض

---

(٤) الشيخ محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون، ص ١٥١، والكتاب يحوي بشكل واف المظالم التي تعرّض لها الشيعة على أيدي الحكومات التي تعاقبت على حكم المسلمين حتى الفترة المتأخّرة.

الفترات إلى ممانعة الشيعة والعلويين مثل المأمون الذي إستخدم الأساليب السياسية في إظهار تقرّبه من العلويين. وقد تشيّع منهم فعلاً الناصر لدين الله (٥٥٢هـ ـ ٦٢٢هـ) والذي جعل المناطق المقدسة أمناً لمن لاذ بها[٥].

إنّ وقوع العراق تحت سيطرة سلطات سياسية عديدة، جعل شيعته يتأثرون في القوة والضعف تبعاً لميول السلطة وعقيدتها المذهبية، فقد مرّت عليهم فترات مظلمة سوداء تعرّضوا فيها لأشدّ أنواع الإرهاب الجسدي والفكري، لكن كانت تتخلّلها فترات مشرقة يعيشون فيها بحريّة، مما جعل مساحة التشيّع تتسّع في بعض مناطق العراق. حيث تكوّنت عدة دول وإمارات شيعية، مثل دولة آل بويه، وإمارة بني مزيد في الحلّة، وبني شاهين في البطائح، وبني حمدان وآل المسيّب في الموصل ونصيبين، والدولة الجلائرية والدولة الصفوية.

وإختلف تأثير هذه الحكومات على أوضاع الشيعة في العراق، فالحكومات المحلية كانت أقل تأثيراً في تقوية التشيّع من الدول الأخرى التي تبسط هيمنتها على العراق، بإعتبارها تمتلك ثقلاً سياسياً مؤثّراً على كافة الأوضاع في الحياة العراقية، وتمثّل إرادتها توجهاً سياسياً عاماً.

حكم البويهيون من غرب إيران وحتى بغداد، وإستمرت سلطتهم من ٣٢٤هـ ـ ٤٤٧هـ، وقد إنتعش التشيّع في العراق خلال فترة حكمهم، وإن كانت الخلافة بإسم بني العبّاس.

---

(٥) الشيخ محمد حسين المظفّر، تاريخ الشيعة، ص ٧٩.

دخل البويهيون بغداد في جمادى الثانية ٣٣٤هـ بقيادة أحمد بن بويه، في زمن الملك العبّاسي المستكفي بالله الذي لقّبه بمعزّ الدولة. وفي أيامه جرى في بغـداد مأتم رسمي للحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بأمر أصدره معزّ الدولة عام ٣٥٢هـ، قضى بإغلاق الأسواق ومنع الطبّاخين من الطبخ[٦] حيث كان الطعام يوزّع مجاناً.

إنّ ثنائيّة السلطة بين البويهيين والعبّاسيين، تسببت في حدوث أزمات إجتماعية كبيرة، وكان مثالها الواضح الأزمة الطائفية التي تفجّرت في فترات عديدة، مثل الفتنة التي إشتعلت عام ٤٤٣هـ في بغداد بين السنة والشيعة، واحتـــرقت فيهـا دور الفقهاء وضريح الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وقبر زبيدة زوجة هارون الرشيد، وقبور الخلفاء وملوك بني بويه[٧].

تعرّض الدعم البويهي للتشيّع إلى الإنحسار نتيجة ظهور سلطات منافسة من أهل السنة، مثل الغزنويين الذين حكموا في أفغانستان وشرق إيران من ٣٦٧هـ ـ ٥٨٧هـ (٩٧٧م ـ ١١٩١م) وقـد ضيّقوا على الشيعة وطاردوهم، وهدّموا قبر الإمام الرضا عليه السلام في خراسان عام ٤٠٠هـ. كما ظهر السلاجقة الذين إستمر حكمهم بين ٤٢٩هـ ـ ٥٥٢هـ (١٠٣٨م ـ ١١٥٨م)، وتعرّض الشيعة في إيران إلى إضطهاد عنيف من قبلهم[٨].

في عام ٤٤٧هـ إستغلّ طغرل بك السلجوقي إنحلال الحكم البويهي فقـاد جيشـاً كبـيراً من الأتراك لاحتلال العراق، فسقطت بيده بغداد،

---

(٦) علي ظريف الأعظمي، تاريخ الدّولة الفارسية في العراق، ص ٥٧، ٦٣.

(٧) المصدر السابق، ص ٩٨.

(٨) د. مريم مير أحمدي، دين ومذهب در عصر صفوي، ص ١٤.

وإنتهت بذلـك الدولة البويهية. وإنتقل الحكم بذلك إلى السلاجقة حتى إستعـاد العبّـاسيون سلطتهم التي إستمـرّت حتى دخول هولاكو بغداد وإنهائه للحكم العبّاسي عام ٦٥٦هـ.

أمّا الجلائريون الذين حكموا العراق بعد المغول فهم من الشيعة، وقـد أسس حكـومتهم الشيخ حسن الجـلائري المعروف بالشيخ حسن الكبير. وبعد وفاته عام ٧٥٧هـ تولّى الحكم إبنه الملك أويس الذي إستمرّ في الحكم حتى وفـاته عام ٧٧٦هـ[٩]. والملك أويس هو الذي بنى الحرم الحسيني في كربلاء عام ٧٦٧هـ، وفي عهده تأسّست المدرسة المرجانية[١٠] التي لا تزال تعرف إلى اليوم بإسم خان مرجان في شارع الرشيد ببغداد.

وخلال الفترة بين ٩٠٧هـ ـ ١١٣٥هـ (١٥٠١ ـ ١٧٢٢م) حكمت إيران الأسرة الصفويّة، وهي أوّل أسرة شيعية تحكم إيران[١١]. فقد إستطاع إسماعيل الصفوي ـ وهو من عائلة الشيخ صفي الدين الأردبيلي ـ عندما كان في الثالثة عشر أن يقود حركته من أردبيل، وخاض معارك دامية مع الملوك المحليين والملوك الذين كانوا ينوبون في حكمهم عن الأمبراطورية العثمانية، وإستطاع أن يجعل من إيران دولة موحدةً خاضعةً لحكمه[١٢].

إنّ قيام الـدولـة الصفـوية يعتبر من المحطّات المهمة في التاريخ الشيعي بشكل عام والعراقي بشكل خاص، حيث بدأت منذ ذلك الزمن

---

(٩) يعقوب آزند، قيام شيعي سربداران، ص ٢٢ ـ ٢٤.
(١٠) الشيخ محمد حسين المظفّر، المصدر السابق، ص ٨٩.
(١١) حامد آلكار، نقش روحانيت بيشرو در جنبش مشروطيت، ص ٣٧.
(١٢) السيّد محمد حسين الطّباطبائي، الشيعة في الإسلام، ترجمة جعفر بهاء الدين، ص ٤٨.

مرحلة من التداخل الإجتماعي بين العراق وإيران بصورة لم تكن معهودة في السابق، وبدأ التأثير المتبادل بين المجتمعين الإيراني والعراقي في القضايا الإجتماعية والسياسية.

لقد أعطت الدولة الصفوية دعمًا قوياً للشيعة، لا سيّما وأنّ ملوكها إعتمدوا على فقهاء الشيعة وعلمائهم في شؤون الدولة، وكان لعدد كبير من المجتهدين تأثير ونفوذ مهم في سياستها، مثل المحقّق الكركي والشهيد الثاني زين الدين العاملي والشيخ بهاء الدين العاملي المعروف بالشيخ البهائي والملا محسن الكاشاني والشيخ محمد باقر المجلسي وغيرهم(١٣).

إنّ دعم الحكومة الصفوية للتشيّع قابله إضطهاد عثماني للشيعة، حيث أثار إعلان الشاه إسماعيل بأنّ التشيّع هو المذهب الرسمي في إيران عداوة العثمانيين(١٤). وعلى أثر ذلك مارس السلطان سليم الأول منذ بداية حكمه سياسة الإضطهاد ضد الشيعة، فأعلن الحرب المذهبية وإعتبر الشيعة غير مسلمين (١٥) واستصدر من رجال الدين في الدولة فتوى بكفر الشيعة وجواز قتلهم. ثمّ وضع خطّة للقضاء على الشيعة الساكنين داخل حدوده. كانت الخطّة هي تنظيم شرطة سرّية يتوزّع أفرادها في شتى أرجاء الدولة العثمانية (الآسيوية والأوربية)، بغية إحصاء عدد الشيعة، فأرسل جنوداً إلى الأماكن التي يسكنونها بنسبة عددهم، ثمّ أوعز إلى الجنود أن يلقي كل واحد منهم على من بقربه من الشيعة في وقت معيّن، وعند ذاك قتل أربعين ألفاً

---

(١٣) د. مريم مير أحمدي، المصدر السابق، الفصل الرابع.
(١٤) صادق نشأت ومصطفى حجازي، صفحات من إيران، ص ٧٩.
(١٥) محيط طباطبائي، تطور حكومت در إيران بعد أز إسلام، ص ١٩٢.

منهم، بينما أودع الباقين في السجن المؤبّد[١٦].

إنّ هذه الحادثـة المروعة التي أقدم عليها السلطان سليم، فتحت سجلاً مؤلماً من الأحداث بين إيران والدولة العثمانية، حيث دخل الجانب الطائفي كعامل كبير في تفجير الكثير من الأزمات الخطيرة بين الدولتين، ففي أعقاب هذه الحادثة وقعت معركة ضارية بينهما في وادي جالدرن بين بحيرة أرومية وتبريز في ٢٣ آب ١٥١٤، إنتصر فيها السلطان سليم على الشاه إسماعيل[١٧].

تعرّض العراق نتيجة الصراع المذهبي بين الصفويّين والعثمانيين إلى إحتلال متبادل من قبل الطرفين، ودفع شيعة العراق الثمن الأكبر في هذا الصراع، حيث كانوا عرضة لإنتقام العثمانيين، الذين أخذوا ينظرون إليهم على أنّهم إمتداد إيراني داخل العراق. علمًا بأنّ العراق حتى تلك الفترة لم يكن خاضعاً للدولة العثمانية، وإنّما كان تحت سيطرة دولة الخروف الأبيض (آق قوينلو) التركمانية. لكن العثمانيين وجهوا أنظارهم إليه للوقوف أمام المدّ الشيعي الصفوي، ولمنافستهم عليه. أي أنّ الدافع كان مذهبياً ـ سياسياً.

في البـداية إحتلّ الشاه إسماعيل الأول العراق عام ٩١٤هـ من السلطان مراد بن يعقوب آخر ملوك دولة الخروف الأبيض. وفي عام ٩١٦هـ إستـطاع الأخير من إستعادته. لكنّ الشاه إسماعيل إستعاده ثانيةً عام

---

(١٦) د. علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الأول، ص ٤٥ ـ ٤٦.
(١٧) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

٩٢٠هـ وبذلك إنتهت دولة الخروف الأبيض من العراق[١٨].

في سنة ٩٢٦هـ أمر الشاه إسماعيل بإعادة بناء حرم الكاظمين وقبّة الضريحين المقدّسين هناك. وكان من الطبيعي أن يتقوّى الشيعة بالحكم الصفوي[١٩].

توفي الشاه إسماعيل عام ٩٣٠هـ وخلفه إبنه طهماسب الأول. وخلال هذه الفترة طمع الأمير ذو الفقار بن نخود سلطان رئيس أحد القبائل الكردية التي بسطت نفوذها على العراق. وقد إحتمى ذو الفقار بالسلطان سليمان القانوني وعرض عليه الدخول تحت سيادته. غير أنّ الشاه طهماسب هاجم العراق وإستعاد بغداد عام ٩٣٦هـ (١٥٣٠م)[٢٠].

إستمرّت سلطة الصفويين على العراق حتى عام ٩٤١هـ (١٥٣٦م) حيث هاجم السلطان سليمان القانوني العراق وإحتلّه من الصفويين. وبذلك دخل العراق للمرّة الأولى تحت الحكم العثماني المباشر[٢١].

لقد أصبح العراق نقطة مهمّة في الصراع الصفوي - العثماني، للدرجة التي يرى فيها كل طرف أنّ خسارة سلطته في العراق هزيمة

---

(١٨) علي ظريف الأعظمي، المصدر السابق، ص ١٠١ - ١٠٢.

(١٩) إنّ تضييق الشاه إسماعيل على أهل السنة جاء كرد فعل للممارسات التي قام بها السلطان سليم حيث فتك بالشيعة وإعتبر نفسه حامياً لأهل السنة. وربما أقدم الشاه إسماعيل على إجراءات عملية لإضعاف السنة، وإن كنّا لم نعثر في المصادر المتوفّرة لدينا على أرقام حول هذه المسألة، ماعدا ماقاله علي ظريف الأعظمي بما نصّه: (وفتك بالسنة والنصارى وغالى في الانتصار لمذهب الشيعة وأتباعه،وبالغ في إضطهاد من بقي من السنة حتى أنّه أجبر كثيرين منهم على التشيّع). المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٢٠) المصدر السابق، ص ١٠٣-١٠٤.

(٢١) محمد فريك بك المحامى، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٩٠.

سياسية كبيرة، لا بدّ من تعويضها بهجوم جديد بغية إستعادته، للثأر من خصمه. وكان من الطبيعي أن ينعكس هذا الصراع على الأوضاع العامة في الحياة العراقية، فيترك عليها بصمات القلق والإضطراب.

إستطاع الصفويون أيام الشاه عبّاس أن يهزموا العثمانيين ويدخلوا بغداد في ٩شوال ١٠٢٢هـ (١٦٢٣م). وقد تركت هذه الهزيمة آثاراً قاسية في السلطنة العثمانية التي تعاملت معها على أنّها إنتكاسة للمذهب الحنفي الذي يعتنقه آل عثمان.

ومن هنا دارت معارك طاحنة بين الطرفين إستمرت لأعوام عديدة، حتى إنتهت بإحتلال السلطان مراد الرابع للعراق في عام ١٠٤٨هـ (١٦٣٨م).

وفي هذا الإحتلال تعرّض الشيعة لفتك السلطان العثماني، فكانت واحدة من النكبات الفظيعة في التاريخ الشيعي[٢٢]. حيث قتل خمسون ألف شيعي.

لم يتمكّن الصفويّون من إستعادة العراق، حيث كانت سلطتهم تسير نحو الإضمحلال، وهو ما أدّى بالنتيجة إلى ضعف في قوّة الشيعة داخل العراق، لأن الإضمحلال الصفوي يكسب العثمانيين إطمئناناً بعدم وجود ردّة فعل إزاء أي إضطهاد للشيعة في العراق.

بعد سقوط الصفويين وبعد فترة من الإضطراب التي عاشتها إيران، توصّل إلى السلطة نادر شاه، الذي أراد أن يصل إلى حالة من التوفيق بين

---

(٢٢) الشيخ محمد حسين المظفّر، المصدر السابق، ص ١١٦.

السنة والشيعة، فطلب من السلطان العثماني في عام ١١٥٦هـ (١٧٤٣م) الإعتراف بالمذهب الجعفري وإعتباره مذهباً خامساً. لكنّ السلطان رفض هذا الطلب بناء على رأي علماء الدولة بأنّ الشيعة مارقون عن الإسلام يجوز قتلهم وأسرهم. فهاجم نادر شاه نتيجة ذلك العراق، لكنّه لم يتمكّن من دخول بغداد رغم حصاره الشديد لها، كما عجز عن دخول الموصل أيضاً، لكنّه إحتلّ أجزاء أخرى من العراق. وحين شعر بعجزه على إحتلال بغداد، عقد صلحاً مع العثمانيين، وتوجّه لزيارة النجف الأشرف، وفيها عقد مؤتمراً كبيراً لعلماء الدين من الشيعة والسنة، إلاّ أنّ هذا المؤتمر لم يكن رسمياً ولم يحض بتأييد السلطات العثمانية، إلاّ أنّه تمخّض عن عدّة قرارات منها إعتبار المذهب الجعفري مذهباً خامساً[٢٣].

يبدو أنّ هذه النتيجة لم تكن ذات قيمة سياسية كبيرة، وإنّما كانت أقرب إلى الجانب الإعلامي، حيث أنّ السلطنة العثمانية لم تعترف رسمياً بالمذهب الجعفري، كما أنّ نادر شاه نفسه ترك المطالبة بهذا الأمر بعد أن أدرك عدم جدواه.

يضاف إلى ذلك أنّ علماء الدين الشيعة الذين حضروا المؤتمر لم يكن موقفهم يمثّل المرجعية، إنّما إنساقوا معه خوفاً من نادر شاه[٢٤]. أمّا الرأي الأرجح فهو عدم موافقة علماء النجف على فكرة المذهب الخامس، على إعتبار أنّ الفقه الجعفري لا يمكن إعتباره مذهباً، إنّما هو يمثّل فقه الرسول

(٢٣) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٣١ـ١٣٤.

(٢٤) يذكر الدكتور علي الوردي في هذا الخصوص، حادثة لوفاة مفاجئة لأحد العلماء الشيعة الذين عارضوا فكرة نادر شاه.

الأكرم الذي أخذه عنه الأئمة عليهم السلام، فهو الفقه العمود، وما تفرّع عنه فهو مذهب لأحد الفقهاء[٢٥].

إنّ هذه المحاولة التي أقدم عليها نادر شاه، إنّها تكشف عن الدور الكبير الذي لعبه الجانب الطائفي في العلاقات السياسية بين إيران والدولة العثمانية والذي كان العراق يمثّل فيه منطقة الإحتكاك، ومقياس النصر والهزيمة دون غيره من المناطق.

معركة ضارية بينهما في وادي جالدرن بين بحيرة أورمية وتبريز في ٢٣ آب ١٥١٤، إنتصر فيها السلطان سليم على الشاه إسماعيل

في أيلول ١٧٤٦م عقدت معاهدة صلح بين إيران والدولة العثمانية، تعهّد فيها كل طرف بإحترام مذهب الطرف الآخر[٢٦]. لكنّ ذلك لم ينه محنة الشيعة في العراق، فقد ظلّوا موضع سخط السلطة العثمانية، وهو ما إستمرّ على طول الفترات الزمنية المتعاقبة يمثّل عامل تأزّم في علاقة الدولتين، حيث كانت إيران ترى في الإضطهاد العثماني للشيعة، محاولة موجهّة ضدّها، خصوصاً ما يتعلّق بالرعايا الإيرانيين في مدن العتبات المقدسة، والزوّار الإيرانيين الذين كانوا يتعرّضون لمضايقات عديدة. فمثلاً في عام ١١٨٩هـ (١٧٧٥م) إتّخذ والي بغداد عمر باشا وهو من المماليك سياسة قاسية ضد سكان العراق الشيعة ولا سيّما الرعايا والزوّار الإيرانيين، حيث كان يأخذ منهم الأموال الكثيرة بحجّة أنّهم إستولوا عليها من موتى الطاعون. وقد حاول الشاه الإيراني كريم خان زند، تلافي تفاقم الأوضاع بين الحكومتين،

(٢٥) حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز، ص ٣١.

(٢٦) د. منوجهر بارسا دوست، زمينه هاي تاريخي إختلافات إيران وعراق، ص ٥٤.

فأرسل إليه مندوباً ينصحه بالعدول عن هذه المعاملة ويحذّره من العواقب. لكنّه إستمرّ في سياسته القاسية. وحدث أن قبض عمر باشا على جماعة من سكان الكاظمية وعذّبهم بالضرب بالعصي فأدّى ذلك إلى وفاة أحدهم.

إثر ذلك أرسل الشاه كريم خان جيشه بقيادة أخيه صادق خان لإحتلال البصرة. ففرض عليهم حصاراً طويلاً إستمرّ أربعة عشر شهراً حتى تمّ الإستيلاء عليها. وقد فشلت محاولات المماليك والدولة العثمانية في إستعادة البصرة، وظلّت خاضعة للسلطة الإيرانية حتى وفاة كريم خان، حيث إنسحبوا منها عام ١١٩٣هـ (١٧٧٩م)[٢٧].

إنّ موقف العثمانيين المعادي للشيعة، جعلهم يواجهون أي تحرّك شيعي بشدّة لا تتناسب وطبيعته. مثلاً في عام ١٢٤١هـ (١٨٢٥م) أراد الوالي داود باشا أن يستقل بالعراق عن السلطة المركزية في إسطنبول، فأسّس جيشاً قوياً لهذا الغرض، وبايعته أغلب المدن العراقية. وعندما إمتنعت كربلاء والحلّة عن مبايعته، وفشل في مساعيه لإقناع أهالي المدينتين، إستخدم جيشه لإخضاعهما، فسيطر على الحلّة، ثم توجّه بقواته إلى كربلاء وحاصرها لمدّة طويلة إستمرّت حوالي أربع سنوات (١٢٤١هـ - ١٢٤٥هـ) حتى تمكّن من إحتلالها. وقد تعرّضت كربلاء إثر هذه الواقعة إلى إنتقام داود باشا وجيشه حيث قطع النخيل وأغار المياه لمدّة تسعة أشهر، كما قتل عدداً كبيراً من الأهالي[٢٨].

ومن الحوادث المؤلمة أيضاً، واقعة نجيب باشا التي حدثت في ١٧ ذي

---

(٢٧) عباس العزّاوي، تاريخ العراق بين إحتلالين، الجزء السادس، ص ٥١ - ٨١.

(٢٨) سلمان هادي الطعمة، تراث كربلاء، ص ٣٧٣-٣٧٦.

القعدة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م)، وخلاصتها أنّ أهالي كربلاء كانوا يأبون الخضوع للحكّام، فأراد نجيب باشا إخضاعهم لسلطة الولاة، وأنذرهم بذلك، وحين ظلّوا على موقفهم، أرسل قواته إلى كربلاء فقصفها بالمدافع، وإستباح جيشه المدينة، وقد زاد عدد القتلى على عشرين ألفاً بين رجل وإمرأة وطفل[٢٩].

رغم هذا الإضطهاد، فإنّ بعض الولاة كانوا يصانعون الشيعة ويحترمون بعض الإحترام أهل البيت عليهم السلام، فقد يجرون تعميرات في العتبات المقدّسة ويزورونها في بعض المناسبات[٣٠]. كما إستطاع بعض المراجع أن يكسبوا إحترام السلطة العثمانية وتقديرها، مثل الشيخ موسى كاشف الغطاء الذي ساهم في عقد الصلح بين إيران وتركيا عام ١٨٢٣م، فلقّب بالمصلح بين الدولتين المسلمتين. وقد أعاد الشيخ كاشف الغطاء في هذا الصلح الأسرى الأتراك من إيران إلى العراق[٣١].

عقائد الشيعة السياسية:

بقيت العقيدة الشيعية لفترات من التاريخ موضع إتهام وتشكيك الكثير من خصومها من رجال المذاهب الإسلامية الأخرى. وقد كان الدافع الحقيقي وراء حرب الإتهامات التي تعرّض لها الشيعة، هو موقف

---

(٢٩) المصدر السابق، ص ٣٧٦ ـ ٣٨٤.

(٣٠) الشيخ محمد حسين المظفّر، المصدر السابق، ص ٩١.

(٣١) الشيخ محمد حرز الدين، معارف الرّجال في تراجم العلماء والأدباء، الجزء الثالث، ص ٢٦ ـ ٢٧.

الحكّام المعادي لهم. في حين كان الشيعة يرون في الحكّام الظالمين غاصبين للحكم. فأراد هؤلاء الحكّام إستغلال الوعّاظ ورجال الدين الحكوميّين في سبيل الإنتقام من الشيعة والطعن في عقيدتهم. وكانت البداية المبرمجة في عهد معاوية بن أبي سفيان، فإختلقت الأحاديث والوقائع وكثر التحريف في العقائد الإسلامية.

أخذ معاوية يبذل الأموال الطائلة للوضّاعين والقصّاصين لإختلاق أحـداث باطلة وتشـويه حقائق ثابتة وإفتعال نصوص كاذبة إيقاعاً منه بالطرف الآخر، وهم أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم. وقد سجّل التاريخ الكثير الكثير من ذلك وبلا تحفّظ. وبعد ذلك راجت بضاعة الوضع حتى ملىء التاريخ الإسلامي بأحداث ليس لها وجود إلّا في خيال ناقليها من الوضّاعين[٣٢].

فقد إنتشرت عشرات الألوف من الروايات الموضوعة والمحرّفة في السيرة والتاريخ والعقائد الإسلامية وتفسير القرآن الكريم، حتى حجبت الإسلام الصحيح، ومنعت من رؤية حقيقته، وهي التي شتّتت كلمة المسلمين إلى هذا اليوم وفرّقتهم شيعاً وأحزاباً[٣٣].

إنّ الأغـراض السياسية للحكّام هي التي أدخلت التحريف إلى عقائد المسلمين، وهم من أجل القضاء على الشيعة حاولوا التضييق عليهم وسعوا لعزلهم عن بقيّة المسلمين. وحين عجزوا عن ذلك إستصدروا فتاوي

---

(٣٢) محمد جواد فضل اللّه، صلح الإمام الحسن.. أسبابه، نتائجه، ص ٤٤ ـ ٤٥. وكذلك إبن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة جزء ٣ ص ٦٣.

(٣٣) العلّامة السيد مرتضى العسكري، خمسون ومائة صحابي مختلق، الجزء الثاني، ص ٦٧.

بتكفيرهم وجواز قتلهم، فحدثت المجازر المروّعة عبر التاريخ، كما سبقت الإشارة.

وإذا كانت حملات الإرهاب والإضطهاد تهدأ في بعض الفترات، فإنّ حملة التشويه الفكري ظلّت سارية بكثافة ضد الشيعة وعقائدهم الدينية، حتى تحوّلت إلى مسلّمات عند الكثير من أبناء المذاهب الإسلامية. ولم تتوضّح الصورة إلّا بعد أن تصدّى لردّ الشبهات وإثبات صحّة العقيدة الشيعية وتمثيلها للاسلام الأصيل، علماء كبار متقدّمون من أمثال الشيخ المفيد والشريفين المرتضى والرضي والشيخ الطوسي والعلّامة الحلّي. ومتأخّرون من أمثال السيد عبدالحسين شرف الدين في كتبه الخالدة. «النص والإجتهاد، والمراجعات، وأبو هريرة»، وكذلك السيد مرتضى العسكري في موسوعاته العلمية «عبدالله بن سبأ، وخمسون ومائة صحابي مختلق، وأحاديث أمّ المؤمنين عائشة، ومعالم المدرستين والعلّامة الأميني في موسوعته «الغدير» والتي ساهمت في تغيير قناعات الكثيرين من علماء السنة بشإن العقيدة الشيعية. هذا إضافة إلى المؤتمرات الإسلامية التي إشترك فيها رجال الفكر الشيعي في بعض العواصم الإسلامية، كالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ محمد رضا المظفّر والشيخ عبدالكريم الزنجاني وغيرهم.

وسنحاول هنا المرور بشكل سريع على العقائد الأساسية للشيعة[٣٤] التي يتميّزون بها عن بقيّة المذاهب الإسلامية، والتي تجعل موقفهم معارضاً

(٣٤) لخصنا عقائد الشيعة من كتاب الشيخ محمد رضا المظفّر، عقائد الإمامية، وكتاب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، أصل الشّيعة وأصولها.

للسلطات غير الإسلامية.

يعتقد الشيعة أنّ الإمامة أصل من أصول الدين لا يتمّ الإيمان إلّا بالإعتقاد بها. والإمامة كالنبوّة لطف من اللّه تعالى، فلا بدّ أن يكون في كل عصر إمام هادٍ يخلف النبيّ (ص) في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين، وله ما للنبيّ من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم.

وعلى هذا فالإمامة إستمرار للنبوّة، وهي لا تكون إلّا بالنص من الرسول (ص) أو من الإمام الذي قبله. وليس للناس أن يتحكّموا في ذلك، كما ليس لهم حقّ تعيينه أو ترشيحه أو إنتخابه.

لقد نص النبيّ (ص) على أنّ خليفته والإمام في البريّة من بعده، علي بن أبي طالب عليه السلام، ونص الإمام علي على إمامة الحسن والحسين عليهما السلام. ونص الحسين على إمامة ولده علي زين العابدين، وهكذا إستمرّ النص في ذريّة الإمام الحسين، حيث ينص المتقدّم منهم على المتأخّر إلى آخرهم وهو محمد بن الحسن (المهدي المنتظر)، عليهم الصلاة والسلام أجمعين. وبالإمام المهدي يكتمل الأئمة، وعددهم إثنا عشر إماماً. ولذلك سميّ الشيعة بالإمامية أو بالإثني عشرية، لتمييزهم عن غيرهم من الفرق التي إنشعبت عنهم خلال حياة الأئمة.

والإمام يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، الكبيرة منها والصغيرة ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الوفاة، عمداً وسهواً. كما أنّ الإمام معصوم من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة

حفظة الشرع والقوّامون عليه، وقد أورد العلّامة الحلّي المتوفى عام ٧٢٦هـ مائة دليل عقلي ونقلي على وجوب عصمة الإمام في كتاب الألفين (٥٦ ـ ١٠١).

ويعتقد الشيعة أنّ الأئمة عليهم السلام هو أولو الأمر الذين أمر اللّه تعالى بطاعتهم، وأنّهم الشهداء على الناس، وأنّهم أبواب الجنّة والسبل إليه والأدلّاء عليه، وأنّهم عيبة علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده وخزّان معرفته. وأنّ أمرهم هو أمر اللّه تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليّهم وليّه، وعدوّهم عدوّه، ولا يجوز الردّ عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول، والراد على الرسول كالراد على اللّه تعالى، فيجب التسليم لهم والإنقياد لأمرهم والأخذ بقولهم.

ويرفض الشيعة المغالاة بأهل البيت، فهم بشر مثلنا لهم مالنا وعليهم ماعلينا، وإنّما هم عباد مكرّمون إختصّهم اللّه تعالى بكرامته وحبّاهم بولايته، إذ كانوا في أعلى درجات الكمال اللائقة في البشر من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والعفّة وجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، لا يدانيهم أحد من البشر فيما إختصّوا به. وبهذا إستحقوا أن يكونوا أئمةً وهداة ومرجعاً بعد النبيّ (ص) في كل ما يعود للناس من أحكام، وما يرجع للدين من بيان، وما يختص بالقرآن من تفسير وتأويل.

ومن العقائد التي يتميّز بها الشيعة الإمامية عن غيرهم من المذاهب، عقيدة التقيّة، وهي عقيدة يقضي بها العقل السليم، وهي تعني أنّ الإنسان إذا أحسّ بالخطر على نفسه أو ماله أو عرضه بسبب نشر معتقده أو التظاهر به لا بدّ أن يتكتّم ويتّقي في مواضع الخطر. وقد روي عن الإمام الصادق عليه

السلام: (التقيّة ديني ودين آبائي)، و(من لا تقيّة له لا دين له). وكانت شعاراً لآل البيت عليهم السلام، دفعاً للضرر عنهم وعن أتباعهم وحقناً لدمائهم، وإستصلاحاً لحال المسلمين وجمعاً لكلمتهم ولّماً لشعثهم. وللتقيّة أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب إختلاف مواقع خوف الضرر، كما أنّها قد تحرم في بعض الأحـوال. يقول الشيخ محمد رضا المظفّر في كتابه عقائد الإمامية (ص ٧٤): (إنّ عقيدتنا في التقيّة قد إستغلّها من أراد التشنيع على الإمامية، فجعلوها من جملة الطعون فيهم وكأنّهم كان لا يشفي غليلهم إلّا أن تقدّم رقابهم إلى السيوف لإستئصالهم عن آخرهم في تلك العصور التي يكفي فيها أن يقال هذا رجل شيعي ليلاقي حتفه على يد أعداء آل البيت من الأمويين والعباسيين، بله العثمانيين).

ومن عقائد الشيعة التي أخذوها عن الأئمة عليهم السلام، رفض الظلم وإستنكاره، فمن أكبر ما كان يعظّمه الأئمة على الإنسان من الذنوب العدوان على الغير والظلم للناس. فالظلم من أعظم ما حرّم اللّه تعالى، وقد أخذ من أحاديث آل البيت وأدعيتهم المقام الأول في ذمّه وتنفير أتباعهم عنه.

كما ورد عن الأئمـة عليهم السلام ما يبلغ الغاية من التنفير عن الركون إلى الظالمين، والإتصال بهم ومشاركتهم في أي عمل كان، ومعاونتهم ولو بشقّ تمرة. لقد جاهد الأئمة عليهم السلام في إبعاد من يتّصل بهم عن التعاون مع الظالمين، وشدّدوا على أوليائهم في مسايرة أهل الظلم والجور وممالأتهم، ولا يحصى ما ورد عنهم في هذا الباب.

ويرى الشيعة أنّ الإجتهاد في الأحكام الفرعية واجب كفائي على

جميع المسلمين في عصور غيبة الإمام المهدي، ففي كل عصر يجب أن ينظر المسلمون إلى أنفسهم، فإن وجدوا بينهم من حصل على رتبة الإجتهاد إكتفوا به وقلّدوه ورجعوا إليه في معرفة أحكام دينهم، وإن لم يجدوا من له هذه المنزلة وجب عليهم وجوباً كفائياً أن يحصل كل واحد منهم على رتبة الإجتهاد أو يهيّئوا من بينهم من يتفرّغ لنيل هذه المرتبة. ولكن لم تمر على التاريخ الشيعي فترة خلت من مجتهد.

والإجتهاد هو النظر في الأدلّة الشرعية لتحصيل معرفة الأحكام الفرعية التي جاء بها سيّد المرسلين، والأدلّة الشرعية هي الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

ورجوع المسلمين إلى المجتهد في أحكام دينهم أمر واجب، فمن لم يكن مجتهداً ولا محتاطاً ثمّ لم يقلّد المجتهد الجامع للشرائط فجميع عباداته باطلة لا تقبل منه، إلاّ إذا وافق عمله رأي من يقلّده بعد ذلك وقد إتّفق له أنّ عمله جاء بقصد القربة إلى اللّه تعالى.

وغالباً ما يكون في وقت واحد أكثر من مجتهد جامع للشرائط، فيتوزّع الشيعة في تقليدهم عليهم، وقد يبرز من بينهم واحد فتكون له المرجعية العامة، وأحياناً يتوفّى الآخرون ويبقى من بينهم مرجع واحد فينال هذه المنزلة.

ومن خلال هذه العقيدة يمكن أن تتوضّح طبيعة العلاقة بين جماهير الشيعة وبين مراجع الدين، وقوّة الإرتباط بينها، مما جعل المرجعية تمتلك ثقلاً جماهيرياً كبيراً، وتتحوّل إلى قوّة سياسية مؤثّرة. وهو ما يتميّز به الشيعة عن غيرهم من المذاهب الإسلامية. يقول الشهيد المطهري: «فجهاز رجال

الدين السنة جهاز منتمي وتابع للحكّام والجهاز المنتمي والتابع لا يستطيع أن يقف ضد القوّة التي ينتمي إليها ويجرّ الجماهير معه ضدّها، في حين أنّ جهاز رجال الدين الشيعة هو جهاز مستقل بحدّ ذاته، فمن الناحية المعنوية يتكيء على قدرة اللّه ومن الناحية الإجتماعية يعتمد على قوّة الناس، ولهذا السبب كان رجال الدين الشيعة وعلى طول التاريخ قوّة تعارض وتحارب الظالمين»[٣٥].

وثمّـة نقطة أخرى تميّز الشيعة عن غيرهم، تلك هي أنّ قياداتهم الشرعية تمتلك أعلى مستويات المعرفة في أحكام الشريعة، نتيجةً لما تتطلّبه درجة الإجتهاد من الإحاطة بالعلوم الفقهية والأصولية وغيرها. وشهدت من جراء ذلك المدرسة الفقهية الشيعية تطوراً مستمراً في مستوياتها العلمية، في مختلف مراحلها التاريخية.

إنّ الشيعـة ما كانـوا يصلون إلى هذا التقـدّم في العلوم الفقهية والأصولية والعقلية، لو لا إهتمام الأئمة عليهم السلام بهذا الجانب. فمنذ كانت المـدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، وهي تمثّل الوطن الأول لأئمة أهل البيت عليهم السلام وفقهاء الشيعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسـان. فكـان من فقهـاء الصحابة (عدا الإمام علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام)، إبن عباس وسلمان الفارسي وأبو

(٣٥) مرتضى مطهري، الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري. ص ٣٣.

ذر الغفاري وأبو رافع إبراهيم مولى رسول الله (ص)[٣٦].

في أخـريات حياة الإمـام الصادق عليه السلام، تمّ نقل المدرسة الشيعية من المـدينـة إلى الكـوفـة والتي كانت آنذاك من أكبر العواصم الإسلامية. وقد إغتنم الإمام الصادق سقوط الحكومة الأموية وقيام الحكومة العباسية وما رافق ذلك من تحولات سياسية، فقام عليه السلام بنشر تعاليم الإسلام ودعم أصوله الفكرية. فتحوّلت الكوفة إلى جامعة إسلامية كبرى يقصدها المسلمون من كلّ مكان.

ونتيجـة المضـايقـات الكثـيرة والملاحقة الشديدة لفقهاء الشيعة، إنتقلت المدرسة الفقهية من الكوفة إلى مدينة قم، وذلك بعد غيبة الإمام المهدي غيبته الكبرى عام ٣٢٩هـ.

في بداية القرن الخامس الهجري إنتقلت المدرسة من قم إلى بغداد، وذلك نتيجة ضعف الحكم العبّاسي وظهور شخصيّات فقهيّة كبيرة في بغداد كالشيخ المفيد والسيد المرتضى. ثم إلى الحلّة، بعد ذلك تحولّت إلى النجف الأشرف.

وقد أصبحت النجف الأشرف بعد إنتقال الحوزة العلمية إليها محط رحـال طلبـة العلوم من مختلف الأقـطار، وإحتلّت موقعاً متميّزاً في العالم الإسلامي عامة وعند الشيعة خاصة. وظلّت في معظم فتراتها مركز المرجعية الـدينية، ماعـدا فترات قليلة، كانت تنتقل فيها المرجعية إلى كربلاء أو

---

(٣٦) الشيخ محمد مهدي الآصفي، تاريخ الفقه الشيعي، مقدمة لكتاب الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقية، الجزء الأول، ص ٢٧. وهي دراسة موسّعة قيّمة يتعرّض فيها الشيخ الآصفي لمراحل تطور المدرسة الفقهية الشيعية منذ نشوئها وحتى فترتها المعاصرة.

سامراء ثم تعود إلى النجف الأشرف.

تعرّض نظام الإجتهاد عند الشيعة إلى معارضة فكرية شديدة نتيجة ظهور الموجة الإخبارية في القرن الحادي عشر الهجري[٣٧]. والإخباريون لا يجيزون فتح باب الإجتهاد، إنّما يعتمدون في أحكامهم الشرعية على الأخبار الواردة عن الرسول (ص) وعن الأئمة عليهم السلام.

قبل سنة ألف للهجرة لم يكن بين علماء الشيعة المعروفين من يتّبع المسلك الإخباري، ماعدا إبن أبي جمهور الأحسائي، حيث ذهب في كتابه (عوالي اللّئالئ) إلى تبنّي المسلك الإخباري، وقد أثر فيمن أتى بعده من الإخباريين.

وألّف الملا محمد أمين الأستر آبادي المتوفى في الربع الأول من القرن الحادي عشر كتاباً بعنوان (الفوائد المدنية)، أرسله من مكة المكرّمة إلى إيران والعراق. وبعد أن قرأه علماء الدين، غيّر أكثرهم إتجاهه من الأصولي إلى الإخباري[٣٨].

وبذلك يمكن القول أنّ الملا الأستر آبادي هو الذي وضع القواعد الأساسية للاتجاه الإخباري، وهو الذي جعله ينطلق بقوة في مواجهة الأصوليين. وقد إستفحلت الحركة الإخبارية بعد وفاة الأستر آبادي، وخاصة في أواخر القرن الحادي عشر وخلال القرن الثاني عشر[٣٩]. وفي

---

(٣٧) محمد علي الأنصاري الشوشتري، مقدمة كتاب: تاريخ حصر الإجتهاد للشيخ آغا بزرك الطهراني، ص ٤٦.

(٣٨) علي دواني، وحيد بهبهاني.. سر آمد محققين ودانشمندان شيعه در سده دوازدهم هجري، ص٨٩

(٣٩) المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة للأصول، ص ٧٧.

تلك الفترة كان علماء الدين قد إبتعدوا عن التدخل في الشؤون الحكومية، وهي الفترة ما بين الحكم الصفوي والحكم القاجاري في إيران[٤٠].

وقد أصبحت الغلبة لأصحاب الإتجاه الإخباري، للدرجة التي سيطروا فيها على مناطق العتبات المقدسة، لا سيّما النجف الأشرف وكربلاء، حتى أن طالب الحوزة كان إذا أراد حمل كتاب من كتب الفقهاء الأصوليين، أخفاه بمنديل خشية أن يراه الإخباريون[٤١].

وفي القرن الثاني عشر الهجري إتخذ الإتجاه الإخباري من كربلاء نقطة إرتكاز له، وبهذا عاصر ولادة مدرسة جديدة في الفقه والأصول نشأت في كربلاء أيضاً على يد رائدها المجدد الكبير محمد باقر البهبهاني المعروف بالوحيد البهبهاني[٤٢] (توفي عام ١٢٠٥هـ). وقد تبنى الوحيد البهبهاني مقاومة الحركة الإخبارية، وإستطاع أن يحقّق الإنتصار للمدرسة الأصولية[٤٣]. وأنهى بذلك قوّة الحركة الإخبارية.

غير أنّه في القرن الثالث عشر الهجري (بداية القرن التاسع عشر الميلادي) إشتدّ النزاع ثانية بين الأصوليين والإخباريين، حيث ظهر الميرزا محمد النيسابوري الإخباري، ليروّج من جديد للحركة الإخبارية، وقد إستطاع أن ينشر الإتجاه الإخباري لا سيّما في إيران، لكن تصدّى له الشيخ جعفر كاشف الغطاء وسافر إلى إيران لهذا الغرض، وهناك إستطاع أن يهزم

---

(٤٠) حامد آلكار، المصدر السابق، ص ٥٠.

(٤١) محمد باقر الخوانساري، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، الجزء الثاني، ص ٩٥.

(٤٢) السيد الشهيد الصدر، المصدر السابق، ص ٨٥.

(٤٣) علي الفاضل القائيني، علم الأصول تاريخاً وتطوراً، ص ١٦٨.

الميرزا الإخباري ويحبط حركته[٤٤].

كانت خطوة الشيخ كاشف الغطاء على قدر كبير من الأهمية، لان الميرزا الإخباري أوشك أن يقنع الشاه فتح علي القاجاري بتبنّي الإتجاه الإخبـاري وجعله رسمياً في إيران[٤٥]، لكن جهود الشيخ كاشف الغطاء حفظت العقيدة الشيعية الأصولية في إيران وكذلك في خارج إيران، وأنهى عودة الحركة الإخبارية.

خلال تلك الفترة كانت المرجعية الدينية تحتل ثقلاً سياسياً كبيراً وتمارس دورها القيادي على ساحة الأحداث، إضافة إلى ممارستها العلمية والفكرية. ففي حياة الشيخ كاشف الغطاء، وخلال عدوان الوهابيين على النجف الأشرف عام ١٢٢٣هـ، تصدى الشيخ كاشف الغطاء لهذه العصابة حين علم بنيّتهم في غزو العتبات المقدّسة، فأرسل إلى أحد الرجال الساكنين في البـادية يطلب منه إعلامه بقدوم الوهابيين[٤٦]. وراح قدّس سرّه يجمع الأسلحة والذخائر في داره ويوزّع المقاتلين على سور النجف، وحين هجم الـوهـابيون على المـدينـة، كان علماء الـدين يدافعون ضد هذا الهجوم ويشجّعون المقاتلين حتى إرتدّوا مهزومين[٤٧].

وكان من بين علماء الدين الذين دافعوا عن النجف الأشرف إضافة إلى الشيخ كاشف الغطاء، الشيخ حسين نجف والشيخ خضر شلال والسيد

---

(٤٤) السيد محسن الأمين، المصدر السابق، المجلّد الرابع، ص ١٠١.

(٤٥) سعيد نفيسي، تاريخ إجتماعي وسياسي إيران، الجزء الثاني، ص ٦٠ ـ ٦١.

(٤٦) حسن الأسدي، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٤٧) السيد محسن الأمين، المصدر السابق، ص ١٠٠.

جواد العاملي صاحب كتاب مفتاح الكرامة، وغيرهم[٤٨].

ومن المواقف الكبيرة للمرجعية الدينية في الفترة المتأخرة، وبالتحديد أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ما حدث خلال مرجعية الميرزا محمد حسن الشيرازي في سامراء. وهو ما يتطلّب منّا التوقف عند هذه الفترة بإعتبارها تمثّل واحدة من المحطّات الكبيرة في التاريخ الشيعي القريب وفي تاريخ التحرك الإسلامي في العراق.

إستطاع الميرزا محمد حسن الشيرازي أن يكسب المرجعية قوة سياسية وإجتماعية عظيمة خلال فترة تصدّيه للقيادة الإسلامية. فقد تعامل مع عدّة مواقف بحكمة ووعي، مما جعل مكانته ترتفع في أعين رجال السياسة وفي قلوب الأمة.

ففي عام ١٨٧٠م زار ناصر الدين شاه العتبات المقدسة في العراق، وكان الميرزا الشيرازي حينذاك يسكن في النجف الأشرف. وحين سمع علماء النجف بتحرك الشاه من كربلاء خرجوا لإستقباله على أساس أنّ لكل قادم كرامة ولم يغب منهم سوى الميرزا الشيرازي. وحين دخل الشاه المدينة، زاره العلماء وتخلّف الشيرازي أيضاً. ثم أرسل مبلغاً من المال إلى كل واحد منهم فقبلوه، ورفضه الشيرازي. عند هذا بعث الشاه وزيره حسن خان إلى الميرزا الشيرازي ليعاتبه ويطلب منه أن يزور الشاه. فكان جواب الشيرازي: (أنا رجل درويش ما لي وللملوك)، ولما ألحّ عليه الوزير وافق أن يجتمع بالشاه في الحرم العلوي الشريف أثناء الزيارة[٤٩].

---

(٤٨) علي دواني (ترجمة)، فرقة ضالّة وهابيّة، ص ٤١.

(٤٩) د. علي الوردي، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص ٨٧ ـ ٨٨.

وحدث بعد ذلك أن مرّ العراق بضائقة شديدة، حيث عمّ القحط وإرتفعت الأسعار بصورة عالية، فعيّن الميرزا الشيرازي عدّة أشخاص لكل محلّة من محلّات النجف الأشرف يتولّون توزيع الحبوب على طلبة العلوم الـدينية والفقراء والمحتاجين وسدّ حاجة كافة أهالي النجف، وإستمر في مساعداته حتى جاء العام التالي ورفعت الغائلة عن الناس [٥٠].

وقد رفعت هذه المواقف منزلة الميرزا الشيرازي، وأصبحت مرجعيّته ساحقـة عند الأمة الإسلامية. وتواصلت هذه المواقف حتى بعد أن قرّر قدّس سرّه الإقامة في سامراء في عام ١٨٧٤م.

في سامراء أقدم الميرزا الشيرازي على العديد من المشاريع الخيرية في المدينة، وخلال حياته تحوّلت سامراء إلى مدينة عامرة بعد ما كانت قرية صغيرة. فقد أنشأ فيها مدرسة دينية وأصبحت مدرسة سامراء أكبر مدرسة شيعية في ذلك الوقت في العراق. كما أقام جسراً خشبياً على نهر دجلة، بلغت كلفتـه عشرة آلاف ليرة عثمانية، وذلك ليسهّل على الناس الوصول إلى المدينة. وأنشأ حمّامين أحدهما للرجال والآخر للنساء، ونصب ساعة كبيرة فوق باب القبلة من الصحن العسكـري الشـريف، إضـافة إلى إجرائه تعميرات في حرم العسكريين [٥١].

وتتضح ضخامة هذه المشاريع إذا ما عرفنا أنّ الإدارة العثمانية كانت بعيدة عن إجراء أي إصلاح عمراني في العتبات المقدسة إلّا في فترات قليلة جداً وإلى جانب هذه المشاريع كان الميرزا الشيرازي يقضي حوائج الناس

---

(٥٠) الشيخ آغا بزرك الطهراني، ميرزاي شيرازي، ص ٤٠ ـ ٤١.

(٥١) المصدر السابق، ص ٢٢٣ـ٢٢٥.

ويسهّل شؤونهم، فحدثت في سامراء حركة ودبّ فيها النشاط وتأثّر أهلها وهم من أهل السنة بالتشيّع، مما أثار علماءهم فأسّسوا مدرسة دينية مقابل المدرسة الشيعية، وتطوّرت الأحداث حتى كادت تحدث فتنة طائفية في سامراء لو لا حكمة الميرزا الشيرازي.

فمن حكمته أنّ إبنه الأكبر السيد محمد، تعرّض لإعتداء من قبل أحد أبناء سامراء من السنة، أودى بحياته. غير أنّ الميرزا لم يستفزّه الحادث وآثر السكوت حفاظاً على وحدة المسلمين. وحاول الإنكليز إستغلال الحادث، فزاره وفد من القنصلية في بغداد وطلبوا منه الإحتجاج على هذا التصرّف المشين ضد مقامه العالي، فردّهم الميرزا قائلًا: (أرجو أن تفهموا جيّداً أن لا دخل لكم ببلادنا مطلقاً وما هذه القضية إلّا حادث بسيط بين أخوين). وقد شكر السلطان عبدالحميد هذا الموقف المشرف للميرزا وأرسل والي بغداد ليقدّم له شكره الخاص [٥٢].

إنّ أهم قضية في حياة الميرزا الشيرازي، هي قضاؤه على إتفاقية التبغ بين إيران وإحدى الشركات الأنكليزية والتي عرفت بثورة التنباك. ففي عام ١٨٩٠م عقد ناصر الدين شاه مع إحدى الشركات البريطانية إتفاقية منحت الشركة بموجبها إحتكار التنباك وبيعه في كافة أنحاء إيران لمدة خمسين عاماً [٥٣].

وكانت الإتفاقية مجحفة بالنسبة للشعب الإيراني، حيث تضمّنت بنوداً وقرارات مضرّة بالمزارعين والتجّار وعامة الناس منها:

---

(٥٢) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ٩٧ ـ ٩٨.
(٥٣) أنور الجندي، المصدر السابق، ص ٨٨.

ـ يجب على أولياء الحكم في جميع بلدان إيران إجبار المزارعين بإعطاء تعهّدات للشركة البريطانية، وإنّ كل ما يزرعون من التتن والتنباك لا يجوز لهم بيعه وشراؤه إلّا بإذن صاحب الإمتياز، وليس لأحد إصدار الإجازة بذلك، إلّا من صاحب الإمتياز، وليس للبائع والمشتري أن يعامل بغير دفتر الإجازة، ومن فعل ذلك فعليه المجازاة.

ـ عدم جواز حمل ونقل التتن والتنباك مطلقاً إلّا بإجازة صاحب الإمتياز.

ـ يجب على صاحب الإمتياز شراء جميع الدخان الموجود في ممالك إيران وليس للبائع الإمتناع عن ذلك.

ـ كل من باع أو إبتاع خفية أو وجد عنده شيء من التنباك والتتن بدون إجازة فيجب على المأمورين في الدولة الإيرانية معاقبته بشدّة[٥٤].

وقد ضجّ الناس في إيران من جراء هذه الإتفاقية، وتصاعدت حدّة التذمّر ضد السلطة وكثرت الشكاوي، وإعترض علماء الدين في إيران، لكنّ الشاه لم يغيّر موقفه من الإتفاقية. فلجأوا إلى الميرزا الشيرازي، وهو في سامراء حيث وصلت إليه الوفود والبرقيّات من إيران، تشرح له الحالة. وأرسل الميرزا الشيرازي إلى ناصر الدين شاه رسالة يطلب منه إلغاء الإمتياز، فإعتذر الشاه عن إلغاء الإتفاقية محتجاً بعدم قدرته وما يترتّب على ذلك من مخاطر، وحذّره الميرزا الشيرازي برسالة ثانية، لكنّ الشاه ظلّ على

---

(٥٤) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم سامراء، الجزء الأول، ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

موقفه[٥٥].

ساهم السيد جمال الـدين الأفغـاني في زيادة المعارضة ضد ناصر الدين شاه، حتى إضطر الشاه إلى نفيه من إيران، إلى العراق[٥٦]. وأقام السيد جمال الدين في مدينة البصرة، وأرسل منها رسالة مطوّلة إلى الميرزا محمد حسن الشيرازي، يطلب فيها أن يتحرّك الشيرازي ضد ناصر الدين شاه، ويقدم على خطوة عملية لإنقاذ الشعب الإيراني.

يقـول السيد محسن الأمـين، إنّ المـيرزا الشيرازي أفتى بحرمة التدخين ليس بتأثير رسالة الأفغاني، ولو لم يكن له مؤثّر ديني من نفسه عظيم لم يؤثّر فيه كتاب السيد جمال الدين[٥٧].

حسم الميرزا الشيرازي هذه التطوّرات بفتواه الشهيرة التي أصدرها عام ١٨٩١م (١٣٠٩هـ) والتي نصّت على: (بسم اللّه الرحمن الرحيم. اليوم إستعمال التنباك والتتن حرام بأي نحو كان ومن إستعمله كان كمن حارب الإمام عجّل اللّه فرجه).

وكانت هذه الفتوى بمثابة الثورة في إيران، حيث أقلع الناس عن التدخين بشكل كامل، وحطّم البعض النارجيلات، وأغلقت جميع محلّات بيع التبغ[٥٨]. وقد سرت آثار هذه الفتوى حتى إلى داخل قصر ناصر الدين شاه، وإضطرّ في النهاية إلى إلغاء الإتفاقية، بعد أن دفع نصف مليون من

---

(٥٥) الشيخ حسن الكـربـلائي، قرارداد رزي ١٨٩٠م يا تاريخ انحصـار دخّانيّات در سال ١٣٠٩هـ، ص ٤٠ ـ ٤٩.

(٥٦) صدر واثقي، سيّد جمال الدين الحسيني.. بايكذار نهضتهاي اسلامي، ص ٢١٠.

(٥٧) السيد محسن الأمين، المصدر السابق، ص ٢١٥.

(٥٨) محمد نهاونديان، بيكار بيروز تنباكو، ص ٥٩.

الجنيهات تعويضاً للشركة[٥٩].

إنّ ثورة التنباك واحدة من المواقف البارزة في تاريخ الشيعة التي تعكس قوّة تأثير المرجعية في الحياة الإجتماعية والسياسية وهي وقفة ضمن سلسلة طويلة من مواقف التحرك الإسلامي والتي سنأتي على ذكرها في الفصول القادمة إن شاء اللّه تعالى.

---

(٥٩) أنور الجندي، المصدر السابق، ص ٧٤.

الفصل الثاني

المشروطة وتأثيراتها
على المجتمع العراقي



ليست حركـة الـدستور في إيران والتي عرفت بالمشروطة(*)، حدثاً إيرانياً خاصاً، إنّها تجاوزت الدائرة الإيرانية لتشمل العراق أيضاً. كما أنّها لم تكن شأناً محلياً محدوداً. بل تحوّلت إلى إهتمام دولي إشتركت فيه روسيا وبـريطانيا بصـورة أساسية، والدولة العثمانية بنسبة أقل. وأوشكت أحداثها أن تنعكس على المناطق الإسلامية خارج إيران، فخشيت بريطانيا على الهنـد، وقلقت روسيا على القفقـاز، وإرتبكت الدولة العثمانية في حدودها.

خلال أحـداث المشروطة لم تعد الحدود الجغرافية حاجزاً بين إيران والعراق، حيث كانت الأحداث متداخلة في كليهما بشكل يستحيل معه الفصل. صحيح أنّ حركة المشروطة كانت محاولة لترسيم السياسة الإيرانية، وجعل النظام السياسي يقوم على الأساس البرلماني. إلّا أنّ الوسط العراقي تأثّر بهذه الحركة، وأصبح له مساس كبير بوقائعها، كما

(*) يقصد بالمشروطة النظام الذي يقيّد بمجلس نيابي، ويقابله المستبدّة، وهما اصطلاحان كان لهما أثر عظيم في تطوّر الحركة في تلك الفترة.

أنّـه أثّر بها وكان في بعض المراحل موقفاً للقيادة والتوجيه. وكما أنّ الشعب الإيراني إنقسم في موقفه إزاء الحركة، فإنّ المهتمين من الشعب العراقي إنقسموا أيضاً في موقفهم للسبب نفسه.

إنّ أكبر سمة ميّزت المشروطة، هي الشرخ الكبير الذي أصاب المرجعية الدينية، فجعلها تتوزع على موقعين مختلفين تتراوح درجات العلاقة بينهما بين الحياد والعداء. غير أنّ العلاقة بين أنصار هذا الطرف وذاك من عامـة الناس، لم تكن بهذه الصورة المتحركة، إنّهم تعاملوا بصـورة قاطعـة، فتـوزعـوا على موقعـين متضادين، يحاول كلّ منهما الإنتصار على الآخر. وهي ظاهرة ظلّت شاخصة في التاريخ الشيعي، وظلّت آثارها حزينة في ملفاته. فلقد قتل في أحداثها الساخنة وما تلاها شخصيات إسـلامية بارزة مثـل الشيخ فضـل اللّه النوري والسيد عبداللّه البهبهاني. وكان قرار الموت يصدر من الأجهزة الرسمية في الدولة، فيتلقاه الأعداء والأنصار، بألم أو فرح.

الأبعاد التاريخية

تعـود جذور الحركة الدستورية إلى النصف الثاني من القرن التـاسع عشر، حيث ظهرت بوادرها في تركيا نتيجة قربها من أوربا وتـأثّـرهـا بالحياة السياسية هناك. وقد شجّعت الدول الأوربية هذه الحركة ضمن خطّتها في خلق أزمات حادة للسلطان عبدالحميد الثاني. وبهذا تكون حركة الدستور في تركيا سابقة على نظيرتها في إيران، وإن كان نجاحها في الثانية قد تقدّم على الأولى بحوالي السنتين.

كانت سياسة ناصر الدين شاه عاملاً مهمّاً في بروز الحركة الدستورية، حيث إعتمد إسلوباً دكتاتورياً إرهابياً في الحكم، وخيّم على إيران جو خانق من الإضطهاد والفقر والتخلّف. في الوقت الذي كان فيه الشاه مولعاً بالحياة الغربية وبالسفر المتكرر لدولها، ولم تشغله سوى إهتماماته الخاصة، حتى أنّ إبنه وولي عهده مظفّر الدين لم يحض منه بالإهتمام المطلوب.

ورغم تأثّر ناصر الذين شاه بالحياة الأوربية، إلّا أنّه كان يعارض النظام الدستوري بشدّة، حيث كان يجد في القانون والمجلس النيابي تحديداً لسلطاته الواسعة. ومن يتحدّث عن القانون والدستور فإنّه يعرّض نفسه وماله إلى الخطر وإلى الموت المحتم.

في الأول من مايس ١٨٩٦م قتل ناصر الدين شاه على يد الميرزا رضا الكرماني أحد مريدي السيد جمال الدين الأفغاني. فتولى الحكم إبنه مظفّر الدين[١].

ورث الشاه الجديد تركة ثقيلة من حكم أبيه متمثّلة بالعجز الإقتصادي الرهيب والنقمة الجماهيرية المتزايدة والفوضى الإدارية. كما ورث عن أبيه إعجابه بالغرب وولعه بالسفر إلى دول أوربا، في حين كانت حكومته تستقرض الأموال الطائلة.

كان مظفّر الدين شاه يفتقر إلى قوّة الشخصية، كما أنّه كان يعاني من أمراض جسدية، فراح يدير شؤون البلاد صهره عين الدولة

---

(١) عبدالحسين مجيد كفائي، مركي در نور..زندكاني آخوند خراساني صاحب كفايه، ص ١٤٧.

رئيس الوزراء وهو رجل فظ شرس مكروه من قبل الشعب الإيراني.

تقول بعض المصادر الفارسية أنّ مظفّر الدين كان يحمل معتقدات إسلامية وكان مصلّياً وصائماً ويساعد الفقراء، ولم يوقّع في حياته على حكم إعدام واحد. لكنّ السياسة كانت تدار من قبل رجال البلاط. ويبدو أنّه كان يميل للفكرة الدستورية. حيث يروى أنّ رئيس الوزراء كان يجتمع به صباح كل يوم. وذات مرّة خرج من غرفة الإجتماع وهو يصيح: (إنّه يريد أن يطيح بتاج السلطنة.. العدالة! العدالة!). لأن الشاه قال له: (إلى متى أبقى متحملاً مسؤولية الأمة، وبسببها أعيش معظم أوقاتي متزلزلاً فاقد الراحة. إنّ من الأفضل أن ندعو الأشخاص الواعين ونؤسّس مجلساً بإسم العدالة لمتابعة شؤون الدولة). وحين سمع منه رئيس الوزراء ذلك خرج غاضباً وهو يقول: (إنّه يريد أن يدمّر سلطنة أجداده)[2].

ويبدو أنّ هذه الرغبة تولّدت عند مظفّر الدين شاه، نتيجة الرسائل التي وردته من علماء الدين في طهران والنجف الأشرف. ففي بداية عام ١٩٠٢م أرسل علماء النجف برقيّات يطلبون منه إصلاح الفساد الإداري وغيره وتأسيس مجلس لممثلي الشعب[3].

إنّ هذه البرقيات لا تشكّل بداية المطالبة بالنظام الدستوري. إنّما البداية تعود إلى أيّام حكم ناصر الدين شاه. حيث يقول السيد

---

(٢) هاشم محيط مافي، مقدمات مشروطيت، ص ٧١ ـ ٧٢.

(٣) عبدالهادي حائري، تشيّع ومشروطيت در إيران ونقش إيرانيان مقيم عراق، ص ١٠٣.

محمد الطباطبائي أحد كبار المجتهدين في طهران، في مذكراته التي كتبها عام ١٩١١م:

(جئت إلى طهران عام ١٨٩٤م ومنذ دخولي إليها كنت بصدد تأسيس مشروطة في إيران، وتأليف مجلس شورى شعبي. وكنت أتحدّث من على المنبر عن هذين الأمرين). لكنّه لم يكن يتحدّث عن المشروطة بشكل مباشر. كما أنّ مصطلح المشروطة لم يكن معروفاً آنذاك.

كان ناصر الدين شاه يقول بأنّه لا يمكن أن تكون في إيران مشروطة.

وكتب السيد الطباطبائي رسالة إلى عين الدولة ـ رئيس الوزراء في عهد مظفّر الدين شاه، جاء فيها:

(إنّ إصلاح جميع المفاسد يتمّ من خلال تأسيس مجلس، وإتحاد الحكومة والشعب ورجال الدولة مع العلماء)[٤].

ولقد تكوّنت هذه الأفكار في ذهن السيد الطباطبائي خلال فترة إقامته في العراق وتتلمذه في سامراء على يد الميرزا محمد حسن الشيرازي[٥] قائد ثورة التنباك المعروفة عام ١٨٩١م. ويرى بعض المؤرّخين أنّ السيد الطباطبائي في عدم إفصاحه عن فكرة المشروطة، إنّما كان نتيجة تأثّره بطريقة السيد جمال الدين الأفغاني ونصائحه بأن لا يظهر أهدافه بشكل كامل، بل يمهّد لها بعمل سرّي[٦].

---

(٤) علي دواني، نهضت روحانيون إيران، الجزء الأول، ص ١١٦.

(٥) الشيخ آقا بزرك الطهراني، ميرزاي شيرازي، ص ١٩٠.

(٦) ناظم الإسلام كرماني، تاريخ بيداري إيرانيان، الجزء الأول، ص ٦٤.

حاول السيد الطباطبائي أن يوصّل رأيه إلى مظفّر الدين شاه، غير أنّ حاشيته كانت تحجب أي رسالة عنه. وفي واحدة من رسائله إلى الشاه يستعرض بشكل مؤلم الأوضاع المأساوية في إيران ويطلب منه تأسيس مجلس يمثّل أبناء الأمة لإصلاح الأوضاع الفاسدة. جاء في الرسالة:

(ياصاحب الجلالة، الدولة مدمّرة، الرعيّة في تذمّر وفقر. يد الحكّام والموظفين طويلة على أموال وأعراض ونفوس الرعيّة. ظلمهم بلا حدود، يأخذون من أموال الناس ما يشاؤون. ويقومون بأعمال الضرب والتشويه الجسدي والقتل لحمل الناس على طاعتهم.

من أين حصل هؤلاء في زمن القحط هذا على هذه القصور والأثاث والزينة والممتلكات؟. إنّها ممتلكات الشعب المسكين وثروة الفقراء المساكين الذين يعرف صاحب الجلالة ظروفهم، لقد حصلوا في زمن القحط هذا على أموال الشعب وثروته.

في السنة الماضية وعندما عجز أهالي قوجان عن دفع الضرائب والتي تساوي ٣ ري حنطة (مقياس إيراني) فإنّ الحكّام أخذوا بناتهم وباعوهن للتركمان والأرمن في منطقة عشق آباد بأثمان باهضة[(٧)]. وقد هاجر عشرة آلاف شخص من أهالي قوجان هرباً من الظلم إلى

---

(٧) في خطبة للسيد الطباطبائي بتاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٣٢٤هـ (٧ تموز ١٩٠٦م) قال: (في العام الماضي وعندما عجز أهالي قوجان عن إعطاء الضريبة للسلطة فإنّ حاكم المنطقة أخذ ثلاثمائة فتاة وبنت مسلمة بدلاً عن الضرائب، وباعهن للتركمان (بإثني عشر مَنْ) حنطة مقابل كل بنت. وبعض البنات كنّ نائمات في أحضان أمهاتهن فإنتزعن بالقوّة).
عبدالحسين مجيد كفائي، المصدر السابق، ص ١٦٤.

الأراضي الـروسية. كما هاجـر آلاف الإيرانيين إلى الدول الأجنبية نتيجة ظلم الحكّام والموظفين، ومارسوا الأعمال الشاقة وماتوا بذل.

إنّ من غير الممكن الإتيان على تفصيل ما يعانيه الشعب من هذا الظلم المظلم. فكل هذه الأمور يخفونها عن صاحب الجلالة، ولا يدعـونه يطّلع عليها. وما لم تعالج الأوضاع الحالية لهذه الدولة فإنّها ستكون في القريب جزء من الدول الخارجية.

طبعاً لا يرضى صاحب الجلالة أن يكتب في التاريخ أنّ إيران في العهـد الملكي صارت في مهبّ الـريح. الإسـلام أصبـح ضعيفـاً والمسلمون صاروا أذلاء.

ياصاحب الجلالة، إنّ كلّ هذه المفاسد تحل عن طريق مجلس للعدالة، أي جمعية مؤلّفة من كافة أبناء الشعب، يتساوى فيه الملك والفقير.

إنّ صاحب الجـلالـة الملكي يعرف أكثر من غيره فوائد هذا المجلس وعنـدمـا يكون هناك مجلس فسوف يرفع الظّلم وسيتحوّل الخراب إلى عمران ولن تطمع الدول الأجنبية في هذه الدولة.

ولن يحتـل الإنكليز سيستان وبلوجستان، ولن يحتل الروس المنـطقة الفلانية، ولن يستطيع العثمانيون الإعتداء على إيران. الخبز واللّحم اللّذان هما قوت معـظم الشعب ومادتهم الأساسية في الحياة، رديئة ومغشوشة. وأكثر الناس محرومون من الخبز واللّحم. لقد حاول صاحب الجلالة الملكي علاج هذه الناحية، لكن للأسف فإنّ أولئك الـذين يحصلون على أموال ضخمة يومياً من الخبّازين والقصّابين لم

يتركوا هذه الغاية تتحقق ويرتاح الشعب. إنّ ظروف الجندي الذي يدافـع عن الـدولة والشعب مخفيّة عن صاحب الجلالة. فالجندي لا يحصل حتى على بعض أرزاقه ومستلزماته. وأغلب الجنود كانوا يحصلون على قوتهم عن طريق عملهم، لكنّ حتى هذه الأعمال لم يسمحوا لهم بها.

وفي كل يوم يموت العديد منهم جوعاً. إنّنا لا يمكن أن نتصوّر خللًا أكثر من هذا بالنسبة للدولة)[٨].

وتأسيساً على ما تقدّم فإنّ السيد محمد الطباطبائي كان مصمّمًا على تحقيق ديوان العدالة في إيران، وكان نشطاً في معارضته للسلطة القاجارية. غير أنّ الشعب الإيراني لم يكن له هدف محدد يسير نحوه، لقد كان يعاني من تردّي الأوضاع العامة ويبحث عن طريق للخلاص. وهو ما جعل علماء الدين في إيران يتعاطفون مع أيّة حركة ذات معارضة لمظاهر الظلم، وتسعى لتحقيق العدل في إيران. فكان يشترك مع السيد الطباطبائي في معارضته للسلطة، إثنان من كبار علماء الدين في طهران هما السيد عبدالله البهبهاني والشيخ فضل الله نوري.

بداية التحرّك

حدثت في عهـد مظفّـر الدين شاه وبالتحديد خلال النصف الأول من آحاد القرن العشرين عدّة وقائع متسارعة إنتهت بإعلان

---

(٨) علي دواني، المصدر السابق، ص ١١٤ ـ ١١٨

الحركة الدستورية (المشروطة)، وسنقف بشكل سريع عندها:

في حدود عام ١٩٠٣م قدم العديد من البلجيكيين إلى إيران لإدارة الشؤون الجمركية، بناء على إتفاقية بين إيران وروسيا حول الجمارك. وتمّ تعيين أحد البلجيكيين وإسمه (المسيونوز) رئيساً لجمارك إيران. وقد فرض هذا ضريبة جمركية مرتفعة أضرّت كثيراً بالتجار، مما دفعهم للبحث عن سبيل لعزله. وصادف في تلك الأيام أن حصلوا على صورة له وهو يرتدي زي علماء الدين ويدخّن النارجيلة في حفلة للرقص. وقد أثارت هذه الصورة مشاعر المسلمين وطالبوا بعزله عن منصبه. لكن الشاه كان في أوربا في زيارته الثالثة لها. فطلب ولي عهده من الناس المحافظة على الهدوء، ووعدهم بتحقيق طلبهم بعد عودة الشاه.

وفي الوقت الذي كانت قضية المسيونوز تتفاعل بين أهالي طهران، تصاعد الخلاف في مدينة كرمان بين علماء الدين وبين الشيخية، وهي إحدى الفرق التي إنحرفت عن الإمامية. وجاء إلى المدينة عالم دين إسمه محمد رضا وأخذ يتحدّث عن الشيخيّة. فتوتّرت العلاقة بين الطرفين حتى إنتهت بصدامات عنيفة قتل فيها عدّة أشخاص. فقرر حاكم المنطقة معاقبة الميرزا محمد رضا بالجلد ثم نفاه إلى مدينة رفسنجان. وحين سمع أهالي طهران بالخبر إزداد سخطهم على الحكومة.

الحادثة الأخرى في هذا التسلسل التاريخي هي إنشاء بنك روسي في قطعة أرض وسط بازار طهران (السوق الرئيسي). وأثناء عمليات الحفر تمّ العثور على عدّة جثث فألقاها المشرفون على البناء

في بئر دون عناية، وعندما سمع الناس بالخبر ثارت حفائظهم، وأخذ أحـد الخطباء وإسمه الشيخ محمد الواعظ يتحدّث عن حرمة البنك الربوي. وتطرّق إلى مسألة إلقاء الجثث في البئر، ثم طلب من الناس قراءة الفـاتحة في مكان الحادث. فتوجّهوا إلى هناك وإزداد حماسهم فهجموا على المبنى ودمّروه تماماً. وقد أعطت هذه الحادثة دفعة على طريق الإنتفاضة(٩).

الحادثة المهمّة في هذا السياق والتي فجّرت الأوضاع تمثّلت في موقف الحكـومـة من تجار طهـران. ففي عام ١٩٠٥م إزدادت أسعار السكّر نتيجة الحرب الروسية ـ اليابانية، فأصدرت الحكومة تعليماتها إلى التجـار ببيع السكّـر بسعـر محدد. غير أنّ التجـار خالفوا هذه التعليمات لأنّها تسبب لهم ضرراً كبيراً. مما دفع حاكم طهران (علاء الدولة) إلى جمع عدد منهم وجلدهم (بالفلقة) أمام الناس. وقد أثار هذا الحادث مشاعر الناس وقـرّر التـجّار تعطيل الأسواق(١٠).

---

(٩) قسم التاريخ في وزارة التربية والتعليم في الجمهورية الإسلامية في إيران، تاريخ معاصر إيران، سال سوّم دبيرستان (الخامس الثانوي)، ص ٧١ ـ ٧٢.

(١٠) رغم أنّ هذه الحـادثة تمثّل نقطة الإنفجار والبداية الفعلية لحركة المشروطة، فإنّ المصادر الفارسية إختلفت في تفصيلاتها. ويمكن أن نحصر الروايات في ثلاث نقاط:

الأولى: أنّ جماعـة من تجّار طهران إشتروا السكّر بكميّات كبيرة وإحتكروها وأخذوا يبيعـون السكّـر بأسعار مرتفعة. مما أثار تذمّر الناس فشكوا إلى الحكومة التي إستدعت أشهرهم وهو السيد هاشم وأمرته أن يبيع السكّر بسعر معقول. وحين رفض ذلك ضربوه (بالفلقة)، فإنتشرَ الخبر وتضامن معه تجّار طهران.

هاشم محيط مافي، المصدر السابق، ص ٧٧.

الثانية: أنّ عين الدولة رئيس الوزراء أراد أن يؤدّب التجّار فأمر حاكم طهران بإستدعاء

من هنا بدأت الأحداث تأخذ طريقاً جديداً، حيث كانت هذه الحادثة بمثابة ساعة الصفر في حركة المشروطة.

أراد الناس الإحتجاج على إجراء السلطة، فإلتجأوا إلى المسجد الجـامـع في البازار، لكنّ إمام المسجد وبإشارة من السلطة، إستطاع طردهم بمساعدة أعوانه، فخرجوا من المسجد وهم أكثر حماساً[١١].

وفي هذه التطوّرات برز الدور القيادي لثلاثة من كبار العلماء في طهران، وهم السيد محمد الطباطبائي والسيد عبداللّه البهبهاني والشيخ فضل اللّه النوري.

قرر علماء الدين التوجه إلى بلدة السيد عبدالعظيم (شهر ري) جنـوب طهران والتحصّن في حضرته الشريفة. وبالفعل توجهوا إلى هناك ليلة الجمعة ١٦ شوال ١٣٢٣هـ (١٣تشرين الثاني ١٩٠٥م)[١٢]، وقد بلغ عدد المتحصّنين حوالي ألفي شخص وبقوا هناك لمدة شهر

التجّار الذين إحتجوا على (المسيونوز)، فأحضرهم الأخير وأوسعهم ضرباً بحجّة رفع أسعار السكّر، وعندما سمع التجّار بذلك عطّلوا الأسواق.

وزارة التربية، المصدر السابق، ص ٧٣.

الثالثة: خلال الأزمة التي شحّ فيها السكّر، طلبت الحكومة من التجّار أن يعرضوا السكّر بكميّات وفيرة وأن يباع حسب السعر القديم، وهو أقل من السعر الذي إشتروه من الحكومة. فرفض التجّار ذلك، مما دفع حاكم طهران إلى إختيار مجموعة منهم وضربهم (بالفلقة) أمام الناس.

روى لي هذه الحادثة السيد محمود الطباطبائي اليزدي في دولة الأمارات العربية بتاريخ ١٩٨٩/١/٦.

(١١) د. علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث، ص ١٠٨.

(١٢) هاشم محيط مافي، المصدر السابق، ص ٩١.

كامل[١٣].

حاولت السلطة إنهاء الإعتصـــام لكنّهـــا فشلت. حيث كان للمعتصمـين مطالبيهم المحـددة والتي قدّمـوهـا للحكومة عن طريق السفير العثماني، وهي:

١ـ إزالة (عسكر كاريجي) من طريق قم[١٤].

٢ـ إعادة الشيخ محمد رضا من رفسنجان إلى كرمان.

٣ـ إعادة تولية مدرسة خان مروي إلى الحاج الشيخ مرتضى الآشتياني.

٤ـ تأسيس ديوان العدالة في جميع مدن إيران.

٥ـ تطبيق قوانين الإسلام في أنحاء البلاد.

٦ـ عزل المسينونوز البلجيكي.

٧ـ عزل علاء الدولة حاكم طهران.

٨ـ إلغاء الحسم النسبي من الرواتب والنفقات والبالغ عشرة شاهيات عن كل تومان[١٥].

حين نقـرأ هذه المـطاليب نلاحظ أنّها ـ ما عدا المـطلبين الرابع والخامس ـ مطاليب بسيطة، مقارنة بحجم التحرك الذي قام به علماء الدين، وإن بإمكان السلطة الإستجابة إليها أو الإلتفاف عليها بشكل وبآخر مما

---

(١٣) د. جلال الدين مدني، تاريخ سياسي معاصر إيران، الجزء الأول، ص ٥٦.

(١٤) عسكر كاريجي إسم شخص حصل على إمتياز نقل المسافرين إلى مدينة قم، وكان فظاً في معاملته للنّاس مما جعلهم يطالبون الحكومة بإلغاء الإمتياز.

(١٥) وزارة التربية، المصدر السابق، ص ٧٤.

يقود إلى الإعتقاد بأنّ من المحتمل أن تكون المطاليب صيغت على هذه الصورة لكسب التأييد الجماهيري وشدّ الناس إلى التحرّك الأهم والذي يهدف إلى المطلبين الخاصين بتأسيس ديوان العدالة وتطبيق القوانين الإسلامية. وربما أراد قادة التحرك أيضاً عدم إثارة مخاوف الحكومة فيما إذا طرحوا مطاليب سياسية كبيرة تتعلّق بالنظام السياسي للدولة، لحساسية السلطة من هذا الإتجاه. فأرادوا إظهار التحرك بصورة شعبية كخطوة على الطريق الأساس.

كانت هذه الأحداث على درجة كبيرة من السخونة، حيث أنّها وضعت السلطة الإيرانية أمام مخاوف كبيرة، لأنّها وجدت نفسها في مواجهة إنتفاضة جماهيرية عارمة، وأنّها تتحرّك ضمن توجيهات علماء الدين، وهو ما يعطي التحرّك الجماهيري قوّة كبيرة، ويجعل من إمكانية التصعيد أمراً وارداً، فلقد سبق للحكومة الإيرانية أن واجهت مثل هذه التجربة أبان ثورة التنباك عام ١٨٩١م.

إزاء هذا التحرّك وافق الشاه مظفّر الدين على مطاليب المعارضين، وطلب من رئيس الوزراء إعادتهم إلى طهران والعمل على تنفيذ ما أرادوه. لكنّ رئيس الوزراء لم تكن لديه الرغبة في تحقيق هذه المطاليب، وراح يعمل على تمييعها، كما أنّه فرض حصاراً قوياً على الشاه للحيلولة دون وصول أيّة رسالة إليه. وفشلت محاولات علماء الدين في إيصال صوتهم إليه. وقد حاول السيد محمد الطباطبائي أن يقلّل من مخاوف عين الدولة وتصلّبه، عن طريق إفهامه بأنّ المطاليب التي قدّموها للحكومة هي في صالحها. فكتب إليه يقول:

(إنّ ديوان العدالة الذي نريده سنتضرر نحن به أولاً، لأنّ الناس إذا كانوا مرتاحين ولا يرون الظلم فإنّهم لن يحتاجونا، وستغلق أبواب منازلنا)[١٦].

حاول عين الدولة إنهاء الأزمة بالقوّة، فشنّ حملة ملاحقة وإعتقال ونفي ضد العديد من علماء الدين والشخصيّات. وبالمقابل نشط العلماء في معـارضتهم، وراح الخطباء يوجّهون الناس للمظالم الكبيرة التي ترتكب يومياً. وأخـذت المعـارضـة تتصاعد بشكل ساخن حتى وصلت إلى قيام تظاهرات ضد السلطة وإعتصام في المساجد. ووقعت عدّة حوادث إشتباك أسفرت عن مقتل عدد من الناس وطلبة العلوم الدّينية.

في واحدة من هذه الحوادث حاصر قائد قوّة طهران المسجد الجامع، وحصـل إشتبـاك عنيف سقط خلاله مائة من المتحصّنين. وعلى أثر هذه الحادثة وغيرها قرر علماء الدين الهجرة من طهران إلى مدينة قم المقدسة. وفي ٢٥جمـادى الأولى ١٣٢٤هـ (١٧تمـوز ١٩٠٦م) هاجروا إلى هناك ومعهم حوالي ألف شخص، وكان من بين العلماء الشيخ فضل اللّه النوري[١٧].

الإنتصار الأول

كانت هجرة العلماء إلى مدينة قم تطوّراً خطيراً في مسار الأحداث، فلقد كشفت عن القاعدة القوية لحركة المعارضة، والدور القيادي لعلماء

---

(١٦) عبدالهادي حائري، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(١٧) د. جلال الدين مدني، المصدر السابق، ص ٥٦.

الدين وقدرتهم على تحريك الأحداث، وأثبتت أنّ حركة المعارضة ضاربة الجذور وأنّ من الصعب إيقافها عند نقطة معيّنة. كما أنّ علماء الدين في العراق راحوا يتابعون أخبارهم بإهتمام متزايد، وقد إنعكس هذا الموقف على الأجواء الإسلامية في العراق.

خلال هذه التطورات حدثت حادثة على قدر كبير من الأهمية، حيث لجأت أعداد كبيرة من الجماهير إلى السفارة البريطانية في طهران(١٨).

لقد كان الدافع الظاهري وراء اللجوء إلى السفارة البريطانية هو خوف التجار والناس من سلطة رئيس الوزراء، لا سيّما بعد أن هاجر علماء الدين إلى مدينة قم.

فقد إجتمع التجار وأوفدوا واحداً منهم إسمه الحاج محمد تقي إلى السفارة ليفاوض السفير بهذا الشان، فوافق السفير. وجاء التجار وأعداد كبيرة من الناس إلى السفارة، حيث وجدوا أنّها كانت مستعدة لمثل هذا الأمر منذ فترة طويلة(١٩).

وكانت السفارة البريطانية قبل عدّة أشهر من لجوء الناس إليها قد جهّزت حدائق السفارة بدورات مياه كثيرة، وهو طلب أثار إستغراب البنّائين ولم يعرفوا حقيقة الطلب إلاّ فيما بعد.

إنّ لجوء الناس إلى السفارة البريطانية لم يتمّ بشكله التلقائي ولم يكن دافعه الحقيقي الخوف من السلطة، بل أنّ الحقيقة أبعد من ذلك بكثير. فحين تصاعدت الأحداث شعر الإنكليز أنّ حركة المعارضة تسير بقيادة

---

(١٨) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(١٩) هاشم محيط مافي، المصدر السابق، ص ٩٧.

علماء الدين، وأنها لو إستمرّت على هذا الخط فإنّها ستتضرر مستقبلاً من نتائج الحركة. لذلك أرادوا إستفراغ التحرّك الجماهيري من محتواه الإسلامي، وإدخاله في مسالك جديدة تضعف قوّة الإرتباط الجماهيري بالعلماء.

إنّ ماواجهته حركة المشروطة من تغلغل بعض العناصر المنحرفة والموالية للأجانب يتشابه مع ما يحدث مع معظم الثورات الشعبية، حيث يسعى هؤلاء إلى حرف التحرّك عن خطّه الأول لصالح الأجهزة الإستعمارية، وإستغلال طيبة نفوس الثائرين وإحتواء حماسهم.

ومن هنا نشطت الجمعيات السريّة وبالخصوص الماسونية في محاولة تسيير الأحداث، فبدأت فكرة التحصّن في السفارة البريطانية. وبالفعل نجحت الفكرة ولاقت قبولاً كبيراً حتى وصل عدد المتحصّنين في السفارة خلال عشرة أيام بين ١٣ ـ ٢٠ ألف شخص [٢٠]. حدث ذلك في شهر تموز ١٩٠٦م (جماديْ الأول ١٣٢٤هـ).

خلال التحصّن في السفارة نشطت زوجة السفير في التحدّث مع الناس وأخذت تفهمّهم أنّ طلبهم بتأسيس ديوان العدالة لا قيمة له، في حين أنّ الغاية أوسع وأهم من ذلك، بأنّ تكون المطالبة بإيجاد الحريّة والمساواة وإيجاد الشورى والمشروطة، وبعد أن نضجت الفكرة في معظم هؤلاء إنقلبت الأهداف والطلبات إلى هذه العناوين [٢١].

إنّ هذا التأثير نجده واضحاً في المطاليب التي قدّمها المعتصمون إلى

---

(٢٠) د. جلال الدين مدني، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٢١) علي الخاقاني، شعراء الغري، الجزء العاشر، ص ٨٥.

الحكومة الإيرانية عن طريق السفير البريطاني. حيث قدّموا في البداية خمسة مطاليب كان أهمّها تأسيس ديوان العدالة. لكنّهم قدّموا بعد ذلك خمسة مطاليب أخرى تختلف بعض الشيء عن الأولى، لكنّ التعديل المهم هو المطالبة بإفتتاح مجلس الشورى[٢٢]. وهي المرّة الأولى في تاريخ التحرّك المعارض الذي تطرح فيه فكرة المشروطة بهذا الوضوح.

نتيجة هذه التطوّرات إضطرّ الشاه مظفّر الدين إلى الموافقة على قرار المشروطة في ١٤جمادى الثانية ١٣٢٤هـ (١٥آب ١٩٠٦)[٢٣].

فأعيد علماء الدين إلى طهران، وجرت إنتخابات مجلس الشورى في ٢٣رجب ١٣٢٤هـ (١٢أيلول ١٩٠٦م) وافتتح المجلس في ١٨شعبان من نفس السنة[٢٤]. وأعلن الدستور في ٣٠كانون الأول/١٩٠٦.

هذا التطوّر الكبير في مسار الحياة السياسية في إيران، وإنتصار حركة المعارضة الإسلامية، وإقرار المشروطة، أثار مخاوف جميع الأطراف المهتمة بإيران. فروسيا شعرت أنّ مصالحها الواسعة تقف في مواجهة أخطار جدّية. وبريطانيا التي كانت تشجّع أيّة محاولة سياسية تضعف النفوذ الروسي في إيران، وجدت أنّ الحركة لا تخدم مصالحها طالما هي تحت قيادة علماء الدين. وبرزت محاولات الإستيعاب والإلتفاف، فنشطت الماسونية وغيرها من التشكيلات والهيئات السياسية الإستعمارية في محاولة عزل الشعب عن العلماء وخلق بدائل يتستّرون برفع الشعارات الثورية

---

(٢٢) وزارة التربية، المصدر السابق، ص ٧٧.
(٢٣) عبدالحسين مجيد كفائي، المصدر السابق، ص ١٥٤.
(٢٤) وزارة التربية، المصدر السابق، ص ٧٨.

والإصلاحية، وشنّوا حملة قوية ضد العديد من علماء الدين مثل الشيخ فضل اللّه النوري، تحت عناوين الديمقراطية والتحديث والقومية والوطنية[٢٥].

لقـد إنعكست هذه المحاولات بشكل واضح عند كتابة الدستور الإيراني. حيث كانت هنـاك إتجاهات قوية تحاول صياغة الدستور وفق الرؤى والتطوّرات الغربية، دون الإستناد إلى الفكر الإسلامي والقواعد الإسلامية. والذي جعل هذا التيّار يقوى في خطّته هو عدم مواكبة علماء الدين بنفس المستوى الذي تعاملوا فيه خلال التمهيد للتحرّك الجماهيري المعـارض وحتى إنتصـارهم على السلطة. كما أنّهم لم يقـدّموا لها الإمداد الفكري المطلوب[٢٦].

بذل الشيخ فضـل اللّه النـوري جهـوداً مضنيةً حتى إستطاع الحصول على مصادقة المجلس بإضافة مادة متّممة للدستور تقضي أن يقوم خمسة من فقهاء كل عصر بالإشراف على لوائح المجلس وقراراته، لكي لا يصادق على لائحة أو قرار يخالف الإسلام. ولولا هذه المادة لكانت الصفة العامة للدستور أكثر غربية[٢٧].

كان الدستور الإيراني في كثير من نصوصه عبارة عن ترجمة حرفية للدستور البلجيكي الصادر عام ١٨٣٠م، فهو يقوم على أساس المبادىء الـديمقـراطية التي كانت شائعـة في أوربـا من حيث الإعتقاد بالقانون

---

(٢٥) د. حسن آيت، جهره حقيقي مصدق السلطنة، ص ٧.

(٢٦) الشيخ محمد مهدي الآصفي، مدرسة النجف وتطوّر الحركة الإصلاحية فيها، ص ٨٥.

(٢٧) وزارة التربية، المصدر السابق، ص ٧٩.

الطبيعي وحقوق الإنسان[28].

لعلّ من محاولات إضعاف المشروطة وزرع عناصر الشقاق داخل الصف الإسلامي، هو ما حدث في كربلاء. حيث فرضت الحكومة العثمانية على الرعايا الإيرانيين ضرائب مالية. فإستنكر هؤلاء ذلك وإستنجدوا بعلماء الدين، غير أنّ العلماء لم يكن بإمكانهم عمل شيء. فذهبوا إلى نائب القنصل البريطاني محمد حسن الكابلي القندهاري الذي راح يشجّعهم على التمرّد ويقدّم لهم الضمانات الكاذبة، فتجمّعوا حول القنصليّة وأقاموا هناك أكثر من خمسين يوماً.

وقد حاولت السلطة في كربلاء إنهاء هذا الإعتصام فلم تنجح. فوجّهت إليهم ثلاثة إنذارات، كانت مدّة الإنذار الأول إسبوعاً واحداً، والإنذار الثاني ٢٤ساعة، والإنذار الثالث ست ساعات.

إنتهى موعد الإنذار الثالث في ليلة القدر من شهر رمضان ١٣٢٤هـ (١٠تشرين الثاني ١٩٠٦م) فجاءت الشرطة ووجهت إليهم البنادق، ثمّ أطلقت النار عليهم فقتلت حوالي سبعين شخصاً وجرح عدد كبير. وحاول الناس الإلتجاء إلى القنصلية وطلبوا من محمد حسن القندهاري فتح الباب لكن دون جدوى[29].

ولعلّ عملية الإعتصام في السفارة البريطانية في طهران ومن ثم نجاحها، شجّعت الإيرانيين في كربلاء ليقوموا بعملية مماثلة حيث إلتجأوا إلى القنصلية البريطانية.

---

(٢٨) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ١١٢.

(٢٩) علي الخاقاني، المصدر السابق، ص ٨٢ ـ ٨٣.

يرى بعض المؤرّخين أنّ هذا الحادثة وقعت خلال أحداث المشروطة، وأيّام كانت الإعتصامات تجري في مدينة السيد عبدالعظيم والسفارة البريطانية. ومن هؤلاء السيد هبّة الدين الشهرستاني في مذكّراته، والدكتور علي الوردي. وهو خطأ تاريخي واضح حيث أنّ حادثة كربلاء وقعت بعد إنهاء التحرّك المعارض في إيران، وإفتتاح مجلس الشورى في ٧تشرين الأول ١٩٠٦م.

حادثة كربلاء كانت واحدة من محاولات الإلتفاف، فلقد إنعكست آثارها على الوسط العلمي في النجف الأشرف، حيث لم يشهد موقفاً موحداً بشأن هذه الحادثة، فالأخوند الخراساني والشيخ عبدالله المازندراني وهما في النجف الأشرف لم يتدخلا في الموضوع، في حين بعث السيد كاظم اليزدي والميرزا حسين الميرزا خليل وهما في النجف أيضاً إلى المعتصمين في كربلاء رسلًا ينصحونهم بإنهاء الإعتصام، فلم ينفع النصح[٣٠].

الخلاف

في ١٤ذي القعدة ١٣٢٤هـ (٣٠كانون الأول ١٩٠٦م) صادَق مظفّر الدين شاه على الدستور، ومات بعد ذلك بعشرة أيام، فخلفه إبنه محمد علي على عرش إيران.

كانت فترة حكم محمد علي شاه واحدة من أخطر المراحل التي مرّت بها حركة الدستور، وإنعكست آثارها بشكل عميق على مواقف علماء الدين وبالتالي على الأمة الإسلامية في إيران والعراق. فلقد ظهر الخلاف حاداً بين

---

(٣٠) المصدر السابق، ص ٨٣.

مراجع الدين وكبار العلماء، مما إنسحب بشكل طبيعي على عامة الناس تبعاً لولاءاتهم وتقليدهم.

إنّ إنقسام الرأي العام الإسلامي لم يكن يجري بمعزل عن المعادلة السياسية التي تحكم الأوضاع في إيران. فلقد كان للنفوذ الأجنبي تأثيراته المباشرة على الجو السياسي العام.

فروسيا وجدت في إقرار الدستور ضربة قاسية لها، لأنّها تصوّرت أنّ موقع الشاه في السلطة قد تضعضع، وأنّ النفوذ البريطاني المنافس قد حقق خطّته في إنجاح المشروطة، فالروس كانوا يرون فيها خطّة بريطانية. لذلك بذلت روسيا محاولاتها لحمل الشاه على ضرب الحركة، ولم تجد في هذه المحاولات صعوبة. فالشاه محمد علي كان متأثّراً ومنذ ولايته للعهد بالروس، وكان منسجماً مع طريقة التفكير الروسية في الحكم والسياسة[٣١].

وإستغلّ الروس هذه العلاقة في تشجيعه على ضرب المشروطة، إضافة إلى محاولة خلق فجوة كبيرة في موقف علماء الدين.

أمّا بريطانيا فإنّها كانت تقدّر تماماً حجم التأثير الروسي على الشاه وتتوقّع إحتمال تعرّض المشروطة إلى ضربة قاضية، وهو ما يتعارض مع طموحاتها، لأنّ المشروطة تضعف قوّة النفوذ الروسي في إيران، كما أنّ بإمكان الإنكليز السيطرة على الحركة عن طريق إدخال عناصر الإنحراف إليها وبذلك يضمنون عدم تهديدها لمصالحهم.

يضاف إلى ذلك إن بريطانيا كانت تحاول تهدئة الخلاف بين رجال المشروطة وبين محمد علي شاه، خوفاً من وقوع تطوّرات مفاجئة قد تحرم

---

(٣١) عبدالحسين مجيد كفائي، المصدر السابق، ص ١٦٥.

مصالحها في إيران، لا سيّما بعد أن عقدت مع روسيا معاهدة ٣١اب ١٩٠٧م، والتي تقاسمت فيها الدولتان النفوذ في إيران، حيث أصبح القسم الشمالي خاضعاً لنفوذ القيصر والقسم الجنوبي لنفوذ بريطانيا، ولم يبق إلّا جزء صغير ينحصر في طهران وما حولها. لذلك حاولت بريطانيا إيجاد حالة من التوافق والمصالحة بين الشاه والمشروطة، ومن خلال هذه الحالة يضمن الإنكليز إمكانية سيطرتهم على المشروطة. كما أنّهم يضعفون التأثير الروسي على الشاه. وفي هذا الخصوص يقول السفير البريطاني في طهران في تقرير بعثه إلى وزارة الخارجية البريطانية:

(تأكّد لي منذ زمن بعيد أنّ محمد علي شاه ينطوي على نوايا سيّئة ضد المشروطة، وهو منهمك بتدبير الدسائس ليتسنى له حل المجلس وإلغاء المشروطة. ولأنّ الإقدام على مثل هذا الأمر من الممكن أن يحدث إنقلاباً في إيران يهدد الأمن العام وأمن أتباعنا كذلك، ويخل بتجارتنا في إيران أكثر فأكثر، لذلك طلبت موعداً من الشاه وإلتقيت صاحب الجلالة، وقلت له بشكل صريح وواضح أنّ إسلوبه العدائي مع المجلس سوف تكون له عواقب سيّئة ووخيمة على صاحب الجلالة نفسه وعلى إيران. ومن الأفضل أن يلجأ صاحب الجلالة إلى إسلوب التفاهم والمرونة مع المجلس، وبدلاً من معارضته المجلس فإنّ من الأفضل تقويته ليتسنى إصلاح الأمور وحلّ المشاكل.

وكان الشاه يؤيّد أقوالي في الظاهر، وكذّب معارضته للمجلس ونفاها. ولكن كان معروفاً أنّ ما يضمره في قلبه غير ما يقوله بلسانه. وستحدث في إيران عاجلًا أم آجلًا أزمة يصعب التكهّن بأبعادها. وأنّ المستبدّين (وهم

المعـارضـون للمشروطة) ينفقون أموالاً طائلة من أجل إرباك المشروطة وتدميرها. ولم تسفر تحقيقاتنا التي أجريناها عن التوصّل إلى مصدر تلك الأموال ومن أين يتمّ الحصول عليها)[٣٢].

إنّ وجهتي النظر الروسية والبريطانية وإن إختلفتا في منطلقاتهما. إلاّ أنّهما تلتقيان في نقطة إشتراك واحدة، تلك هي إيجاد فاصلة من العداء بين علماء الدين أنفسهم، حيث يستطيع الروس من خلالها توجيه ضربة قويّة للمشروطة، وإستناداً إلى المواقف المتضادة لعلماء الدين. كما أنّ الإنكليز يستطيعون إضعاف الحركة والسيطرة عليها.

وقـد إستغلّت الأجهـزة الإستعـمارية إختلاف علماء الدين حول الأسس الإسلامية للمشروطة، ونشطت في تعميق هذا الخلاف وتضخيمه. وكانت نقطة الإنطلاق في هذا المجال هي الموقف من المجلس النيابي، فبعد أن وصل ذوو الميول الغربية إلى المقاعد البرلمانية وبعد صياغة الدستور صياغة لم تكن في جميع مواردها إسلامية، عارض بعض علماء الدين هذا الإنحراف وظهر الشيخ فضل الله النوري على رأس الداعين إلى تصحيح هذا الإنحراف من خلال طرحه لفكرة (المشروطة المشروعة). وقد تعرّض الشيخ النوري لحملة عنيفة من التشويه[٣٣]، تحاول وصفه بالإستبداد وأنّه من أنصار الشاه محمد علي. وقد نجحت هذه الحملة إلى حدّ بعيد.

إلى جانب هذه الحملة كانت الإستفتاءات ترد من إيران إلى النجف الأشرف حول شرعية قوانين المجلس النيابي. وقد أرسل إليهم الشيخ محمد

---

(٣٢) د. مهدي ملك زاده، تاريخ إنقلاب مشروطيت إيران، الجزء الثالث، ص ٨٧.
(٣٣) علي دواني، المصدر السابق، ص ١٢٢.

كاظم الخراساني نيابة عن بقية المراجع ـ ماعدا السيد كاظم اليزدي ـ جواباً يؤيّد فيه المجلس، جاء فيه:

(إنّ قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه هي قوانين مقدّسة ومحترمة، وإطاعتها فرض على جميع من في إيران، وعليهم أن يقبلوا بها وينفّذوها. وعليه نكرر قولنا: إنّ الإقدام على مقاومة المجلس التشريعي المذكور، بمثابة الإقدام على مقاومة أحكام الدين الحنيف. فواجب المسلمين أن يقفوا حائلاً دون أيّة حركة ضدّ المجلس)[٣٤].

لم يكن الآخوند الخراساني وغيره من العلماء يرون أنّ المجلس يمثّل الإسلام في أحكامه وقراراته، أنّ إيـران أصبحت دولة إسلامية، إنّما كانوا ينطلقون من محاولة إزالة الظلم وتحقيق العدالة من خلال المجلس. فلقد كان هدفهم من دعم المشـروطـة وتقـويتها هو وضع أسس قانونية ترفع التجاوزات الظالمة للسلطة، وتثبّت مرتكزات للعدل يستند عليها الشعب. وكانوا يعبّرون عن ذلك أنّهم لا يريدون أن يخسروا الشعب[٣٥]. وهكذا نجد أنّ الآخوند الخراساني في جوابه لأهالي تبريز حول نفس الموضوع يقول:

(وصلتنا برقيتكم التي تتشكّون فيها من الخونة أعداء الحرية، وقد أسفنا كثيراً لهذا الخبر. وإنّنا على يقين أنّ هؤلاء الأشخاص غير مأذونين من قبل الشاه في أعمالهم هذه. لأنّ الأمة اليوم متّحدة الكلمة على وجوب إفتتـاح المجلس. لأنّ هذا المجلس يسـاعـد على محو الإستبـداد وإزالة العادات الرذيلة ونشر القانون في البلاد. وهكذا فإنّ المجلس يسند المذهب

(٣٤) حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز، ص ٦٩.

(٣٥) عبدالحسين مجيد كفائي، المصدر السابق، ص ١٦٤.

الجعفري الشريف ويحافظ على أخبار الأئمة. والخلاصة: المسلمون ملزمون أن يتّبعوا الأصول الجديدة في الحكم. وعلى الشاه أن يبادر لإتمام هذا الأمر بطرد الخائنين وأعداء المجلس المحترم، لأنّ ذلك من وظائفه الخاصة)[٣٦].

كان يراد للاختلاف أن يبدو وكأنّه إنقسام متضاد بين الشيخ كاظم الخراساني والسيد كاظم اليزدي. لكنّ الإختلاف لم يكن تضاداً في الموقف لدرجة العداء المتبادل بين الأثنين. فلقد كان السيد اليزدي متحفّظاً في تأييد المشروطة، وهو في ذلك يشترك مع العديد من علماء الدين الكبار في العراق مثل الميرزا محمد تقي الشيرازي والشيخ حبيب اللّه الرشتي وغيرهما من العلماء الذين لم يكن لهم موقف يدعم حركة المشروطة حتى هذه الفترة، ومع ذلك لم يوصفوا بمعاداة المشروطة، ولم تلصق بهم تهمة الإستبداد. بل أنّ السيد اليزدي وقف معارضاً دخول الروس إلى إيران، مما أثار قلقهم كما سيأتي بنا الحديث. وهو في موقفه هذا يكون قد إنسجم تماماً مع موقف الآخوند الخراساني. وهو رقم كبير في هذا الخصوص.

لقد وضع السيد اليزدي في دائرة الإتهام وأطلقت عليه تهمة كونه من أنصار الإستبداد، لأنّه يمثّل أحد قطبي المرجعية الدينية. ونشطت في إظهار هذه الصورة الدوائر الإستعمارية، خصوصاً بعد أن إفتتح الروس قنصلية لهم أوائل عام ١٩٠٨م في النجف الأشرف، وجعلوا لها قنصلاً فخرياً هو أبو القاسم الشيرواني الذي وقف إلى جانب جماعة السيد اليزدي، وحاول أن يستميله في معارضة المشروطة ويفصله عن الشيخ الخراساني. يقول السيد

(٣٦) حسن الأسدي، المصدر السابق، ص ٧٠.

كاظم الخراساني نيابة عن بقية المراجع ـ ماعدا السيد كاظم اليزدي ـ جواباً يؤيّد فيه المجلس، جاء فيه:

(إنّ قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه هي قوانين مقدّسة ومحترمة، وإطاعتها فرض على جميع من في إيران، وعليهم أن يقبلوا بها وينفّذوها. وعليه نكرر قولنا: إنّ الإقدام على مقاومة المجلس التشريعي المذكور، بمثابة الإقدام على مقاومة أحكام الدين الحنيف. فواجب المسلمين أن يقفوا حائلاً دون أيّة حركة ضدّ المجلس)[٣٤].

لم يكن الآخوند الخراساني وغيره من العلماء يرون أنّ المجلس يمثّل الإسلام في أحكامه وقراراته، أنّ إيــران أصبحت دولة إسلامية، إنّما كانوا ينطلقون من محاولة إزالة الظلم وتحقيق العدالة من خلال المجلس. فلقد كان هدفهم من دعم المشــروطــة وتقــويتها هو وضع أسس قانونية ترفع التجاوزات الظالمة للسلطة، وتثبّت مرتكزات للعدل يستند عليها الشعب. وكانوا يعبّرون عن ذلك أنّهم لا يريدون أن يخسروا الشعب[٣٥]. وهكذا نجد أنّ الآخوند الخراساني في جوابه لأهالي تبريز حول نفس الموضوع يقول:

(وصلتنا برقيتكم التي تتشكّون فيها من الخونة أعداء الحرية، وقد أسفنا كثيراً لهذا الخبر. وإنّنا على يقين أنّ هؤلاء الأشخاص غير مأذونين من قبل الشاه في أعمالهم هذه. لأنّ الأمة اليوم متّحدة الكلمة على وجوب إفتتــاح المجلس. لأنّ هذا المجلس يســاعــد على محو الإستبــداد وإزالة العادات الرذيلة ونشر القانون في البلاد. وهكذا فإنّ المجلس يسند المذهب

---

(٣٤) حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز، ص ٦٩.

(٣٥) عبدالحسين مجيد كفائي، المصدر السابق، ص ١٦٤.

الجعفري الشريف ويحافظ على أخبار الأئمة. والخلاصة: المسلمون ملزمون أن يتّبعوا الأصول الجديدة في الحكم. وعلى الشاه أن يبادر لإتمام هذا الأمر بطرد الخائنين وأعداء المجلس المحترم، لأنّ ذلك من وظائفه الخاصة)[٣٦].

كان يراد للاختلاف أن يبدو وكأنّه إنقسام متضاد بين الشيخ كاظم الخراساني والسيد كاظم اليزدي. لكنّ الإختلاف لم يكن تضاداً في الموقف لدرجة العداء المتبادل بين الأثنين. فلقد كان السيد اليزدي متحفّظاً في تأييد المشروطة، وهو في ذلك يشترك مع العديد من علماء الدين الكبار في العراق مثل الميرزا محمد تقي الشيرازي والشيخ حبيب الله الرشتي وغيرهما من العلماء الذين لم يكن لهم موقف يدعم حركة المشروطة حتى هذه الفترة، ومع ذلك لم يوصفوا بمعاداة المشروطة، ولم تلصق بهم تهمة الإستبداد. بل أنّ السيد اليزدي وقف معارضاً دخول الروس إلى إيران، مما أثار قلقهم كما سيأتي بنا الحديث. وهو في موقفه هذا يكون قد إنسجم تماماً مع موقف الآخوند الخراساني. وهو رقم كبير في هذا الخصوص.

لقد وضع السيد اليزدي في دائرة الإتهام وأطلقت عليه تهمة كونه من أنصار الإستبداد، لأنّه يمثّل أحد قطبي المرجعية الدينية. ونشطت في إظهار هذه الصورة الدوائر الإستعمارية، خصوصاً بعد أن إفتتح الروس قنصلية لهم أوائل عام ١٩٠٨م في النجف الأشرف، وجعلوا لها قنصلاً فخرياً هو أبو القاسم الشيرواني الذي وقف إلى جانب جماعة السيد اليزدي، وحاول أن يستميله في معارضة المشروطة ويفصله عن الشيخ الخراساني. يقول السيد

(٣٦) حسن الأسدي، المصدر السابق، ص ٧٠.

هبّة الدين الشهرستاني في مذكراته:

(وأعتقـد أنّ بعض الشياطـين منهم عملوا عملاً سيئاً خدموا فيه جماعة اليزدي بنشرهم إعلاناً ألصقوه على الجدران رسموا فيه يداً وفيها مسـدّس خاطبـوا فيه السيد اليزدي ونـاشـدوه النـزول على رأي رجال المشروطة، فإن لم يفعلوا يقتلونه. فكان لهذا الإعلان أثر سيء في نفوس العوام وإنتصارهم لليزدي، فقد هاجت عواطفهم وإعتبروا أنّ هؤلاء مجرمون يريدون القضـاء على إبن رسـول اللّه، وإنحاز إلى جنب اليزدي فريقا الشمـرت والـزكـرت الذين عرفوا بمروقهم عن الدين وقتلهم الأنفس المحـرّمـة وإستغلالهم لأموال اليزدي. وأعلموه أنّهم من أنصاره وأعوانه، وصـاروا يخرجـونـه من داره إلى الحرم وهم مدجّجون بالسلاح ويهتفون بإسمـه.. وإضـطرّ اليزدي أن يضـاعف عطاءه للعوام ولرؤساء الشمرت والزكرت لما عرف من سطوة رجال الدين وإجماعهم ضدّه)[٣٧].

إنّ هذه الأحداث والتطورات جرّت مراجع الدين إلى المواقف التي أظهرتهم بمظهر العداء، مع أنّ حقيقة مواقفهم ليست بهذه الشدّة وقد تبع ذلك إنقسام حاد في أوساط الأمة حسب الولاءات والإنتماء.

لم تكن هذه الأحداث تدور في نطاق مدينة النجف الأشرف، بل إتّسعت لتشمل العديد من مناطق العراق، كما أنّ العشائر العراقية دخلت المعادلة أيضاً. وتعرّض رجال المشروطة إلى مضايقات عديدة كانت تصل لدرجـة الإهانة والإعتداء بالضّرب، ونتيجة لذلك لم يستطع طلبة العلوم الدّينية ولمدّة سنة كاملة من زيارة كربلاء أو الكوفة أو مسجد السّهلة خوفاً

---

(٣٧) علي الخاقاني، المصدر السابق، ص ٨٦ ـ ٨٧.

على أرواحهم[٣٨].

وظهرت ملامح هذا الضغط على جماعة الشيخ الخراساني، حيث لم يكن يحضر خلفه في صلاة الجماعة سوى عدد قليل لا يزيد على ثلاثين شخصاً في حين كان يحف بالسيد اليزدي الآلاف [٣٩].

إنّ أخطر نقطة وصلت إليها الأحداث هي محاولات إغتيال كبار العلماء، فقد تعرّض الشيخ فضل اللّه نوري في طهران إلى محاولة إغتيال من قبل رجل من أنصار المشروطة، حيث أطلق عليه النار لكنّ الشيخ نجا من المحـاولة. كما حاول محمد علي شاه إغتيال الشيخ الخراساني، حيث أرسل إليه دواء لعينه وكان الشيخ الخراساني يشكو من مرض فيها. غير أنّ والدة الشاه وكانت من مقلّديه أرسلت إليه وتحذّره من الدواء[٤٠]. كما كاد أن يتعرّض السيد اليزدي لمحاولة إغتيال وسط الأجواء المضطربة لتلك الفترة، فقـد أشيع ذات يوم أنّ السيد اليزدي سيتعرّض إلى إعتداء في الصحن الحيدري الشريف أثناء أدائه صلاة الجماعة، فأغلق زعماء النجف أبواب الصحن وأعلنوا إذا تعرّض السيد اليزدي لمكروه فلن يخرج أحد سالماً، وعلى أثر هذه التهديد ألقي في الصحن حوالي خمسون مسدساً[٤١].

لعبت بعض الصحف دوراً مغذّياً للخلاف، يقول السيد هبّة الدين الشهرستاني:

---

(٣٨) أغا نجفي قوجاني، سياحت شرق يا زندكينامه اقا نجفي قوجاني، ص ٤٦١.

(٣٩) عبدالحسين مجيد كفائي، المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٤٠) المصدر السابق، ص ٢١٢، ١٧١.

(٤١) ذكره لي ذلك السيد محمود الطّباطبائي في حديثه السابق.

(وكانت جريدة حبل المتين تأخذ هذه الأخبار وتنشرها بصورة مكبّرة ضد السيد اليزدي وجماعته مما أثارت العواصم الإسلامية وأحرار الهند من جماعة غاندي في أوّل الأمر وإتصلوا بالإمام الخراساني وجماعته ومنوهم بالإمدادات والنصرة، وصارت النجف لها صدى عظيم في مختلف العواصم وخاصة طهران وإستانبول، كما أنّها أصبحت قبلة تتبّع في إتخاذ الآراء والإستهداء بها)[٤٢].

كانت الحكومة العثمانية تضيق على أنصار المشروطة، مما جعل الطرف الآخر يتقوّى من خلال هذا الموقف الحكومي، وإستمرّت هذه الحالة حتى إعلان الدستور العثماني في ٢٣تموز ١٩٠٨م، لكنّ ذلك لم ينه حالة الخلاف إنّما قلب موازين القوّة لصالح أنصار المشروطة.

يدرج السيد هبّة الدين الشهرستاني قائمة بأسماء العلماء والشخصيات من رجال المشروطة والذين كانوا ينسقون فيما بينهم المواقف والأعمال، وقد إخترنا منهم الأسماء التالية:

الشيخ محمد حسين النائيني، الشيخ جواد الجواهري، السيد أبو القاسم الكاشاني، السيد محمد علي بحر العلوم، الشيخ عبدالكريم الجزائري، الشيخ محمد رضا الشبيبي، السيد سعيد كمال الدين، السيد أحمد الصافي، السيد مسلم زوين.

وكان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وأخوه الشيخ أحمد من أنصار المشروطة في البداية، لكنّهما إنحازا إلى السيد اليزدي، ونتيجة هذا

---

(٤٢) علي الخاقاني، المصدر السابق، ص ٨٧.

التحوّل، إنضمّ آل الجواهري وآل بحر العلوم إلى جماعة الشيخ الخراساني[٤٣].

إنّ الحقيقة التي لا بدّ من التأكيد عليها هنا، هي أنّ قادة المشروطة من مراجع الدين، إنطلقوا في تأييدهم لها من خلال فهمهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرساء دعائم العدل. وقد مارس الأتباع وأنصار الطرفين دوراً في تعميق الخلاف، وفي توجيه الأحداث بما يتعارض وحقيقة موقف العلماء والمراجع. وفي هذا السياق يروي الشيخ محمد حرز الدين بأنّه ذهب إلى مسجد السهلة في الكوفة ليلة الإثنين ٧شوال ١٣٢٦هـ (٢تشرين الثاني ١٩٠٨م) وكان هناك الميرزا حسين الميرزا خليل، فسأله: (الأمر بالمعروف واجب أم لا؟) فأجابه الشيخ حرز الدين بأنّه واجب بشرائطه، ولم يزد خوفاً على نفسه من الرجال الموجودين هناك، وفي الصباح أطلعه الميرزا حسين على إستفتاء مكتوب باللغة الفارسية مضمونه: ماجزاء المحارب للّه ولرسوله ممّن يسعى في الأرض فساداً، أفهل هو من أهل هذه الآية الكريمة (إنّما جزاء الذين يحاربون اللّه ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا.... الآية). فأخذ الشيخ حرز الدين الإستفتاء ووجد عليه توقيع الشيخ كاظم الخراساني والشيخ عبداللّه المازندراني والميرزا حسين الميرزا خليل وقد كتبوا (يجب أو نحوه). ويضيف الشيخ حرز الدين:

ثمّ قام من المجلس أصحاب الإستفتاء وهم من الإيرانيين مسرعين في خطاهم، وتيقّتن أنّ العلماء المعارضين في إيران قد أخذوا (ويقصد بذلك

---

(٤٣) المصدر السابق، ص ٨٧ـ٨٨.

أنّهم قد غُلبوا). ثمّ تفرّق المجلس وسنحت لي الفرصة من الأستاذ، فحدّثته بما أنا عليه وبقيّة العلماء وأهل الدين. ثمّ أمر بأن يأتوا برسل الإستفتاء فوراً، فتبعوهم عن طريق النجف وكربلاء فلم يعثروا بهم. ورجعت إلى النجف وملء جوانبي الخيفة. ثمّ كتب الأستاذ كتاباً فيه عدول عمّا أفتى به، وتوفي الميرزا حسين الخليلي بعد ذلك بثلاثة أيّام(٤٤).

الإنقلاب المضاد

كانت محاولات محمد علي شاه في القضاء على المشروطة، قد أصبحت حقيقة واضحة، رغم تظاهره بخلاف ذلك. وقد حاول الآخوند الخراساني الحيلولة دون تفاقم الموقف فإبتدأ بنصح الشاه، وأرسل إليه رسالة مطوّلة تعتبر وثيقة تاريخية مهمة في هذا الخصوص ندرجها بنصّها(٤٥):

١ـ ينبغي منكم بذل النفس والنفيس في المحافظة على الشريعة المطهّرة وتشييد مباني الإسلام مع إنتخاب معلّم ديني أمين تتلقّون عنه العلوم الشرعيّة اللازمة لمقام السلطنة. كما أنّه يجب عليكم المواظبة التامة على العبادات العملية فإنّ أداء الفرائض الإلهية موجبة لدوام سلطنتكم وسيادتكم على الرعيّة.

٢ـ إجتنبوا الأساتذة فاسدي العقائد، عبدة الدنيا لأنّ مخالطتهم جاذبة لذميم الأخلاق ومرذول العادات كما يجذب المغناطيس الحديد.

---

(٤٤) الشيخ محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، الجزء الأول، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

(٤٥) عبدالحسين مجيد كفائي، المصدر السابق، ص ١٧٦ ـ ١٧٨.

٣ـ بذل قصارى الجهد في إعلاء شأن الوطن وتنظيم أمور المملكة وتـربية أفـراد الأمـة تربية صحيحـة، وحثّ الرعيّة على ممارسة الحرف والصنائع وترويج المنسوجات الوطنية، بأن تختاروا لباسكم منها، فإنّكم إذا فعلتم ذلك إقتدى بكم رجال الدولة قاطبة وأفراد الرعيّة كافة. ولا شك بأنّ المملكة آنئذ تطلق من عقال الإحتياج للمنسوجات الخارجية، وهكذا فعل (ميكادو اليابان) فإنّه لما علم أنّ مفتاح ترقّي دولته يسير بهذا السبيل طرق أبوابه فنال مقعده النبيل. فإذا نهجتم في إبتداء سلطنتكم وعنفوان صباكم هذا المنهاج السديد تكونون واسطة لرقي البلاد ورفع الفقر ودفع الإحتياج الضـارب أطنابه في ساحة الرعايا. وعمّا قريب يحلّقون بمنطاد المساعي المشكورة إلى أجواء النجاح وينالون حينئذ الإستقلال الحقيقي، فنكون قد سعينا في تعمير بلادنا لنظلّ أصحاب الشوكة والإقتدار إن شاء اللّه.

٤ـ بذل مساعيكم وصرف هّمتكم إلى نشر العلوم وترويج الصنائع العصـرية التي حلّقت بواسطتها الأمم إلى أوج الترقّي. ومن البديهيّات المسلّمة أنّ الإيرانيين أكملهم إستعداداً وأحسنهم قابليّة، وقد كانوا في طليعة أمم العـالم ولهم السبق عليهم، وليس التأخّر الحالي الحاصل في المملكة، والذي أوصلها إلى هذا الحدّ من الفقر والبلاء، عدم إعتناء الأسلاف بتلك الأمور وميلهم إلى مصنوعات الأجانب حتى أوجب ذلك قهراً سريان الداء في جسم كل فرد من أفراد المملكة، فإحياء إيران فعلاً يدور على هذه النقطة المهمّة.

٥ـ الحذر كلّ الحذر من تدخّل الأجانب والعناية كل العناية في قطع دابر فتنتهم فإنّ البلاء مخيّم على تلك الأنحاء بسببهم، فلا ينبغي الإعتماد

عليهم إلى ما كان من إستجـلاب قلوب ملوكهم وعظمائهم مع المحافظة التامة على مودتهم، وليست هذه الديون الخطيرة الملقاة على عاتق الدولة إلّا نتيجة تدخّلهم. ومن اللازم على رجال إيران المحبّين لوطنهم إنتخاب الرجال الأكفّاء لإدارة السلطنة.

٦ـ بذل الجهد في نشر العدالة الحقّة والمساواة وذلك بأن يتساوى شخص السلطان نفسه وأضعف فرد من أفراد الرعيّة في الحقوق، وأحكام القانون الشرعي حاكمة على الجميع بلا إستثناء. فإذا ثبت قدم السلطان في هذا الأمر وقام بأعباء هذا التكليف يتمكّن جزماً من رقاب المعاندين، ويأتون أذلّاء صاغرين، وعندها يكون أساس العدالة محكمًا وليس لفظاً ووهماً.

٧ـ محبّة عموم الرعيّة والرأفة بهم، جلباً لقلوبهم وتنشيطاً لهممهم كي يرسّخ حبّك في قلوبهم.

٨ـ ينبغي مراجعـة تاريخ مشـاهير ملوك العالم والإحاطة بمعرفة الطرق التي نهجوها في نشر العلوم الدينية والمدنية حتى أحكموا إستقلال أممهم وزيّنـوا صفحات التاريخ بعظيم أفعالهم، حتى ضربت الأمثال بهم وأقيمت التماثيل لهم.

٩ـ ستنـكـشف لذّاتكم الملوكية عن مراجعـة تاريخ إيران بأنّ السلاطين الماضين سواء كانوا قبل الإسلام أو بعده، كانوا ممّن إنهمكوا في الملذّات وإتّبعوا الشهوات وصرفوا أعمارهم في اللهو واللعب، إقتفى رجال دولتهم آثارهم وسلكوا طرقهم فكانت نتيجة ذلك ضعف المملكة وذلّ الرعيّة وضياع الأموال وتبلبل الأحوال. أمّا من كان صارفاً نفسه عن الشهوات

وكان أكبر همّه المملكة وتربية الرعيّة ونشر العلوم والصنائع وتنظيم العساكر، تقدّم في زمن قصير على جميع الملوك. فالمأمول إن شاء اللّه تعالى من الذات الملكية، الإعراض كليّاً عن الطريقة الأولى السيّئة، والإحتراس من سلوك مسالكها المتردية، ولا شك بأنّكم تختارون الطريقة الثانية وتجعلونها نصب أعينكم، وعمّا قريب تحصلون على النتائج الحسنة إن شاء اللّه.

١٠ـ حفظ مقام العلم وتكريم حملته من العلماء العاملين والفقهاء المصلحين فإذا لا قدّر اللّه حصل التقصير بجزء من هذه الكليّات نكون قد تعرضنا للمهالك وذهبت الدولة من أيدينا، فنعضّ بنان الندم ولات حين مندم والسلام).

لم يعر محمد علي شاه إهتماماً للنصائح والتحذيرات التي كانت ترده من مختلف الجهات، وراح يصعّد من مضايقاته للمشروطة، فدبّر في شباط ١٨٠٩م محاولة إغتيال تستهدف حياته (الشاه نفسه)، ليتّخذ من هذه المحاولة الوهمية ذريعة في الإنتقام من رجال المشروطة، وبالفعل بدأ في حملته المضادة هذه، حتى بلغت ذروتها في ٢٣جمادى الأولى ١٣٢٦هـ (٢٣حزيران ١٩٠٨م)، حيث وجه قوات القوزاق الروسية بقيادة لياخوف لقصف مجلس الشورى بالمدفعية[٤٦].

حاول رجال المشروطة مقاومة هذا الهجوم المفاجىء، لكنّ مقاومتهم تلاشت بعد فترة وجيزة وتفرّقوا هرباً في أماكن مختلفة، وتمكّن بعضهم من اللجوء إلى السفارة البريطانية.

---

(٤٦) المصدر السابق، ص ١٦٧ ـ ١٦٨.

وقـد ألقي القبض على السيد محمـد الطباطبائي والسيد عبدالله البهبهـاني وتعرّضاً للضرب والتعذيب والإهانات الشنيعة. ثمّ نفي السيد الـطبـاطبائي إلى خراسان، بينما نفي السيد البهبهاني إلى كرمنشاه. وتمّ إعدام إثنين من كبار رجال المشروطة هما جهانكيز خان صاحب جريدة صور إسرافيل والميرزا نصر الله الأصفهاني خطيب المشروطة. وإستمرّت حملة الملاحقة والمطاردة والتنكيل تجري بشدّة ضد رجال وأنصار المشروطة، فتعطّل المجلس وسادت الحياة الإستبدادية في إيران(٤٧). وقد إستند محمد علي شاه في إنقلابه هذا على قوات القوازق الروسية الموجودة في إيران لدعم نظامه.

كان لهذا الحادث تأثير عميق في نفوس مراجع الدين والعلماء في النجـف الأشـرف وخصـوصاً الآخـوند الخراسـاني الذي كانت تـرده يومياً عشرات الرسائل والبرقيات من مناطق إيران، تشكو له الأوضاع المتأزّمة والملاحقة العنيفة للسلطة.

نتيجـة هذه الأحـداث نشط علماء الدين المؤيّدون للمشروطة في تحرّكهم السياسي ضد سلطة محمـد علي شاه. ووجـه كل من الآخـوند الخراساني والميرزا حسين الخليلي والشيخ عبدالله المازندراني من النجف الأشرف بياناً إلى الشعب الإيراني، أوجبوا فيه العمل لإسقاط الشاه:

(نعلن لعمـوم الشعب الإيراني حكم الله.. إنّ الهمّـة في دفع هذا السفّاك الجبّار والدفاع عن نفوس المسلمين وأعراضهم يعتبر اليوم من أهم

---

(٤٧) علي دواني، المصدر السابق، ص ١٧٣.

الواجبات، وأنّ دفع الضرائب للمسؤولين من أعظم المحرّمات، وبذل الجهد في تقوية وتدعيم المشروطة يعد بمنزلة الجهاد في سبيل إمام الزمان أرواحنا فداه، وإنّ أدنى مخالفة حتى لو كانت بقدر رأس الشعرة أو التهاون في ذلك يعتبر بمنزلة خذلانه ومحاربته صلوات اللّه وسلامه عليه، أعاذنا اللّه والمسلمين من ذلك إن شاء اللّه)[٤٨].

كان لهذه الفتوى صدى كبير في الأوساط العراقية والإيرانية على حدّ سواء. وظهرت آثارها في مختلف مناطق إيران، حيث تصاعدت حدّة المعارضة ضد محمد علي شاه بشكل خطير.

وقد وسع علماء الدين في النجف الأشرف من مساحة معارضتهم وتحرّكوا على الصعيد الدولي في هذا الخصوص. فبدأوا بالإتصال بالسلطان العثماني عبدالحميد الثاني يطلبون منه التدخّل لصالح الشعب الإيراني ضد الشاه[٤٩].

لكنّ هذا الموقف تغيّر فيما بعد عندما إنقلب السلطان عبدالحميد الثاني على الدستوريين من جمعية الإتحاد والترقّي. فطلب هؤلاء من الآخوند الخراساني التدخّل لصالحهم. وبالفعل أرسل برقيّة شديدة اللهجة إلى السلطان عبدالحميد، وكانت لشدّتها أن خاف موظّف البريد في النجف من إرسالها إلى إسطنبول، حتى حصل على تطمينات خطّية من الآخوند

---

(٤٨) وزارة التربية، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٤٩) عبدالهادي حائري، المصدر السابق، ص ١١٠، وكذلك: حسن معاصر، تاريخ إستقرار مشروطيّت در إيران، ص ٨١٠ـ٨١٢.

الخراساني. وصادف في تلك الأيام أن أقصي عبدالحميد من العرش [٥٠]، في ٢٦نيسان ١٩٠٩.

وقد أثار موقف الشيخ الخراساني هذا بعض العلماء، على إعتبار أنّ برقيّتـه قد تعرّضهم لمشاكل خطيرة، وربّما إنتقم السلطان عبدالحميد من مدينة النجف الأشرف. فأجابهم الشيخ: (ياجماعة لا تخافوا ولا تلوموني فقد إستخـرت اللّه فخـار لي ذلك وأنّه معنا وسينصرنا على القوم الكافرين، فطيبوا نفساً وخافوا اللّه فإنّه من ورائهم محيط)[٥١].

إنّ إعتماد علماء النجف على عبدالحميد الثاني ومن بعده محمد رشاد ضد الشاه محمد علي، إنّما كان نتيجة تقديرهم بأنّ الشاه إعتمد على الروس الكفّار في ضرب حركة الشعب الإيراني، وإنّهم يعتمدون على حاكم مسلم ضد الروس الكفّار من أجل إنقاذ هذا الشعب.

الإنتصار الثاني

إستمـرّ محمـد علي شاه في حملتـه ضد المشـروطـة وفي سياستـه الإستبدادية معتمداً على دعم الروس. وفي تشرين الأول ١٩٠٨م أصدر بيانه الخطير الذي جاء فيه:

(إنّي وإن كنت قد وعدت بأن يفتتح مجلسكم في ١٤تشرين الثاني ١٩٠٨م، إلاّ أنّ الأكثرية من أعضاء المجلس يلحّون على صرف النظر عن إفتتاحه. لذلك صمّمت على تحقيق رغبة الناس. لأنّ إفتتاح المجلس وتحقير

---

(٥٠) علي الخاقاني، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٥١) أغا نجفي قوجاني، المصدر السابق، ص ٤٧٦.

الإسلام شيء واحد)[٥٢].

ولّما بلغ هذا البيان مدينة النجف، ثارت نفوس العلماء، وكتب الآخوند الخراساني نيابة عن مجتهدي النجف وعلمائها رسالة بخطّه وتوقيعه إلى الشاه، وزّعت في جميع أنحاء إيران.. وقد كشف الآخوند في رسالته حقائق تاريخية مهمّة ووصف بعض المجتهدين الذين يرون مخالفة المشروطة للدين الإسلامي بأنّهم مرتزقة، ويبدو أنّ المقصود بكلمة (المجتهد) التي وردت في الرسالة هو الشيخ فضل اللّه النوري. ونورد هنا نص هذه الرسالة التاريخية:

(يامنكر الدين ويا أيّها الضال، والذي لا نستطيع أن نخاطبك بلقب شاه. كان المرحوم أبوك قد أعطى الدستور ليرفع الظلم والتصرّفات غير القانونية عن الشعب الذي كان في ظلام دامس قرون عديدة. حيث أنّه لا يوجد في المشروطة شيء يخالف الدين. وكنّا ننتظر من شجرة الدستور أن تثمر السعادة للشعب المظلوم، وأن يحفظ هذا الدستور بعد جلوسك على العرش. وعلى هذا الأساس إعترفنا لك بولاية العهد الدستورية. ولكنّك منذ اليوم الأول التي تبوّأت فيه عرش السلطة، وضعت تحت أقدامك جميع الوعود والأيمان، وعملت بجميع الحيل ضد المشروطة، وقد تجلى لنا خطأنا فيك. حيث سعيت أن تجعلنا آلة بيدك ضد المجلس، وحاولت أن ترشونا بقانون أساسي تافه نظّمته أنت، والذي كان فيه ضرر للناس، وأردت أن نصادق عليه، وأرسلت إلينا أحد رجالك المقرّبين لشراء ذممنا بالذهب،

---

(٥٢) حسن الأسدي، المصدر السابق، ص ٧٠.

ولست عالماً بأنّ سعادة الشعب أثمن كثيراً من ذهبك. إنّنا نظنّ أنّ البيان الذي نشرته لإحباط مساعي المشروطة كان بتأثير الأجانب، وكان كاتبه أحد المجتهدين المعادين للاسلام. فقد باع دينه وإيمانه ووجدانه بالمال، فهو من أتباع الشيطان، وإن تذرّع بالدين والشريعة، ونحن بأمر اللّه وإرادة الشعب وبإسم الشيعة المدافعين عن كرامتهم، نقول له: إنّ ذكرك للدين والشريعة كذب وهراء، أردت بهما إغفال البسطاء المتمسكين بالدين لتمنع الدستور، وتجعل الناس في ذلّ وفقر. وعلى هذا فأنت عدو للدين المقدّس وخائن للوطن، وتشبه السارق الذي سرق الناس بإسم الدين والشريعة.

وأما أنت أيّها الضال، فإنّنا نحن الروحانيّون نبلغك ونطلب إليك أن تنظر بدقّة، وأن تفكّر صادقاً بسعادة الشعب. وإلّا فسوف يرميك الشعب بالخيانة وبعمل المنكر، ويلعنك إلى الأبد. إعمل معروفاً ولو مرّة في حياتك، بأن تعطى الحرية للشعب المظلوم. إنّك أنت ومعك المجتهدون المرتزقة، عندما تدعون مخالفة المشروطة للشرع الشريف، إنّما تتجاهلون الحقيقة الدينية الأساس التي تقضي بأن تكون العدالة واجبة حتى في الأمور الجزئية. ونحن بحسب إطّلاعنا على البلاد التي تطبّق فيها الدساتير، نعلم أنّها تدار وفق قوانين عادلة. ونحن نقول بكل صراحة: ليس في المشروطة أيّة نقطة تخالف الدين الإسلامي، بل أنّها تتفق مع أحكام الدين وأوامر الأنبياء بخصوص العدالة ورفع الظلم عن الناس. فأترك سند الشيطان، وأنشر بياناً آخر فيه الحرية للناس. وإذا حصل تأخّر منك عمّا نطلب، فإنّنا سوف نحضر جميعاً إلى إيران ونعلن الجهاد ضدّك، فلنا في إيران أتباع

كثيرون. والمسلمون كثيرون أيضاً، إنّنا أقسمنا على ذلك)[٥٣].

في أوائل عام ١٩٠٩م رأى محمد علي شاه إنّ أفضل وسيلة لإرعاب الشعب، والقضاء على معارضته هي في دخول الجيش الروسي إلى آذربيجان تحت أي عنوان كان، حتى إذا إقتضى ذلك تسليم آذربيجان لروسيا[٥٤].

غير أنّ خطوة الشاه أعطت نتائج عكسية. حيث أثار دخول الجيش الروسي إلى إيران، مراجع الدين والعلماء في العراق، وبضمنهم أولئك الذين لم يكونوا حتى هذه الفترة قد حدّدوا موقفهم تجاه المشروطة مثل السيد إسماعيل الصدر والميرزا محمد تقي الشيرازي. بل أنّ السيد كاظم اليزدي الذي أثيرت حوله الكثير من الشكوك، وقف معارضاً خطوة محمد علي شاه، وشجب إحتلال الروس لإيران. وقد كتب السفير الإنكليزي في إسطنبول يقول:

(إنّ السيد كاظم اليزدي الذي لم يكن يتدخّل لحدّ الآن في السياسة وكما يقول عنه نظيري الروسي بأنّه يمتلك نفوذاً ملحوظاً في القفقاز، قد أرسل برقية إلى الشاه أعرب فيها عن أسفه لإحتلال الأراضي الإيرانية عسكرياً من قبل جيش أجنبي).

كما كتب ممثل الإنكليز في بغداد يقول:

(أبلغني المسيو ماسجوكوف ـ موظف الحكومة الروسية ـ أنّ الملا

---

(٥٣) المصدر السابق، ص ٧١ ـ ٧٢، نقلاً عن أحمد كسروي، تاريخ مشروطة إيران، وذكرها أيضاً عبدالحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، ص ٢٩٦، نقلاً عن محمد علي كمال الدين، التطوّر الفكري في العراق.

(٥٤) عبدالهادي حائري، المصدر السابق، ص ١١٢.

محمد كاظم الخراساني له نفوذ عظيم في باكو، بشكل جعل من باكو أعظم مراكز نفوذه الفتّاكة التي تجري فيها التبليغات الثورية، ويضيف بأنّ أكثر الشخصيات (الروحية) نفوذاً خارج باكو وسط المسلمين القفقاز هو السيد كاظم اليزدي، لهذا يقول: أنا أعتقد بأنّ الإلتفات إلى نقطة مهمّة هي أنّ السيد كاظم اليزدي لم يبتعد عن السياسة، لكنّه الآن يريد أن يستخدم نفوذه حتى يدفع الروس، وأنّ السيد كاظم اليزدي يحترم كثيراً هناك.. بناء على ذلك إذا كان يفكّر بوجوب الإشتراك في الأمور السياسية فمن الممكن أن يحرّك الثورات في القفقاز وإيجاد مشاكل وإضطرابات واضحة للدولة الروسية)[55].

لقد أثارت مواقف مراجع المسلمين وعلماء الدين في العراق، مخاوف الروس والإنكليز على حدّ سواء، ووجدوا أنفسهم يقفون في مواجهة مخاطر كبيرة. فالروس عاشوا هاجس تحرّك علماء الدين والمراجع وإعلانهم الجهاد ضدّهم في إيران. والإنكليز خافوا من تفاقم الأوضاع على نفوذهم السياسي، وساورتهم مخاوف إتّساع الإنتفاضة الجماهيرية، وربّما وصلت آثارها إلى الهند.

وعلى هذا عقد سفيرا روسيا وبريطانيا في طهران إجتماعاً مع الشاه في ٢٢نيسان ١٩٠٩م، وقدّما له بياناً يطلبان فيه إعلان نظام المشروطة من جديد وأن يبدأ بالإصلاحات. ووعدا الشاه في نفس البيان، بأنّه بمجرّد شروعه في الإصلاحات وإعلانه نظام المشروطة، فإنّ روسيا وبريطانيا لو

---

(٥٥) المصدر السابق، ص ١١٣ ـ ١١٦.

رأتـا الصـلاح، فإنّ كلّ واحـدة منها ستدفع مبلغاً يعادل مائة ألف ليرة إنكليزية من أجل الإصلاحات لتكون في خدمة إيران[٥٦].

وقد وعد محمد علي شاه بإعادة نظام المشروطة، وأرسل برقيات إلى علماء الدين في العراق يقول فيها أنّه أعاد المشروطة إلى إيران. غير أنّ العلماء رفضوا ذلك ولم يقتنعوا بكلام الشاه، وطالبوا بأن يكون الإجراء عملياً[٥٧].

لم يعد بالإمكان السيطرة على موقف المرجعية في النجف الأشرف، فقد كانت المرجعية الدينية تتصدى بقوّة لحركة المعارضة الإسلامية، وتتعامل مع الإحتلال الروسي لإيران على أنّها مسألة غير قابلة للمساومة، وهو ما جعل الأمة الإسلامية في إيران والعراق، تتعامل مع المسألة على أنّه قضية إسلامية تمس المسلمين. وهو الذي جعل روسيا وبريطانيا تتابعان بدقّة سير الأحداث وما يصدر من المراجع وكبار العلماء في العراق من تصريحات وبيانات.

كانت هناك محاولات ضغط على العلماء في العراق لحملهم على قبول وعد الشاه، والتعاون معه، وإقناع رجال المشروطة بذلك. وقدّم إليهم سفراء روسيا وبـريطانيا بيانـاً يتضمّن إعـادة الشاه لنظام المشروطة، وضرورة تعاونهم معه في هذا الخصوص، غير أنّ علماء الدين لم يعيروا البيان إهتماماً يذكر، وواصلوا شجبهم للاحتلال الروسي[٥٨].

---

(٥٦) المصدر السابق، ص ١١٤.

(٥٧) وزارة التربية، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٥٨) عبدالهادي حائري، المصدر السابق، ص ١١٦.

كان موقف المـراجـع والعلماء في العراق قاطعاً حاسماً، أنّه يقضي بضرورة التحرّك إلى إيران ومحاربة القوات الروسية.

أعلن الآخوند الخراساني الجهاد، وطلب من عشائر المنتفق وآلـبو محمد وربيعة وتميم وشمر والأقرع وبني حسن وغيرهم بالتوجه إلى الجهاد لمحاربة الروس في إيران. وإستجابت لهذه الدعوة مدن النجف وكربلاء والكـاظمية وبغداد وغيرها من مدن العراق وسارت مع الآخوند كتائب المجـاهدين بالآلاف في حماس كبير وإندفاع صادق[٥٩]، من النجف إلى الكاظمية في طريقهم إلى إيران. وخرج معه أيضاً علماء الدين والمجتهدون، وكان معهم أيضاً السيد كاظم اليزدي[٦٠].

نصبت خيام المجـاهـدين في ظاهـر الكاظمية وكانت على إمتداد فرسـخ كامـل. وقـد حضر لمشاهدة حركة الجهاد المسؤولون العثمانيون وقناصل الدول الأجنبية، وكان بينهم القنصل الروسي الذي ظهرت عليه علامات الخوف والإضطراب، كما كان معهم حوالي خمسين ألف جندي من الجيش العثماني.

خرجت العشـائر العراقية من أطراف الكاظمية في عشرة آلاف مجاهد لإستقبال الآخوند الخراساني في المحمودية، وهناك وصلهم خبر عدم مجيء الآخوند، لأنه تلقى خبراً من إيران بسقوط محمد علي شاه وإنسحاب القـوات الروسية من إيران. وقد رأى الشيخ عبداللّه المازندراني أنّ من

---

(٥٩) عبدالحسين مجيد كفائي، المصدر السابق، ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٦٠) آغا نجفي قوجاني، المصدر السابق، ص ٤٦٨.

الضروري الطلب من الشيخ الخراساني بعدم التحرّك إلى إيران، لما قد يترتّب على ذلك من مخاطر طالما إنسحب الروس [٦١].

وفي نفس الفترة كانت الجماعات الثائرة من أنصار المشروطة في إيران، تتجه من عدّة مناطق إيرانية بإتجاه طهران.

دخلت قوات أنصار المشروطة إلى طهران في ١٢تموز ١٩٠٩م وخلعوا محمد علي شاه الذي هرب إلى السفارة الروسية، ونصبوا محلّه إبنه أحمد البالغ من العمر ١٢ عاماً[٦٢]. وبهذا الحدث تكون المشروطة قد إنتصرت ثانية في إيران، وأعيد نظامها إلى الحياة السياسية.

سرقة الثورة

إنّ الإنتصار الذي حققه أنصار المشروطة والذي جاء نتيجة تبنّي علماء الدين في العراق، لم يكن في حقيقته نصراً لحركة المشروطة أو لعلماء الدين. إنّما كانت النتيجة غير ذلك بكثير. لقد ضاعت عند هذه النقطة جهود العلماء، وسرقت الثورة منهم في يوم إنتصارها.

ولكي تتضّح هذه الحقيقة لا بدّ من إيضاح المخطط المشترك بين روسيا وبريطانيا في الإلتفاف على نهضة العلماء وثورة الشعب الإيراني.

فبعد أن أدركت كلّ من روسيا وبريطانيا، أنّ مراجع الدين في العراق أصدروا فتوى الجهاد، وتوجهوا بعشرات الآلاف من المجاهدين العراقيين إلى إيران، قرّرت الدولتان الإستعماريتان الإلتفاف على الثورة

---

(٦١) المصدر السابق، ص ٤٦٨ ـ ٤٧٠.

(٦٢) يار شاطر، دانشنامة إيران وإسلام، ص ١٢٨١.



والسيطرة على حركتها.

كان للروس والإنكليز في إيران عمـــلاء من الإقــطاعيين وكبــار الملاكين، فإتّصل الروس بأحد عملائهم وإسمه محمد ولي خان التنكابني (سبهدار أعظم)، وكان هذا من أعداء المشروطة، لكنّه إستطاع أن يخدع أهالي كيلان خلال إنتفاضتهم ضد محمد علي شاه. وتمكّن أن يقود القوات الكيلانية الزاحفة نحو طهران.

كما إتصـل الإنكليز من خلال علاقــاتهم ببعض رجــال القبــائل البختيارية برجـل يدعى علي قلي خان (سـرداد أسعد البختياري) وهو شقيق الخان البختياري، وكان قد جاء حديثاً من فرنسا، فإلتحق بالثوار بعـد سقوط إصفهان وتزعّم زحفهم نحو طهران[٦٣]. وهاتان القوّتان هما اللّتان دخلتا طهران، وأسقطتا محمد علي شاه. وقد راح قادة هذا التحرّك يرتّبـون الأوضـاع السياسية، وسيطروا على الأوضاع العامة بشكل تام. وهكذا ضاعت الثورة من أيدي مراجع الدين، وعادت الأمور ثانية إلى الأيدي الإستعمارية التي كادت أن تفقد نفوذها ومصالحها في إيران والمنطقة.

أول عمل قامت به السلطة الجديدة هي إعدام الشيخ فضل اللّه النوري، بحجّة أنّه كان من مؤيّدي الشاه وضد فكرة المشروطة وهو الحدث الذي كان بمثابة الصدمة العنيفة لقادة المشروطة وكافة علماء الدين. فلم يكونوا يتصوّرون أن تصل الأمور إلى هذا المستوى الخطير. وقد إنقلب الكثير من أنصار المشروطة إثر هذا الحادث عليها، وأدركوا أنّ الحركة قد

---

(٦٣) وزارة التربية، المصدر السابق، ص ٨٧ ـ ٨٨.

إنحرفت، وأنّها تسير في مسار خاطي.ء

لقد بذل الشيخ النوري جهوداً مضنيـة من أجل الحفاظ على سلامة الحـركة، وتنبّه منذ البداية إلى أنّ هناك من يريد إستيعابها وإبعادها عن النهج الإسلامي، فتصدى لمحاولات الإنحراف بقوّة، وخلال تصدّيه لم يكن معارضاً للمشروطة، إنّما كان يعارض بوادر الخطأ ومواضع الإنحراف. فبعد تأسيس مجلس الشورى لاحظ الشيخ النوري وصول ذوي الميول الغربية وأعداء الإسلام إلى المجلس، فبذل جهوده لجعل المجلس إسلامياً بقراراته وأسسه. وهو في ذلك لم يعارض المشروطة كما قال حين سئل عن موقفه: (إنّني واللّه لا أخاف المشروطة، ولكنّي أخاف الأشخاص عديمي الدين الضالّين يريدون أن يوجّهوا ضربةً للاسلام)[٦٤].

وفي إحـدى المنـاسبات، إعتصم الشيخ النوري في حضرة السيد عبدالعظيم إحتجاجاً على إنحراف المشروطة، وكتب يقول: (... مع هذه اللافتات التي كتبتم فيها تعيش المساواة وتحيا، ويعيش كذا وكذا. ماذا لو كتبتم هذه اللافتة أيضاً: تعيش الشريعة وتحيا، يعيش القرآن ويحيا، يعيش الإسلام ويحيا)[٦٥].

أعدم الشيخ النوري في ١٣رجب ١٣٢٧هـ (٣١تموز ١٩٠٩م)[٦٦]، وأصدر حكم الإعدام مدير الشرطة وهو أرمني يدعى يبرم[٦٧]. وتمّ الإعدام

---

(٦٤) علي دواني، المصدر السابق، ص ١٥٠.

(٦٥) وزارة التربية، المصدر السابق، ص ٩٥.

(٦٦) علي دواني، المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٦٧) ورد الإسم في بعض المصادر (بيرم) وفي بعضها الآخر (يبرم).

شنقاً في ميدان المدفعية بطهران[٦٨].

بعد إعدام الشيخ النوري، واجه علماء الدين الذين قادو المشروطة إلى الإنتصار، الواقع الجديد بصورته الحقيقية، وأدركوا أنّ الثورة التي إنتصرت ليست تلك التي أرادوها. وقد وجّه الشيخ الخراساني والشيخ المازندراني نقدهما إلى المجلس حول عدد من الأمور التي تخالف الإسلام، وأعلنا عدم رضاهما عن الشخصيات غير الإسلامية الموجودة في المجلس، وعن الضرائب الثقيلة وعدم إطلاق سراح السجناء السياسيين وغير ذلك من المؤاخذات[٦٩].

لم تمض فترة طويلة حتى تكشّفت للجميع أنّ الجهود التي بذلت خلال السنوات الماضية قد ضاعت تماماً، وأنّه لم يبق من ذلك النضال المرير سوى التاريخ فقط. أما الثورة فإنّها سارت في طريق آخر، وإمتلك زمام الأمور رجال منحرفون عن الإسلام. ونتيجة لهذه الصدمة فقد سحب المراجع والعلماء أيديهم من المشروطة، حيث يروى أنّ الشيخ محمد حسين النائيني كان حريصاً على جمع كتابه الذي أصدره خلال أحداث المشروطة (تنبيه الأمة وتنزيه الملّة في وجوب المشروطة).

وحدث خلال إنقلاب علماء الدين في موقفهم تجاه المشروطة أن أغتيل السيد عبدالله البهبهاني أحد قادة المشروطة البارزين في إيران بعد أن غيّر موقفه تجاهها لما وجد فيها من إنحراف[٧٠]. وقد أغتيل في منزله

---

(٦٨) علي دواني، المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٦٩) عبدالهادي حائري، المصدر السابق، ص ١٥٩.

(٧٠) الشيخ محمد حرز الدين، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ١٧ـ١٨.

بطهران مساء أحد أيّام شهر شعبان ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)[٧١]، وأتّهم بإرتكاب الحادث أحد أعضاء مجلس الشورى يدعى حسن تقي زاده[٧٢].

وبـذلك يكون إثنان من كبار المجتهدين قد قتـلا على يد رجال المشروطة إضافة إلى عدد آخر من العلماء، وحين نقول رجال المشروطة، فإنّما نقصد أولئك الذين توغّلوا في صفوف التحرّك الجماهيري، وعملوا على حرفه.

إنّ تجربة المشروطة واحدة من أهم التجارب في التاريخ الإسلامي المعاصر، ولكنّها للاسف تكررت في فترات لاحقة بشكل مشابه في النتائج دون أن يستفيد منهـا مفجّـروها، حيث كانت السرقة هي نتيجة الجهود والعطاء التي يقدّمها رجال التحرّك، والمثال الواضح في هذا المجال، هو ثورة العشرين الإسلامية.

لقد كان لحركة المشروطة تأثير كبير على المجتمع العراقي، حيث أنّ الإهتمام بها لم يكن في مناطق العتبات المقدسة فقط، بل أنّ بغداد أيضاً كانت تتابع عبر صحافتها وبإهتمام ملحوظ أحداث الحركة[٧٣]. وكان أكبر مصداق لتأثّر الشعب العراقي بأحداث المشروطة، هو إستجابة العشائر العـراقية وسكّـان العديد من المدن لفتوى الجهاد التي أصدرها الآخوند الخراساني، كما سبقت الإشارة. وهي مسألة ذات دلالات كبيرة، لأنّها أثبتت

---

(٧١) عقيقي بخشايشي، يك صد سال مبارزه روحانيت مترقي، ص ١٠٣. وكذلك مهدي ملك زاده، إنقلاب مشروطيّت، الجزء السادس، ص ٢١٢ـ٢١٩.

(٧٢) عبدالهادي الحائري، المصدر السابق، ص ١٥٩.

(٧٣) د. عبدالله الفيّاض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٩٦.

قوّة الإرتباط المبدئي للأمة في العراق بموقف المرجعية الدينية، وتجاوزها للمسألة الأقليمية أو القومية بشكل كبير. وهو موقف يكشف عن عمق في الـوعي الإسلامي. وقد تكرّرت هذه الظّاهرة بعد فترة قليلة من هذا التاريخ كما سيأتي الحديث إن شاء اللّه تعالى في الصّفحات القادمة.

الفصل الثالث

موقف الحركة الإسلامية
من الإعتداءات على
بلاد المسلمين ١٩١١م - ١٩١٣م

قوّة الإرتباط المبدئي للأمة في العراق بموقف المرجعية الدينية، وتجاوزها للمسألة الأقليمية أو القومية بشكل كبير. وهو موقف يكشف عن عمق في الـوعي الإسلامي. وقد تكرّرت هذه الظّاهرة بعد فترة قليلة من هذا التاريخ كما سيأتي الحديث إن شاء اللّه تعالى في الصّفحات القادمة.

الفصل الثالث

موقف الحركة الإسلامية من الإعتداءات على بلاد المسلمين ١٩١١م - ١٩١٣م

هل كان إهتمام المرجعية الدينية والعلماء في العراق بأحداث المشروطة الإيرانية، إنطلاقاً من إنتمائهم الأقليمي لإيران. أم أنّ الدافع الإسلامي هو الذي حرّك مواقفهم السياسية؟.

الإجابة على هذا السؤال لها أهميّة خاصة بإعتبارها تمثّل الأساس الذي يستند إليه الموقف المرجعي في تفاعله مع القضايا الإسلامية المصيرية، ومدى تطابق هذا الأساس مع الجانب النظري للمسألة والذي يقضي بأنّ المرجعية الدينية قيادة إسلامية عامة تهتم بكل شؤون المسلمين بعيداً عن الواقع الجغرافي والإنتماء الأقليمي والقومي.

حين نتأمّل مواقف المرجعية تجاه الأحداث الكبيرة في فترات زمنية مختلفة، فإنّنا نستطيع القول وبثقة أنّ المرجعية الدينية تجاوزت الحدود الأقليمية والإنتماءات العرقية. وتعامل رجالها مع الأحداث وفق القواعد الإسلامية الثابتة. فلم يكن الشكل الإيراني لحركة المشروطة، ليمنع علماء الدين العراقيين من التدخّل في مجريات الأحداث، وإبداء الرأي فيما يتعلّق بالموقف إزاء ما يجري في إيران، فكان يساند الآخوند الخراساني في دعمه

وتبنّيه للحركة عراقيون من علماء وغيرهم مثل الشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ عبدالكريم الجزائري والسيد أحمد الصافي.

كما عارض الإندفاع السياسي غير المدروس للحركة وساند السيد كاظم اليزدي في هذا الموقف، علماء عراقيون أيضاً مثل الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ أحمد كاشف الغطاء. والمعارضة هنا لا تعني إبتعاداً عن الحركة السياسية، إنّما هي موقف محدد تجاه الحدث، صادر من الإهتمام به ومواكبة مجرياته وتطوراته.

كما أنّ المراجع والعلماء الإيرانيين في العراق، لم يهتموا بالمشروطة لكونها مسألة إيرانية، إنّما إنطلقوا في تبنّيها من دافع رفع الظلم عن شعب مسلم يرتبط بهم عقائدياً، وبإمكانهم التأثير على الأوضاع الإيرانية العامة، إستناداً للقوة الدينية والإجتماعية والسياسية التي تتمتّع بها المرجعية. فكان إهتمامهم بالمشروطة بمثابة الدفاع عن إطروحة سياسية تمتلك مواصفات العدالة، كما هي نظرة الآخوند الخراساني والشيخ عبداللّه المازندراني والميرزا حسين النائيني وغيرهم. ومن هنا نلاحظ أنّ الآخوند الخراساني لم يدافع عن الحركة الدستورية في إيران فحسب، بل أنّه وقف يناصر نظيرتها في تركيا.

وسنقرأ في هذا الفصل أنّ مراجع الدين من العراقيين ـ مثل الشيخ مهدي الخالصي ـ وقفوا بشدّة ضدّ الإحتلال الروسي لإيران، وأرادوا مواصلة الجهاد بعد الوفاة المفاجئة للآخوند. وكانوا في هذا المسعى أكثر تفاعلاً من مراجع الدين الإيرانيين، حتى أنّهم إصطدموا بالموقف الحيادي للسيد كاظم اليزدي تجاه دعوة الجماهير لمحاربة روسيا.

ونلاحظ أيضاً أنّ المراجع وعلماء الدين الإيرانيين إهتموا بالإحتلال البريطاني للعراق، وتوجّهوا إلى ساحات القتال إلى جانب المراجع وعلماء الدين العراقيين. فكان موقف المرجعية موحداً في جهاد الإنكليز والدفاع عن العراق، كما سيأتي بنا في فصل قادم إن شاء اللّه.

وفي هذا الصدد أيضاً نرى أنّ هناك مواقف كبيرة تجاوزت حدود العراق وإيران، لتشمل أيّة قضية إسلامية أخرى، مثلما حدث في الإحتلال الإيطالي لليبيا عام ١٩١١م. حيث وقف العلماء بقوّة إلى جانب الدولة العثمانية في الدفاع عن ليبيا.

لا نريد أن نستعجل التسلسل الزمني للوقائع والأحداث في محاولة إعطاء الإجابة على السؤال السابق، فهذا ما سينكشف بشكل أوضح خلال البحوث القادمة من الكتاب. لكن الذي نؤكّده هنا أنّ الموقف الذي كانت تتخذه المرجعية إنّما كان ينطلق من الموازين الشرعية ومن الأسس الإسلامية، بعيداً عن التأثير الأقليمي والوطني.

صحيح أنّ الإهتمام بشؤون الأقليم الذي ينتمي إليه العالم أو المرجع قد يأخذ حجماً خاصاً، ويظل على تماس مع أحداث وطنه، لكنّ ذلك لا يعني عزلته عن قضايا المسلمين الأخرى، لأنّه لو إنعزل عنها لفقد صفته الإسلامية الحقيقية العامة، ولأصبح مثل أي سياسي آخر يتحرّك بدافع القومية، وتحت تأثير الضغط العاطفي للمشاعر الأقليمية.

في هذا الفصل نحاول تسليط الأضواء على حدثين مهمين يتعلّقان بالتدخل الأجنبي في بلاد المسلمين، وموقف المرجعية وعلماء الدين في العراق تجاه كل واحد منهما.

الأول: الإحتلال الروسي لإيران عام ١٩١١م.

الثاني: الإحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب (ليبيا) في نفس الفترة.

وفي كل واحد من هذين الحدثين كانت إستجابة الشعب العراقي إستجابة سريعة وواعية، وهي مسألة ذات أهمية كبيرة بلحاظها الزمني. على إعتبار أنّ الإهتمام بشؤون المسلمين خارج الدائرة العراقية وبالحماس الذي حصل، إنّما يدلّ على توافر الشعب العراقي على مقوّمات الوعي السياسي والفهم الإسلامي الصحيح للأحداث والمواقف. خصوصاً وأنّ الإستجابة لم تكن عاطفية مجرّدة، بل كانت عطاء حقيقياً قوامه الجهد والمال والأنفس، في الوقت الذي كانت فيه الظروف الحياتية والمعيشية في العراق قاسية وشاقة. كما أنّ الشعب خاض تجارب الحروب المؤلمة للدولة العثمانية والتي كلفته الكثير من الضحايا والتبعات، وكانت حتى تلك الفترة شاخصة في الأذهان وعميقة في النفوس. ومع كل تلك الصعوبات، تجاوز الشعب العراقي الأزمات العاطفية والمشاكل الحياتية، وإنطلق ملبياً نداءات الجهاد التي صدرت عن مراجعه وعلمائه.

إحتلال طرابلس

في ٢٩أيلول ١٩١١م أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية، فأثار هذا الإعتداء مشاعر المسلمين في العراق[1]. وكانت الإستجابة سريعة وفاعلة، فقد أصدر علماء الدين السنة والشيعة فتاواهم بوجوب الجهاد

---

(١) مجلة لغة العرب، العدد الخامس، شوال ١٣٢٩، تشرين الثاني ١٩١١م.

ومحاربة الإحتلال الإيطالي. وتشكلت في جميع أنحاء العراق لجان للدفاع عن ليبيا من السنة والشيعة، ولعب الشيعة فيها دوراً متميّزاً، رغم أنّ المعاملة التي كانوا يتلقونها من السلطة العثمانية كانت سيّئة للغاية وتتميّز بروح طائفيّة بغيضة. فمثلاً تبرّع الشيخ مبدر الفرعون رئيس آل فتلة بمبلغ خمسمائة ليرة وأعرب عن إستعداده للاشتراك في القتال، مع أنّه كان معتقلاً[٢] لدى السلطات العثمانية.

وفي كربلاء عقد الأهالي إجتماعاً عاماً عند ضريح الإمام الحسين عليه السلام وألقيت الخطب الحماسيّة، ثم جرى جمع التبرعات. وفي ١٢تشرين الأول ١٩١١م، تظاهر ما يقارب الألفين من الأهالي، ثم إحتشدوا عند ضريح الإمام الحسين عليه السلام حيث ألقيت الخطب.

وشهدت مدينتا النجف الأشرف وسامراء تظاهرات مماثلة خلال يومي ١١ و١٧ تشرين الأول، ألقيت فيها الخطب الحماسية ودعا الخطباء إلى نبذ الخلافات الطائفية وتوحيد الجهود[٣].

لقد إهتمّ الشعر العراقي بالإحتلال الإيطالي، وبرز الشعراء ينظمون قصائدهم في هذا الخصوص. مما يعكس حجم الإهتمام بهذه المسألة. فقد نظم الشيخ علي الشرقي قصيدة بعنوان (يابلادي) منها قوله:

ما لروما فلا إستوى عرش روما   فتلت ذيلها وعجّت نباحا

جبنت عن نضال كلّ قوي   فأغارت على الزوايا إكتساحا

(٢) د. علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث، ص ١٨٨.

(٣) د. وميض جمال عمر نظمي، شيعة العراق وقضية القومية العربية.. الدور التاريخي قبيل الإستقلال، مجلة المستقبل العربي، آب ـ تشرين الأول ١٩٨٢.

نطحت برقة وبرقة واحاتٌ من النخل ما عرفن النطاحا
ورمال الصحراء لا ترهب الأشباح إن جلن جيئة ورواحا[٤]

وللشيخ محمد باقر الشبيبي قصيدة يقول فيها:

فيا إيتاليا إعتقدي بإنّا سننشرها بأجنحة الظليم
ونضرب بالسيوف لكم رقاباً ونحمي بالدفاع حمى الحريم
سننشئها بواخر طائرات تسيّر بالبخار وبالسديم
فلو سلّت سيوف القوم منّا لفرّقت الرؤوس عن الجسوم
سلوا إن شئتم اليونان عنّا وإن شئتم سلوا حرب الصريم
نصول بكلّ هدّارٍ هزبرٍ إذا إشتدّ الوغى أسد هجوم
نذبّ عن الحقيقة في حماها ونحمي حوزة الوطن القديم[٥]

كانت مساهمة الأوساط العلمية الشيعية قويّة في الدفاع عن ليبيا. ولم تكتف بالدعم المعنوي. حيث أرسلت الهيئة العلمية شخصين إلى ليبيا للاستطلاع ودرس إمكانية الإشتراك في حركة الجهاد، هما السيد مسلم زوين وعزيز بك قائمقام النجف، فسافرا إلى طرابلس ومنها إلى إسطنبول[٦].

أرادت دول البلقان إغتنام فرصة إنشغال الدولة العثمانية بحرب طرابلس لكي تعلن الحرب عليها، وكانت المفاوضات تجري سراً بين الدول

---

(٤) علي الخاقاني، شعراء الغري، الجزء السابع، ص ٣٤.
(٥) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٤٣٠.
(٦) عبدالحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق.. الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤)، ص ١٥١.

البلقانية في هذا السبيل. وقد أدركت الحكومة العثمانية ذلك، ورأت من الضروري أن تعقد الصلح مع إيطاليا لكي تتفرّغ للحرب المتوقعة مع دول البلقان. ووقّعت معها معاهدة الصلح في تشرين الأول ١٩١٢م، حيث تخلّت الدولة العثمانية عن طرابلس وبنغازي لإيطاليا، ولم يحتفظ السلطان العثماني إلّا بحق تعيين الموظفين الدينيين في ليبيا[٧].

ومما يلفت النظر في هذا الشأن أنّ دول البلقان أعلنت الحرب على الدولة العثمانية قبل يوم واحد من التوقيع على معاهدة الصلح. وشرعت جيوش بلغاريا واليونان وصربيا والجبل الأسود تهاجم الحدود العثمانية، كلّ جيش من جبهته الخاصة حسب خطّة موحّدة متقنة[٨].

وللشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قصيدة طويلة، عنوانها بعد حرب الطليان والبلقان نختار منها:

سل لدى الحرب ألسن النيران   عن صنيع الإنسان بالإنسان
أو سل الأرض ما جرى فسيول الـ   ـدم فيها هدّارة بالبيان
أو سل الشرق ما لقيت من الـ   ـغرب وعدد غرايب العدوان

وبعد أن يستعرض مآسي الحرب وويلاتها وآثارها الإجتماعية المدمّرة يقول:

أيّها المسلمون هبّوا فليس الـ   ـموت إلّا حياتكم بهوان
قد دهاكم ويل فماذا التمادي   وأتاكم سيل فماذا التواني

---

(٧) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٦٠١.
(٨) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٥٠.

جاءكم جارف من الغرب تيّار | يهدّ البناء رأس المباني
أفيرجو الإسلام لقيان سلم | بعد حرب الطليان والبلقان
يتشكّى المراكشي إغتصاباً | وكشكواه يشتكي العثماني
وإذا ولّولته طرابلس في الغرب | أتاها العويل من إيران[9].

الإحتلال الروسي لإيران

سبق لروسيا أن سيطرت على إيران عسكرياً لدعم سلطة محمد علي شاه. لكنّها إنسحبت إثر إعلان الآخوند الخراساني فتوى الجهاد وما أعقب ذلك من خلع محمد علي شاه وإنتصار المشروطة ـ كما سبقت الإشارة ـ.

غير أنّ الإحتلال الروسي تجدد ثانية، وإتّخذ هذه المرّة شكل الإحتلال الإستعماري، وليس مساعدة الشاه. حيث تذرّعت روسيا ببعض الحجج الإقتصادية وفرضت على إيران شروطاً قاسية، جعلت الإستجابة لها السبيل الوحيد لإنسحابها من المناطق التي إحتلتها. وقد تمّ الإحتلال الروسي لشمال إيران في كانون الأول ١٩١١م[10]. وإن كان الهجوم الروسي قد بدأ قبل هذا التاريخ.

في ٥ كانون الأول ١٩١١م، وصلت برقية رئيس مجلس الشورى الإيراني إلى مراجع وعلماء الدين في العراق، تبلّغهم التهديد الروسي وإحتلال مدينة قزوين.

---

(٩) علي الخاقاني، المصدر السابق، الجزء الثامن، ص ١٧٩ ـ ١٨٠.
(١٠) إيوان الكسيفيج زينويف، إنقلاب مشروطيت إيران، ترجمة أبو القاسم إعتصامي، ص ١٥٧.

وقد شهدت النجف الأشرف إهتماماً متزايداً بالإحتلال الروسي، حيث كان حديث النـاس في المجـالس والأسـواق والصحن الحيدري الشـريف وحضـرته المطهّرة. وعقد العلماء والمجتهدون إجتماعات عديدة وعطّلوا الدروس وصلاة الجماعة[11]. وهو إجراء يتّخذه العلماء في الظروف الحساسة والمواقف الخطيرة، إشارة إلى إهتمامهم بالحدث، وكان ذلك بمثابة الإجراء العملي الأول على الساحة العراقية والذي ساهم بشكل فاعل في تزايد الإهتمام الجماهيري بما يحدث في إيران، وإنشداد الأمة في العراق لمسألة العدوان الروسي.

لم يكن التفاعل مع أحداث إيران عاطفياً ساذجاً، بل كان تفاعلاً واعياً، حيث نظرت الأوسـاط الإسلامية إلى الإحتلال الروسي على أنّه عدوان يستهدف الإسلام، ويجرح مشاعر المسلمين، لذلك كانت ملاحقتهم للتـطورات تنـطلق من موقـع المسؤولية والتحسس، وليس لمجـرّد معرفة الأخبار السياسية لبلد مجاور. وقد دفعهم هذا الإهتمام إلى اللجوء للمرجعية الدينية، لمعرفة القرار الصادر عنها بهذا الشأن. لكنّ المرجعية كانت منقسمة آنذاك.

فبعد أحداث المشروطة وتشكيل المجلس النيابي في إيران وإقرار الدستور وما أعقب ذلك من تطوّرات خطيرة مثل إستشهاد الشيخ فضل اللّه النـوري. ظلّ الشـرخ قائـماً بين صفـوف المـرجعية وعلماء الدين، وبالتحديد بين الآخوند الخراساني والسيد اليزدي. وهما أبرز المراجع في تلك

---

(١١) مجلة لغة العرب، العدد السابع، كانون الثاني ١٩١٢م.

الفترة.

إنّ الفجوة بين هذين المرجعين، كانت تشير إلى عدم إمكانية تحقيق خطوة عملية كبيرة ضد الإحتلال الروسي، على إعتبار أنّ الموقف الإسلامي تجاه المسألة الإيرانية لا بدّ أن يكون موحداً، وأنّ تجزئته تعني إضعافه. وإنطلاقاً من هذه الرؤية، حاول السيد إسماعيل الصدر وشيخ العراقين، إصلاح ذات البين، وإعادة التفاهم والعلاقة الوديّة بين الآخوند الخراساني والسيد اليزدي. وقد أظهر الآخوند تجاوبه السريع، غير أنّ السيد اليزدي رفض ذلك، ويبدو أنّ السبب المهم وراء موقفه هذا هو علاقة الآخوند بالحكومة الدستورية في إيران. ففي إجتماع عقد في النجف الأشرف بتاريخ ٨كانون الأول ١٩١١م حضره السيد إسماعيل الصدر وشيخ العراقين والسيد محمد نجل السيد كاظم اليزدي، وقد دار الحديث حول إمكانية إعادة العلاقة بين السيد اليزدي والشيخ الخراساني. وأظهر السيد محمد اليزدي تشدداً في هذا السبيل حتى قال:

(مادام المشايخ لا يرفعون أيديهم عن المجلس ولا يتخلّون عنه فإنّ السيد هو الآخر لا يتخلّى عن الشاه)[١٢].

ويبدو أنّه كان يقصد من حديثه، أنّ اللقاء لا يحدث بين المرجعين طالما أنّهما يختلفان في الرؤى السياسية. فالسيد اليزدي يرى في مجلس الشورى الإيراني وفي المشروطة بشكل عام خلافاً لقناعاته، وأنّه يرى أنّ نظام الشاه المخلوع محمد علي أفضل منها، وبذلك فهو يتعارض في قناعاته

(١٢) نظام الدين زاده، هجوم روس به إيران زمين، ص ٣٠.

مع قناعات الشيخ الخراساني، ومالم يتنازل الخراساني عن موقفه، فإنّ اللقاء لا يمكن أن يحصل. فكان القرار أن يمضوا في طريقهم دون الإعتماد على دعم وتبنّي السيد اليزدي. وهو ما حدث بالفعل.

على ضوء النتيجة السابقة، أخذ علماء الدين يتدارسون الموقف مع الشيخ الخراساني الذي تحوّل منزله إلى ملتقى عام، تعقد فيه الإجتماعات المتواصلة، وتطرح خلالها سبل مقاومة الإحتلال الروسي. في الوقت الذي كانت فيه مشاعر المسلمين تزداد حماساً في هذه القضية، ويقومون بتظاهرات كبيرة يعربون فيها عن تفاعلهم الكبير مع أحداث إيران.

ومن تلك التظاهرات، واحدة ضمّت طلبة العلوم الدينية في النجف الأشرف وكانت تظاهرة كبيرة، توجهت إلى منزل الآخوند الخراساني، حيث كان يجتمع هناك كبار العلماء والمجتهدين. وقد ألقيت الخطب الحماسية، وتحدّث الخطباء عن الآثار الوخيمة التي ستلحق بالإسلام والمسلمين من جراء الإحتلال الروسي. ثم تحدّث العلماء المجتمعون في المنزل، وذكروا للمتظاهرين: إنّهم مستعدون جميعاً للتحرّك، ولهذا السبب يجتمعون في هذا المكان للخروج بالقرار المطلوب، وإعلان التكليف الشرعي وما تقتضيه الضرورة.

خلال الإجتماعات التي عقدها المجتهدون في النجف الأشرف، تمّ الإتفاق على المقررات التالية:

١ـ أن يتحرّك للجهاد نحو إيران كافة علماء النجف وطلبة الحوزة العلمية والعشائر العراقية.

٢ـ إرسال البرقيات إلى رؤساء العشائر والمناطق (في إيران)

ليستعدّوا للقيام بالإجراءات الكفيلة بحفظ إستقلال إيران والتأهّب للدفاع عن وطنهم.

٣ـ إبلاغ كافة المسلمين في الهند والقفقاز وفي كل دول العالم، بتعطيل أعمالهم في يوم معيّن، والمطالبة من خلال التجمّعات بإزالة العدوان الروسي عن إيران.

٤ـ إرسال البرقيات إلى ممثلي الدول في بغداد لتعريفهم بحق وظلامة الشعب الإيراني وفضح جرائم الروس ودمويّتهم.

أثارت هذه التطوّرات مخاوف القنصل الروسي في بغداد، فأراد أن يهدىء الموقف، ويمتص الغضب الإسلامي. فبعث رسالة إلى الآخوند الخراساني بواسطة وكيله في النجف الأشرف أبو القاسم الشيرواني، ذكر فيها الأسباب التي دفعت روسيا للتدخّل العسكري، وأوضح أنّ بلاده ليست لها أطماع في إحتلال كافة الأراضي الإيرانية، وأنّها ستنسحب عند قبول إيران بالشروط الروسية(١٣).

وقد بعث الآخوند رسالة جوابية للقنصل، قال فيها أنّ إيران حافظت على علاقاتها الوديّة مع روسيا، وأنّها لم تقدم على ما يعكر صفو هذه العلاقات، وأعرب عن أسفه لنقض روسيا تعهّداتها مع إيران، بينما كان من الممكن تسوية الأزمة وفق القوانين الدولية دون الحاجة إلى إستخدام القوّة العسكرية. وذكر الشيخ الخراساني في رسالته أنّه إذا كان حقاً ما يقوله القنصل الروسي في رغبة حكومته في الصداقة مع إيران، فإنّ من الواجب

(١٣) عبدالحسين مجيد كفائي، مركي در نور.. زندكاني آخوند خراساني، ٢٥٤ ـ ٢٥٦.

أن تنسحب روسيا من إيران، وترفع شروطها التي وضعتها لأنّها تتعارض مع الإستقلال الإيراني. وهدّد القنصل بقوله: وفي خلاف ذلك، فإنّنا وحسب التكليف الشرعي سنعلن حكم الجهاد والدفاع لكافة المسلمين في العالم، وخاصة الأمّة المتحدة في إيران، وحينذاك سيتلوّن التراب بدماء مئات الملايين. لقد نفد صبر المسلمين. ومادامت بين المسلمين ورقة واحدة من القرآن الكريم، فإنّهم لا يمكن أن يهزموا. إنّنا نحن المجتهدين مستعدّون لبذل آخر قطرة من دمائنا في سبيل حفظ الدولة والشعب الإيراني[١٤].

وكان الآخوند قد كتب إلى علماء الدين في تبريز يأمرهم بتعلّم فنون القتال والتدرّب على السلاح، وإعتبر ذلك واجباً دينياً[١٥]. كما أنّه أصدر فتوى بحرمة التعامل مع البضائع الروسية. مما جعل الحكومة الروسية تهتم كثيراً برسالته، وطلبت من قنصلها في بغداد أن يلتقي به ويبذل جهده لصرفه عن فكرة الجهاد. وبالفعل أرسل القنصل وكيله في النجف الأشرف أبو القاسم الشيرواني ليحدد له موعداً مع الآخوند الخراساني، غير أنّه رفض ذلك، وقال للشيرواني: (أخبر القنصل بأنّي لا أملك وقتاً للاجتماع به، وإذا أراد شيئاً فليكتب)[١٦].

كانت جهود المجتهدين والعلماء تتركّز حول توفير مستلزمات التحرّك المسلّح لمقاومة الإحتلال الروسي، وتصعيد الموقف سياسياً على المستوى الدولي. وقد نشط العلماء في هذا الإتجاه حيث أرسلوا برقية إلى

(١٤) المصدر السابق، ص ٢٥٧.
(١٥) عبدالهادي حائري، تشيع ومشروطيت در إيران، ونقش إيرانيان مقيم عراق، ص ١٥٩.
(١٦) عبدالحسين مجيد كفائي، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

السلطان العثماني محمد الخامس، جاء فيها:

(إنّ العالم الإسلامي يعمّه الإضطراب والتأثّر البالغ نتيجة الهجوم الشامل الذي يتعرّض له الإسلام من كلّ الجهات. وإنّنا بصفتنا نمثّل الزعامة الدينية لثمانين مليون مسلم جعفري يقطنون إيران والهند وباقي البلدان، أجمعنا على وجوب الهجوم الجهادي والدفاعي وحَكَمْنا بذلك. ويعتبر من واجب جميع المسلمين صدّ وتشتيت مسببي إراقة دماء المسلمين، وصيانة دين محمد صلوات اللّه عليه، وهو واجب عيني. وإنّنا نعلن ذلك لجلالتكم ياحضرة الإمبراطور الحامل للأمانة المقدّسة.. ونرجو أن لا تبخلوا بإعطاء لواء الحمد النبوي صلّى اللّه عليه وآله للمسلمين الذين سيحتشدون من شتّى أقطار العالم بهدف الدفاع.

لقد مضى زمن مصانعة سياسة أوربا ومسايرتها، نستعطفكم أن تصدروا أوامركم بمقتضى الشريعة وشأن الخلافة).

وقد وقّع على هذه البرقية كلّ من الآخوند الخراساني وعبداللّه المازندراني ومحمد حسين الحائري المازندراني وإسماعيل صدر الدين العاملي.

كما أرسلت برقية أخرى إلى صحف إسطنبول كانت بمثابة إعلان موجّه للعالم بالتحرّك الجهادي، جاء فيها:

(منذ سنوات عديدة وإلى الآن، أصبح واضحاً للجميع أنّ إيطاليا وروسيا تنتهجان سياسة الإستيلاء والهيمنة والطمع من خلال تدمير طرابلس وإيران، وإستعباد المسلمين وإذلالهم والسيطرة على الأراضي الإسلامية المقدّسة.

وإذا تمّ ـ لا سمح اللّه ـ محو وتضييع إستقلال وشرف شعب إيران،

ودينها فإنّ ضربة مهلكة وعنيفة تكون قد وجّهت للعالم الإسلامي. ورغم أنّ هاتين الدولتين تمضيان في طريق تجزئة الدول الإسلامية وتقسيمها إرباً إرباً، إلاّ أنّنا وإعتماداً على حقيقة الدين الإسلامي المقدّس، نأمل أن تعودا بالخيبة والخسران.

وبنــاء على ذلك فإنّنا نحن العلماء نعلن بصفتنا المذكورة آنفاً، حكم وجوب الدفاع على كل مسلمي إيران، لغرض إنقاذ إيران وصيانة حقيقة الدين والشرف الإسلامي. ونبلّغ كافة مسلمي الكرة الأرضية بهذا الحكم عبر جرائدكم الوطنية، ونؤكّد أن على المسلمين أن يعلموا بأنّنا ـ بصفتنا المذكورة آنفاً ـ مستعدّون بشكل كامل للتضحية بآخر قطرة دم في عروقنا من أجل حفظ الإسلام والوطن الإسلامي).

وقد وقّع على هذه البرقية كل من الآخوند الخراساني وشيخ الشريعة الإصفهاني والسيد إسماعيل الصدر والشيخ محمد حسين المازندراني والشيخ عبدالله المازندراني[١٧].

إزاء التفاعل الجماهيري الكبير مع قضية الإحتلال الأجنبي للبلاد الإسلامية، وتصدي كبار العلماء لمقاومة هذه الهجمة، لم يبق السيد اليزدي على موقفه السابق. فقد عدل عن حياده وعزلته تجاه تلك الأحداث الخطيرة، وقرر أن يسير مع التوجه العام للتحرّك الإسلامي. فأصدر فتوى الجهاد ضدّ روسيا وبريطانيا وإيطاليا، وذلك في أواخر تشرين الثاني ١٩١١م، وجاء ذلك في بيان وجّهه إلى الأمة الإسلامية، نصّ على:

---

(١٧) نظام الدين زاده، المصدر السابق، ص ٤٤ ـ ٤٨.

(اليوم هجمت الدول الأوربية على الممالك الإسلامية من كلّ جهة، فمن جهة هجمت إيطاليا على طرابلس الغرب، ومن جهة أخرى روسيا على شمال إيران وإنكلترا على جنوبها. وهذا يهدد بإضمحلال الإسلام، لذا يجب على عموم المسلمين من العرب والعجم أن يهيّئوا أنفسهم للدفاع عن البلاد الإسلامية ضدّ الكفر، وأن لا يقصّروا ولا يبخلوا في بذل أنفسهم وأموالهم في تقديم الأسباب التي يمكن من خلالها إخراج جيش إيطاليا من طرابلس الغرب، وجيش روسيا والإنكليز من شمال وجنوب إيران، وهذا من أهمّ الفرائض الإسلامية حتى تبقى المملكتان العثمانية والإيرانية مصونتين محفوظتين بعون الله من هجوم الصليبيين.

حرر يوم الإثنين خامس ذي الحجّة الحرام سنة ١٣٢٩هـ)[١٨].

أمّا البيان الذي أصدره كل من الآخوند الخراساني والسيد إسماعيل الصدر والشيخ عبدالله المازندراني وشيخ الشريعة الإصفهاني فقد نصّ على:

(إلى الإيرانيين ومسلمي الهند عامة. إنّ هجوم روسيا على إيران وإيطاليا على طرابلس الغرب موجب لذهاب الإسلام وإضمحلال الشريعة الطاهرة والقرآن فيجب على كافة المسلمين أن يجتمعوا ويطالبوا من دولهم المتبوعة رفع هذه التعديّات غير القانونية من روسيا وإيطاليا. وليحرّموا السكون والراحة على أنفسهم ما لم تكشف هذه الغمّة والغائلة العظمى،

(١٨) نلاحظ أنّ تاريخ هذا البيان يتقدّم على التاريخ الذي حدثت فيه محاولة الإصلاح بين السيد اليزدي والشيخ الخراساني، كما جاء سابقاً، وربّما كان تاريخ الحادثة غير دقيق.

وليصدّوا هذه النهضة منهم تجاه المعتدين على البلاد الإسلامية، جهاداً في سبيل اللّه كالجهاد في بدر وحنين)[١٩].

وفاة الخراساني

قرّر علماء الدين في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء، أن يتّجه كافة المجاهدين نحو إيران لحرب الروس. وكان مقرراً أن يتجمّع المجاهدون في مسجد السهلة ليلة الأربعاء ٢١ذي الحجّة ١٣٢٩هـ (١٣كانون الأول ١٩١١م) ومن هناك يتّجهون إلى كربلاء ثمّ الكاظمية في طريقهم إلى إيران. لكنّ الآخوند الخراساني توفي فجأة قبل يوم واحد من موعد السفر. وقد أحيطت وفاته بشكوك كثيرة، منها أنّه توفي مسموماً على أيدي عملاء الروس والإنكليز.

يصف السيد هبّة الدين الشهرستاني وفاته بالقول:

(كنّا ليلة إرتحاله في محضره مع لفيف من أهل العلم حينما صلّى العشائين جماعة، وهو في داره إلى ثلاث ساعات من الليل، وهو لا يشكو ألماً ولا سقماً، بل مشتغلاً بتصفية المحاسبات وأداء الأمانات وموادعة الأحبّة والوصيّة لصحبه وأولاده، فإنّها كانت آخر ليلة من لبثه في النجف، أو في الدنيا بالحقيقة. فإنّه طاب ثراه قد كان عازماً على الرحيل في عصر يومه الآتي مع كافة العلماء والطلبة وغيرهم، للسفر إلى إيران حفظاً لثغورها من هجمات عساكر الروس والإنكليز..

---

(١٩) مجلة لغة العرب، العدد السابع، كانون الثاني ١٩١٢م.

وعندما ذهب ربع الليل تفرّق الناس عنه إلى دورهم، لأنّ أكثر الناس كانوا مثله متأهبّين إلى الرحيل معه، لكنّه لم يزر عينيه الكرى بعد مفارقة الناس إيّاه، وأخذه شبه الضعف في منتصف الليل، فعالجوه حتى خفّت الوطئة. وعرق عرقاً كثيراً فقالوا: مرنا أن نحلّ أوزار المسير ونؤخّر السفر إلى يوم آخر حتى يستقيم مزاجك وتصفو لك الأمور. فقال: كلّا إنّني راحل غداً إنشاء اللّه إلى مسجد السهلة فإنّ الإستجارة فيها إلى اللّه تعالى محمودة ليلة الأربعاء. فسيروا غداً إليها ولو أشرفتُ على الموت لئلّا يستوهن عزم المجاهدين معي. ثمّ أخذ يوصي بما يحب ويرتّب صورة مسيره إلى دفاع الكفّار حتى إنفلق عمود الفجر..

قيل له أنّ ضعف مزاجك لا يسوغ لك الآن الحركة. فصلّ الصبح ههنا، وخذ لنفسك بالنوم راحة إذ لم تنم ليلك ولا نهارك، ثم زر الإمام عندما تنوي الخروج من النجف الأشرف.

فإستحسن هذا القول وصلّى الصبح فريضة ونافلة، ثم إشتكى من حدوث إنقباض في قلبه، وأنّ أنّة رقيقة ومدّد كالمغمى عليه وتوفي وفاة هنيئة)[٢٠].

تلكأت حركة الجهاد إثر وفاة الآخوند الخراساني. حيث إنشغل الجميع بمراسم العزاء والفاتحة، ثمّ حلّ شهر محرّم من عام ١٣٣٠هـ، فكانت مجالس العزاء الحسيني تتضمّن الخطب والمراثي التي تذكّر الناس بالإعتداءات الأجنبية على بلاد المسلمين.

---

(٢٠) عبدالحسين مجيد كفائي، المصدر السابق، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٨.

في اليوم السابع من محرّم وصلت من إيران برقيّات عن جرائم الروس في إيران، وإضطهادهم المسلمين وأعمال النهب والإرهاب. وقد أثارت هذه الأخبار مشاعر المسلمين في العراق. فقرر علماء الدين السير على طريق الجهاد، والعمل على تعبئة المجاهدين. فنصبت الخيام في وادي السلام بالنجف الأشرف، إستعداداً للسفر. وأنتخبت هيئة من علماء الدين للاشراف على حركة الجهاد برئاسة الشيخ عبدالله المازندراني الذي توجّه على رأس المجاهدين في اليوم الحادي عشر من محرّم إلى كربلاء. وقد جرى لهم إستقبال حافل من قبل عامة الناس في بغداد والكاظمية، وقد إصطفّ المستقبلون من جسر الخر إلى الكاظمية، وهي مسافة تبلغ حوالي أربعة أميال، وكان بينهم الوجهاء والأعيان وعدد من المسؤولين العثمانيين.

ثم وصل إلى الكاظمية مراجع الدين وكبار العلماء من النجف وكربلاء، وقد إمتنع السيد اليزدي عن الحضور[٢١].

وخلال فترة الإقامة في الكاظمية كان علماء الدين يتدارسون سبل التحرّك ويهيئون مستلزمات السفر. وقد قرر المراجع وكبار العلماء تعيين مجلس تنفيذي ليتولى مهام الإعداد والتخطيط، ضمّ ثلاثة عشر عضواً هم:

١ـ السيد مصطفى الكاشاني.

٢ـ السيد حسن صدر الدين.

٣ـ شيخ العراقين.

٤ـ الميرزا محمد حسين النائيني.

---

(٢١) نظام الدين زاده، المصدر السابق، ص ٩٧ ـ ١٠٥.

٥ـ الميرزا مهدي بن الآخوند الخراساني.

٦ـ الشيخ جواد الجواهري.

٧ـ السيد أبو الحسن الإصفهاني.

٨ـ الشيخ أسحق الرشتي.

٩ـ نجل السيد صدر الدين.

١٠ـ الشيخ عبدالحسين الرشتي.

١١ـ الشيخ محمد رضا بن شيخ العراقيين.

١٢ـ السيد عبدالله الإصفهاني.

١٣ـ السيد محمد رضا أرومية.

ووضعت الضوابط التالية لهذه الهيئة:

١ـ يجب أن يؤدّي كل واحد من الأعضاء قسماً شرعياً بعدم إفشاء أسرار الهيئة لغير مراجع الدين، والعمل على حفظ إستقلال إيران.

٢ـ في حالة إفشاء أحد الأعضاء سرّاً من أسرار الهيئة لغير المعنيين الذين حددتهم النقطة السابقة. فإنّه وبعد أدائه كفّارة القسم، يتعرّض للعقوبة التي تحددها الهيئة.

٣ـ يعقد الإجتماع الأول في منزل الميرزا مهدي بن الآخوند الخراساني الذي سيتولّى مهمة الإدارة، كما تعقد الإجتماعات الإستثنائية عند الضرورة[٢٢].

حدث خلال تلك الفترة أن أعدمت سلطات الإحتلال الروسي

---

(٢٢) المصدر السابق، ص ١١٧ ـ ١٢٠.

ثمانية علماء دين في تبريز، وقد أثار هذا الحادث الأوساط الإسلامية في العراق حتى أنّ السيد اليزدي أعلن عن عزمه على التحرّك والإلتحاق بالعلماء والمجاهدين في الكاظمية، غير أنّه تراجع عن ذلك بعد أن إجتمع به وكيل القنصل الروسي ابو القاسم الشيرواني[٢٣].

بعثت هيئة العلماء برقيّات شديدة إلى الحكومة الإيرانية، طالبتها بأن تطلب من الروس الإنسحاب من إيران بأسرع وقت، وهددت بأنه في خلاف ذلك فإنّ العلماء سيتوجّهون صوب إيران.

كانت الحكومة الإيرانية تخشى من نتائج تحرّك العلماء، ولعلّها كانت تتوقّع أنّ وصولهم إلى إيران، سيجعلهم يسيطرون على السياسة الحكومية. وربّما عملوا على إعادة المشروطة بصورتها الإسلامية الصحيحة، وهو ما كان محتملاً قبل وفاة الآخوند الخراساني، حيث كان متوقعاً أنّه سيعيد المشروطة إلى الصيغة الإسلامية بعد دخوله إيران، وهو ما يدعم الشكوك في وفاته المفاجئة.

حاولت الحكومة الإيرانية أن تثني العلماء عن التحرّك، وأرسلت برقياتها إليهم تخبرهم بأنّها ستحل المشكلة مع روسيا، وأنّ القوات الروسية إنسحبت من بعض المناطق، وعليه فلا حاجة لترك العراق، وإنّ من

---

(٢٣) عبدالهادي حائري، المصدر السابق، ص ١٦١. ويذكر المؤلّف أنّ السيد اليزدي بعد أن إمتنع عن التحرّك أصدر فتواه في وجوب محاربة الروس والإنكليز والطليان، لكنّه لم يذكر تاريخ الفتوى بالضبط.

وقد روى عن نظام الدين زاده، تفصيلات أخرى بنفس المضمون عن إمتناع السيد اليزدي عن التحرّك، ص ١٢٩ ـ ١٣٤.

الأفضل أن يطلبوا من عشائر جنوب إيران عدم إثارة المشاكل.

كما بعث بعض علماء الدين الموالين للحكومة الإيرانية برقيّات مماثلة. ومنهم الميرزا أحمد نجل الآخوند الخراساني، حيث كتب إلى الميرزا النائيني وشيخ العراقيين، يخبرهما أنّ الحكومة الإيرانية مشغولة في حلّ الأزمة مع روسيا، وبناء على هذا يجب أن يبعث العلماء برقية إلى إيران يعلنون فيها طاعتهم للحكومة[٢٤].

إجتمعت هيئة العلماء لدراسة هذه البرقيات. وإتخاذ القرار النهائي بشأن التحرّك، والغريب أنّهم قرروا عدم التحرّك على إعتبار أنّ الأزمة ستحل سلمياً. وقد أبرقوا بذلك إلى مجلس الوزراء الإيراني[٢٥].

كانت الحكومة الإيرانية تريد الإستجابة لكلّ الشروط الروسية، حتى أنّها كانت تريد أن تتنازل عن قسم من الأراضي الإيرانية لها.

في أواخر آذار ١٩١٢م وصل إلى العراق خبر مفاده أنّ الجيوش الروسية قصفت بالمدافع مشهد الإمام الرضا عليه السلام، فإنهدم جزء من القبّة والسقف وقتل وجرح عدد من الزوّار. وعلى أثر هذا الحادث إجتمع في الكاظمية العلماء والمجتهدون كان من بينهم: السيد مهدي الحيدري، الشيخ مهدي الخالصي، السيد إسماعيل الصدر، الشيخ عبدالله المازندراني، شيخ الشريعة الإصفهاني، الشيخ محمد حسين القمشئي، السيد علي الداماد والسيد مصطفى الكاشاني، وقرروا إعلان الجهاد على روسيا.

---

(٢٤) عبدالهادي حائري، المصدر السابق، ص ١٦٢.
(٢٥) نظام الدين زاده، المصدر السابق، ص ١٣٩.

إمتنع مرجعان عن الحضور إلى مؤتمر الكاظمية هما الميرزا محمد تقي الشيرازي في سامراء، والسيد كاظم اليزدي في النجف، فقرر الشيخ مهدي الخالصي أن يسافر إليهما بغية إقناعهما بالإنضمام إلى حركة الجهاد. ولم يجد الشيخ الخالصي صعوبة في إقناع الميرزا الشيرازي، لكنّه لم ينجح مع السيد اليزدي[٢٦].

بعد وصول الميرزا الشيرازي إلى الكاظمية، أخذ المراجع والعلماء يعقدون إجتماعات متواصلة لبحث آخر التطورات وملاحقة الأحداث بشكل دقيق عبر البرقيات المتبادلة بينهم وبين الحكومة الإيرانية. ويتضح من خلال البرقيات أنّ العلماء كانوا يرون أنّ الحكومة الإيرانية ماضية في النهج الصحيح والذي يقضي بحلّ الأزمة سلمياً عن طريق المفاوضات مع روسيا. لذلك كانوا يستجيبون لها فيما تطلبه منهم. مثل محاولة توحيد فئات الشعب الإيراني الذي تقاسمته الإتجاهات المتضاربة لزعمائه المحليين ورؤساء العشائر، والطلب منهم المحافظة على الهدوء والإلتزام بمقررات الدولة. كما أنّ المراجع والعلماء المجتمعين في الكاظمية، إستجابوا أيضاً لطلب قدمته الحكومة الإيرانية بإصدار فتوى تبيّن عدم حرمة البضائع الأجنبية، ليمكن لها أن تسير في مفاوضاتها مع روسيا.

المهم أنّ حركة الجهاد كانت ناجحة إلى حدّ كبير، وقد تفاعلت الأوساط الجماهيرية مع أحداث البلاد الإسلامية، وكانت إستجاباتها سريعة للمرجعية الدينية. ولو أنّ العلماء قرروا تنفيذ مشروعهم في محاربة روسيا

---

(٢٦) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٢٥.

لسارت كتائب المجاهدين وراءهم، لكنّهم إرتأوا الإستجابة لموقف الحكومة الإيرانية وعدم التحرّك نحو إيران.

العراق بعد الذي حدث

بعد هذه التطورات المهمة التي شهدتها الحياة السياسية العراقية عامة وقبل أن تندلع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، كان العراق قد قطع خطوات عديدة على طريق الوعي السياسي، وهي خطوات عريضة إذا ما قارناها بالفترات السابقة التي عاشها العراق، والتي كانت تتميّز برتابة فكرية وإجتماعية، وبحركة تطوّر بطيئة حتى في المدن الرئيسية. بل أنّ مدينة النجف الأشرف التي كانت تعيش واحدة من فترات الإزدهار الفكري البارز، فإنّها كانت محدودة في تأثيرها الإجتماعي، وذلك لأنّ تطوّرها الفكري إنّما كان يتحرّك ضمن دائرة ذوي الإختصاص من العلماء وطلبة الحوزة العلمية. دون أن تنعكس آثار التقدّم العلمي على الأوساط الشعبية في العراق أو حتى في مدينة النجف نفسها. لكن بالمقابل كان موقع النجف الأشرف كمركز إسلامي قد تعزز بشكل كبير، وكانت المرجعية الدينية تمتلك قوّة تأثير ضخمة على الجماهير العراقية والشيعة بصورة عامة.

لقد تظافرت عدة عوامل وأحداث في خلق تلك النقلة التي شهدتها الحياة العراقية، نستطيع أن نحددها بالعوامل التالية وبشيء من الإختصار:

أولاً: حركة المشروطة في إيران، حيث أنّها جعلت الأوساط العراقية تتابع تطوراتها وأحداثها، وراح الكثير من أبناء العراق ينظر إليها على أنّها حدث كبير ينطوي على تحوّلات خطيرة في الواقع السياسي والإجتماعي

للمسلمين في إيران. ومن هنا تعاملوا على أنّها قضيّتهم، وأنّ هم إزاءها موقفاً ورأياً، وذلك سيراً وراء مواقف العلماء ومراجع الدين. ورغم أنّ المشروطة تسببت في إنقسام الموقف العراقي نتيجة إنقسام موقف المرجعية تجاه الحركة، إلّا أنّها بالمقابل عمّقت الإدراك السياسي في الوسط الجماهيري، فالإنقسام بين مؤيّدين ومعارضين، خلق حالة من النقاش والمتابعة السياسية والإحتكاك مع الجهات الموجهة للاحداث. ومع أنّ هذه الحالة كانت في كثير من جوانبها سلبية في الممارسة، إلّا أنّ الوعي السياسي كان ينمو في أجوائها بصورة تلقائية، وكانت الدرجة المهمة في هذا التطوّر هي الإستجابة السريعة والمكثّفة للأوساط الشعبية إلى فتوى المراجع الدينيين في ضرورة مقاومة النفوذ العسكري الروسي في إيران، وردعه عسكرياً، كما سبق الحديث.

ثانياً: الحركة الدستورية في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م. فقد جاءت هذه الحركة لتعزز ما أوجدته المشروطة الإيرانية من حسّ سياسي. وفسحت المجال أمام الأوساط المثقفة لأن تتحرّك بشكل أفضل من السابق، من خلال الحريّة التي أتاحها هذا التحوّل في بداياته. لكنّ المهم ذكره هنا، إنّ تفاعل الأوساط العراقية مع الإنتصار الدستوري العثماني كان أقل بكثير من تفاعلهم مع حركة الدستور في إيران. وفي هذه المسألة يكون العراق وحده من بين البلاد العثمانية ضعيف الإستجابة للحركة الدستورية، حيث كان الفرح في العراق محدوداً ضعيفاً، بينما في البلاد الأخرى عاماً شديداً. ويعلّل الدكتور علي الوردي هذه الظاهرة بقوله: أنّ البلاد الأخرى كانت تتميّز بالصراع الطائفي العنيف بين المسلمين وغير المسلمين، ولهذا رأيناهم

لسارت كتائب المجاهدين وراءهم، لكنّهم إرتأوا الإستجابة لموقف الحكومة الإيرانية وعدم التحرّك نحو إيران.

العراق بعد الذي حدث

بعد هذه التطورات المهمة التي شهدتها الحياة السياسية العراقية عامة وقبل أن تندلع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، كان العراق قد قطع خطوات عديدة على طريق الوعي السياسي، وهي خطوات عريضة إذا ما قارناها بالفترات السابقة التي عاشها العراق، والتي كانت تتميّز برتابة فكرية وإجتماعية، وبحركة تطوّر بطيئة حتى في المدن الرئيسية. بل أنّ مدينة النجف الأشرف التي كانت تعيش واحدة من فترات الإزدهار الفكري البارز، فإنّها كانت محدودة في تأثيرها الإجتماعي، وذلك لأنّ تطوّرها الفكري إنّما كان يتحرّك ضمن دائرة ذوي الإختصاص من العلماء وطلبة الحوزة العلمية. دون أن تنعكس آثار التقدّم العلمي على الأوساط الشعبية في العراق أو حتى في مدينة النجف نفسها. لكن بالمقابل كان موقع النجف الأشرف كمركز إسلامي قد تعزز بشكل كبير، وكانت المرجعية الدينية تمتلك قوّة تأثير ضخمة على الجماهير العراقية والشيعة بصورة عامة.

لقد تظافرت عدة عوامل وأحداث في خلق تلك النقلة التي شهدتها الحياة العراقية، نستطيع أن نحددها بالعوامل التالية وبشيء من الإختصار:

أولاً: حركة المشروطة في إيران، حيث أنّها جعلت الأوساط العراقية تتابع تطوراتها وأحداثها، وراح الكثير من أبناء العراق ينظر إليها على أنّها حدث كبير ينطوي على تحوّلات خطيرة في الواقع السياسي والإجتماعي

للمسلمين في إيران. ومن هنا تعاملوا على أنّها قضيّتهم، وأنّ هم إزاءها موقفاً ورأياً، وذلك سيراً وراء مواقف العلماء ومراجع الدين. ورغم أنّ المشروطة تسببت في إنقسام الموقف العراقي نتيجة إنقسام موقف المرجعية تجاه الحركة، إلّا أنّها بالمقابل عمّقت الإدراك السياسي في الوسط الجماهيري، فالإنقسام بين مؤيّدين ومعارضين، خلق حالة من النقاش والمتابعة السياسية والإحتكاك مع الجهات الموجهة للاحداث. ومع أنّ هذه الحالة كانت في كثير من جوانبها سلبية في الممارسة، إلّا أنّ الوعي السياسي كان ينمو في أجوائها بصورة تلقائية، وكانت الدرجة المهمة في هذا التطوّر هي الإستجابة السريعة والمكثّفة للأوساط الشعبية إلى فتوى المراجع الدينيين في ضرورة مقاومة النفوذ العسكري الروسي في إيران، وردعه عسكرياً، كما سبق الحديث.

ثانياً: الحركة الدستورية في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م. فقد جاءت هذه الحركة لتعزز ما أوجدته المشروطة الإيرانية من حسّ سياسي. وفسحت المجال أمام الأوساط المثقفة لأن تتحرّك بشكل أفضل من السابق، من خلال الحريّة التي أتاحها هذا التحوّل في بداياته. لكنّ المهم ذكره هنا، إنّ تفاعل الأوساط العراقية مع الإنتصار الدستوري العثماني كان أقل بكثير من تفاعلهم مع حركة الدستور في إيران. وفي هذه المسألة يكون العراق وحده من بين البلاد العثمانية ضعيف الإستجابة للحركة الدستورية، حيث كان الفرح في العراق محدوداً ضعيفاً، بينما في البلاد الأخرى عاماً شديداً. ويعلّل الدكتور علي الوردي هذه الظاهرة بقوله: أنّ البلاد الأخرى كانت تتميّز بالصراع الطائفي العنيف بين المسلمين وغير المسلمين، ولهذا رأيناهم

لسارت كتائب المجاهدين وراءهم، لكنّهم إرتأوا الإستجابة لموقف الحكومة الإيرانية وعدم التحرّك نحو إيران.

العراق بعد الذي حدث

بعد هذه التطورات المهمة التي شهدتها الحياة السياسية العراقية عامة وقبل أن تندلع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، كان العراق قد قطع خطوات عديدة على طريق الوعي السياسي، وهي خطوات عريضة إذا ما قارناها بالفترات السابقة التي عاشها العراق، والتي كانت تتميّز برتابة فكرية وإجتماعية، وبحركة تطوّر بطيئة حتى في المدن الرئيسية. بل أنّ مدينة النجف الأشرف التي كانت تعيش واحدة من فترات الإزدهار الفكري البارز، فإنّها كانت محدودة في تأثيرها الإجتماعي، وذلك لأنّ تطوّرها الفكري إنّما كان يتحرّك ضمن دائرة ذوي الإختصاص من العلماء وطلبة الحوزة العلمية. دون أن تنعكس آثار التقدّم العلمي على الأوساط الشعبية في العراق أو حتى في مدينة النجف نفسها. لكن بالمقابل كان موقع النجف الأشرف كمركز إسلامي قد تعزز بشكل كبير، وكانت المرجعية الدينية تمتلك قوّة تأثير ضخمة على الجماهير العراقية والشيعة بصورة عامة.

لقد تظافرت عدة عوامل وأحداث في خلق تلك النقلة التي شهدتها الحياة العراقية، نستطيع أن نحددها بالعوامل التالية وبشيء من الإختصار:

أولاً: حركة المشروطة في إيران، حيث أنّها جعلت الأوساط العراقية تتابع تطوراتها وأحداثها، وراح الكثير من أبناء العراق ينظر إليها على أنّها حدث كبير ينطوي على تحوّلات خطيرة في الواقع السياسي والإجتماعي

للمسلمين في إيران. ومن هنا تعاملوا على أنّها قضيّتهم، وأنّ هم إزاءها موقفاً ورأياً، وذلك سيراً وراء مواقف العلماء ومراجع الدين. ورغم أنّ المشروطة تسببت في إنقسام الموقف العراقي نتيجة إنقسام موقف المرجعية تجاه الحركة، إلّا أنّها بالمقابل عمّقت الإدراك السياسي في الوسط الجماهيري، فالإنقسام بين مؤيّدين ومعارضين، خلق حالة من النقاش والمتابعة السياسية والإحتكاك مع الجهات الموجهة للاحداث. ومع أنّ هذه الحالة كانت في كثير من جوانبها سلبية في الممارسة، إلّا أنّ الوعي السياسي كان ينمو في أجوائها بصورة تلقائية، وكانت الدرجة المهمة في هذا التطوّر هي الإستجابة السريعة والمكثّفة للأوساط الشعبية إلى فتوى المراجع الدينيين في ضرورة مقاومة النفوذ العسكري الروسي في إيران، وردعه عسكرياً، كما سبق الحديث.

ثانياً: الحركة الدستورية في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م. فقد جاءت هذه الحركة لتعزز ما أوجدته المشروطة الإيرانية من حسّ سياسي. وفسحت المجال أمام الأوساط المثقفة لأن تتحرّك بشكل أفضل من السابق، من خلال الحريّة التي أتاحها هذا التحوّل في بداياته. لكنّ المهم ذكره هنا، إنّ تفاعل الأوساط العراقية مع الإنتصار الدستوري العثماني كان أقل بكثير من تفاعلهم مع حركة الدستور في إيران. وفي هذه المسألة يكون العراق وحده من بين البلاد العثمانية ضعيف الإستجابة للحركة الدستورية، حيث كان الفرح في العراق محدوداً ضعيفاً، بينما في البلاد الأخرى عاماً شديداً. ويعلّل الدكتور علي الوردي هذه الظاهرة بقوله: أنّ البلاد الأخرى كانت تتميّز بالصراع الطائفي العنيف بين المسلمين وغير المسلمين، ولهذا رأيناهم

يظهرون الفرح بالدستور لكي يدلّوا به على إنّهم أصبحوا إخواناً. أمّا في العراق فقد كان الصراع الطائفي محصوراً فيما بين المسلمين أنفسهم، وهم لذلك لم يجدوا في إعلان الدستور ما يخفف من داء الطائفية فيهم إلّا قليلاً[٢٧].

ونستطيع أن نضيف إلى ذلك سبباً آخر هو نتيجة ردّة الفعل الباردة للمرجعية الدينية تجاه الدستور العثماني، حيث لم يعرب أغلب المجتهدين والمراجع عن تأييدهم للانتصار الدستوري، إنّما تعاملوا معه بتحفّظ. وإذا إستثنينا موقف الشيخ محمد كاظم الخراساني المؤيّد فإنّ ذلك لم يؤثّر آنذاك على الموقف الإسلامي العام، فخلال تلك الفترة كان أنصار الدستور يعيشون حالة ضعف وحصار جماهيري من قبل خصومهم. كما كانت المشروطة الإيرانية تعيش إنتكاساتها على يد محمد علي شاه، وقد سبق الحديث عن ذلك في الفصل الثاني.

إنّ الآثار التي أفرزها تطبيق الدستور العثماني، على الحياة العراقية ظهرت بعد الصدمة الكبيرة التي واجهها الناس من جراء سياسة التتريك التي طبّقتها جمعيّة الإتحاد والترقّي. وقد واجهت هذه السياسة معارضة من قبل العرب، مما دفع الإتحاديين إلى التضييق عليهم والتنكيل بهم[٢٨].

شهدت فترة ما بعد إعلان الدستور ظهور الحياة الحزبية في العراق، حيث أسس الإتحاديون فروعاً لهم في مدن العراق. كما تأسّس حزب الحريّة والإئتلاف المعارض، وأفتتح له عدّة فروع في المدن العراقية، وقد نجم عن

(٢٧) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٢٨) حسين مؤنس، الشرق الإسلامي والعصر الحديث، ص ١٤٢.

ذلك حركة سياسية حرّكت شيئاً من الجمود السياسي السابق.

كما تلت ذلك أحزاب وجمعيّات سياسية في العراق خلال السنوات التي أعقبت الدستور العثماني مثل جمعية البصرة الإصلاحية والنادي العلمي في بغداد، ونشأت علاقات مع بعض الأحزاب العربية كحزب اللامركزية الإدارية العثماني. وبلغت هذه المرحلة نقطة مهمّة حين شكّل الضبّاط العراقيون في إسطنبول جمعية العهد عام ١٩١٣م. وقد تحدّثنا عن تفصيل ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب.

وخلاصة القول أنّ ظهور الحياة الدستورية في البلاد العثمانية، ساهمت في بروز إتجاه سياسي وفكري نشيط في البلاد العربية، كانت له إمتدادات وإنعكاسات في الوسط العراقي، فأضيف بذلك رقم إلى حركة الوعي السياسي.

ثالثاً: ظهور عدد من المجتهدين وعلماء الدين في العراق، تحسسوا بالظروف الإجتماعية والسياسية التي يعيشونها، فسعوا لإحداث تغيير إجتماعي وسياسي في الوسط الإسلامي، لكي يتخلّص من جموده ويواكب حركة السياسة العامة، وتطوّراتها، لا سيّما وأنّ الإتجاه الغربي بدأ يغزو البلاد الإسلامية ومنها العراق.

ففي عام ١٩٠٦م دعا علي البازركان لتأسيس مدرسة لتعليم أبناء الشيعة العلوم واللغات الحديثة. غير أنّ هذه الدعوة إصطدمت بالجو التقليدي ولاقت معارضة شديدة، وكادت أن تموت، لولا تحمّس السيد محمد سعيد الحبّوبي لها عام ١٩٠٨م، حيث مارس نشاطاً ملحوظاً في الأوساط

الشيعيّة لإقناعهم بضرورة هذه الفكرة[٢٩].

وكان الشيعة قبل هذه الفترة لا يدخلون أبناءهم في المدارس الحكومية الحديثة لسببين، الأول أنّ الحكومة العثمانية كانت لا تحبّذ دخول الشيعة إلى المدارس لكي لا يطمحوا من بعد ذلك إلى الوظائف الحكومية. أمّا المدارس الحربية فكانت الحكومة لا تقبل فيها أي طالب شيعي. أما السبب الثاني، فإنّ الشيعة من جانبهم كانوا يعدّون المدارس مفسدة للدين والأخلاق[٣٠]. وبذلك كانت المدارس حكراً لأبناء السنة، فيما كان الشيعة يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب أو الحوزات العلمية في المدن المقدّسة.

كان من المهتمّين بمشروع المدرسة والذين عملوا له بنشاط إضافة إلى علي البازركان، جعفر أبو التمّن ومهدي الخيّاط. وبعد أن إستطاع السيد محمد سعيد الحبوبي أن يثبّت إمكانيّة تحقيق هذا المشروع، عقد جعفر أبو التمّن إجتماعاً في منزل الحاج داود أبو التمّن ليلة ١٢شوال ١٣٢٦هـ (٨تشرين الثاني ١٩٠٨م)، كان من جملة الحضور مهدي الخاصه كي وعبدالكريم حيدر والسيد علي السيد مهدي البغدادي والحاج عبدالغني كبّة وعلي البازركان والحاج حسن الشهربلي والحاج داود أبو التمّن والحاج سلمان أبو التمّن والشيخ شكر اللّه. وتقرر في الإجتماع تأسيس المدرسة، وكوّنوا لها هيئة مؤسّسة، إنتخب لها الشيخ شكر اللّه رئيساً وجعفر أبو التمّن أميناً للصندوق.

---

(٢٩) د. وميض جمال عمر نظمي، مجلة المستقبل العربي، السنة الخامسة، آب ـ تشرين الأول ١٩٨٢.

(٣٠) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

قررت الهيئة المؤسّسة تقديم عريضة إلى والي بغداد للموافقة على فتح المدرسة بإسم مكتب الترقي الجعفري العثماني ـ عرفت فيما بعد بالمدرسة الجعفرية ـ وقدّم الطلب جعفر أبو التمّن وعلي البازركان، فحصلا على موافقة الوالي. وأفتتحت في ١٧ذي القعدة ١٣٢٦هـ (١٢كانون الأول ١٩٠٨م) بإحتفال كبير. وقد أنتخب أوّل مدير لها الشيخ شكر اللّه وعلي البازركان معاوناً له ورؤوف القطّان مفتّشاً[٣١].

إنّ نجاح السيد محمد سعيد الحبوبي في تحطيم الحظر الذي كان مفروضاً على المدارس الحديثة يعد خطوة كبيرة على طريق التطوّر الفكري والسياسي في الأوساط الشعبية، كما أنّه إستطاع أن يعطي لحركة التجديد دفعة قوّية. وقد قويت هذه الحركة في مجال التعليم الحديث ليس في بغداد وحدها، إنّما نشطت في مدينة النجف الأشرف أيضاً.

فقد شعر جماعة من أهالي النجف ممن يحملون الجنسية الإيرانية في الغالب بضرورة تأسيس مدارس تعنى بالعلوم الحديثة واللغات الأجنبية كالفرنسية والإنكليزية، وظفروا بتأييد وتشجيع الغالبية العظمى من كبار المجتهدين والعلماء أمثال الآخوند الخراساني والميرزا حسين الخليلي وشيخ الشريعة الإصفهاني والشيخ عبداللّه المازندراني وغيرهم.

وقد أسفرت هذه الحركة عن تأسيس مدرستين إحداهما المدرسة العلوية التي فتحت أبوابها للطلاب سنة ١٣٢٦هـ، والثانية تسمى المدرسة

(٣١) عبدالرزاق عبدالدراجي، جعفر أبو التمّن ودوره في الحركة الوطنية في العراق (١٩٠٨م ـ ١٩٤٥م)، ص ٣٤ ـ ٣٦.

المـرتضوية، وكانت المدرسة العلوية بمثابة نادٍ ثقافي وسياسي، وإتّخذ منه المشتغلون بالمشروطة الإيرانية مقراً لأعمالهم. وكان في المدرسة المرتضوية قاعـة للمـطالعـة فيها أنواع الجرائد والمجلّات. وكان درس الرياضيات واللغتـين الفـرنسية والإنكليزية من بين الـدروس التي تعنى بها المـدرسة العلوية. أمّا الرياضة فكانت أشبه بالتعليم العسكري. حيث كان لها لباس عسكـري خاص. أمّا درس الدين فقد سميّ بالشرعيات وخصصت له حصّة أو حصّتان في الإسبوع[٣٢].

وإلى جانب هاتـين المـدرستـين، كان أنصار حركة المشروطة من الإيرانيين يستوردون الصحف الإيرانية وغيرها، فيطّلع النجفيّون بواسطتها على كثـير من الأخبار والحوادث العالمية التي كانت غير متيسّرة لهم في صحف العراق لعدم أهّميتها وسيطرة الحكومة عليها[٣٣].

إنّ الدعم الذي لقيته هذه المشاريع المدرسية من مراجع الدين وكبار العلماء، لا ينحصر في الإتجاه التعليمي وحده، بل أنه شكّل ظاهرة متميّزة بالنسبـة للجو التقليدي الذي كان سائداً في الأوساط الإسلامية. وفتح الأبواب أمام مشاريع جديدة، وخطوات تحرّك لاحقة على صعيد التطوّر السياسي والإهتمامات الفكرية والإجتماعية.

كان الموقف المهم من قبل مراجع الدين في دعم الإتجاه التعليمي الحديث، يتمثّل في إصدارهم فتاوى تجيز دخول الشيعة للمدارس الحديثة،

---

(٣٢) د. عبدالله الفيّاض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٨٦ ـ ٨٧.

(٣٣) حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز، ص ٥٤.

وبذلك قطعوا الطريق أمام المحاولات المعارضة لمثل هذه المشاريع، وبذل جعفر أبو التمّن جهوداً ناجحةً في الحصول على هذه الفتاوي. فقد نشر في جريدة الرقيب في عددها الصادر في ٥نيسان ١٩٠٩م مانصّه:

(جواز دخول أولاد الجعفرية إلى المكاتب لتعلّم العلوم والمعارف والكمالات واللغات المختلفة التي تمس الحاجة إلى تعلّمها، وتقضي الضرورة بعدم جهلها مع التحفّظ على القواعد الإسلامية وعقائدهم مما لا ينكر ولا قائل بعدمه، ولذا فإنّ أساطين العلماء الأعلام المجتهدين في النجف وكربلاء دفعاً للشبهة الواقعة في أذهان الجهلة قد كتبوا لعموم الجعفرية يحثّونهم ويشوّقونهم إلى تأسيس وتشييد مكاتب كهذه حاوية للشروط المتقدّمة وذكروا أنّ ذلك من أفضل الأعمال الخيرية)[٣٤].

وإذا كان علماء الدين قد دعموا مشاريع التجديد والنهضة الفكرية، فإنّهم إلى جانب ذلك مارسوا بشكل مباشر العمل الفكري والسياسي، وإهتموا بالأحداث السياسية والإجتماعية وعايشوها عن قرب. وبرز في هذا الإتجاه السيد هبّة الدين الشهرستاني حيث أصدر في عام ١٩١٠م مجلّة العلم، وهي أوّل مجلّة عربية ظهرت في النجف الأشرف، وكانت محاولة لإخراج النجف من عزلتها إلى العالم الخارجي. كما أسّس السيد الشهرستاني للمجلّة مكتبة عامة كان يرتادها العلماء والأدباء والشباب على إختلاف آرائهم وتباين أذواقهم. واصبح لكتاباته وآرائه وخطبه أثر في توجيه

---

(٣٤) د. عبدالله الفيّاض، المصدر السابق، ص ٨٨.

نفوس الكثير من الشباب[٣٥]، ولاقى كتابه «الهيئة والإسلام» رواجاً كبيراً، حيث كان منسجمًا مع لغة العصر وتطوّر العلم الحديث.

وكان من ضمن هؤلاء العلماء الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، فقد كتب في تلك الفترة كتابه المعروف (الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية) وطبع الجزء الأول منه في بغداد عام ١٩١١م (١٣٢٩هـ). ويبدو أنّه أثار عدم رضا السلطات التركية أو حسد البعض، فعندما أراد أن يطبع الجزء الثاني من الكتاب هاجمته السلطة بأمر الوالي ناظم باشا وإيعاز المفتي الشيخ سعيد الزهاوي، فقرر الشيخ كاشف الغطاء السفر خارج العراق لطبعه[٣٦].

إنّ السيد الشهـرستاني والشيخ كاشف الغطاء، كانا ينتميان إلى خطّين سياسيين متعارضين. فالشهرستاني كان من أنصار الآخوند الخراساني ومن الدعاة النشطين للمشروطة الإيرانية وللحركة الدستورية بشكل عام. أمّا كاشف الغطاء فإنّه كان من المقرّبين للسيد كاظم اليزدي ومن خصوم فكرة المشروطة. لكنّهما إشتركا في حركة التجديد الإسلامي، وزاولا نشاطاً كبيراً في كسر الجمود السائد في النجف الأشرف وفي الأوساط الإسلامية في العـراق. وتميّزت مسـاعيهما بالوعي السياسي والتقدير الدقيق لطبيعة المـرحلة، والتحـديات التي تواجـه المسلمين. ولعلّ في هذا دليلًا على أنّ المشروطة لم تكن مقياساً للتجديد أو للجمود، فلا يمكن تصنيف معارضيها ضمن الصف التقليدي، كما لا يمكن أن يكون كافة أنصارها من المجددين.

---

(٣٥) الشيخ آغا بزرك الطهراني، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، الجزء الرابع، ص ١٤١٤ ـ ١٤١٥.

(٣٦) المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٦١٣.

رابعاً: دور الشعر: لقد تميّز العراق بإهتمام أوساطه الإسلامية والمثقّفة بالشعر إهتماماً كبيراً، وكانت النجف الأشرف تمثّل مركزاً متقدّماً في الحياة الشعرية، حيث برز منها شعراء كبار على مستوى العالم الإسلامي.

إنّ حركة الشعر كانت تفرض على الشعراء أن يواكبوا الأحداث السياسية بدقّة سواء تلك التي تحدث في العراق أو في خارجه، ليكتبوا قصائدهم السياسية للأمة. وقد حفّز جو التنافس الناتج عن الكثرة الكبيرة للشعراء لأن يتسابقوا في تقديم مادة شعرية تعالج شؤون الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية. وهكذا تحوّل الشعراء إلى مصدر مهم من مصادر التوعية في العراق(٣٧).

إنّ هذه العوامل المهمّة ساهمت في وضع العراق على أرضيّة متفاعلة مع الحدث السياسي، وهيّأت الأوساط الجماهيرية لأن تواكب حركة السياسة، وهو ما برز واضحاً من خلال إستجابتها لحركة الجهاد عام ١٩١٤م ولثورة العشرين وغيرهما من المواقف كما سيأتي إن شاء اللّه.

---

(٣٧) يراجع: علي الخاقاني، شعراء الغري، الجزء الأول. حيث يتحدّث عن الجو الأدبي في النجف الأشرف، وقوّة حركة الشعر فيها.

الفصل الرابع

التحرّك الإسلامي خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨

مثّلت الحرب العالمية الأولى، أكبر تحوّل في تاريخ العراق الحديث، لخصوصيتها التي إختلفت عن بقيّة الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية في فترات سابقة. فلقد تعاملت الأوساط الإسلامية مع هذا الحدث الكبير من أبعاده الحضارية، حيث كانت الحرب تحمل بالدرجة الأولى خطر تقويض الكيان السياسي للمسلمين، والمتمثّل آنذاك بالدولة العثمانية ـ مع التحفّظ على محتواها الإسلامي ـ.

وعلى أساس هذا التقويم لطبيعة التحديّات وآثارها المستقبلية، كانت ولادة التحـرّك الإسلامي في العراق قويّة فاعلة، حتى أنّها إمتدّت لسنوات عديدة في فترة ما بعد الحرب العالمية.

كانت النقلة الهائلة التي أفرزها الصراع الدولي في سنواته الأربع الممتدة بين عامي ١٩١٤ ـ ١٩١٨م، هي خروج العراق من دائرة الحكم العثماني ووقوعه تحت السيطرة البريطانية. وهو تحوّل كبير في حياته السياسية والثقافية والإجتماعية. فمرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى تختلف عن المرحلة التي أعقبتها في الخصائص السياسية على الصعيدين

الدولي والمحلّي. فبعد أن كان العراق مرتبطاً بالحكومة المركزية في إسطنبول، مثـل أيّة ولاية عثمانية أخرى، فإنّه أصبح بعد إنتهاء الحرب عام ١٩١٨ يمتلك مستقبلاً مستقلاً كدولة لها مقوّماتها الخاصة. غير أنّ نقطة إشتراك ظلّت متصلة بين العهدين، وهي عدم خضوع السياسة العراقية لإرادة أبنائه وإدارتهم. فهو في عهده السابق كولاية كان يدار من قبل الولاة الأتراك. وفي عهده الجديد كدولة، خضع لإدارة جيش الإحتلال البريطاني، فتحوّل من التبعية الإدارية إلى الإستعمار العسكري.

إنّ الحرب العالمية الأولى إضافة إلى قساوة ظروفها على المجتمع العراقي، فإنّ نتائجها جاءت أشدّ قساوة. لقد وضعت العراق أمام ظروف جديدة وجدها غريبة عليه، وحاول أن يوجهها وفق إرادته، لكنّ أرقام الآلة العسكـرية وموازنات القوى عطّلت محاولته. ثمّ جاءت الصيغ السياسية لتعطّل إرادته فيما بعد.

الحرب.. القرار المفروض

كان قرار الحرب بالنسبة للدولة العثمانية يعني المصير، فهي في الفترة التي إنـدلعت فيهـا الحـرب العالمية الأولى، كانت قد وصلت مرحلة من الضعف لا تتحمّل معها البقاء، حيث كانت عبارة عن رقعة أرض كبيرة تضم عوامل إنفجار عديدة، وتتهددها مخاطر خارجية مرعبة. أمّا الحلول فغائبة بعد أن فقدت القدرة على العلاج، وهي في ذلك كانت محل تنافس القوى الغربية وبالتحديد روسيا وبريطانيا وألمانيا.

فروسيا كانت أكثر الدول عداء للدولة العثمانية، وكانت لها أطماع

قديمة في المنطقة الخليجية التي تقع تحت السيطرة العثمانية، لّخصها بطرس الأكبر بالقول: (من يملك الخليج يملك العالم)، وكانت ترى في العراق رأس الخليج وأقرب المواقع إليها. لذلك وجدت في الحرب العالمية الأولى ظرفاً مناسباً تتحوّل في أجوائه الأحلام إلى وقائع، فأعلنت الحرب على الدولة العثمانية في ٢تشرين الثاني ١٩١٤م[١].

إنّ هذه الرغبة الروسية، تعارضت مع رغبة بريطانية أكثر جديّة في إحتلال العراق، حيث سارعت بريطانيا إلى إحتلاله بعد إعلان روسيا الحرب على تركيا، فأرسلت قواتها من البحرين في ٣تشرين الثاني إلى شط العرب، وفي ٧تشرين الثاني إحتلّت القوات البريطانية بقيادة الجنرال دلامبين ميناء الفاو[٢].

وبريطانيا كانت لها أطماع كبيرة في ممتلكات الدولة العثمانية، تمتد خارج العراق لتشمل الجزيرة وبلاد الشام. وقد وضعت بريطانيا خطّة إحتلال القسم الجنوبي من العراق في عام ١٩١٢م، حيث قدّمت رسمياً من لجنة خاصة تابعة لوزارة المستعمرات[٣].

كانت المنافسة على العراق شديدة بين روسيا وبريطانيا، وهو ما إتّضح في أحداث معركة الكوت. فخلال الفترة التي حاصر فيها الجيش العثماني القوات الإنكليزية في الكوت، وهو الحصار الذي إستمرّ من ٤كانون الأول ١٩١٥م وإنتهى بإستسلام الإنكليز في ٢٩نيسان ١٩١٦م،

---

(١) د. عبدالله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطوّر العراق السياسي الحديث، ص ٨٤.

(٢) عبدالرزاق الحسني، العراق في دوري الإحتلال والإنتداب، الجزء الأول، ص ١٢.

(٣) د. فاروق صالح العمر، حول السياسة البريطانية في العراق (١٩١٤ ـ ١٩٢١)، ص ٦.

وجـد الإنكليز إنّ أفضـل طريقة لإنقاذ قواتهم المحاصرة، هو أن يشدّد الروس ضغطهم العسكري على الأتراك، وأن يزحفوا من كرمنشاه وخانقين بإتجاه بغداد. غير أنّ نائب الملك في الهند عارض هذه الفكرة على إعتبار أنّ التعاون مع الروس سيعطيهم الحق في المطالبة بإمتيازات في العراق. وهذا الرأي يكشف عن تقدير الإنكليز لطبيعة التنافس الإستعماري على العراق. وقد قدّم هذا المقترح أيضاً قائد الجيش المحاصر الجنرال تاوزند لكنّه لم يحصل على نتيجة[٤].

أمّا ألمانيا فإنّها تميّزت في أطماعها عن باقي الدول الإستعمارية، إنّها كانت متحالفة مع الدولة العثمانية، لذلك سعت إلى زيادة نفوذها السياسي، وهو ما أثار الإنكليز الذين حاولوا مزاحمة النفوذ الألماني، لا سيّما بعد أن أنشـأ الألمـان خط سكّة حديد بغداد، التي عزّزت أهميّة الموقع الجغرافي للعراق. وقد إعتبر بعض المؤرّخين أنّ خط سكّة الحديد كان من الأسباب الكبيرة للحرب العالمية.

إندلعت الحرب العالمية الأولى في بداية آب ١٩١٤م، فسارعت تركيا إلى إعلان الحياد، وفي ٢آب أعلنت النفير العام لتعزيز حيادها أمام إحتمال تعرّضها لعدوان خارجي. غير أنّ الموقف الرسمي للحياد كان يتعارض مع رغبة وزير الدفاع أنور باشا أقوى الوزراء في حكومة الإتحاديين وأكثرهم سيطرة على السياسة التركية، والذي كان يرغب في زجّ تركيا في الحرب العالمية إلى جانب ألمانيا. وقد تعارضت هذه الرغبة في البداية مع توجهات

---

(٤) كتب الجنرال تاوزند مذكراته حول الحرب العالمية الأولى في كتابه بعنوان (محاربتي في العراق) وفيه يتحدّث بشكل مفصّل عن حصار الكوت.

ألمانيا، حيث كانت تتوقّع أن تحرز نصراً سريعاً على الحلفاء.

غير أنّ هذه القناعة تغيّرت في ١٩أيلول ١٩١٤م إثر هزيمة ألمانيا في معركة المارن. فقد أرسل غليوم إلى سفيره في إسطنبول يطلب منه أن يسعى لإدخال تركيا في الحرب. وبالفعل مارس السفير الألماني دوره في هذا الخصوص، وإلتقت مساعيه مع رغبة أنور باشا. وقد حدثت بعد ذلك عدّة وقائع سريعة أزّمت العلاقات مع روسيا، حتى إنتهت بإعلان الحلفاء الحرب على تركيا في أوائل تشرين الثاني ١٩١٤م(٥).

يقول هنري مورغنتو (سفير أمريكا في إسطنبول) في مذكراته: (إنّ السفير الألماني فون فونغنهام ذكر له صراحة الهدف من إدخال تركيا إلى جانب ألمانيا في الحرب، حيث قال: إنّ ألمانيا كانت ترمي إلى إثارة الرأي العام الإسلامي على المسيحيين ـ أي أنّها كانت تنوي تسعير حرب دينية للقضاء على سلطة إنكلترا وفرنسا في مستعمراتها الإسلامية كالهند ومصر والجزائر وغيرها ـ إنّ تركيا بحدّ ذاتها ليست شيئاً مهمًّا، جيشها صغير ضعيف ولا ننتظر منه أعمالاً مجيدة في ساحات القتال، ولكننا نحن لا نرى في تركيا إلّا العالم الإسلامي، فإذا تمكّنا من إثارة الرأي الإسلامي العام ضد إنكلترا وفرنسا وروسيا نكون قد أرغمناهم على طلب الصلح في وقت قريب)(٦).

---

(٥) تراجع تفصيلات الأحداث التي جرّت تركيا إلى الحرب في:
محمد طاهر العمري، تاريخ مقرّرات العراق السياسية، الجزء الأول، الفصل الثاني، ود. علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الرابع، الفصل الأول.
(٦) د. علي الوردي، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٠.

وجـد الإنكليز إنّ أفضـل طريقة لإنقاذ قواتهم المحاصرة، هو أن يشدّد الروس ضغطهم العسكري على الأتراك، وأن يزحفوا من كرمنشاه وخانقين بإتجاه بغداد. غير أنّ نائب الملك في الهند عارض هذه الفكرة على إعتبار أنّ التعاون مع الروس سيعطيهم الحق في المطالبة بإمتيازات في العراق. وهذا الرأي يكشف عن تقدير الإنكليز لطبيعة التنافس الإستعماري على العراق. وقد قدّم هذا المقترح أيضاً قائد الجيش المحاصر الجنرال تاوزند لكنّه لم يحصل على نتيجة[٤].

أمّا ألمانيا فإنّها تميّزت في أطماعها عن باقي الدول الإستعمارية، إنّها كانت متحالفة مع الدولة العثمانية، لذلك سعت إلى زيادة نفوذها السياسي، وهو ما أثار الإنكليز الذين حاولوا مزاحمة النفوذ الألماني، لا سيّما بعد أن أنشـأ الألمـان خط سكّة حديد بغداد، التي عزّزت أهميّة الموقع الجغرافي للعراق. وقد إعتبر بعض المؤرّخين أنّ خط سكّة الحديد كان من الأسباب الكبيرة للحرب العالمية.

إندلعت الحرب العالمية الأولى في بداية آب ١٩١٤م، فسارعت تركيا إلى إعلان الحياد، وفي ٢آب أعلنت النفير العام لتعزيز حيادها أمام إحتمال تعرّضها لعدوان خارجي. غير أنّ الموقف الرسمي للحياد كان يتعارض مع رغبة وزير الدفاع أنور باشا أقوى الوزراء في حكومة الإتحاديين وأكثرهم سيطرة على السياسة التركية، والذي كان يرغب في زجّ تركيا في الحرب العالمية إلى جانب ألمانيا. وقد تعارضت هذه الرغبة في البداية مع توجهات

---

(٤) كتب الجنرال تاوزند مذكراته حول الحرب العالمية الأولى في كتابه بعنوان (محاربتي في العراق) وفيه يتحدّث بشكل مفصّل عن حصار الكوت.

ألمانيا، حيث كانت تتوقّع أن تحرز نصراً سريعاً على الحلفاء.

غير أنّ هذه القناعة تغيّرت في ١٩أيلول ١٩١٤م إثر هزيمة ألمانيا في معركة المارن. فقد أرسل غليوم إلى سفيره في إسطنبول يطلب منه أن يسعى لإدخال تركيا في الحرب. وبالفعل مارس السفير الألماني دوره في هذا الخصوص، وإلتقت مساعيه مع رغبة أنور باشا. وقد حدثت بعد ذلك عدّة وقائع سريعة أزّمت العلاقات مع روسيا، حتى إنتهت بإعلان الحلفاء الحرب على تركيا في أوائل تشرين الثاني ١٩١٤م[٥].

يقول هنري مورغنتو (سفير أمريكا في إسطنبول) في مذكراته: (إنّ السفير الألماني فون فونغنهام ذكر له صراحة الهدف من إدخال تركيا إلى جانب ألمانيا في الحرب، حيث قال: إنّ ألمانيا كانت ترمي إلى إثارة الرأي العام الإسلامي على المسيحيين ـ أي أنّها كانت تنوي تسعير حرب دينية للقضاء على سلطة إنكلترا وفرنسا في مستعمراتها الإسلامية كالهند ومصر والجـزائر وغيرها ـ إنّ تركيا بحدّ ذاتها ليست شيئاً مهمًا، جيشها صغير ضعيف ولا ننتظر منه أعمالاً مجيدة في ساحات القتال، ولكننا نحن لا نرى في تركيا إلّا العالم الإسلامي، فإذا تمكّنا من إثارة الرأي الإسلامي العام ضد إنكلترا وفرنسا وروسيا نكون قد أرغمناهم على طلب الصلح في وقت قريب)[٦].

---

(٥) تراجع تفصيلات الأحداث التي جرّت تركيا إلى الحرب في:
محمد طاهر العمري، تاريخ مقرّرات العراق السياسية، الجزء الأول، الفصل الثاني، ود. علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الرابع، الفصل الأول.

(٦) د. علي الوردي، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٠.

إنّ هذا التفكير ناجح من الناحية النظرية، لكنّ تطبيقاته جاءت مخالفة، فلم تلق دعوة الجهاد التي أصدرها شيخ الإسلام خيري أفندي في ٧تشرين الثاني ١٩١٤م، وكررها السلطان العثماني في ١١تشرين الثاني، ونشرت في بيان موقّع من قبل ثلاثين عالماً في ٢٣تشرين الثاني، لم تلق هذه الدعوة تجاوباً من المسلمين معها، وكان أثرها ضعيفاً إلى حدّ كبير[٧].

الجهاد في العراق

إذا كانت دعوة الجهاد قد فشلت في ولايات الدولة العثمانية والمناطق الإسلامية الخارجة عن إرادتها. فإنّها في العراق إختلفت كلّياً عن المناطق السابقة، فقد نجحت دعوة الجهاد بسرعة كبيرة، ولم يظهر أي مظهر معاكس في هذا الإتجاه، وإستجابة الناس للجهاد لم تكن للدعوة التي وجهت من قبل شيخ الإسلام في إسطنبول، وإنّما للفتاوي التي أصدرها العلماء في النجف والكاظمية وكربلاء وسامراء والتي أوجبت الجهاد على المسلمين ومقاتلة الكفّار والذين هم الإنكليز.

ففي ٢٩تشرين الثاني ١٩١٤م وردت برقية من البصرة إلى علماء الدين في المناطق المقدّسة نصّت على مايلي: (ثغر البصرة، الكفّار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع)[٨].

---

(٧) المصدر السابق، ص ٢١.

(٨) المصدر السابق، ص ١٢٧.

وعلى الفور إستجاب مراجع الدين لهذا الحدث الكبير وأفتوا بوجوب الجهاد دفاعاً عن بيضة الإسلام ضد العدو الكافر. وقد إستجابت العشائر العراقية لهذه الفتاوي وإنطلقت كتائب المجاهدين تحت قيادة كبار العلماء.

في النجف الأشرف أفتى السيد محمد سعيد الحبوبي بالجهاد، وكان له دور طليعي وبارز في هذا الخصوص [9].

كما أفتى السيد كاظم اليزدي بالجهاد رغم العلاقة المتوترة مع الإتحاديين، وقد سبق أن هددوه بالنفي. لكنّه تناسى الماضي وتعامل مع متطلّبات الحاضر، فأرسل إبنه (محمد) لينوب عنه في إستنهاض العشائر. كما خطب في الصحن العلوي الشريف في ١٦كانون الأول يحثّ الناس على الدفاع عن البلاد الإسلامية، وأوجب على الغني العاجز بدناً، أن يجهّز من ماله الفقير القوي [10].

وفي الكاظمية تصدى لحركة الجهاد الشيخ مهدي الخالصي والسيد مهدي الحيدري. فقد كتب الشيخ الخالصي رسالة بعنوان (الحسام البتّار في جهاد الكفّار). ولم يكتف بذلك بل أصدر حكمًا أوجب فيه على المسلمين صرف جميع أموالهم في الجهاد حتى تزول غائلة الكفّار، ومن إمتنع عن بذل ماله وجب أخذه منه كرهاً. وهو في هذا يكون أكثر المراجع تحمساً للجهاد من حيث قوّة فتواه وشدّتها. كما عقد إجتماعاً لعلماء الكاظمية في غرفة

---

(٩) عبدالحليم الرهيمي، تاريخ التحرّك الإسلامي في العراق (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤)، ص ١٦٥.

(١٠) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٢٨.

الكليدار في الصحن الكاظمي الشريف لبحث مسألة الجهاد وإصدار حكم بشأنه. وقد حدث إختلاف في الرأي حول هذه القضية، حيث ذهب البعض وعلى رأسهم السيد حسن الصدر والشيخ عبدالحسين الأسدي إلى إعتبار محاربة الإنكليز بمثابة إلقاء النفس في التهلكة، إستناداً لتقويمهم لقدرة الإنكليز العسكرية التي تفوق ما يملكه المسلمون. بينما أيّد العلماء الآخرون وهم الأكثرية، حركة الجهاد، وحكموا بوجوب الدفاع عن البلاد الإسلامية وعلى رأسهم السيد مهدي الحيدري الذي كان له من العمر ثمانون سنة)[١١].

وقد بعث السيد مهدي الحيدري إلى علماء الدين في النجف الأشرف وكربلاء، يطلب الإجتماع بهم لبحث الأوضاع الخطيرة التي تمرّ بها البلاد. فإستجاب لطلبه ثلاثة من المجتهدين البارزين هم شيخ الشريعة الإصفهاني والسيد مصطفى الكاشاني والسيد علي الداماد، وقد أجري لهم إستقبال جماهيري ضخم في الكاظمية، أمّا بقية علماء الدين فقد كتبوا إليه بأنّهم في طريقهم للالتحاق بالسيد الحبوبي في الشعيبة[١٢]. وقد عقد السيد مهدي الحيدري إجتماعاً عاماً في الصحن الكاظمي وخطب في جماهير الحاضرين حاثاً إيّاهم على الخروج للجهاد.

وفي سامراء أفتى المرزا محمد تقي الشيرازي بوجوب محاربة الإنكليز، وأرسل إبنه الشيخ محمد رضا للالتحاق بالسيد مهدي

---

(١١) المصدر السابق، ص ١٣٠.
(١٢) د. عبدالله النفيسي، المصدر السابق، ص ٨٦.

الحيدري[١٣].

إنّ أهم ما في حركة الجهاد هو خروج مراجع الدين وكبار العلماء على رأس كتائب المجاهدين، ومرابطتهم في خطوط النار، وهي ظاهرة متميّزة في تاريخ التحرّك الإسلامي.

تحرّك السيد محمد سعيد الحبوبي من النجف الأشرف في ٢٥ذي الحجّة ١٣٣٢هـ (١٥تشرين الثاني ١٩١٤م)، عن طريق السماوة والناصرية. وفي ٢٧ذي الحجّة تحرّك السيد عبدالرزاق الحلو. وفي ٧محرّم تحرّك عن طريق بغداد كلّ من شيخ الشريعة الإصفهاني والسيد علي الداماد والسيد مصطفى الكاشاني وموفدو السيد اليزدي وهم كل من نجله السيد محمد والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والسيد إسماعيل اليزدي وقسم من طلبة العلو م الدينية من العرب والفرس. وفي ٤صفر غادر النجف الشيخ جعفر الشيخ عبدالحسين والشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ حسين الحلي والشيخ حسين الواسطي والشيخ منصور المحتصر، وكثير من علماء الدين وطلبة الحوزة العلمية[١٤].

وقد بلغ عدد المجاهدين أكثر من ثلاثين ألف راجل وعشرة آلاف فارس . وفي ٧ربيع الثاني ١٣٣٣هـ وصل النجف حوالي ستمائة فارس من المجاهدين الأكراد، حيث زاروا مرقد الإمام علي عليه السلام، وغادروا

---

(١٣) المصدر السابق، ص ٨٦.

(١٤) حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز، ص ٩١.

النجف في ١٠ربيع الثاني في طريقهم إلى الشعيبة[١٥].

عند وصول المجاهدين إلى القرنة، إنقسموا إلى ثلاثة أقسام: في القرنة كان على رأسهم السيد مهدي الحيدري وشيخ الشريعة الإصفهاني والسيّد مصطفى الكاشاني والسيد علي الداماد. وفي الحويزة الشيخ مهدي الخالصي ونجله الشيخ محمد والشيخ جعفر راضي والسيد محمد اليزدي والسيد كمال الحلّي. وفي الشعيبة السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ باقر حيدر والسيد محسن الحكيم[١٦].

لم يقتصر الجهاد على مناطق العراق، بل أنّه تجاوزها إلى أمارة عربستان والكويت. ففي ٢٢تشرين الثاني ١٩١٤م (١محرّم الحرام ١٣٣٣هـ) وعندما كانت البصرة مهدّدة بالغزو البريطاني، أرسل علماء النجف إلى حاكم عربستان الشيخ خزعل البرقية التالية:

(بإسم الشريعة المحمدية يجب عليك النهوض والقيام وإتّفاقكم مع المسلمين في مدافعة الكفّار عن ثغر البصرة بالمال والنفس وبكل ما تقدرون عليه. وهذا حكم ديني لا يفرق بين الإيراني والعثماني. جاهدوا بأموالكم وأنفسكم لينصركم اللّه بحوله).

وقد وقّع على هذه البرقية الشيخ فتح اللّه (شيخ الشريعة) الإصفهاني والسيد مصطفى الكاشاني والمرزا مهدي الخراساني والسيد علي التبريزي والشيخ محمد حسين المهدي.

---

(١٥) حسن الأسدي، ص ٩١، ويذكر عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، إنّ عدد المجاهدين كان ١٣ ألف مجاهد بضمنهم ١٥٠٠ كردي، والرقم الأول قليل ولعلّه بعيد عن الصواب.

(١٦) د. عبداللّه النفيسي، المصدر السابق، ص ٨٦.

وفي نفس اليوم أرسل السيد كاظم اليزدي البرقية التالية إلى الشيخ خزعل:

(لا يخفى إنّ من أهم الواجبات المحافظة على بيضة الإسلام والدفاع عن النفس والنفيس عن ثغور المسلمين ضدّ مهاجمة الكفّار. وأنت في ثغر مهم من تلك الثغور. فالواجب حفظ ذلك الثغر عن هجوم الكفّار بكل ما تتمكّن، كما يجب ذلك على سائر العشائر القاطنين في تلك الجهات واللازم عليك تبليغ ذلك إليهم. كما أنّه يحرم على كل مسلم معاونة الكفّار ومعاضدتهم على محاربة المسلمين، والأمل بهمّتك وغيرتك أن تبذل تمام جهدك في دفع الكافرين واللّه مؤيّدك بالنصر على أعدائه إن شاء اللّه تعالى)[١٧].

الملاحظ على هاتين البرقيتين أنّهما أخذتا بنظر الإعتبار الوضع السياسي الذي يعيشه الشيخ خزعل، حيث كان تابعاً من الناحية الشكلية للحكومة الإيرانية، ومرتبطاً بعلاقات قويّة مع الإنكليز. لذلك أكّدت البرقية الأولى على أنّ حكم الجهاد لا يفرّق بين الإيراني والعثماني، لكيلا يتخلّف عن الجهاد بحجّة تبعيّته للدولة الإيرانية. كما أكّدت البرقية الثانية على حرمة التعاون مع الكفّار، لتذكيره بخطأ ولائه للانكليز.

لم يستجب الشيخ خزعل لهذه الفتاوي، وظلّ يحتفظ بموقفه الحيادي تجاه الحرب، وهو الحياد الذي يعني في حقيقته الإنحياز للانكليز. كان الشيخ خزعل على علاقة جيدّة بالشيخ عبدالكريم الجزائري، حيث كان من مقلّديه ومن أشدّ الناس إخلاصاً وطاعة له. وعلى أساس هذه العلاقة

---

(١٧) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

إليه الشيخ الجزائري يأمره أن يقف إلى جانب الدولة العثمانية في الحرب، وأن يجهّز حملة عسكرية من العشائر لهذا الغرض. لكنّ الشيخ إعتذر عن القيام بهذا الدور. وأوضح له موقفه من الإنكليز. وقد أثّر هذا الجواب كثيراً في نفس الشيخ الجزائري، وقطع على أثره علاقته بالشيخ خزعل الذي حاول بعد الحرب إعادتها، لكنّه قال: (فرّق ما بيني وبينك الإسلام)(١٨).

ورغم موقف الشيخ خزعل المعارض لحركة الجهاد، إلّا أنّ قعوده لم ينسحب على العشائر الخاضعة لإمارته. فلقد إستجابت هذه العشائر لفتاوي مراجع الدين، لا سيّما وأنّ السيد عيسى كمال الدين وهو كبير علماء عربستان كان يحثّ العشائر للاستجابة لدعوة الجهاد، وقد نجح في مساعيه. ففي ٥ شباط ١٩١٥م أعلنت عشيرة الباوية التي تسكن إلى الشرق من مدينة الأهواز إنضمامها لحركة الجهاد، وقطعت أنابيب النفط، وإستولت على مخازن شركة النفط البريطانية، وذلك فور وصول قوّة تركية مع قوات العشائر العراقية إلى ضفاف نهر الكرخة على بعد عشرين ميلاً من بلدة الأهواز، وكان على رأس المجاهدين الشيخ مهدي الخالصي ونجله الشيخ محمد والسيد محمد نجل السيد كاظم اليزدي والشيخ عبدالكريم الجزائري والسيد عيسى كمال الدين(١٩).

لقد تعرّض الشيخ خزعل لتمرّد العشائر عليه، لعدم إستجابته لفتاوي الجهاد ووقوفه إلى جانب الإنكليز، كما حدث في ٢٥ شباط حين ثارت

---

(١٨) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٤٠ ـ ١٤١.
(١٩) المصدر السابق، ص ١٤١ ـ ١٤٢.

عليه عشيرة بني كعب، حتى جمع قواته وإستطاع أن يتغلّب عليها، كما وجّه قواته إلى عشيرة الباوية وتغلّب عليها أيضاً.

وفي الكويت كانت هناك إستجابة ملحوظة لدعوة الجهاد، حيث واجه الشيخ مبارك الصباح معارضة عشائرية كادت أن تتحوّل إلى تمرّد، عندما حاول إرسال قوّة منها لدعم موقف الشيخ خزعل ضد العشائر الثائرة والمجاهدة[٢٠].

وكانت حركة الجهاد حدثاً متميّزاً في مسار التحرّك الإسلامي، إذ أنّها أثبتت حجم الترابط الوثيق بين الشعب العراقي وبين قيادته المتمثلة بالمرجعية. ولم يكن في تلك الحركة فاصلة بين الشعب والعلماء، فلقد إشترك الإثنان معاً في الموقف الواحد، وأعطيا للجهاد إهتماماً واحداً، وتفاعلاً قوياً من خلال المرابطة على جبهات القتال وتوفير مستلزمات الجهاد. رغم أنّ الشيعة في العراق كانوا موضع ظلم وسخط السلطة العثمانية. ومع ذلك قفز علماء الدين على كل تراكمات الماضي، وتعاملوا مع الأحداث بنظرة موضوعية. كما أنّ العشائر العراقية وبقيّة أبناء الشعب العراقي إستجابت لدعوة الجهاد، وتناست ذكرياتها المؤلمة التي إزدحمت طوال السنوات السابقة، حيث كانت السلطة العثمانية تمارس ضدّهم أبشع ألوان التمييز الطائفي والقومي، وخرجت تدافع عن الدولة العثمانية ضدّ الإنكليز.

كان الجهاد حركة مخلصة، لأنّها إنطلقت من قيم إسلامية صادقة، ومن فهم دقيق للموقف الشرعي. وأعطاها العلماء والمجاهدون ما بوسعهم

---

(٢٠) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ١٦٩.

من أجل إنجاحها. يروى أنّ السيد محمد سعيد الحبوبي كان يصرف من أمواله الخاصة على المجاهدين، فأراد القادة الأتراك إعطاءه مبلغاً إسبوعياً يضعه تحت تصرّفه، فرفض ذلك بشدّة قائلًا: (إنّي مكلّف بالتضحية في مالي ونفسي فإذا نفد المال بقيت نوبة النفس، إعتبروني جندياً من الجند آكل مما يأكلون وأشرب مما يشربون، وجهاد النفس أفضل، لا. لا أقبل درهماً واحداً. وقائد الجيش أعرف بمواقع الصرف. ولا أسمح لكل أحد أن يفاتحني في هذا الشأن)[٢١].

إنّ هذا الموقف المبدأي الواعي لا يختلف عن موقف المجاهدين من أبناء العشائر، لقد سلكوا نفس السلوك، وإعتمدوا على أموالهم الخاصة في تجهيز أنفسهم بإحتياجات الجهاد دون الإعتماد على الحكومة. فقد كان بعض رجال القبائل يبيعون ما لديهم من متاع وأثاث على ما هم عليه من فقر، لكي يبتاعوا بثمنه سلاحاً، إطاعة لفتوى المراجع[٢٢]. وهذه المواقف وحدها تكفي للرد على بعض المؤرّخين الذين يعتبرون العشائر إنّما إستجابوا لدعوة الجهاد بدافع الحصول على الغنائم والنهب.

الشجاعة والصمود كانت من الصفات المميزة لعلماء الدين وللمجاهدين في الوقائع العسكرية التي حدثت، رغم أنّ العلماء لم تكن لديهم

---

(٢١) فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية، الجزء الأول، ص ٣٩، ويقول علي الخاقاني: (إنّ الحكومة العثمانية قدّمت له خمسة آلاف ليرة ذهب كمساعدة له على مواصلة جهاده، ولكنّه رفض ذلك وقال: مازلت أملك المال فلا حاجة لي به، وإذا مانفد فشأني شأن الناس آكل مما يأكلون وأشرب مما يشربون). الخاقاني شعراء الغري ح٩، ص ١٥٠.

(٢٢) د. عبدالله النفيسي، المصدر السابق، ص ٨٩.

تجربة قتالية ولم يسبق أن مارسوا العمل العسكري أو حملوا السلاح، ومع ذلك فقد تعاملوا مع الأحداث بذهنيّة ميدانية، كان لها دور مهم في تعزيز الموقف العسكري. ففي معركة الروطة التي تقع على بعد ١٥كيلومتراً شمالي القرنة، كان السيد مهدي الحيدري قد نصب خيامه في الخطوط الأمامية. وعندما هجمت القوات الإنكليزية على المنطقة في ٢٠كانون الثاني ١٩١٥م، رفض السيد الحيدري الإنسحاب، رغم شدّة القصف الإنكليزي، وقال لأصحابه الذين طلبوا منه الإنسحاب من موقعه: (إنّ معنويّات الجيش كلّه ستنكسر إذا قوّضتم خيامنا، وربّما ظنّوا بأننا قد إنسحبنا عن مراكزنا، فتضعف عزيمتهم، وتنهار قدرتهم، بل يجب أن تبقى خيامنا قوّة للجيش، وراية للاسلام، وهيبة للمسلمين، ورهبة للكافرين). وراح يحثّ المجاهدين على الثبات حتى إنتهت المعركة بهزيمة الإنكليز.

إنّ هذا الموقف البطولي أثّر في قائد الجيش العثماني سليمان العسكري الذي جرح في نفس المعركة. فعندما زاره في المستشفى ببغداد أحد رجال الدين من الموظفين في الحكومة، عاب عليه العسكري قعوده وقال له: (أنت هاهنا ترفل بالراحة والطمأنينة والنعيم، مع أنّك تتقاضى راتباً ضخماً من الدولة طيلة عمرك، وأنّ الإمام السيد مهدي السيد حيدر يحارب الإنكليز بنفسه ـ على شيخوخته وعظمته ـ وهو الآن في الصفوف الأولى، مع أنّه لم يقبل من أموال الدولة قليلاً ولا كثيراً طيلة عمره)[٢٣].

---

(٢٣) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٣٧ ـ ١٣٩. ويراجع أحمد الحسيني، الإمام الثائر مهدي الحيدري، للوقوف على تفاصيل مواقف السيد الحيدري.

كانت معركة الشعيبة التي إنتهت في ١٤نيسان ١٩١٥م بإنتصار الإنكليز، إنعطافة في حركة الجهاد، لما تمخّض عنها من آثار نفسيّة قاسية كانت مؤلمة للجميع، حتى أنّها تسببت في وفاة السيد محمد سعيد الحبوبي في الناصرية عند عودته من الجبهة، وذلك في ٢ شعبان ١٣٣٣هـ[٢٤].

لقد كان الأتراك حتى في تلك اللحظات التي يجاهد فيها المسلمون ويبذلون نفوسهم وأموالهم دفاعاً عن دولتهم ضد الإنكليز، لقد كانوا يتعاملون مع المجاهدين العراقيين أنفسهم تعاملًا جافياً صلفاً بعيداً كل البعد عن روح الشهامة والنبل فحمّلوا المجاهدين مسؤولية الهزيمة، رغم أنّهم قدموا للمعركة أقصى جهودهم، ويكفي القول أنّ المعركة رغم التفوّق الكبير للجيش الإنكليزي في معدّاته وخططه وخبرته، فإنّها كادت تحسم لصالح المسلمين. ففي اليوم الثالث والأخير دارت المعركة بالسلاح الأبيض وبشكل عنيف، وقرر الإنكليز الإنسحاب، فطلب قائد الجيش الجنرال مليس أن تأتي سرية النقل بسرعة لنقل الجرحى قبل إنسحاب قواته. غير أنّ الأتراك ظنّوا أنّ سرية النقل هي إمدادات جديدة للقوات البريطانية، فقرروا الإنسحاب بسرعة. وإنتهت معركة الشعيبة لصالح الإنكليز.

وعليه فإنّ سبب الهزيمة هو قرار القيادة التركية وليس المقاتلين. لكنّ هذه الحقائق تضيع عادة في الأجواء الصاخبة التي تحدثها المعارك خصوصاً إذا كانت النتيجة هي الهزيمة. وقد تعرّض المجاهدون لإهانات القواد الأتراك وسخريتهم، وهو ما أثّر في نفسيّة المجاهدين الذين قدّموا في

---

(٢٤) علي الخاقاني، شعراء الغري، ج٩، ص ١٥١.

تلك المعركة ثلاثة آلاف شهيد[٢٥]، وكان من بين القتلى والأسرى عدد من علماء الـدين منهم الشيخ باقـر حيدر والشيخ عيسى مال اللّه[٢٦]، وهي خسارة كبيرة تدلّ على حجم عطاء المجاهدين في المعركة.

يروى أنّ أحمـد بك أوراق أحـد قادة الأتـراك، إتّهم المجاهدين بالخيانـة، فأجـابـه الشيخ بدر الـرميض رئيس بني مالـك: (أنتم الخونة للاسلام.. وتحزّبكم ضدّ العرب كاف لمصداق قولي.. وأنتم بعد هذا أولى بالحـرب والقتـال ممن نحـارب، ولـولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها)[٢٧].

إنّ هذا القول يعبّر عن إتّجاه عام لدى رؤوساء العشائر وبقيّة أبناء الشعب العراقي، لكنّ المصلحة الإسلامية كانت عندها أهم من الماضي ومن الحاضر. لقد تعاملوا مع الواقع من منطلق إسلامي ثابت، فأفتى العلماء بالجهاد وسار الجميع إلى جبهات القتال، وفي ذاكرتهم أرشيف ضخم من الإساءات التركية، وفي نفوسهم آلام قاسية لما عانوه من الحكومة[٢٨].

لم تجد كتائب المجاهدين وعلماء الدين الموقف المناسب من الأتراك

---

(٢٥) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٢٦) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٢٧) فريق المزهر الفرعون، المصدر السابق، ج١، ص ٤٠.

(٢٨) من الأمثلة على إستهـانـة الأتراك بعلماء الدين، إنّهم منعوا في عام ١٩٠٤م دفن المرجع الإسلامي الشيخ محمد الشربياني في الصحن الحيدري الشريف، لأنّهم كانوا قد منعوا الدفن في الصحن بشكـل عام لتفشّي مرض الكـوليرا. ولم يستسغ أهالي النجف ممانعة الحكومة فدفنوه بالقوة. وتعد ممانعة الأتراك تحدياً لمشاعر المسلمين، وتوهيناً لمقام المرجع الديني الذي له قدسية خاصة في نفوس الشيعة. حسن الأسدي، ص ٨٣.

في التعامل مع حركتهم الجهادية، رغم كون الشيعة هم المضطهدون طيلة الحكم العثماني وهم الوحيدون في عموم الإمبراطورية العثمانية الذين وقفوا إلى جانب السلطة لمحاربة الكفّار. وقد إزداد سوء تعامل الأتراك مع الشيعة ومع العشائر العراقية خاصة بعد هزيمة الشعيبة، ومع ذلك لم يتخلّوا عن نصرة الدولة حتى نهاية الحرب. صحيح أنّ هناك من ترك ميدان الحرب، وهناك من إنحاز للانكليز، لكنّ موقف علماء الدين ومعهم القطّاع الأكبر من أبناء الأمة ظلّ إلى نهاية الحرب مؤيّداً للعثمانيين. ولعلّ ثورة النجف الأشرف عام ١٩١٨م دليل قوي على ذلك كما سيأتي.

لقد كان من المفروض على الحكومة التركية أن تستفيد من موقف علماء الدين والعشائر الذين وفّروا عليها عشرات الالاف من المقاتلين (كان عدد المجاهدين أكثر من القوات النظامية التركية في معركة الشعيبة)، وأن تؤجّل أي مظهر من مظاهر الإستفزاز، إن لم نقل تلغي نهائياً هذه المظاهر. لكنّ الذي حصل أنّ العلماء والمجاهدين في الوقت الذي كانوا يحاربون الإنكليز في معارك ضارية وفي ظروف قاسية، كان الأتراك في النجف الأشرف يمارسون أعمالاً إستفزازية بحقّ الأهلين، وذلك خلال بحثهم عن الفارين من الخدمة العسكرية. حيث أخذ رجال الدرك يداهمون البيوت ويتحسّسون أجساد النساء بدعوى خشية أن يتنكّر الهاربون بزي النساء[٢٩]، وكان طبيعياً أن تواجه هذه الممارسات بسخط جماهيري عنيف،

---

(٢٩) حسن الأسدي، المصدر السابق، ص ٩٣. ويقول الأسدي إنّ الأتراك أرسلوا قوة عسكرية إلى النجف الأشرف لتبحث عن الهاربين، رغم أنّ عددهم لا يتجاوز الخمسين أو أكثر بقليل.

لما يعـرف عن المـدينة من صفة محافظة وتمسّك بالشّعائر الإسلامية. وقد تطوّرت الأحـداث بشكـل سريع، حتى إندلعت حركة تمرّد مسلّحة ليلة ٢٢مايس ١٩١٥م إستمرت ثلاثة أيام، وأسفرت عن إخراج القوات التركية من النجف الأشـرف، وقيام إدارة محلية للمـدينة برئاسة زعماء المحلّات الأربـع[٣٠]. وقـد إستمـرّت هذه الإدارة حتى عام ١٩١٧م حيث إحتلّ الإنكليز بغداد.

وقـد تبـع هذه الثـورة، ثورات متتابعة في كربلاء والكوفة والحلّة وطـويريج، حيث طردت من هذه المنـاطق الحاميات التركية والإدارات الحكومية[٣١]، ثم عادت بعد المفاوضات، فأبقت لها وجوداً إدارياً رمزياً لحفظ هيبة الحكومة.

دعوة ثانية للجهاد

بعد معركة الشعيبة، عانت القوات التركية من هزائم متكررة أمام

(٣٠) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٩٠. ومحلّات النجف الأربع، هي: العمارة، الحويش، البراق، والمشراق.

(٣١) د. عبدالله النفيسي، ص ٩١. ويقول النفيسي في معرض حديثه عن ثورة النجف أنّ السلطة الإدارية والوطنية المستقلة في المدينة كانت بيد المجتهد الأكبر الذي أدار دفّة الحكم قرابة سنتين. ويقصد به السيد كاظم اليزدي، غير أننا لم نجد في المصادر المتوفرة لدينا مايشير إلى ذلك.

ويقـول النفيسي أنّ الجنود الأتراك خلال إطلاقهم النار على النجفيين عطبوا إحدى المآذن في الحرم الشريف، فإستنكر علماء الدين هذا الإعتداء، وأصدروا منشوراً إلى العالم الإسـلامي، وقـع عليه مئتا عالم دين، ووافق عليه السيد كاظم اليزدي، الذي بعث برقية إحتجاج إلى إسطنبول.

القوات البريطانية، حتى أنّ الحكومة كانت تفكّر بنقل دوائرها ومخازنها إلى سامراء، تحسّباً لسقوط بغداد، وفي هذه الأجواء المرتبكة قررت الحكومة العثمانية الإعتماد على علماء الدين الشيعة بعد أن لمست قدرتهم في تعبئة عشرات الالاف من المجاهدين. لذلك قررت أن يكون الجهاد هذه المرّة ذا صبغة شيعية، بعد أن كان في المرة الأولى لعموم المسلمين، فجعلت الدعوة للجهاد تحت شعار (العلم الحيدري الشريف)[٣٢].

إستجاب علماء الدين لدعوة الجهاد الجديدة، ووافقوا على تعبئة الأمة، رغم أنّ تجربتهم الأولى كانت قاسية مع الأتراك. لكنّ ذلك لم يؤثّر على تفاعلهم مع الحرب، أنّهم يرون جيوش المسلمين وكيانهم السياسي في خطر، ولا بدّ من درء الخطر.

وبدأت دعوة الجهاد في مطلع شهر محرّم الحرام ١٣٣٤هـ (تشرين الثاني ١٩١٥م)، أي بعد ما يقرب من سنة على المرة الأولى، كانت النجف الأشرف تدار في هذه الفترة من قبل رؤساء المحلّات الأربع، وقد تعارضت رغبة الرؤساء مع توجّه علماء الدين، لكنّهم لم يستطيعوا إعلان رأيهم جهرة، فحاولوا عرقلة الحركة في البداية لكنّهم إضطروا إلى السير معها في النهاية.

في يوم ١١محرّم ١٣٣٤هـ (١٩تشرين الثاني ١٩١٥م) أخرج العلم من فوق الضريح المطهّر، وخرج المجاهدون من النجف الأشرف في موكب كبير يتقدّمهم علماء الدين، منهم: شيخ الشريعة الإصفهاني، السيد علي التبريزي، السيد مصطفى الكاشاني، الشيخ باقر القمّي، الشيخ محمد

---

(٣٢) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ٢٣٣.

حسين القمشئي، السيد عبدالرزاق الحلو، المرزا مهدي نجل الملا كاظم الخراساني، السيد علي نجل السيد محمد سعيد الحبوبي، الشيخ عبدالرضا الشيخ مهدي، السيد محمد علي بحر العلوم، الشيخ محمد جواد الجواهري، السيد هبّة الدين الشهرستاني، الشيخ عبدالكريم الجزائري، الشيخ محمد حسين الجعفري، الشيخ أسحق الرشتي، الشيخ عبدالحسين الجواهري، الشيخ حسن علي القطيفي وغيرهم الكثير(٣٣).

وخلال مساعي العلماء في الدعوة للجهاد، مرض السيد مصطفى الكاشاني ووافاه الأجل وهو في واجبه الإسلامي الكبير وذلك في مدينة الكاظمية المقدسة(٣٤).

وقد صادف هذا التحرّك، إنتصار العثمانيين على الإنكليز الذين تراجعوا إلى مدينة الكوت. وفرض الجيش العثماني عليهم حصاراً شديداً حتى إستسلمت القوات الإنكليزية.

وإذا كان علماء الدين الشيعة قد تفاعلوا مع مسألة الجهاد بقوّة، فإنّ علماء الدين السنة لم يظهر لهم مثل هذا الموقف. بل أنّ العلماء السنة الذين يحملون صفة رسمية في الدولة العثمانية، تقاعسوا عن حركة الجهاد، والأكثر من ذلك أنّ علماء بغداد عقدوا في أواخر عام ١٩١٥م إجتماعاً في منزل عبدالرحمن الكيلاني ضمّ كلًّا من موسى الباججي وجميل زاده عبدالرحمن ويوسف السويدي ويوسف الباججي وعبداللطيف ثنيان ورشيد الهاشمي.

---

(٣٣) المصدر السابق، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٣٤) علي الخاقاني، المصدر السابق، ج١١، ص ٣٢٦.

قرروا فيه تأييد الإنكليز وعرض إمكانياتهم على تقديم مساعدتهم للقوات البريطانية. وقد وافق المجتمعون بإستثناء عبدالرحمن النقيب الذي ذكر أنّه خدم العثمانيين طويلاً وليس بمقدوره الإنقلاب عليهم[٣٥].

إحتلال العراق

حتى مطلع عام ١٩١٧م كانت المعارك لا تزال على وضعها الذي حسم في الكوت في ٢٩ نيسان ١٩١٦م، حيث إستسلم تاوزند مع كامل قواته، إثر حصار محكم فرضه الأتراك حولهم. وقد تبع هذه النتيجة فترة إسترخاء خطيرة سيطرت على القيادة التركية، بينما كان الإنكليز يستعدّون لهجوم كبير.

في ٩ كانون الثاني ١٩١٧م، إستعاد الإنكليز مدينة الكوت بقيادة الجنرال مود. وفي ١١ آذار سقطت بغداد. وفي أيلول سقطت الرمادي. وفي ١ تشرين الثاني ١٩١٨م أعلنت هدنة مودروس، وبعدها إحتلّ الإنكليز الموصل.

حدث مهم شهدته الساحة العراقية قبل أن يكمّل الإنكليز إحتلال العراق، وهو يتعلّق بالنجف الأشرف، حيث إندلعت فيها ثورة مسلّحة كانت لها دلالات سياسية هامة في تاريخ التحرّك الإسلامي في العراق.

كان الإنكليز حذرين في التعامل مع النجف الأشرف، لذلك لم يدخلوها بقوّة عسكرية تحاشياً لوقوع ردّة فعل مفاجئة من قبل علماء الدين

---

(٣٥) د. وميض جمال عمر نظمي، الجذور التاريخية للحركة القومية العربية في العراق، ص ١١١.

الذين قادوا حركة الجهاد ضدّهم. وفضّلوا إقامة حامية عسكرية في الكوفة لتكون مقراً لحاكم منطقة الشامية والنجف وذلك في نيسان ١٩١٧م.

في تشرين الأول ١٩١٧م، عيّن الإنكليز الكابتن بلفور حاكماً لهذه المنطقة. وقد حدثت في تلك الفترة حادثة مهمّة، حيث أراد الإنكليز أن تزوّد مدينة النجف بالحبوب قبيلة عنزة الموالية لهم، مما أدى إلى إرتفاع الأسعار وهياج الرأي العام. وقد ثارت على سلطة الإنكليز عشائر أبو صخير والكوفة، وإضطرّ بلفور إلى اللجوء إلى السيد اليزدي لحمايته من الثوّار، وبالفعل وفّر له الحماية.

لقد نبّهت هذه الحادثة الإنكليز إلى قدرة النجف الأشرف في التأثير على العشائر المحيطة بها، لذلك جعلوا سور النجف حدّها الإداري، وسعوا إلى عزل العشائر عنها.

وحدث في تلك الفترة أيضاً أن صدر في ٢تشرين الثاني ١٩١٧م وعد بلفور القاضي بإعطاء فلسطين لليهود، وهو تحدّ كبير للمشاعر الإسلامية، لأنّه أظهر الإنكليز وكأنّهم يتعاملون مع البلدان الإسلامية على أنّها ممتلكاتهم.

إنّ هذه الأحداث بلورت في أذهان علماء الدين ضرورة مواجهة النفوذ الإنكليزي بطريقة منظمة، تستطيع أن تحقق أغراض عمل ثوري كبير يقود إلى تشكيل حكومة إسلامية كهدف نهائي، وإلى إحداث ثورة جماهيرية في مناطق العشائر تكون بمثابة ضربة لمؤخّرة الجيش الإنكليزي الذي يحارب الأتراك في الشمال، وبذلك يمكن للقوات العثمانية من إعادة تنظيم نفسها، وذلك كأهداف مرحليّة.

وإنطلاقاً من هذا التفكير تشكلت جمعية النهضة الإسلامية أواخر

عام ١٩١٧م برئـاسـة السيد محمـد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري، وضمّت في عضويتها عدداً كبيراً من الشخصيات الإجتماعية في النجف الأشرف. وركّزت الجمعية منذ البداية على الجانب العسكري، حيث شكّلت جناحاً عسكرياً خاصاً ضمّ أكثر من مائتي مقاتل[٣٦].

إنّ تشكيل جمعيّة النهضة الإسلامية يعدّ أول تجربة حزبية إسلامية لعلماء الدين في العراق في القرن العشرين. وهي تطوّر مهم في التحرّك الإسلامي.

غير أنّ الخلل الذي حدث في مسار هذه الجمعية، إنّ الحاج نجم البقّال وهو قائد أحد أجنحتها العسكرية، إستعجل ظروف الثورة، وظنّ أنّ الوقت قد حان لإعلان الثورة في النجف الأشرف، حتى تشتعل نارها في بقيّة المناطق. وهو تقويم فردي إذ أنّ الجمعية لم تستكمل برامجها في هذا الخصوص، ولم تهيء مستلزمات الثورة وظروفها مع شيوخ العشائر.

في ١٩آذار ١٩١٨م هاجم الحـاج نجم البقّال وأفراد مجموعته مقر الحاكم الإنكليزي (مارشال) دون علم قيادة الجمعية، وتمكّن من قتل الحاكم الإنكليزي وعدداً من أفراد الحامية. وعقب هذا الحادث سارعت القوات الإنكليزية إلى التحشّد حول النجف في محاولة لإقتحامها، وكانت الجمعية قد قررت دخول المواجهة التي باتت محتومة مع الإنكليز.

وهكذا وقعت ثورة النجف التي إستمرّت وسط حصار شديد فرضه

---

(٣٦) تحدثنـا في الفصل الثاني من الجزء الأول من هذا الكتاب، عن جمعية النهضة الإسلامية وتشكيلاتها التنظيمية.

الإنكليز على المدينة، دام حوالي ٤٥ يوماً، حتى إنتهت بدخولهم إليها.

ولأنّ ثورة النجف إندلعت خلال الحرب العالمية الأولى، فهل يمكن إعتبارها مظهراً من مظاهر حركة الجهاد التي أعلنها مراجع الدين؟.

الإجابة على هذا السؤال بشكل قاطع مسألة صعبة. ذلك لأنّ خلفيّة الثورة إنطلقت من موقف المرجعيّة إزاء الإنكليز، وبالمقابل لم تحض الثورة بتأييد كبار العلماء ومراجع الدين.

إنّ تأسيس جمعية النهضة الإسلامية، إنّما جاء نتيجة الواقع السياسي الجديد الذي بدأ يدخله العراق إثر التحوّلات الكبيرة التي رافقت الحرب العالمية، وسقوط الأجزاء الجنوبية والوسطى من العراق تحت السيطرة البريطانية. وكان هدف الجمعية المرحلي القيام بثورة مسلّحة تربك الإنكليز وتساهم في إخراجهم من العراق. وهو الهدف الذي يعتبر تنفيذاً ميدانياً واعياً لحركة الجهاد، وسيراً على نفس النهج الذي إتخذته المرجعية الدينية تجاه أطراف الحرب. لكنّه جاء هذه المرّة مختلفاً عن السلوك الذي كان سائداً في بدايات الحرب، ولعلّ ذلك ناشيء من تبدّل الأوضاع السياسية والعسكرية في العراق إثر التراجع التركي الخطير في المعادلة القتالية.

لكنّ جمعية النهضة وهي المحرّك الرئيس لأحداث النجف لم تحض بدعم مرجعي ملموس، فمراجع الدين وكبار العلماء الذين ساهموا في حركة الجهاد، أمثال الشيخ مهدي الخالصي والشيخ محمد تقي الشيرازي والسيد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الإصفهاني وغيرهم لم تكن لهم علاقة واضحة مع الجمعية. وعلى فرض أنّ نشاط الجمعية السرّي قد جعلها تتحرّك في أوساط محدّدة، وبالتالي حجب تفاعل العلماء معها والتنسيق مع مشاريعها،

فإنّ إندلاع ثورة النجف كان يحتّم على العلماء مؤازرة الثورة خصوصاً وأنّها تسعى لتحريك عشائر الفرات الأوسط ضدّ الإنكليز في ثورة شعبية كبيرة. وقد مرّت النجف الأشرف بظروف قاسية كانت أحوج ما تكون إلى دعم العشائر، وهو ما لا يتم إلّا بتدخّل العلماء ودعمهم. وكانت الثورة بحاجة إلى فتوى دينية تؤكّد الجهاد ضد الإنكليز على أقل تقدير، إن لم تصدر فتاوي خاصة بشأن المأزق الذي تعانيه.

فلماذا غابت الفتوى؟.

ربّما نستطيع أن نجد لهذا السؤال جواباً من خلال القول بعدم وضوح واقع الثورة للعلماء. فهي عندما إندلعت كانت في شكلها العام تفسّر على أنّها تطوّر سريع للأحداث إثر عملية الحاج نجم البقّال، وليست بمبادرة من قبل علماء الدين، وهي مسألة على قدر كبير من الأهمية أيّامذاك. حيث شهدت النجف الأشرف وغيرها ثورات محليّة ضدّ السلطات التركية، جاءت بمبادرة من قبل الشخصيات الإجتماعية وليس من قبل علماء الدين. وقد بذل علماء الدين جهودهم من أجل تسوية سلمية بين أقطاب الثورات المحليّة والحكومة التركية لتهدئة الأوضاع في العراق. وكانت النجف صاحبة المبادرة الأولى، حيث شكّلت هيئة إدارية مستقلّة للمدينة ـ كما ذكرنا ـ، وقد أظهر رؤساء النجف إتجاهاً مستقلًا عن موقف المرجعية ورغبات علماء الدين، وهو ما توضّح في حركة الجهاد الثانية، إذ كانوا يسعون لإفشالها، ولم تكن مساعيهم لتغيب عن أنظار علماء الدين، كما أنّ ثورتهم على الأتراك لم تغب عن ذاكرة العلماء بعد، فهم أنفسهم الذين ثاروا فيما بعد على الإنكليز.

في المرة الأولى التي ثاروا على الأتراك لم يأخذ رؤساء النجف رأي العلماء، بل أنّهم ساروا في طريق معاكس لتوجيهاتهم. وفي المرّة الثانية خلال ثورة النجف، برزوا على الساحة في واقعة جديدة، بدت للوهلة الأولى إرتجاليّة منفصلة عن العلماء وآرائهم. ولم يقع في أيدينا ما يشير إلى تحرّك قائدي الجمعية السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري في الأوساط العلمية ومحاولة كسب تأييد المرجعية، ولعلّ الأحداث قد فاجأتها أيضاً، لأنّ العملية لم تتم بعلمها.

لقد وجد كبار العلماء أنّ الأحداث إنّما يصنعها رؤساء النجف وليس لهم تأثير عليهم. ففي اليوم الأول الذي تلى وقوع الهجوم على مقر الحاكم الإنكليزي، قتل أحمد ومحسن ولدا الحاج سعد الحاج راضي (أحد زعماء النجف)، شرطيين تابعين للسلطة البريطانية، وهو الحادث الذي أزّم الوضع إلى درجاته القصوى، وعلى أثره طلب السيد كاظم اليزدي من والدهما أن يسلّم ولديه مع تعهّده بالمحافظة على حياتهما، لكنّ الأب رفض ذلك وخرج ناقمًا وداعياً للثورة.

وعندما أخذ الثوار مواقعهم لمواجهة القوات الإنكليزية التي راحت تحاصر النجف، كان واضحاً بأنّهم يسيرون بمعزل عن آراء العلماء ومراجع الدين في النجف، وأنّهم يتصرّفون وفق إرادتهم الخاصة. وبالتالي وجد العلماء أنفسهم بعيدين عن مجريات الأحداث وأنّهم لا يمتلكون القرار المؤثّر في هذا الموقف الخطير.

إنّ هذه المسألة تأكّدت في اليوم الحادي والعشرين من آذار وهو اليوم الثالث للثورة، عندما عقد السيد اليزدي إجتماعاً كبيراً في مدرسته،

دعـا إليه العلماء والأعيان والـرؤسـاء والـوجـوه، لبحث حقيقة الموقف والتفاوض مع قادة الثورة، وإنفضّ الإجتماع دون نتيجة. فقد كان الثوار يرون أنّ المفاوضات ليست في صالحهم وأنّها تضعف موقفهم.

وتأسيساً على ذلك، أصبحت الثورة موقفاً خاصاً برجالها، أمّا علماء الدين وعلى رأسهم السيد اليزدي فهم طرف خارج القضية، وأنّ تدخّلهم يأتي ضمن مساعي الوساطة.

إنّ هذه الأحداث تشير إلى إختلاف كبير في توجّهات الطرفين، فالثوار يرون في الثورة ضرورة لا بدّ منها بعد الذي حصل، وأنّها خيارهم الوحيد. أمّا العلماء فإنّهم مارسوا دور الوساطة بإعتبار أنّ الأحداث يجب السيطرة عليها قبل أن تتطوّر الأمور إلى ماهو أخطر.

ومن الطبيعي أن ينجم عن إختلاف وجهات النظر هذه تباعد في المـواقف وفي طريقـة التحـرّك، فكان من الصعب على العلماء أن يزجّوا أنفسهم في خطوة ليس لهم فيها رأي، وربّما إقتنعوا أنّ الوضع العسكري والسياسي لا يسمح لهم بإتّخاذ موقف عملي مؤيّد للثورة، حتى ولو أصدروا فتوى الجهاد. وقد ظلّ الموقف العلمائي على وضعه حتى نهاية الثورة وصدور الأحكـام بحق الثـوار. فتدخّل المرزا محمد تقي الشيرازي وخفّف حكم الإعدام بحق السيد محمد علي بحر العلوم إلى النفي. أمّا السيد اليزدي فإنّه رفض أن يتشفّع للشيخ محمد جواد الجزائري فتمّ إعتقاله. وقد إتصل بلفور بالسيد اليزدي قبل أن يقدم على تنفيذ أحكام الإعدام. وقد سأله إن كان

لديه مايقوله في حق المحكوم عليهم. فلم يفعل شيئا .

إنّ أحداث الحرب العالمية الأولى تكون قد شهدت مظهرين من التحرّك الإسلامي:

الأول: دعوة مراجع الدين للجهاد، وإستجابة واسعة من قبل الأمة لهذه الدعوة منذ الأيام الأولى للحرب. وقد فاجأت نتائجها حتى السلطات التركية التي حوّلت الجهاد من دعوة إسلامية عامة إلى دعوة شيعية خاصة فيما بعد، لأنّها وجدت أنّ إستجابة أبناء السنة كانت ضعيفة إن لم تكن معدومة.

الثاني: تأسيس حزب إسلامي سياسي هو الأول في القرن العشرين سار من حيث الأساس مع دعوة الجهاد، ورسم خطاً مستقبلياً يقود إلى الحكم الإسلامي في العراق وفي غيره من البلاد الإسلامية كأهداف بعيدة. إلّا أنّ التطبيق الميداني ـ لظروفه الخاصة التي سبق الحديث عنها ـ أدّى إلى ثورة محليّة في النجف الأشرف غير مستكملة الخطوات، فأربك المسيرة، وحصل تباعد بين الثوار وبين علماء الدين في التعامل مع الأحداث.

المهم أنّ الحرب العالمية الأولى أعطت نموذجاً رائعاً لتلاحم القيادة العلمائية مع الأوساط الشعبية، وقوة تأثير المرجعية على أبناء الأمة.

---

(٣٧) حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق، ص ٩٧ ـ ٩٨.

الفصل الخامس

إستفتاء عام ١٩١٨م

بدايةّ المعارضة
السياسية للانكليز

في الثلاثين من تشرين الأول ١٩١٨م عقدت هدنة مندروس التي أنهت العمليات العسكرية بين تركيا وبريطانيا. وبذلك دخل العراق مرحلة جديدة من حياته السياسية، حيث شكّل هذا التاريخ حدّاً فاصلاً بين الحكم العثماني وبين الإدارة البريطانية.

حتى إستكمال القوات البريطانية إحتلال العراق، فإنّ بريطانيا لم يكن لديها تصوّر محدد حول مستقبل إدارته. وقد دخلت السياسة البريطانية في نقاش حاد حول هذه المسألة، فأفرز إنقساماً حاداً في المواقف والآراء، توزعت على إتّجاهين رئيسيين:

الأول: يرى ضرورة وضع العراق تحت الإدارة البريطانية المباشرة.

والثاني: يعتبر أنّ أفضل طريقة لحكم العراق هي الإدارة غير المباشرة من قبل بريطانيا.

كان أرنولدولسن نائب الحاكم المدني العام في العراق، أبرز دعاة الإتجاه الأول. وقد بذل جهوداً مضنية لإقناع الحكومة البريطانية بضرورة تبني رأيه. غير أنّه بالمقابل كان يواجه حملة مضادة من قبل أصحاب الإتجاه

الثاني، حتى قدّم إقتراحه إلى الحكومة البريطانية بإجراء إستفتاء للشعب العراقي من أجل التعرّف على وجهات نظره.

وقد درست اللجنة المختصة بمستقبل العراق هذا الإقتراح في ٢٧ تشـرين الثاني ١٩١٨م، وقررت تخويل ولسن بإجراء إستفتاء في العراق يتضمّن الأسئلة التالية:

١ـ هل يؤيّدون إقامة دولة عربية واحدة تحت إشراف بريطاني وتمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل إلى الخليج الفارسي؟.

٢ـ وفي هذه الحالة هل يرون تنصيب رئيس عربي فخري على هذه الدولة الجديدة؟.

٣ـ فإذا كان الأمر كذلك فمن يفضّلونه رئيساً؟.

وذكرت اللجنة في تعليماتها لولسن: (إنّ من االمهم جداً الحصول على إفصاح صادق عن الرأي المحلّي حول هذه النقاط، إفصاح من النوع الذي يمكننا إعلانه على العالم بإعتباره الرأي غير الخاضع لتأثير، والمعلن من سكّان بلاد مابين النهرين)[1].

والملاحظ على الأسئلة أنّها صيغت بطريقة خبيثة جداً وبدقة متناهية بحيث تحصـر الإجـابـة في مجال محدّد، فالسؤال الأول حدّد الإشـراف البريطاني كمسألة لاتقبل الإعتراض أو الرّفض. والسؤال الثاني أعطى للرئيس صفة إسمية فقط، وكلّ ذلك يحقّق النتيجة التي تريدها بريطانيا. أمّا السؤال الثالث فليست له أهمية قياساً بالسؤالين السّابقين.

---

(١) د. غسان العطية، العراق.. نشأة الدولة، ص ٢٣٥.

في ٣٠ تشـرين الثـاني ١٩١٨م وهو اليوم الذي تلقّى فيه ولسن الموافقة على إجراء الإستفتاء، أصدر تعليماته إلى ضبّاط الإرتباط في الألوية العـراقية حول كيفية الإستفتاء. حيث أبلغهم بعدم قبول غير الأجوبة المرضية والملائمة للانكليز. وإذا إطمأنّ الضباط إلى توفّر مثل هذه الأجوبة عنـدهـا يعقـدون اجتماعاً يلخّصون فيه الأجـوبة ويدوّنونها ثمّ يوقّـع عليها أكبر عدد من الشخصيات. وإذا إستبشعر الضباط أن الرأي العام بزعـامة الأشخاص الذين يستشيرونهم، موافق لرغبات الإنكليز عندها بإمكانهم أن يعقدوا إجتماعاً يدعون إليه جميع الأعيان والمشايخ بغية عرض الأسئلة الثلاثة. وإذا إستشعر الضباط أنّ الرأي العام منقسم أو لا يميل للانكليز وغير مرض لهم فيؤجّل عقد الإجتماع، وينتظرون التعليمات من ولسن، وفيما يجب عمله. وقد أكّد ولسن لضباطه أنّ الرأي العام إذا كان مواتياً ومرضياً فمن المستحسن أن يدوّن كتابة، وأن يوقّع عليه أكبر عدد من الأشخـاص [٢]. وحـدد فترة الإستفتـاء بشهري كانون الأول ١٩١٨م وكانون الثاني ١٩١٩م.

إنّ هذه التعليمات الصارمة كفيلة بإعطاء حكم قاطع عن النتائج المزوّرة التي أفرزها الإستفتاء. وعليه فإنّ الوثائق التاريخية لا تستطيع رسم الصورة الحقيقية حول هذه المسألة، لأن الإجابات غير المرضـية رفضت في أكثرها. ومن هنا لا يمكن أن تمثّل النتائج المعلنة وثيقة معتمدة في التاريخ العراقي. وفي هذا الصدد من المناسب الإشارة إلى أنّ الكثير من الوثائق

(٢) د. عبدالله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطوّر العراق الحديث، ص ١١٨.

التي ظلّت محفوظة في الأرشيف البريطاني والتي إستند إليها الباحثون، إن هي إلاّ حالات مشابهة لما حصل في الإستفتاء، وفي ذلك تشويه للحقائق التاريخية.

إنّ الآراء ظلّت محفوظة في كتب التاريخ عن نتائج الإستفتاء والتي كان يطالب بعضها بالإدارة البريطانية المباشرة، وبتعيين السير برسي كوكس حاكماً على العراق، إنّما هي شهادات مزوّرة لا تمت إلى الحقيقة بصلة. وتتضح هذه الصورة من خلال ذكر بعض الممارسات التي إستخدمها الحكّام الإنكليز في بعض المناطق العراقية.

يذكر الشيخ محمد رضا الشبيبي نموذجاً من تدخّل الحكّام السياسيين في إستفتاء الديوانية، إذ يقول أنّ الحاكم السياسي جمع شيوخ العشائر وطلب أختامهم منهم، فختم أوراقاً لا يعلمون منها شيئاً. وكان الحاكم السياسي شاباً إنكليزياً بيده سوط يعترض الناس به ولا يفرّق بين رئيس ومرؤوس[(٣)].

ويروي محمد مهدي البصير حادثة أخرى عاشها في مدينة الحلّة، حيث إستشار حاكمها السياسي السيد محمد علي القزويني بشإن إستطلاع رأي الأهلين في الإجابة على الأسئلة الثلاثة. فقال للحاكم بأنّه يرى وجوب توجيه الأسئلة إلى سبعة رجال فقط يختارهم له. فوافق الحاكم على هذا الرأي، لكنّ الخبر إنتشر بين الناس، وعقدوا إجتماعاً، كتبوا فيه خطاباً إلى الحاكم السياسي يطلبون عطف الحكومة على حقوقهم القانونية، لكنّ

(٣) عبدالرزاق عبدالدراجي، جعفر أبو التمّن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ص ٦٧.

الحاكم رفض إستلام المضبطة، ونفّذ رغبته في توجيه الأسئلة للأشخاص السبعة فقط[٤].

وفي البصرة تحدّث الحاكم السياسي مع سبعة عشر شخصاً، وإعتبر آراءهم تمثّل البصرة بأسرها. وقد سجّل آراءهم الشخصية على إنفراد بعد أن إمتنع عن عقد إجتماع عام لوجهاء المدينة[٥].

وإذا كانت السلطات البريطانية قد تمكّنت من تسيير عملية الإستفتاء بما ينسجم مع رغباتها في الكثير من المناطق العراقية وحسب الأساليب التي أرادها ولسن. فإنّ هذه العملية واجهت معارضة شديدة في الأماكن المقدسة (النجف وكربلاء والكاظمية)، كما كانت هناك معارضة قوية في بغداد.

وسنحاول هنا المرور على سير الإستفتاء في هذا المدن لأنّه يعطي صورة واضحة للتحرّك الإسلامي ضد أوّل خطوة سياسية أقدمت عليها الإدارة البريطانية في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى. وهي الصورة التي ظلّت ملامحها بارزة في السنوات التي أعقبت الإستفتاء بشكل سريع.

في النجف الأشرف

كانت مدينة النجف الأشرف المنطقة الأولى التي قرر ولسن إجراء الإستفتاء فيها. وقد إنطلق في ذلك من تقديره لأهّمية النجف السياسية

---

(٤) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، الجزء الأول، ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٥) د. جمال وميض عمر نظمي، الجذور، ص ٣٠١.

والإجتماعية، فهي مركز الزعامة الدينية للشيعة، ليس في العراق وحده، بل في العـالم الإسلامي بأسره. وهي بهذا الموقع لها دور كبير في التأثير على القنـاعـة العامة للشعب العراقي. فالنجف مثّلت ساحة المعارضة الأولى للحكم البريطاني، ومركز التحدّي الثوري الذي واجهه الإنكليز في العراق.

والذي شجّع ولسن على هذا الرأي، تصوّره بأنّ النجف بعد الضربة التي تعـرّضت لها في أعقـاب ثورتهـا عام ١٩١٨م، فقـدت القدرة علـى المعارضة، وأنّها لا تزال تعيش آثار الإنتقام البريطاني العنيف، وهو تقدير لم يتمتّع بالسلامة. إذ أنّ نهاية ثورة النجف لم تنه عناصر التحرّك الإسلامي، بل أنّها أعطتها تجربة مهمّة في العمل، فعالج رجالها أخطاء الأمس بشكل أعطى نتائج جيدّة في الفترة اللاحقة، كما سنتحدّث إن شاء اللّه.

قرر ولسن أن يشـرف بنفســه على سير الإستفتـاء في النجف الأشرف، والذي تقرر إجراؤه في ١٣ كانون الأول ١٩١٨م. فسافر إليها في ١١ كانـون الأول، وإلتقى في اليوم التالي بالسيد كاظم اليزدي، المرجع الأعلى للمسلمين أيّامذاك.

في اليوم المحدد للاستفتاء، عقد إجتماع في دار الحكومة خارج سور النجف، حضـره ولسن ونـوربري والشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري ومحمد رضا الصافي وعبدالرضا الشيخ راضي والشيخ رضا الشبيبي والشيخ باقر الشبيبي وعباس الكليدار وهادي زوين ومحسن أبو طبيخ والحـاج محسن شلاش ونـور الياسـري وعلوان الياسـري ومجبل الفرعون وعبدالواحد الحاج سكر ومحمد العبطان وشعلان الجبر وعبادي الحسـين وعلوان الحاج سعدون ولفته الشمخي ومرزوق العوّاد وسرتيب

المزهر وفريق المزهر وغيرهم.

في الإجتماع تحدّث ولسن عن عدالة حكومته، ثم سألهم: هل يرغبون بحكم بريطاني أم بحكومة وطنية عربية؟. فأجابه هادي النقيب الرفيعي: (نحن لا نرضى بسوى بريطانيا لأنّها عادلة ومنصفة وقد كثرت الفلوس عندنا). فردّ عليه عبدالواحد الحاج سكر قائلاً: (بل نريد حكومة عربية وطنية). فسأله ولسن: (هل هذا رأيك أم رأي الجميع). فأجابه عبدالواحد بأنّه رأيه الشخصي وإنّ أكثر الحاضرين يؤيّدونه. فأيّده الشيخ رضا الشبيبي قائلاً: (إنّ العراقيين يرون من حقّهم أن تتألّف حكومة وطنية مستقلّة إستقلالاً تاماً، وليس فينا من يفكّر في إختيار حاكم أجنبي).

وقد غضب ولسن لهذا الجواب الصريح، وتوجّه إلى الحاضرين يسألهم. فقال له السيد علوان الياسري: (لما كان المدعون غير مسبوقين بالموضوع، فهم يرجون إمهالهم إلى الغد لدرس الأسئلة الثلاثة وتوحيد الأجوبة عليها، وذلك بعد الإتصال بالعلماء وبقيّة الرؤساء). فوافق ولسن، وطلب أن يرسلوا جوابهم إليه بواسطة الميجر نوربري[٦].

بعد هذا الإجتماع ذهب الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محمد جواد الجواهري وعبدالواحد الحاج سكر وعلوان الياسري إلى السيد كاظم اليزدي يطلبون رأيه. فقال لهم: (عجيب، لقد كان عصر أمس عندي ـ يقصد ولسن ـ ولكنّه لم يكلّمني بهذه الصراحة، وعلى كل حال فالقضية مهمّة، ولكل عراقي حق فيها، فيجب أن تعقدوا إجتماعاً عاماً يحضره

(٦) فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية، ص ٧٥.

الجميع من جميع الطبقات). وذكر لهم أنّ كل فرد له الحق في إبداء الرأي سواء أكان تاجراً أم بقّالاً، زعيماً أم حمّالاً.

وبناء على إقتراح السيد اليزدي عقد إجتماع عام في بيت الشيخ الجواهري حضره عدد كبير من الناس من مختلف الطبقات[7]. وفي هذا الإجتماع طرحت آراء عديدة، ولم يتّفق المجتمعون على وجهة نظر واحدة.

وعقدت عدّة إجتماعات لبحث الموضوع[8]. وأخيراً تمّت الموافقة وبإشارة من السيد اليزدي على مضبطة طلبوا فيها (حكومة مستقلّة إستقلالاً تاماً ناجزاً برئاسة ملك عربي مسلم مقيّد بدستور ومجلس تشريعي منتخب). وأعتبرت هذه المضبطة جواباً للاستفتاء وحلّاً وسطاً للآراء[9].

وقد رفضت الحكومة تسلّم هذه المضبطة، فأعادتها إليهم، وشعرت

---

(٧) د. علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس، القسم الأول، ص ٦٩ ـ ٧١.

وكذلك د. وميض جمال عمر نظمي، ص ٣٠٥.

(٨) يقول الدكتور النفيسي: (بعد المقابلات التي أجريتها في صيف ١٩٦٨ في النجف مع المجتهد الأكبر ـ السيد محسن الحكيم ـ ومع بعض أعيان المدينة، أنّه لم تكن هناك عريضة وقّع عليها في ذلك الإجتماع ـ في بيت الشيخ الجواهري ـ إلّا بعد يومين عندما قدم مدينة النجف السيد جعفر أبو التمّن من بغداد ممثلاً الشيعة في الكاظمين وساعياً ليكون وسيطاً بين فريقي الشيعة في المدينتين، النجف والكاظمين، فقد كان السيد جعفر أبو التمّن قد أبدى نشاطاً ملحوظاً في الكاظمين وفي بغداد، في سعيه لتوحيد وجهتي النظر لدى السنة والشيعة في العراق، وللوقوف في وجه من تسوّل له ميول نفسه أن يقف إلى جانب البريطانيين)، وقد لاحظ ضابط الإرتباط السياسي في منطقة الشامية تحرّكه، فأمر بتوقيفه وأرسله إلى بغداد حيث أدخل السجن لبضعة أسابيع).

د.عبدالله فهد النفيسي، المصدر السابق، ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(٩) حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز، ص ٣٦٦.

بتفاقم الوضع، فأخرجت زعماء الشامية من النجف إلى مناطقهم، ثمّ دعتهم بعد إسبوع إلى الكوفة، ووجهت إليهم الأسئلة الثلاثة. فقدّموا مضبطة تطالب بإنشاء حكومة عربية تحكم العراق بحدوده الطبيعية يرأسها ملك عربي هو أحد أنجال الشريف حسين. وسألت السلطات الإنكليزية رأي النجفيين، فقدّموا مضبطة بنفس المضمون[١٠].

إنّ التغيير الذي طرأ على مواقف زعماء العشائر وأهالي النجف الأشرف، ليس تراجعاً عن مواقفهم الأولى. إنّما أدركوا أنّ السلطات البريطانية سوف ترفض مضابطهم فيما لو كرروا الإجابة السابقة. فإضطرّوا إلى إجراء التعديل.

إنّ التاريخ الذي كتب حول الإستفتاء في النجف، زوّر الكثير من الحقائق. وقد وضعت خلاله علامات إستفهام كبيرة حول السيد كاظم اليزدي، حيث أظهرته بالتعاطف مع الإنكليز في مسألة الإستفتاء. وتناقل المؤرّخون هذه المعلومات وثبّتوها في كتاباتهم. ولا بدّ لنا من وقفة سريعة مع هذه الحقيقة الخطيرة، على أن نعود في مجال آخر للحديث عن حقيقة العلاقة بين بعض علماء الشيعة وبين الإنكليز.

يقول ولسن في حديثه عن زيارته للسيد اليزدي: (وكان لي صباح الثاني عشر شرف زيارة السيد محمد كاظم اليزدي الطاعن في السن.. قال

---

(١٠) محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص ٨٤.
ويقول الحسني أنّ إجتماعات رؤساء النجف أسفرت عن المطالبة بحكومة إسلامية يرأسها أحد أنجال الملك حسين على أن يكون مقيّداً بمجلس تشريعي.
عبدالرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي، الجزء الأول، ص ١٠٢.

«أنا أنطـق بإسم الذين لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم. ومهما تكن الحكومة أرجو أن تتركوا لهم أن يتبصّروا بمصالحهم التي تتعلّق بالشيعة خاصة، ولا سيّما العامة التي لا تعرف من الأمر شيئاً والتي لا حول ولا طول لها. أنّ هؤلاء الناس ليسوا متحضّرين، وأن تنصيب الموظفين العرب سيؤدّي إلى الفوضى. إنّهم لم يتعلّموا بعد معنى الإستقامة، وإلى أن يتعلّموا ذلك فيجب بقاؤهم تحت أوامر الحكومة. ولا يمكن إيجاد شخص يكون مقبولاً كأمير»)[١١].

ويتناقل المؤرّخون، أنّه بعد الإجتماع الذي تعددت فيه الآراء، جاءوا إلى السيد اليزدي يسألونه رأيه، فإمتنع قائلاً: (أنا رجل لا أعرف السياسة، بل أعرف هذا حلال وهذا حرام، وبعد الإلحاح عليه قال: إختاروا مافيه صلاح المسلمين)[١٢].

وحين نتأمّل رواية ولسن، نجد أنّه يحدد صباح يوم ١٢ كانون الأول ١٩١٨م موعداً للقائه بالسيد اليزدي. في حين أنّ السيد اليزدي ذكر لجماعة العلماء والرؤساء الذين زاروه بعد إجتماعهم مع ولسن، بأنّ اللقاء تمّ عصر ذلك اليوم. صحيح أنّ الإختلاف في الوقت لا يلغي كون الإجتماع قد حصل فعلاً، لكنّه يضع علامة شك حول دقّة ولسن.

إنّ الرواية الأولى تبيّن أنّ السيد اليزدي قد أعطى رأيه لولسن بالحكم البريطاني المباشر على العراق، على إعتبار أنّ تنصيب الموظفين

---

(١١) د. غسان العطية، المصدر السابق، ص ٣٥٥.

(١٢) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ٧٢. وكذلك يذكر هذه الحادثة د. عبدالله النفيسي، ص ١٢٠ ود. وميض جمال عمر نظمي، ص ٣٠٦.

العرب سيؤدّي إلى الفوضى. لكنّ السيد اليزدي أظهر لجماعة العلماء والرؤساء تعجّبه من كلام ولسن معهم. وقال لهم إنّ ولسن لم يتحدّث معه بهذه الصراحة.

ثمّ إنّ السيد اليزدي طلب منهم عقد إجتماع عام موسّع ليقرّر الجميع آراءهم لأنّ القضيّة مهمّة وتمس الجميع. فلو كان السيد اليزدي متّفقاً مع ولسن فلماذا يطلب عقد إجتماع عام بشإن الإجابة على أسئلة الإستفتاء؟ وفي هذه الحالة ربّما تكون نتيجة الإجتماع بخلاف إتّفاقه (المفترض) مع ولسن، بل حتماً ستكون كذلك. وهو بلا شك يعرف جو النجف وتوجّهات الأهالي ورؤساء العشائر وعلماء الدين، وبذلك سيحرج نفسه أمام الجميع. في حين أنّ بمقدور السيد اليزدي أن ينصح الجماعة بالمطالبة بالحكم البريطاني أو يشجّعهم عليه من طرف خفي.

ويذكر المؤرّخون أنّ الجماعة حين رجعوا إليه رفض إبداء الرأي وبعد الإلحاح قال لهم إختاروا مافيه صلاح المسلمين. وهذه الحادثة تتعارض مع مايرويه حسن الأسدي وهو ممّن عاصر وقائع الإستفتاء، حيث يقول أنّ السيد اليزدي حسم النزاع الذي ظهر نتيجة تعدد الآراء، برأي وسط فإعتمده الجميع ودوّنوه في مضبطتهم. ولو أنّه إمتنع عن حسم الخلاف ولم يشر بالحل الوسط في ذلك الجو المضطرب لما تمّ الإتفاق على رأي موحّد. لأنّ الذين إختلفوا في وجهات النظر لم يكونوا من عامّة الناس، وإنّما هم علماء الدين ورؤساء العشائر الذين يصعب أن تتغيّر قناعاتهم إلّا بموقف المرجع الديني.

ربّما لم يتدخّل السيد اليزدي في المسألة بشكل مباشر ولم يطل

الوقوف مع أصحاب الآراء المختلفة، فإكتفى بالإشارة التي حسمت النزاع. وهذا ما جعل كتب التاريخ لا تتعرّف على موقفه، بإستثناء حسن الأسدي.

إنّ فشل الإنكليز في إنجاح الإستفتاء بالشكل الذي يطمحون إليه، وخيبة أملهم في النتائج التي أعطاها في النجف الأشرف وفي المدن الشيعية الأخرى، هي التي دفعتهم إلى هذا التزوير. وإختلقوا في هذا الصدد عدّة حوادث منها:

أولاً: يذكر فيليب إيرلاند في كتابه (العراق: دراسة في التطوّر السياسي) وكذلك المس بيل في مقال لها بعنوان (مذكرة حول تقرير المصير)، أنّه في الإجتماع الذي حضره ولسن في النجف، وافق الجميع على إستمرار الحماية البريطانية من الموصل إلى الخليج الفارسي بدون أمير عربي[١٣].

ثانياً: إتّهام جعفر أبو التمّن بالتوقيع على إحدى المضابط في بغداد والتي تطالب بالحكم البريطاني، وأنّه كان يوماً من الأيام عميلاً للشرطة[١٤].

إنّ الإستفتاء في النجف الأشرف كان بمثابة ضربة سياسية قاسية للانكليز، ويكفي القول إنّ نتائج الإستفتاء التي شملت كافة مناطق العراق، لم يدرج فيها إسم النجف، وهو مايشير إلى عدم وجود أيّة مضبطة تؤيّد الإنكليز.

ولعلّ أرنولد ولسن أحسّ بالمرارة أكثر من غيره، بإعتباره هو الذي

---

(١٣) د. عبدالله النفيسي، المصدر السابق، ص ١١٩.

(١٤) المصدر السابق، ص ١٢١ وقد إستنكر الدكتور النفيسي هذا التزوير.

إقترح الإستفتاء، وحين جاءت الموافقة على إجرائه، وجد فيها فرصة ذهبيّة لفرض رأيه على الحكومة البريطانية، بجعل العراق خاضعاً للادارة البريطانية المباشرة، وحين يرى ولسن أنّ مشروعه يفشل في خطوته الأولى، ويكتشف خطأ تقديره للموقف في النجف الأشرف، فإنّه يشعر بالهزيمة الشخصيّة التي لحقته، وربّما أراد أن يثأر لنفسه، فنسب إلى السيد اليزدي الحديث السابق والذي تتضح فيه آراء ولسن الخاصة، من خلال مناقشاته مع الحكومة البريطانية.

في كربلاء

الإنتكاسة الثانية التي واجهت الإدارة البريطانية في عملية الإستفتاء حدثت في كربلاء. وهي إنتكاسة أكثر شدّة مما حدث في النجف الأشرف. والذي ساهم في ذلك، أنّ الحركة الإسلامية في كربلاء كانت قويّة في الفترة القصيرة التي سبقت الإستفتاء، كما سيأتي.

في ١٦ كانون الأول ١٩١٨م عقد إجتماع في السراي حضره الحاكم السياسي الميجر تيلر، حيث وجّه إلى الحاضرين أسئلة الإستفتاء. فطلب السيد عبدالوهاب الوهاب مهلة ثلاثة أيام لكي يتداولوا مع غيرهم من أهالي كربلاء. فوافق الحاكم السياسي على هذا الطلب.

عقد الأهالي إجتماعاً لهم في منزل السيد محمد صادق الطباطبائي للتداول في الأمر. ثم عقد إجتماع آخر في منزل الميرزا محمد تقي الشيرازي، وقد إختلفت الآراء وتعددت وجهات النظر، حتى إستقرّ الرأي أخيراً على مضبطة وقّعها أكثر الحاضرين جاء فيها: (وقد إجتمعنا نحن أهالي كربلاء

إمتثالاً لأمركم وبعد مداولة الآراء وملاحظة الأصول الإسلامية وطبقاً لها، تقرر رأينا على أن نستظل بظل راية عربية إسلامية فإنتخبنا أحد أنجال سيّدنا الشريف ليكون ملكاً علينا مقيّداً بمجلس منتخب من أهالي العراق لتسنين القواعد الموافقة لروحيّات هذه الأمة وما تقتضيه شؤونها. تحريراً في الخامس عشر من ربيع الأول ١٣٣٧هـ)[١٥].

كانت النقطة المهمة التي حسمت أي إختلاف، الموقف الصارم الذي إتّخذه الميرزا محمد تقي الشيرازي، حيث أصدر فتواه الشهيرة التي نصّت: (ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للأمارة والسلطنة على المسلمين).

٢٠ربيع الأول ١٣٣٧هـ)[١٦]

١٩١٩/١/٢٣م

وقد أيّد هذه الفتوى سبعة عشر عالماً من كربلاء. «وكان لهذه الفتوى أثر عميق في نفوس المسلمين من أهل العراق، لا في أوساط الشيعة فحسب، بل أنّها جاءت مطابقة لعدد من الآيات القرآنية الكريمة التي تنص أن يطيع المسلمون أولي الأمر منهم لا أن يطيعوا السلطة الحاكمة إذا كانت من الكفّار»[١٧].

---

(١٥) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ٧٥ ـ ٧٦. وقد أورد الدكتور النفيسي هذه الوثيقة، لكنّه وضع يوم ١٥ شوال تاريخاً لها. وهو تاريخ متأخّر جداً، حيث أنّ الإستفتاء كان قد إنتهى في تلك الفترة. يراجع الملحق رقم ٦، ص ٢٠٩

(١٦) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٩٨.

(١٧) عبدالله النفيسي، المصدر السابق، ص ١٢٢.

كما كانت الفتوى مفاجأة غير متوقّعة للانكليز. فهي أوّل فتوى يواجهونها بعد إستكمال إحتلالهم للعراق، وقد وجّهت ضد سلطتهم المباشرة بشكل علني وواضح. وإذا قارنا هذه الفتوى مع فتاوي الجهاد التي صدرت عام ١٩١٤م، نلاحظ أنّ فتوى الشيرازي تملك عناصر تحدّي سياسي أكثر من الأولى، على إعتبار أنّ فتاوي الجهاد صدرت في ظل الحكم العثماني ودفاعا عنه. أمّا الفتوى الثانية فهي ضد السلطة البريطانية التي تحكم البلاد. كما أنّها لم تصدر من المرجع الأعلى للشيعة السيد كاظم اليزدي، بل من المرجع الذي يليه في المرتبة. وهو ماجعل الإنكليز يتعاملون مع كافة المجتهدين على أنّهم يمتلكون عناصر القوّة والخطورة بنفس الدرجة، وذلك إذا ما قرّر أحدهم أن يتّخذ موقفاً متحدّياً، ويصدر فتواه لدعم هذا الموقف.

لقد كانت فتوى الميرزا الشيرازي تبنّياً قويّاً لحركة المعارضة الإسلامية في العراق بأسره، ولذلك إنتشرت في مناطق العراق كموقف إسلامي عام.

غير أنّ تاريخ صدور الفتوى أضعف من تأثيرها على سير الإستفتاء بشكل عام، لأنّها صدرت في نهاياته. ولو أنّها تقدّمت على هذا التاريخ وصدرت في بداية الإستفتاء لساهمت في إرباك الوضع بصورة خطيرة، ولأحبطت عملية الإستفتاء من الأساس.

إنّ الفتوى وإن إختص موضوعها بالإستفتاء، لكنّها شكّلت بداية جديدة للتحرّك الإسلامي، حيث ظهر الميرزا الشيرازي كقائد إسلامي يشرف على حركة المعارضة الجماهيرية ويوجهها بالإتجاه الصحيح. في الوقت الذي غاب فيه دور مراجع الدين بعد سقوط العراق بيد الإحتلال

البريطاني. وبذلك يكون الميرزا الشيرازي قد سجّل مبادرة على قدر بالغ من الأهمية في المـواجهـة مع الإنكليز، وهي المبادرة التي تكشّفت آثارها الكبيرة بعد تاريخ الفتوى مباشرة.

في هذا السياق لا بدّ من الوقوف عند رأي مهم يطرحه الدكتور علي الـوردي، حيث يعتـبر أنّ فتـوى المـيرزا الشيرازي صدرت بعد إنتهاء الإستفتاء، وهو يأخذ على المؤلّفين وقوعهم في هذا الخطأ، ويرى أنّ الميرزا الشيرازي أصدر فتواه لتأييد (الجمعية الإسلامية) التي أسّسها نجله الشيخ محمد رضا في كربلاء.

والـواقـع أنّ الدكتور الوردي وهو الذي يتفرّد عن بقيّة المصادر التـاريخية في هذا الرأي، قد وقع في الخطأ الذي عاب به على الآخرين. فالإستفتاء لم ينته قبل ٢٠ربيع الأول ١٣٣٧هـ (٢٣ كانون الثاني ١٩١٩م) وهو يوم صدور الفتوى كما يتصوّر، بل إستمر إلى مابعد ذلك. ويكفي أن نشير إلى ماذكره الوردي نفسه في حديثه عن الإستفتاء في كربلاء، فهو بعد أن يورد نص المضبطة التي قدّمها المجتمعون في منزل الميرزا الشيرازي والتي طالبوا فيها بحكومة إسلامية، يقول: (لم يهن على بعض الأشخاص الموالين للانكليز تنظيم هذه المضبطة، فنظّموا مضبطة مضادة لها طلبوا فيها الحكم البريطاني المباشر). ويورد نص المضبطة المضادة مع تاريخ تحريرها وهـو يوم ٢١ربيع الأول أي بعد يوم واحـد من صدور فتـوى المـيرزا الشيرازي[١٨]. وهذا يعني أنّ الإستفتاء كان لا يزال سارياً حينذاك.

---

(١٨) المصدر السابق، ص ٧٥ ـ ٧٦.

كما أنّ تفسير الوردي بأنّ الفتوى تبنّ للجمعية الإسلامية، تفسير غير صحيح، لأنّ نص الفتـوى ينـطبق على الإستفتاء، ولم يأت بصيغة الدعم، والرقم القوي هنا أنّ الفتوى صدرت جواباً على السؤال التالي:

(مايقول شيخنا وملاذنا حجّة الإسلام والمسلمين آية اللّه في العالمين الشيخ مرزا محمد تقي الشيرازي متّع اللّه المسلمين بطول بقائه، في تكليفنا معاشر المسلمين بعد أن منحتنا الدولة المفخّمة العظمى في إنتخاب أمير لنا نستظل بظلّه ونعيش تحت رايته ولوائه، فهل يجوز لنا إنتخاب غير المسلم للأمارة والسلطنة علينا أم يجب علينا إختيار المسلم، بيّنوا تؤجروا)[١٩].

وواضـح من السؤال أنّـه جاء على ضوء الإستفتاء، وليس بشإن موضوع آخر. وتقول المس بيل إنّ أنصار البريطانيين قد (ترددوا إزاء هذا البيان «الفتوى» في الإعراب عن آرائهم تحريرياً في الوقت الذي أكّدوا فيه لمعاون الحاكم السياسي تمسّكهم بنا)[٢٠].

خلاصة القول أنّ فتوى الميرزا الشيرازي كان لها تأثير كبير على التحرّك الإسلامي في العراق، حيث أنّها وفّرت لهذا التحرّك الغطاء المرجعي المـطلوب، وبـذلـك شعـر الإسـلاميون أنّهم لا يتحرّكون لوحدهم، وأنّ التطوّرات المحتملة فيما لو وقعت، فإنّ المرجعية ستواجه أي طارىء بموقف حاسم.

ويمكن القـول أنّ موقف المـيرزا الشـيرازي عزّز ثقـة الحـركة

---

(١٩) فريق المزهر الفرعون، المصدر السابق، ص ٨٠ ـ ٨١.
(٢٠) د. وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣٠٨.

الإسـلامية، وهي الثقـة التي ضعفت في الأوساط الجماهيرية خلال ثورة النجف، حيث تعرّض الثوار لضربة قاسية دون أن يتّخذ علماء الدين موقفاً مؤيّداً على الصعيد العملي.

في الكاظمية

إعتبر جمع من المؤرّخين الذين كتبوا عن وقائع الإستفتاء، أنّ حركة المعارضة التي جرت في الكاظمية، إنّما تأثّرت بفتوى الميرزا الشيرازي، وأنّ علماء الكاظمية هددوا أو إعتبروا ـ حسب إختلاف المصادر ـ بأنّ كل من يصوّت للاحتلال البريطاني مارقاً عن الدين ويطرد من المساجد.

وقد يبدوا هذا الحديث الذي يطرحه المؤرّخون طبيعياً، على إعتبار أنّ الموقف الإسلامي واحد في حقيقته، بغض النظر عن الجهة أو الشخصية التي إتخذته. وهذا صحيح بلا شك. لكن الذي نريد قوله هنا، هو أنّ الوعي الذي يمتلكه علماء الدين إزاء المخططات الكبيرة لا يحتاج إلى إلزام شرعي من قبـل علماء آخـرين. فهم يتعـاملون مع المواقف بقدر إنسجامها أو تعـارضها مع الإسلام. وإذا ماظهر إختلاف بينهم، فإنّه نتيجة لإختلاف وجهات النظر. ثم أنّ الوقائع التاريخية لا بدّ من تسجيلها كما هي تحت كل الظروف.

إنّ الموقف الإسلامي إزاء الإستفتاء الذي حدده مراجع الدين وكبار العلماء في الكـاظمية، كان موقفـاً نابعـاً من رؤية إسلامية واعية لطبيعة التطوّرات التي شهدتها الساحة. فعلماء المسلمين إنّما إنطلقوا في معارضتهم على أساس نظرتهم لشؤون المسلمين التي تقضي بوجوب إدارتها من قبل

المسلمين، وليس من قبل غيرهم. فهم يعارضون أي مشروع سياسي يديره غير المسلم، أو حتى المسلم إذا كان منحرفاً.

وإذا أردنا أن نناقش المسألة إستناداً إلى الأرقام التاريخية، فإنّ الذي يثبت خطأ ماذهب إليه أولئك الكتّاب، وهو التاريخ الذي تمّ فيه الإستفتاء في الكاظمية ومقارنته بتاريخ الفتوى التي أصدرها الميرزا الشيرازي.

إنّ الإستفتاء بدأ في الكاظمية في ٨كانون الثاني ١٩١٩م (٥ربيع الأول ١٣٣٧هـ) أي قبل صدور الفتوى بخمسة عشر يوماً. وبذلك تتضح المسألة، بأنّ علماء الكاظمية إنطلقوا في معارضتهم للاستفتاء من رؤيتهم الإسلامية التي تعزّزت فيما بعد بفتوى الميرزا الشيرازي.

في ٨كانون الثاني عقد إجتماع في دار أغا حسن النوّاب حضره علماء ووجهاء الكاظمية، إضافة إلى الكولونيل بلفور. وقد رفض الحاضرون الحكم البريطاني، مما إضطرّ بلفور إلى الخروج من الإجتماع. فإتّفق المجتمعون على مضبطة طالبوا فيها بحكومة عربية إسلامية، وقّعها الشيخ مهدي الخالصي والسيد حسن الصدر والسيد محمد مهدي الصدر والشيخ عبدالحسين آل ياسين والسيد أحمد الحيدري والميرزا إبراهيم السلماسي والحاج عبدالحسين الجلبي. ثم وقّع على المضبطة ١٤٣ شخصاً[٢١].

جاء في المضبطة: (.. وحيث إنّنا ممثلو جمهور كبير من الأمة العربية العراقية المسلمة، فإنّنا نطلب أن تكون للعراق الممتدة أراضيه من شمالي الموصل إلى خليج فارس حكومة عربية إسلامية يرأسها ملك عربي مسلم

---

(٢١) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ٧٧ـ٧٨.

هو أحد أنجال جلالة الملك حسين، على أن يكوم مقيّداً بمجلس تشريعي وطني واللّه وليّ التوفيق)[٢٢].

وقد بلغت الحميّة المعادية للبريطانيين من الشدّة بحيث أنّ العلماء هددوا بالتحريم والإقصاء عن الجوامع كل من يصوّت لمصلحة السيطرة البريطانية[٢٣].

وكان الشخص الوحيد الذي شذ عن هذا الإجماع، رئيس بلدية الكاظمية جعفر عطيفة الذي كان يمالىء الإنكليز ويوافق على إستمرار وجودهم في العراق لأنّه كان تاجراً يجني أرباحاً طائلة من تعاونه مع الإنكليز. وقد بذل جهوداً كبيرة لوضع عريضة مضادة تطالب بإستمرار الحكم البريطاني. ولكنّه رغم مابذله من مال وسلطة لم يستطع أن يكسب إلى جانبه سوى عدد قليل من فقراء الحي الذي يسكنه[٢٤].

في بغداد

كانت وجهة نظر ولسن تقضي بأنّ الإستفتاء يجب أن يجري في بغداد بعد أن يتم في كافة المدن العراقية، وقد إنطلق في ذلك من تقديره بأنّ بغداد هي مركز المعارضة للانكليز، ومحل إقامة الشخصيات الإجتماعية المؤثّرة، إضافة إلى كونها العاصمة. وعليه فإنّ البداية لو حدثت فيها فإنّ المعارضة ستكون قويّة ضد الإستفتاء، ولإنسحبت آثارها إلى المناطق

---

(٢٢) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٩٨.

(٢٣) د. وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣٠٩.

(٢٤) د. عبداللّه النفيسي، المصدر السابق، ص ١٢٤.

الأخرى. أما جعلها في خاتمة المناطق، فإنّه سيخفف من حدّة معارضتها، لا سيّما بعد إعلان نتائج الإستفتاء في المناطق الأخرى والتي ستكون مرضيّة - كما كان يتوقّع ولسن - غير أنّ هذا التقرير كان خاطئاً.

في ٩كانون الثاني ١٩١٩م طلب ولسن من نقيب بغداد عبدالرحمن الكيلاني وقاضي الشيعة الشيخ شكر اللّه، أن يختار كل منهما خمسة وعشرين مندوباً من أبناء طائفته. كما طلب من الحاخام الأكبر أن يختار عشرين مندوباً يهودياً. ومن رؤساء الطوائف المسيحية أن يختاروا عشرة مسيحيين، لتوجّه إليهم أسئلة الإستفتاء[٢٥].

وقد أقدم ولسن على هذه الخطوة بعد أن فشلت خطوته الأولى في عقد مجلس يضم الوجهاء والأشراف ممن ينتخبهم بعناية الأشخاص الذين يعتقد بميلهم إلى الحكم البريطاني[٢٦].

كان ولسن واثقاً من تأييد اليهود والمسيحيين للحكم البريطاني المباشر. كما أنه يعرف جيّداً آراء عبدالرحمن النقيب الموالية للانكليز وعدم قناعته بإقامة حكم عراقي يدار من قبل العراقيين أو غيرهم من دون الإنكليز. وقد قال النقيب يوماً مخاطباً المس بيل «خاتون: إنّ أمّتكم عظيمة وغنيّة وجبّارة، أما نحن فأين قوّتنا؟ إذا قلت أنّي أرغب في حكم الإنكليز ولم يوافق الإنكليز على حكمنا، فكيف أستطيع أن أجبرهم على ذلك، وإذا كنت أرغب في حكم آخر وقرر الإنكليز البقاء فكيف أستطيع إخراجهم؟

---

(٢٥) د. علي الوردي، المصدر السابق، ص ٨٠.

(٢٦) عبدالرزاق الدراجي، المصدر السابق، ص ٧٠.

إنّي أعترف بإنتصاركم، أنتم الحاكمون وأنا المحكوم وإذا سئلت عن رأيي في إستمرار الحكم البريطاني فإنّ جوابي هو أنّي خاضع للمنتصر». لكنّ النقيب رفض المشاركة في هذه الخطوة خوفاً من غضبة الجماهير، إلّا أنّه وافق أن يحل محلّه قاضي السنة الشيخ علي الآلوسي(٢٧).

وكان جعفر أبو التمّن له دور مؤثّر في هذه الأحداث، حيث إتّصل بقاضي السنة والشيعة وعيّنوا يوماً لإجتماع يعقد لوجهاء كل طائفة للتداول وإنتخاب الوفد الذي يمثّلهم حسب العدد الذي طلبه وكيل الحاكم المدني العام.. فإجتمع السنة في التكية الخالدية، بينما إجتمع الشيعة في المدرسة الجعفرية. وكان جعفر أبو التمّن يقوم بالإتصال بالجماعتين(٢٨).

وعقدت عدّة إجتماعات لبحث موضوع الإجابة على أسئلة الإستفتاء، وقد برز دور جعفر أبو التمّن وحمدي الباججي في الدعوة إلى الإستقلال ورفض الحكم البريطاني، حتى إتّفق السنة والشيعة على تقديم إجابة محددة بإنشاء عراق موحّد له حكومة عربية يرأسها ملك مسلم هو أحد أنجال الشريف حسين. وتم إختيار كل جماعة لممثليهم. لكن ما أن تم إختيار المندوبين حتى إنسحب أحد الشيعة هو الحاج ملّا رضا من الوفد. كما إنسحب سبعة من السنة من وفدهم، فجرى إحلال خمسة من السنة محلّهم. وهكذا جرى تقديم بيان موقّع من سبعة وأربعين شخصاً من الشيعة والسنة معاً إلى السلطات الإنكليزية في طلب حكومة عربية تحت ملوكيّة

---

(٢٧) د. وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣١٠ ـ ٣١١.
(٢٨) عبدالرزاق الدراجي، المصدر السابق، ص ٧١.

أحد أنجال الشريف حسين على أن يكون ضمن مجلس تشريعي[٢٩].

أما المندوبون اليهود والمسيحيون فقد قدّموا مضابط تنادي بالحكم البريطاني.

وندرج هنا أسماء الموقّعين على المضبطة الشيعية ـ السنية المشتركة وأسماء الموقّعين على المضابط المضادة[٣٠].

الموقّعون على المضبطة الشيعية ـ السنية المشتركة في كانون الثاني ١٩١٩م

١ـ الشيخ سعيد النقشبندي	سني، عالم ديني.
٢ـ السيد إبراهيم الراوي	سني، ملّاك من الوجهاء.
٣ـ أحمد الشوّاف	سني، من عوائل الوجهاء.
٤ـ عبدالكريم السيد حيدر	شيعي وكيل السيد إسماعيل الصدر.
٥ـ عبدالرحمن باشا الحيدري	سني، عميد إحدى البيوتات من عوائل الوجهاء، وضعت اليد على خمسة من بيوته لإيواء الجنود.
٦ـ عبدالوهاب النائب	سني، شقيق رقم ١، قاضي شرعي.
٧ـ جواد المصلاوي	شيعي، صاحب محل مزاد.
٨ـ أحمد الظاهر الحاج عباس	شيعي، عالم ديني.
٩ـ السيد إسماعيل الواعظ	سني، من عوائل الوجهاء.

(٢٩) د. غسان العطيّة، المصدر السابق، ص ٣٥٧.
(٣٠) المصدر السابق، ص ٤٩٣ ـ ٤٩٥.

١٠ـ عبدالله الشاوي سني، من عوائل الوجهاء، رئيس محكمة الإستئناف في الكاظمية في العهد التركي.

١١ـ مهدي خنّاق شيعي، مقاول.

١٢ـ طاهر محمد سليم سني.

١٣ـ كاظم الحاج داود شيعي، قريب رقم (٣٩).

١٤ـ سليمان السنوي سني، كاتب في المحكمة الشرعية.

١٥ـ السيد محمد حسين شيعي، تاجر صغير.

١٦ـ عبدالله سليم الحيدري سني، نقيب كربلاء في العهد العثماني.

١٧ـ عبدالواحد السيد يحيى شيعي، تاجر صغير.

١٨ـ علاء قاسم سني، مدرّس الولاية سابقاً ويملك والده مخزن جلود.

١٩ـ السيد حسن السيد عيسى شيعي، تاجر صغير وملّاك.

٢٠ـ عبدالأمير السيد حيدر شيعي، تاجر صغير.

٢١ـ الحاج عبدالحسين كبّه شيعي، من عوائل الوجهاء.

٢٢ـ السيد صادق السيد جعفر شيعي تاجر صغير.

٢٣ـ أحمد الجرجفجي شيعي تاجر من عائلة وجيهة.

٢٤ـ الحاج محمد حسن الجوهر شيعي ملّاك.

٢٥ـ مزاحم محمد نوري باشا سني.

٢٦ـ خالد الشابندر سني، شاب قريب للحاج علي الآلوسي.

٢٧ـ ظافر الزهاوي سني، ملّاك من عائلة وجيهة.

٢٨ـ أحمد منير سنّي خطيب جامع الامام الأعظم.

٢٩ـ محمد صالح الباجه جي سني، عضو محكمة البداءة سابقاً في العهد التركي.

٣٠ـ السيد عبدالرضا السيد يحيى شيعي، تاجر.

٣١ـ محمد المصطفى الخليل سني.

٣٢ـ الحاج عبدالغني كبّه شيعي، ملّاك من عائلة وجيهة.

٣٣ـ جعفر أبو التمّن شيعي، تاجر.

٣٤ـ عبدالباقي سني، متولّي جامع الإمام الأعظم.

٣٥ـ محمد ياغلاماجي بن سلطان آغا سني، ملّاك.

٣٦ـ محمد نافع الأورفة لي سني، ملّاك من عائلة وجيهة.

٣٧ـ حامد بن عبدالرضا شيعي.

٣٨ـ حامد بن موسوي شيعي.

٣٩ـ محمد رشيد السيد عيسى شيعي، ملّاك.

٤٠ـ السيد علي السيد حسين شكاره شيعي، تاجر صغير.

٤١ـ عبداللطيف المدلّل (المنديل) سني.

٤٢ـ السيد محمد السيد حسين شيعي، تاجر صغير، بائع نفط.

٤٣ـ درويش علي حيدر شيعي، تاجر صغير.

٤٤ـ حسن الحاج علاوي شيعي، تاجر صغير.

٤٥ـ الحاج عبدالحسين البحراني شيعي، تاجر صغير.

٤٦ـ علي السوزرنان (البازركان) سني، والده موظف في المحكمة التجارية.

٤٧ـ حمدي الباجه جي سني، ملّاك من عائلة وجيهة.

مضبطة السنة المقابلة الموالية للانكليز

١ـ قاسم باشا الخضيري	أكبر تاجر مسلم في بغداد.
٢ـ ملّا مصطفى الناجي إبراهيم	تاجر ثري.
٣ـ محمد الخضيري	تاجر.
٤ـ الحاج خليل إبراهيم	تاجر وشقيق رقم (٢).
٥ـ إبراهيم أحمد آل سويدي	من عائلة وجيهة.
٦ـ أحمد الشطب	تاجر.
٧ـ محمد الحاج صاحب	تاجر.
٨ـ عبدالجبار غلام	رئيس مختاري بغداد.
٩ـ علي الحسين	رئيس أصحاب علاوي الحبوب في بغداد.
١٠ـ السيد مصطفى البرزنجي	من عائلة وجيهة كردية.

المضبطة المقابلة لأشراف السنة والموالية للانكليز

١ـ عبدالرحمن جميل زاده.

٢ـ فخر الدين جميل زاده.

٣ـ جميل صدقي الزهاوي.

٤ـ عبدالمجيد الشاوي.

٥ـ موسى جلبي الباجه جي.

٦ـ صالح الملى — مستخدم في الإدارة المدنية بدائرة الأوقاف.

٧ـ عبدالكريم الجلبي		مستخدم في الإدارة المدنية بدائرة الأوقاف.

نصّت المضبطة التي قدّمها الوفد الشيعي ـ السني المشترك على: (لّما علم أنّ الغاية التي ترمي إليها كل من دولتي بريطانيا العظمى وفرنسا في الشـرق هي تحرير الشعوب وإنشاء حكومات وإدارات وطنية وتأسيسها تأسيساً فعلياً بكل من سوريا والعراق حسبما يختاره السكّان الوطنيّون، فإنّنا ممثلو الإسلام من الشيعة والسنة من سكّان مدينة بغداد وضواحيها، بما أنّنا أمة عربية وإسلامية قد إخترنا أن تكون لبلاد العراق الممتدة من شمالي الموصل إلى خليج العجم دولة واحدة عربية يرأسها ملك عربي مسلم هو أحـد أنجـال سيّدنا الشريف حسين مقيّداً بمجلس تشريعي وطني مقرّه عاصمة العراق بغداد.

حرّر يوم الأربعاء ١٩ربيع الآخر سنة ١٣٣٧هـ الموافق ٢٢كانون الثاني سنة ١٩١٩م)[٣١].

وقد حمل هذه المضبطة كل من جعفر أبو التمّن وعبدالرحمان باشا الحيدري إلى حاكم بغداد العسكري والسياسي الكولونيل بلفور. فسألهما قبل أن ينظر إليهما: (من إخترتم ؟) فأجابه عبدالرحمان الحيدري: (إخترنا حليفكم)[٣٢].

والملاحظة التي من الضروري تسجيلها حول الإستفتاء في بغداد، هو موقف اليهـود والمسيحيين. فقـد حاول عبـدالـوهاب النائب وحمدي

---

(٣١) محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص ٨٦.

(٣٢) المصدر السابق، ص ٨٦.

الباجي إقناع بعض المندوبين من اليهود والمسيحيين بتأييد الموقف الإسلامي عن طريق تطمينهم بتمثيلهم في (مجلس مقترح)، إلّا أنّ محاولتيهما قد فشلتا، وذكر أحد المندوبين اليهود على أثر ذلك: (لقد أصبح واضحاً لدينا أنّه قد تمّ وضع خطّة كاملة لإقامة حكومة مسلمة).

ورفض المندوبون اليهود والمسيحيون وضع تواقيعهم على المضبطة التي نظّمها المسلمون، وقرروا الإنسحاب من المؤتمر بعد أن إتّضحت توجّهاته المعارضة للانكليز. وقدّم اليهود مضبطة جاء فيها أنّ تنصيب أمير على مابين النهرين أمر غير مسموح به. في حين أنّ قيام حكم بريطاني مباشر أمر لا بدّ منه. وقدّم ممثلو الأرمن مضبطة تنصّلوا فيها علناً من الإنتماء للعراق، لكنّهم رغم ذلك طلبوا قيام حكم بريطاني مباشر. ووقّع ممثلون عن الطوائف المسيحية مضبطة يعربون فيها عن رغبتهم في وجود حاكم بريطاني عام مع حكومة بريطانية ذات علاقة مباشرة بلندن(٣٣).

وثمّة ملاحظة أخرى جديرة بالإهتمام، تلك هي أنّ السلطات البريطانية بعد أن أحسّت بخطورة حركة المعارضة، قرّرت توجيه ضربة قويّة لها، فأعدّت قائمة لإعتقال قادة التحرّك، ضمّت الشيخ سعيد النقشبندي وعبدالوهاب النائب وحمدي الباجي وجعفر أبو التمّن. وقررت نفي المعتقلين أيضاً. لكن عبدالرحمان الكيلاني نصح السلطات الإنكليزية بعدم إعتقال الأولين لمركزهما الديني، ونصحهم بإعتقال الآخرين على أساس أنّهم أشخاص لا إسم لهم ولا مكانة. وقد نفي أحد عشر

(٣٣) د. وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣١٤ ـ ٣١٥.

شخصاً[٣٤].

إنّ الإستفتاء في بغداد واجه الفشل نفسه الذي تعرّض له في مدن النجف وكربلاء والكاظمية. وتأكّدت بذلك خيبة الإنكليز في إمكانيّة الحصول على رأي شعبي يؤيّد إحتلالهم للعراق وبقاء سلطتهم فيه.

كما كشف الإستفتاء عن خطأ تقديرات ولسن. فإختياره للنجف الأشرف كمحطّة أولى يمكن أن تعطي نتائج إيجابية لمشروعه، ومحاولة إستغلال النتائج المفترضة في التأثير على القناعة العامة لبقيّة المناطق، كان خطأً كبيراً، حيث عارضت النجف المشروع البريطاني وعززت بذلك بقيّة المواقف المناهضة للانكليز.

أما وضعه بغداد في خاتمة مناطق الإستفتاء، فهو عملية لا تقل في خطأها عن الأولى، لأنّها إستفادت من مواقف علماء الدين في بغداد وكربلاء والكاظمية، وتقوّت بها. فكانت معارضتها للاستفتاء لا تقل عن المدن الشيعية المقدّسة.

ومن النتائج المهمّة التي أفرزتها عملية الإستفتاء، هي مطالبة علماء الدين في المدن الشيعية بملوكيّة أحد أنجال الشريف حسين على العراق ضمن حكومة عربية إسلامية دستورية. بإستثناء النجف التي طالب زعماؤ بملك عربي مسلم في البداية ثم حددوا أحد أنجال الشريف حسين، بعد رفض الإنكليز إستلام المضبطة الأولى. وبذلك يكون علماء الدين قد بادروا إلى تعيين نوع الحكم وشخص الحاكم. مما خلق رأياً عاماً يتقبّل سلطة أحد

---

(٣٤) عبدالرزاق الدراجي، المصدر السابق، ص ٧٤.

أنجال الشريف حسين. وقد ظهرت آثاره بعد ثورة العشرين وتشكيل الحكومة العراقية ـ كما سيأتي بنا إن شاء اللّٰه ـ.

الفصل السادس

ثـورة العشريـن



شكّلت ثورة العشرين مرحلة مهمّة من تاريخ العراق السياسي. فهي تمثّل درجة الإنفجار في مسار المعارضة الإسلامية التي بدأت عند دخول الإنكليز إلى العراق في بدايات الحرب العالمية الأولى، وظلّت تتصاعد حتى وصلت في حزيران ١٩٢٠م إلى مرحلة الثورة المسلّحة.

لقد كان تطوّر الأحداث في العراق يشير إلى أنّ الثورة لا بدّ أن تحدث، فهي تمثّل الخيار الوحيد المطروح أمام التحرّك الإسلامي المعارض. فبعد القضاء على ثورة النجف وبالصورة الإرهابية التي قمعتها سلطات الإحتلال البريطاني، لم تغيّر القيادات الإسلامية قناعتها بالعمل الثوري المسلّح، إنّما نبهتها التجربة المريرة في النجف الأشرف إلى ضرورة الإعداد الدقيق للثورة، وأنّ مواجهة الإنكليز لا تكون بشكل إرتجالي، بل تستلزم تخطيطاً مدروساً وتهيئة أرضيّة مناسبة لتنطلق منها المواجهة المسلّحة.

إنّ السياسة البريطانية في العراق كانت عاملاً مهمًا في إختصار الكثير من المسافات على رجال التحرّك في العراق. لأنّها خلقت أجواء من الغضب والسخط الجماهيري في مواقع مختلفة من الساحة العراقية، فتلمّس

عامة الناس حقيقة الإستعمار، وتحسس ثقله زعماء العشائر والشخصيات الإجتماعية البارزة. لكنّ هذا لا يلغي أنّ البعض بدأ يحتفظ بولائه للانكليز، وينظر إليهم على أنّهم القوّة التي لا تقهر أو الجهة التي تحقق له مكاسبه ومصالحه. وإستمرّ موقف هؤلاء على طول الخط كشريحة إجتماعية وسياسية كان لها دور في دعم الإحتلال الإنكليزي، وإضعاف التحرّك الجماهيري المعارض. كما أنّ عدداً من هذه الفئة تسلّموا فيما بعد مناصب مهمة في الحكومة العراقية والتي كانت في حقيقتها حكومة صورية لا تمتلك الإرادة المستقلة، وليس لها قدرة صناعة القرار السياسي أو حتى التأثير عليه.

لم تكن ثورة العشرين حدثاً عفوياً على الساحة العراقية، ولم تنشأ كردة فعل عاطفية لسياسة الإحتلال الإنكليزي، إنّها كانت حصيلة تضافر عدّة عوامل إجتماعية وسياسية تحرّكت بوعي وإدراك لتقود المجتمع العراقي إلى الثورة. فقد تحمّل علماء الدين وزعماء العشائر والفلاّحون وأبناء المدينة وغيرهم من الشرائح الإجتماعية، مهام مختلفة في عملية الإعداد للثورة. وكان كل واحد منهم يتحرّك في دائرته وصولاً إلى هدف واضح هو إستقلال العراق وإنشاء حكومة إسلامية مستقلة كما سيتّضح خلال البحث. ولم يكن تحرّك هؤلاء في دوائرهم معزولاً عن الدوائر الأخرى، إنّما كان يتم وفق تنسيق دقيق مبرمج، وهو ما أعطى نتيجة إيجابية كبيرة تمثّلت في الثورة على الإحتلال البريطاني.

تنحصر عناصر التحرّك السياسي على طريق الثورة، بالعمل الحركي المنظّم والتلاحم الجماهيري بين فئات الأمة وبالتحديد بين السنة والشيعة. وكذلك تحرّك زعماء العشائر ومواكبتهم لتطوّرات الأحداث،

وإضافة إلى العنصر الأساس الذي دفع بالأمة إلى مرحلة الثورة والمتمثّل بالقيادة العامة للمرجعية الدينية وعلماء الدين، وسنحاول هنا الوقوف عند كل واحد من هذه العناصر.

الأحزاب السياسية

بعد تجربة جمعية النهضة الإسلامية في ثورة النجف، إعتمدت الأوساط السياسية العمل الحزبي كإسلوب في العمل من أجل إستقلال العراق. وقد جاءت المبادرات اللاحقة على أيدي علماء الدين بالدرجة الأولى وعلى أيدي الشخصيات الإسلامية أو ذات الميول الإسلامية بالدرجة الثانية. حيث نلاحظ أنّ غالبية الأحزاب كانت تضم في قياداتها علماء دين، وحتى جمعية العهد العراقي والتي كان دورها أقل من بقيّة الأحزاب في الثورة ضمّت بعض الشخصيات الإسلامية. ووفرت هذه الصفة المشتركة أرضية للالتقاء والتفاهم بين الأحزاب السياسية التي شهدت تنسيقاً جيداً فيما بينها في العمل السياسي المعارض. رغم التفاوت بينها في الحجم والثقل الجماهيري.

كان أوّل حزب سياسي تأسس في هذه المرحلة هو الحزب النجفي السرّي الذي تشكّل في أوائل تموز ١٩١٨م، وضمّ عدداً كبيراً من علماء الدين أمثال: الشيخ عبدالكريم الجزائري، الشيخ محمد جواد الجزائري، الشيخ جواد الجواهري، السيد محمد سعيد كمال الدين، الشيخ حسين الحلي، الشيخ عبدالحسين مطر، الشيخ محمد علي القسّام وغيرهم.

كما ضمّ أيضاً عدداً من رؤساء العشائر والشخصيات الإجتماعية

أمثال: الحاج محسن شلاش، السيد هادي زوين، السيد علوان الياسري، السيد كاطع العوادي، والشيخ شعلان أبو الجون وغيرهم[1].

وقد تمتّع هذا الحزب بقاعدة جماهيرية واسعة إمتدّت في مناطق الفرات الأوسط، وحظي بدعم مراجع الدين وخصوصاً الميرزا محمد تقي الشيرازي.

وفي تشرين الثاني ١٩١٨م، تأسست في كربلاء بعد قدوم الميرزا الشيرازي، جمعية سريّة بإسم الجمعية الإسلامية، ترأسها الشيخ محمد رضا نجل الشيرازي، وضمّت في عضويتها السيد هبّة الدين الشهرستاني والسيد حسين القزويني وعبدالوهاب الوهاب وعبدالكريم العواد وعمر العلوان وعثمان العلوان وطلفيح الحسون وعبدالمهدي القنبر ومحمد علي أبو الحب.

كما أسس الميرزا الشيرازي جمعية أخرى بإسم الجمعية الوطنية الإسلامية، ضمّت عبد الحسين المندلاوي ومهدي المولوي ويحيى الزرندي وأعضاء آخرين.

وأسس السيد أبو القاسم الكاشاني في الكاظمية جمعية سريّة بإسم الجمعية الإسلامية، وكان يدعمها شيخ الشريعة الإصفهاني الذي شكّل بدوره الهيئة العلمية في أواخر عام ١٩١٨م، وكانت أيضاً جمعية سياسية.

وفي شباط ١٩١٩م تشكّل في بغداد حزب سياسي سرّي بإسم حزب حرس الإستقلال ضمّ في قيادته السيد محمد الصدر والشيخ محمد باقر الشبيبي والشيخ يوسف السويدي وجعفر أبو التمّن وعلي البازركان

(١) ذكرنا في الجزء الأول من الكتاب، تاريخ الأحزاب السياسية في هذه الفترة، فلتراجع.

والدكتور سامي سوكت وشاكر محمود وغيرهم.

لقد إستطاعتت هذه الحركة الحزبية أن تقدّم الكثير للأمة، وأن تهيىء ارضية مناسبة لإنطلاقة الثورة من خلال نشاطاتها التي شغلت ساحة واسعة من العراق، وكثّفت حركتها في مناطق الفرات الأوسط والمدن المقدسة وبغداد، وهي الأماكن الرئيسية التي حدثت فيها الثورة أو تفاعلت معها.

تركّز نشاط الحزب النجفي في مناطق الفرات الأوسط، حيث أقام علاقات وثيقة مع العشائر العراقية. وقد سهّل مهمته وجود العديد من رؤساء العشائر بين صفوفه. كما كانت له علاقات مع الأحزاب الأخرى مثل حزب حرس الإستقلال في بغداد.

أمّا الجمعية الإسلامية في كربلاء فأنّها إستطاعت أن تقف ضد مشاريع السلطة البريطانية، وبرز في هذا الخصوص موقفها من إستقلال العراق، حيث حصلت على فتوى من الميرزا الشيرازي أكّدها (١٧) عالماً من علماء الدين في كربلاء تحرّم إنتخاب غير المسلم للسلطة في العراق، ونصّها:

(ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للأمارة والسلطنة على المسلمين).

وقد أعطت هذه الفتوى دعمًا قوياً للجمعية ـ كما ذكرنا في الجزء الأول ـ مما جعلها تتمتّع بوزن جماهيري كبير. وتمكّنت أن تسجّل حضوراً فاعلاً في الأوساط الجماهيرية حتى أثارت مخاوف الإنكليز الذين رأوا أنّ المعارضة ضدّهم تسير بشكل منظّم مدروس. فإتّخذوا قرارهم بإعتقال

الشخصيات العاملة في الساحة.

ففي ٢آب ١٩١٩م إعتقلت السلطات البريطانية ستة أشخاص هم: عمر العلوان وعبدالكريم العواد وطليفح الحسون ومحمد علي أبو الحب ومحمد مهدي المولوي ومحمد علي الطباطبائي.

كانت عملية الإعتقال موجهة أساساً لضرب التحرّك الذي كانت تقوم به الجمعية. لذلك تصدّى الميرزا الشيرازي نفسه لهذا الإجراء، وهدد بالهجرة إلى إيران وإعلان الجهاد هناك ضد الإنكليز، فثارت عواطف الأمة لهذا الموقف، وشعر الإنكليز بخطورة الخطوة فقرروا إطلاق سراح المعتقلين.

لم يفتر عمل الجمعية بل إستمرّ يتصاعد في صفوف الأمة حتى قرر الإنكليز إعتقال رئيس الجمعية الشيخ محمد رضا الشيرازي وبعض أصحابه ونفيهم خارج العراق. وهو الحدث الذي ساهم في إشعال نار الثورة وكان أحد أهم أسبابها. حتى أنّ الثوار وخلال أحداث الثورة كانوا يطالبون بإعادة الشيخ محمد رضا وأصحابه ضمن شروطهم[٢].

وكذلك إستطاعت الجمعية الإسلامية في الكاظمية أن تلعب دوراً مهمًا في التحرّك ضد الإنكليز الذين حاولوا التعرّف على أشخاصها بعد أن لمسوا تأثيرها في الساحة. وكانت لرئيسها السيد أبو القاسم الكاشاني علاقات وطيدة مع حركة المعارضة في الكاظمية وبغداد. كما أنّه وثّق صلاته بالشخصيات العلمية والإجتماعية البارزة في الكاظمية.

أمّا في بغداد فقد إستقطبت جميعة حرس الإستقلال الجماهير بشكل

---

(٢) مجلة الجهاد للبحوث والدراسات، العدد ٢١، ذو القعدة ١٤٠٧هـ.

كبير، وكان لها الحضور الأكبر في ساحة العمل السّياسي[٣]. كما أنّها إستطاعت أن تحدث حركة سياسية في بغداد من خلال الإحتفالات الإسلامية التي كانت تنضّمها في جوامع بغداد.

ولم يقتصر نشاط الجمعية على بغداد، بل أنّها فتحت لها عدّة فروع في المدن العراقية، وكان الشيخ محمد باقر الشبيبي عضو الإرتباط مع علماء الدين في النجف الأشرف وزعماء الفرات الأوسط، والحزب النجفي السرّي. ونتيجة هذه العلاقة، كان يتم تبادل وجهات النظر بين حركة المعارضة في بغداد والفرات الأوسط. وقد عقد في كربلاء إجتماع مهم في هذا الصدد في ٢١نيسان ١٩٢٠م بمناسبة ولادة الإمام الحسين عليه السلام في ٣شعبان. حضره أعضاء حزب حرس الإستقلال وشخصيات أخرى، وكان علماء الدين ورؤساء العشائر قد أوفدوا الحاج محسن شلاش والسيد هادي زوين لهذه المهمة. وخلال الإجتماع تمّ الإتفاق على أن تلتزم المعارضة في بغداد بتوجيهات المرجعية الدينية، وتقرر أيضاً إيفاد جعفر أبو التمّن إلى كربلاء للاجتماع بالميرزا الشيرازي وأخذ التعليمات منه.

وحين عاد إلى بغداد، كان يحمل تعليمات القيادة الإسلامية بضرورة تصعيد المعارضة السياسية ضد سلطات الإحتلال. وبالفعل بدأ العمل على هذا الطريق، وشهدت بغداد نشاطاً كبيراً على الصعيد الجماهيري. وكانت الخطوة المهمة تأليف وفد من الشخصيات البارزة لتقدّم مطاليب الجماهير إلى السلطات الإنكليزية. وقد إنتخب أعضاء الوفد في إحتفال جماهيري

---

(٣) حاولنا في الحديث عن جمعية حرس الإستقلال عدم إعادة المعلومات التي تناولها الجزء الأول.

ضخم أقيم في جامع الحيدرخانه، وضم في عضويته شخصيات دينية وإجتماعية من الكاظمية وبغداد مثل السيد أبو القاسم الكاشاني وجعفر أبو التمّن والسيد محمد الصدر ويوسف السويدي والشيخ سعيد النقشبندي ورفعت الجادرجي وغيرهم.

قرر الوفد أن يلتقي وكيل الحاكم الملكي العام في بغداد، فتحدد موعد اللقاء في ٢حزيران ١٩٢٠م، لكنّ ولسن دعا عشرين شخصاً للاشتراك في الإجتماع وهم:

محمود الكيلاني، داود الكيلاني، عبدالمجيد الشاوي، عبدالقادر الخضيري، محمد حسن الجوهر، الشيخ شكر، صالح الحلي، علي الآلوسي (إعتذر عن الحضور)، عبدالجبار الخياط، خسرو قيّومجيان، ساسون حسقيل، عزره مناحيم دانيال، يهودا زلوف، محمود الشابندر، محمود الأطرقجي، جعفر عطيفة، جميل صدقي الزهاوي، عبدالكريم الجلبي، محمود الأستر بادي، وعبدالحسين الجلبي[٤].

أرادت السلطة الإنكليزية من وراء إشراك هؤلاء، تمييع خطوة الوفد البغدادي ـ الكاظمي، وإضعاف توجهاته وقدراته على التفاوض، حيث أنّ الأشخاص الذين إختارتهم كان معظمهم قد وقّع خلال الإستفتاء على مضبطة تطالب بإدارة بريطانية.

كانت خطّة الإنكليز تقضي بأنّ إشراك هؤلاء سيثير خلافاً حاداً خلال الإجتماع أو على الأقل تقدير سيحول دون تمكّن أعضاء الوفد من

---

(٤) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، الجزء الأول، ص ١٦١.

طرح مطاليبهم كاملة. لكنّ أعضـاء الـوفـد علموا بالمخطط الإنكليزي فأرادوا أن يتداركوا الموقف بعقد إجتماع مشترك مع مندوبي الإنكليز، وعقد الإجتماع في منزل رفعت الجادرجي. وخلاله عرض أعضاء الوفد مطاليبهم، فتمّت الموافقة عليها من قبل الجميع.

إنّ خطوة الوفد البغدادي ـ الكاظمي كانت حسنة التدبير، إذ لم يعد بمقدور رجال الإنكليز معارضتهم ورفض مطاليبهم، على إعتبار أنّ الوفد يمثّل الأمة، بينما الوفد الآخر لم يتم إنتخابهم من قبل الجماهير وإنّما عيّنوا من قبل الإنكليز. لذلك إضطرّوا لمسايرة مقررات الوفد خوفاً من سقوطهم جماهيرياً فيما لو أظهروا معارضتهم. وهذا ماجعلهم بعد أن وضعهم الوفد في زاوية الإتهام، أن يؤثروا الصمت خلال الإجتماع مع ولسن.

عقد الإجتماع في الموعد المقرر له، وطرح الوفد مطاليبه التالية:

١ـ الإسراع بتأليف مؤتمر يمثّل الأمة العراقية ليعيّن مصيرها، فيقرر شكل إدارتها في الداخل ونوع علاقاتها في الخارج.

٢ـ منـح الحـرية للمطبوعات ليتمكّن الشعب من الإفصاح عن رغائبه وأفكاره.

٣ـ رفع الحواجز الموضوعة في طريق البريد والبرق بين أنحاء القطر أولاً وبينه وبين الأقطار المجاورة له والممالك الأخرى ثانياً، ليتمكّن الناس هنا من التفاهم مع بعضهم ومن الإطلاع على سير السياسة الراهنة في العالم[٥].

---

(٥) عبدالرزاق الحسني، العراق في دوري الإحتلال والإنتداب، الجزء الأول، ص ٩٠.

وبعد مناقشات طويلة إنتهى الإجتماع بأن حدد الحاكم الإنكليزي مدّة شهرين حتى تصدر التعليمات من لندن بشإن مطاليب الوفد.

إنّ الوفد قد حدد مطاليبه هذه إستناداً إلى ماكان يواجهه مستقبل العراق السياسي من خطوات، تحاول تنفيذها بريطانيا. ففي تلك الفترة كانت بريطانيا قد زادت في عزمها على تشكيل حكومة في العراق. ولم يكن هذا الأمـر خافياً على رجـال الـوفد وعلى المعارضة بشكل عام. كما أنّ السلطات البريطانية لم تتعامل معه على أنّه مسألة سريّة، ففي بداية الكلمة التي ألقاها ولسن في الإجتماع قال:

(إنّ الحكـومة البريطانية وطّدت عزمها على وضع نظام للحكومة العراقية المقبلة في أقرب وقت ممكن، بعد إستشارة الرأي العام في ذلك. وعلى ذلك جرت مخابرات كما يعلم أكثركم بيني وبين حكومة جلالة الملك وكبار رؤساء الحكومة الملكية (البريطانية) هنا توصلا إلى تشكيل حكومة ملكية مؤقتة تقوم بعبء الإدارة إلى أن تتتم مذاكرات الحكومة مع الأهالي ويوضع نظام ثابت للحكومة الجديدة)[٦].

وكانت بريطانيا أيضاً تفكّر بتشكيل مجلس للأمة ومجلس تشريعي، حيث يقوم الأول بوضع الدستور العراقي. ثم يرفعه للمجلس التشريعي للمصادقة عليه. وكانت قد أعدّت هذا الدستور مسبقاً. فقد جاء أيضاً في نفس الكلمة التي ألقاها ولسن:

(وقد طبعت الإدارة الملكية هنا دستور هذه الحكومة المؤقتة الذي

---

(٦) المصدر السابق، ص ٨٧، وكذلك محمد مهدي البصير، ص ١٦٧.

كانت رفعته إلى حكومة جلالة الملك).

هذه الحقائق لم تكن خافية على رجال المعارضة، لذلك فإنّ الوفد البغدادي ـ الكاظمي، أراد أن يفاوض سلطات الإحتلال على ضوء هذه الحقائق، وإنطلق من فهمه للتوجهات الإنكليزية في صياغة مطاليبه. فهو لم يشأ أن يطرح مطاليبه التي يريدها بصورة مباشرة، كتأسيس حكومة إسلامية عملاً بتوجيه المرجعية الدينية، التي يتبنّى موقفها في هذا المجال وفي المجالات الأخرى، كما هو واضح من توزيع بيان الميرزا الشيرازي الذي حمله جعفر أبو التمّن خلال إجتماعه به في كافة أنحاء العراق، والذي حدد فيه المرجع الشيرازي هدف حركة المعارضة في العراق بتأسيس حكومة إسلامية[٧]. لم يشأ الوفد أن يطرح هذا الهدف مباشرة، لأنّه سيقابل بالرفض القاطع من قبل الإنكليز، لذلك لجأ إلى طرح مطاليبه بإسلوب آخر.

إنّ الصورة تبدو واضحة تماماً من خلال التأمّل في مطاليب الوفد. فالمطلب الأول نادى بتأليف مؤتمر يمثّل الأمة في العراق، وهو الذي يعيّن مستقبلها السياسي، حيث سيتولى تحديد شكل إدارتها في الداخل ونوع علاقاتها في الخارج.

وواضح من هذا البند أنّ الوفد كان يريد تشكيل حكومة مستقلة في العراق على وجه السرعة قبل أن تنفّذ السلطة البريطانية مخططها فتؤلّف

(٧) أدرجنا نص البيان الذي أصدره الميرزا الشيرازي في الجزء الأول من الكتاب، ص ٦٩ـ٧٠، فليراجع.

هي الحكومة. كما أنّه يريد أن تكون الحكومة مختارة من قبل الشعب العراقي، دون أن يتدخّل الإنكليز في تشكيلاتها.

إنّ تحديد المؤتمر (المقترح تأليفه) لطبيعة العلاقة بين الحكومة العراقية وبين المجتمع الدولي، إنّما يعني تحديد مستقبل العلاقة مع بريطانيا. حيث أنّ مشكلة المعارضة الأولى والأخيرة هي السيطرة الإستعمارية الإنكليزية.

لم يتوقّف نشاط الوفد عند هذه الخطوة، فلقد كان يمثّل واجهة ضد الإنكليز، لذلك إستمر يلاحق إجراءات السلطة البريطانية، ويتابع معها مصير مطاليبه وبالشكل الذي يسبب لها إحراجات أمام الناس، خصوصاً بعد أن قرّرت الحكومة البريطانية إرسال برسي كوكس إلى العراق ليتولّى مهمّة التمهيد لتشكيل الحكومة حسب التصوّرات البريطانية. وهذا ما دفع سلطات الإحتلال إلى شن حملة إعتقالات ضد رجال المعارضة بعد أن تفاقم الوضع في الفرات وإشتعلت ثورة العشرين.

مما تقدّم نجد أنّ النشاط الحزبي ساهم في تهيئة أرضيّة مناسبة للثورة، من خلال تعميق المعارضة السياسية في نفوس الجماهير. وقد تفاوتت درجات المساهمة في الثورة حسب مواقع التحرّك، ففي الوقت الذي كانت فيه الأحزاب السياسية في المدن تركّز نشاطاتها على المعارضة السياسية، فإنّ الأحزاب التي كانت تتحرّك في المناطق العشائرية مثل الحزب النجفي السرّي، ركّزت جهودها على العمل الثوري المسلّح. وهكذا تضافرت جهود العمل الحزبي لتلتقي في نقطة واحدة هي السعي لطرد الإنكليز والحصول على إستقلال العراق.

التلاحم الجماهيري

ماكانت ثورة العشرين لتنجح لو لا التلاحم الرائع الذي حدث بين فئات الأمة. وتجاوزها الفواصل المذهبية والطبقية بصورة واعية إرتفعت إلى مستوى المواجهة. فتحوّلت الأمة في مشاعرها ومواقفها إلى قوّة معارضة للاستعمار البريطاني للدرجة التي فاجأت الإنكليز وأربكت موقفهم في العراق.

صحيح أنّ الثورة لم تشمل كافة مناطق العراق، فهناك بعض المناطق ظلّت على صمتها، وهناك بعض الفئات الإجتماعية والدينية تمسّكت بحيادها، أو بولائها للانكليز. لكن لا يمكن إعتبار هذه الشرائح ذات قيمة مؤثّرة على حركة الأمة العامة. فهي وجودات خارجة عن إرادتها الحقيقية، وعاشت عزلة جماهيرية خلال تلك الفترة وما بعدها.

أما المناطق التي لم تتحرّك في إتجاه العمل المسلّح، فإنّ ذلك لا يعود إلى رغبتها في الحكم البريطاني، إنّما كانت محكومة بالجو العشائري الذي يسيطر على الإرادة من خلال رأي الرئيس أو شيخ العشيرة، لذلك لم تتمكّن من المشاركة في الثورة لأنّ رؤساءها كانوا من الموالين للانكليز، مع أنّ عواطف الناس ومشاعرهم كانت مع حركة الثورة. ولو رفع عنها الضغط السلطوي لرئيس العشيرة لإنضمّت إلى الثوار، ورغم ذلك فإنّ هؤلاء الشيوخ عانوا من حرج وقلق كبيرين نتيجة الرغبة الشديدة لأبناء عشائرهم في الإشتراك بالثورة. ووصلت في بعض الحالات إلى صدامات بين الفلّاحين وبين رؤساء العشائر الموالين للانكليز. فمثلاً تعرّض الشيخ خيون

العبيد أحد رؤساء العشائر في منطقة الشطرة إلى ضغط شديد نتيجة موقفه الموالي للانكليز وعدم إشتراكه في الثورة، حتى أنّ بعض الشعراء نظّموا (هوسات) تقرعه على موقفه المتخاذل. وأعتبر بعض الشعراء في هوساتهم أنّ الشيوخ المتقاعسين عن الجهاد والثورة بمثابة الكفّار.

لقد كان الدافع الإسلامي في حركة الثورة أكبر من الولاء العشائري وهي نقطة مهمة للغاية، لما يعرف عن التركيبة العشائرية من ضوابط محكمة. حيث نلاحظ أنّ أهالي الشطرة تمرّدوا على رئيسهم خيون العبيد، وخرجوا يستقبلون مبعوث شيخ الشريعة الإصفهاني الذي تولّى قيادة الثورة بعد وفاة الشيرازي، وأطلقوا رصاصهم على العلم البريطاني فوق بيت النقيب توماس، مما دفعه إلى الهرب من بيته وإستقل طائرة كانت بإنتظاره ونجا بنفسه، مع أنّه كان بحماية الشيخ خيون الموالي للانكليز[٨].

لقد إستجابت العشائر لنداء المرجعية ولدعوة الجهاد، ورفضت البقاء تحت إرادة رؤسائها المتخاذلين. وفي ذلك مؤشّر واضح على الوعي الإسلامي الذي وصلت إليه العشائر.

إنّ الحديث عن الشواهد التاريخية في هذا الخصوص، يعني ذكر وقائع الثورة في المناطق التي إشتعلت فيها، حيث كان لعامة الناس مواقف بطولية منطلقة من المشاعر الإسلامية، بالدرجة الأولى. وكان مفهوم الشهادة واضحاً في أذهان الثوار، بل أنّ الأمهات كنّ يدركن هذا المفهوم بشكل دقيق، لا يتناسب مع تربيتهن البسيطة، والواقع الذي نشأن فيه، وفي ذلك

---

(٨) د. عبدالله النفيسي، دور الشيعة في تطوّر العراق السياسي الحديث، ص ١٤٤.

قصص كثيرة يطول الحديث عنها لو أتينا على ذكرها.

وإذا كانت مناطق العشائر قد حققت التلاحم بأروع صوره في أحداث الثورة، فإنّ سكان المدن العراقية المهمة كذلك كان لهم دور في رسم صورة التلاحم الجماهيري. وكان ميدانها الأهم هو التقارب بين السنة والشيعة.

سبق لبعض الفئات من أهل السنة أن تضامنوا مع الشيعة في مواقفهم الجهادية، ففي بدايات الحرب العالمية الأولى إنضمّ عدد كبير من الأكراد إلى صفوف المجاهدين إستجابة لدعوة الجهاد التي أصدرها علماء الشيعة.

وإذا كان الموقف السابق يعكس إهتمام بعض فئات أبناء السنة إتجاه ما يواجهه المسلمون من تحدّيات على يد الإحتلال البريطاني. فإنّ ما حدث خلال مقدّمات الثورة، لا يدع مجالاً للشك في إندفاع قسم من السنة بتأثير موقف المرجعية الشيعية. حيث لم يظهر كبار علمائهم معارضة للانكليز، فمثلاً نقيب أشراف بغداد عبدالرحمان الكيلاني كان موالياً للانكليز، مدافعاً عنهم، معارضاً أي مشروع سياسي ضدّهم، وسيرة الرجل معروفة بكل وضوح.

حدثت أولى بوادر هذا التقارب خلال مراسم التأبين على روح السيد كاظم اليزدي الذي توفي في ٣٠نيسان ١٩١٩م. حيث أقام أبناء السنة حفلات التأبين تعبيراً عن مشاطرتهم للشيعة في حزنهم على مرجعهم[٩].

وقد وصل هذا التقارب ذروته خلال الأشهر القليلة التي سبقت

---

(٩) محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص ١٨٩.

الثورة، حيث كانت الشخصيات السنية والشيعية في بغداد تتبادل وجهات النظر بشإن معارضة الإنكليز والإتفاق على خطوات مشتركة في العمل، وساهم حزب حرس الإستقلال في هذا التقارب إلى حدّ كبير حيث ضمّ في قيادته رجالاً من السنة والشيعة. ووصل التنسيق إلى عقد إجتماعات رفيعة المستوى تضم الطرفين، ولم يظهر أبناء السنة تحفّظاً على العمل وفق توجيهات علماء الشيعة، وهو ما يتّضح من إيفاد جعفر أبو التمّن إلى كربلاء ممثلاً عنهم للاستماع إلى توجيهات الميرزا الشيرازي.

إنعكس هذا التقارب على الأوساط الجماهيرية في بغداد، حيث كان يحضر جمهور غفير من أبناء الطائفتين في الإحتفالات التي يقيمها حرس الإستقلال في جوامع بغداد خلال شهر مايس ١٩٢٠م، وكانت برامج هذه الإحتفالات تتضمّن مراسم مشتركة، حيث تقرأ منقبة المولد النبوي الشريف إضافة إلى مجلس عزاء الإمام الحسين عليه السلام.

وخلال أحداث الثورة، إستجاب بعض عشائر السنة لدعوة علماء الشيعة في مقاومة الإنكليز، وإن كانت غالبيتهم قد ظلّت بعيدة عن الثورة بتأثير رؤساء عشائرهم.

فقد كان السيد محمد الصدر يقوم بحملة تبليغية في لواء الدليم وسامراء لإنضمام العشائر هناك إلى الثورة. وقد إستطاع أن يحقق نجاحاً مع بعضها. فقد نجح في إقناع الشيخ حبيب الخيزران شيخ قبيلة عزّه في لواء ديالى بأنّ أيام الإنكليز في العراق قد أصبحت معدودة، ولكي نعجّل في تقصير هذه الأيام علينا أن نحاربهم لنحملهم على مغادرة البلاد. وبعد أيام من المداولات والمناقشات أقسم حبيب الخيزران بالقرآن الكريم أنّه

سيخلص في الـولاء لمبعـوث العلماء والتعاون معه. وراح الخيزران يرسل مبعوثين من قبله إلى مختلف أنحاء اللواء يدعون القبائل إلى الإنضمام إلى السيد الصدر والتعاون معه. وشكّل الشيخ حبيب وفداً يتألّف من أعيان قبيلة عزّه وقبيلة ألبـو علقة، وحمّلهم قرآناً ووجّههم إلى قبيلة ألبو حيازة ليقسموا عليه يمين الولاء والإخلاص لمبعوث العلماء.

وبـدأت القبـائـل أعـمالها الحربية ضد الإنكليز بعمليات تخريب خطوط المواصلات، فقطعوا خط القطار الحديدي بين سامراء وبلد، كما أنّهم قطعوا أسلاك البرق، وهدّموا جسراً على قناة الدجيل[١٠].

وإستجاب أيضاً الشيخ ضاري رئيس عشيرة زوبع، في لواء الدليم لحركة الثورة وقتل الكولونيل ليجمن الذي وجّه إليه إهانة قاسية. وأعلن نتيجة ذلك ثورته على الإنكليز.

إنّ إستجابة السنة لم تكن بنفس المستوى الذي تحرّكت فيه العشائر الشيعية، فقـد ظلّ معـظم شيوخ العشائر السنية موالين للانكليز، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى عدم إنسجامهم مع فكرة تأسيس حكومة مستقلّة في العراق، لأنّهم كانوا يرون في الحكومة القادمة، بأنّها حكومة شيعية، بينما يحقق لهم الحكم البريطاني مطامحهم.

المهم أنّ تقارباً سنياً ـ شيعياً قد حدث خلال مقدّمات الثورة وفي أثنائها، وهو تطوّر مهم في حركة السياسة العراقية، لا سيّما إذا عرفنا شدّة الحساسية الطائفية التي تولّدت خلال الحكم العثماني وعزّزها الإنكليز من

---

(١٠) د. عبدالله النفيسي، المصدر السابق، ص ١٤٨ـ١٤٩.

بعدهم.

زعماء العشائر

مثّل زعماء العشائر العراقية المصدر الكبير في إنطلاقة الثورة، فلقد تحمّسوا لها قبل إشتعالها بفترة ليست بالقصيرة، وكثّفوا جهودهم للوصول إليها في أسرع وقت وأنسب ظرف، كانت الثورة عندهم تمثّل حقيقة أساسية لا يمكن تجاوزها بأي شكل، وخياراً وحيداً للحصول على إستقلال العراق. لذلك أنجزوا كل شيء على طريقها، وتحمّلوا الجهد الأكبر في تحقيقها، ولم يبق لهم سوى التنفيذ، وهو ما يستدعي إصدار قرار حاسم من قبل المرجعية الدينية.

إنّ مقدّمات الثورة تّمت بمشاركة زعماء العشائر مع علماء الدين، حيث كان يجمعهم الحزب النجفي السرّي، وكان تحرّكهم يسير وفق تنسيق دقيق وتوجيه من المجتهدين. وكان من بينهم من يتمتّع بكفاءة سياسية وبُعد نظر كبيرين، كما هو واضح من خلال موقفهم من الإستفتاء حيث طالبوا بتأسيس حكومة عربية تحت رئاسة أحد أنجال الشريف حسين.

ولا بدّ من التأكيد هنا أنّ كلمة (عربية) لم تكن تعني القومية، فمثل هذا المفهوم لم يكن شائعاً كإتّجاه فكري أو سياسي، إنّما كان المقصود بالحكومة العربية، أن تكون منبثقة من إرادة جماهيرية عراقية مستقلّة بعيدة عن التأثير الأجنبي أو الوصاية الخارجية.

كان الإنكليز يراقبون بدقّة توجّهات رؤساء العشائر ويحاولون الوقوف على قناعاتهم، لما يمتلكونه من مواقع حسّاسة مؤثّرة على الحياة

العراقية. جاء في أحد التقارير البريطانية تقييماً لعدد من رؤساء العشائر والشخصيات الإجتماعية المؤثّرة. نختار منه التقييم البريطاني لعدد منهم:

السيد هادي المكوطر: من الشنافية، ملّاك له أراض واسعة جداً، كان لآل المكوطر حظوة لدى الحكومة العثمانية وساعدوا الأتراك بصورة فعّالة إلى أن حققنا السيطرة الفعّالة على الفرات الأوسط في تشرين الثاني ١٩١٧م.. ورد في التقارير أنّ نفوذه العظيم في الشنافية موجّه ضدّنا.. وكان ذا علاقة بكافة الإضطرابات في النجف.

السيد محسن أبو طبيخ: أكبر ملّاك في غمّاس، عمره حوالي ٣٦سنة، له نفوذ كبير، موال للأتراك في قرارة نفسه، وقد إشتبه بإشتراكه في مؤامرة إغتيال الحاكم السياسي في الشامية في شباط ١٩١٨م.

عبدالواحد الحاج سكر: له أراض زراعية واسعة على الضفّة اليسرى للمشخاب من أبي صخير إلى آل إبراهيم. ذو مؤهّلات كبيرة. نظره أبعد مما للأشخاص الإعتياديين.. إنّه بالتأكيد أقوى رجل في آل فتلة.. رجل ذو شخصيّة قويّة.. ينبغي مراقبته دائماً بدقّة.

محمد العبطان، الخزاعل: رجل ذو نفوذ محلّي كبير، عززته منحة قدرها ألف ربية من الحكومة قبل إحتلالنا للبلاد بشكل فعّال.. مناوىء لبريطانيا بالتأكيد.. سجن في ٢٣كانون الأول بتهمة العصيان. أقوى شيخ في الشامية يبلغ حوالي الأربعين[١١].

(١١) د. وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والإجتماعية للحركة القومية العربية الإستقلالية في العراق، ص ٣٤١.

إنّ هذا التقرير يكشف خوف الإنكليز من رؤساء العشائر لما عرفوا منهم من روح ثورية متمـرّدة على السلطات. ولا سيّما رفضهم للاحتلال الأجنبي الذي يرونه سلطة كافرة على بلاد المسلمين.

لقـد إزداد تذمّـر شيوخ العشائر نتيجة الممارسات التي كان يقدم عليها الحكّام الإنكليز، حيث لم يكن يعرف هؤلاء طبيعة الشيوخ، وغالباً ما كانوا يعاملونهم بقسوة وفضاضة تأباها نفوسهم، إضافة إلى فرض عقوبات وضرائب ثقيلة وعزل بعض الشيوخ عن مواقعهم وتنصيب غيرهم. كل هذه الإجـراءات كانت بمثـابـة عوامـل إضافية حفّزت شيوخ العشائر على الإنتفاضة ضد سلطات الإحتلال.

إنّ سوء المعـاملة الإنكليزية أثـارت بعض الـرؤساء ودفعتهم إلى التعجيل بالثورة. وكان السيد علوان الياسري قد تدارس الفكرة في أبي صخير مع السيد محمد رضا الصافي، ثم طرحاها في النجف الأشرف على الشيخ عبدالكريم الجزائري وإتّفقوا على العمل لتهيئة الأجواء نحو الثورة.

في ربيع ١٩١٩م بدأ العمل على مفاتحة شيوخ العشائر بهذا الشإن، فإنضمّ إليهم السيد كاطع العوادي وشعلان الجبر رئيس آل إبراهيم والسيد نور الياسري وعبدالواحد الحاج سكر والسيد محسن أبو طبيخ(١٢).

في ١٦نيسـان ١٩٢٠م إنتهـز السيد علوان الياسري فرصة زيارة

---

(١٢) د. علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس، القسم الأول، ص ١١٦ـ١١٨.

المبعث النبـوي الشريف في ٢٧رجب، فدعا إلى عقد إجتماع في داره في النجف الأشرف، ضمّ عدداً من العلماء ورؤساء العشائر، ودعا أيضاً الشيخ محمد رضا نجل الميرزا الشيرازي.

طرحت في الإجتماع فكرة الثورة المسلّحة ضدّ الإنكليز، وقد كثر النقاش حول هذه المسألة، وكان على رأس المعارضين خيون العبيد الذي تحدّث عن الخلافات بين العشائر مما يحول دون إمكانية الثورة، وبعد نقاش طويل تمّ الإتفاق على تأجيل القيام بالثورة المسلحة. لكنّهم إتّفقوا بالإجماع على البدء بما يشبه العصيان المدني، ولهذا قرروا الأمور التالية:

١ـ تأسيس جمعية بإسم الجامعة الإسلامية مركزها كربلاء ولها فروع في كل العراق ويرأسها الميرزا محمد تقي الشيرازي.

٢ـ توزيع منشـور بتوقيع الشيرازي يأمر بالوحدة وجمل الشمل والتساند في كل المهام.

٣ـ جعل يوم الجمعة يوم الشعب، تعطّل فيه المكاسب ويترك البيع والشـراء، وتنصب المنـابر في الساحات العامة ليتبارى الخطباء فوقها بما يستلزم الإثارة والتحضير(١٣).

وفي الأول من شعبان ١٣٣٨هـ (٢٠نيسان ١٩٢٠م)، عقد في مدينة النجف الأشرف إجتماع واسع ضمّ كبار علماء الدين ورؤساء العشائر، حيث حضره السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري، والسيد كاطع العوادي وعبدالواحد الحاج سكر، ومحمد

---

(١٣) المصدر السابق، ص ١٢٥ـ١٢٦.

العبطان وعلوان الحاج سعدون، وشعلان أبو الجون ووداي العطية ومجبل الفرعون ونور الياسري وهادي المكوطر وهادي زوين ومحسن أبو طبيخ وعلوان الياسري ومحسن شلاش وغيرهم.

وتقرر في الإجتماع إرسال السيد هادي زوين والحاج محسن شلاش إلى بغداد للاجتماع بقادة المعارضة هناك وتنسيق العمل معهم(١٤). وإجتمعا هناك في ٣شعبان، كما ذكرنا سابقاً.

وفي ليلة النصف من شعبان عقد إجتماع مهم في دار الميرزا الشيرازي حضره رؤساء العشائر، وجعفر أبو التمّن وبعض الشخصيات الدينية والإجتماعية، وأدّى الجميع اليمين على الإلتزام بأوامر الميرزا الشيرازي. وبعد إنتهاء الإجتماع ذهب جعفر أبو التمّن والسيد هادي زوين إلى النجف الأشرف لإطلاع العلماء هناك على ما تمّ في كربلاء(١٥).

كان هذا الإجتماع بمثابة الإتفاق النهائي على الثورة، حيث بدأ العمل بالمطالبة بإستقلال العراق بشكل سلمي أولاً، ثم يتحوّل إلى ثورة مسلّحة في حالة عدم إستجابة الإنكليز، وهو ماحدث، حيث إندلعت الثورة في ٣٠حزيران ١٩٢٠م.

لقد كان إلتزام رؤساء العشائر بموقف المرجعية وعلماء الدين، يمثّل مرتكزاً ثابتاً من مرتكزات تحرّكهم. فعلى سبيل المثال عقد إجتماع للثوار في ذي الحجّة ١٣٣٨هـ بعد إحتلالهم قلعة سكر، قدّموا خلاله شروطهم

---

(١٤) د. وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٣٧٤.

(١٥) عبدالرزاق الدراجي، جعفر أبو التمّن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ص ٨٥.

للحكومة البريطانية. وكان من ضمنها: المطالبة بإستقلال العراق إستقلالاً تاماً ناجزاً وإنتخاب الأمير عبدالله ملكاً عليه، وجاء في بند آخر: إتّباع ما يأمر به العلماء المجتهدون[١٦].

إنّ إلتزام رؤساء العشائر بتوجيهات العلماء ليس حدثاً جديداً، فلقد سبق لهم أن إستجابوا لدعوة الجهاد أبان الحرب العالمية الأولى، كما أنّهم إستجابوا أيضاً لتوجيهاتهم في فترات لاحقة.

القيادة الدينية

يعتبر هذا العنصر أهم العناصر في ثورة العشرين، حيث وفّر الغطاء الشرعي للتحرّك، كما أنّه هيّأ الأرضية المطلوبة للتنسيق بين فئات المجتمع السياسية، من خلال النشاط الذي قام به علماء الدين، والتوجيهات التي صدرت عن المرجعية الدينية، كما أنّ الثورة ما كانت لتحدث لو لا قرار الميرزا الشيرازي.

إنّ الدعم الذي قدّمته القيادة الإسلامية لمناطق الفرات الأوسط والمدن المقدّسة في حركتها المعارضة للانكليز، أضعفت موقف العناصر الموالية للانكليز، وراح هؤلاء يتصنّعون الحياد أو عدم إهتمامهم بالمسائل السياسية[١٧].

وبعد وفاة السيد اليزدي وإنتقال المرجعية الدينية العامة للميرزا

---

(١٦) عبدالله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٢٩.

(١٧) فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية عام ١٩٢٠م ونتائجها، ص ٨٣.

الشيرازي، قويت حركة المعارضة السياسية، نتيجة دعمه وتأييده، مما جعل الإنكليز يشعرون بخطر جدّي من تطوّر حركة المعارضة وإرتفاع مقام الشيرازي[١٨].

كان العمل الأول الذي أقدم عليه الميرزا الشيرازي والذي ساهم في تمهيد الطريق للثورة، إصداره فتوى في الأول من آذار ١٩٢٠م، حرّم فيها على المسلمين العمل في إدارة الإحتلال. وقد أدّت هذه الفتوى إلى حملة إستقالات واسعة. وجاءت بعد أن توجّه عدد من الناس للعمل في مؤسسات الإدارة البريطانية.

وفي أعقاب هذه الخطوة وبتوجيه من الميرزا الشيرازي عقد أواخر جمادى الأولى عام ١٣٣٨هـ (أواسط آذار ١٩٢٠) إجتماع سرّي في مدينة النجف حضره عدد كبير من العلماء ورؤساء العشائر، تقرر فيه القيام بحملة تعبئة واسعة النطاق ضد الإحتلال، والدعوة إلى الإستعداد لمقاومته. ومن أجـل تحقيق ذلك قرر المجتمعون إرسال عدد من علماء الدين والخطباء للقيام بهذه المهمة في صفوف العشائر[١٩].

حاول الميرزا الشيرازي تحقيق وحدة الأمة، وجعلها قوة متماسكة ضد الإحتلال البريطاني، وأكّد على ضرورة إزالة الخلافات، وتحقيق الوحدة بين السنة والشيعة في حركتهم السياسية. ووجه في هذا الخصوص رسائل عديدة إلى الشخصيات السنية والشيعية يطلب منهم الإتحاد والتعاون. ففي

---

(١٨) د. غسان العطية، العراق.. نشأة الدولة، ص ٤٢٧.

(١٩) عبدالحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠ـ١٩٢٤م، ص ٢١٠ـ٢١١.

رسالة بعثها إلى جعفر أبو التّمن بتاريخ ٣/رجب ١٣٣٨هـ جاء فيها:

(.. سرّنا إتّحاد كلمة الأمة البغدادية وإندفاع علمائها ووجوهها وأعيانها إلى المطالبة بحقوق الأمة المشروعة، ومقاصدها المقدسة، فشكر اللّه سعيك ومساعي إخوانك وأقرانك من الأشراف، وحقق المولى آمالنا وآمال علماء وفضلاء حاضرتكم الذين قاموا بواجباتهم الإسلامية.

هذا وإنّنا نوصيكم أن تراعوا في مجتمعاتكم قواعد الدين الحنيف، والشرع الشريف، فتظهروا أنفسكم دائمًا بمظهر الأمة المتينة الجديرة بالإستقلال التام، المنزّه من الوصاية الذميمة، وأن تحفظوا حقوق مواطنيكم الكتابيين الداخلين في ذمّة الإسلام، وأن تستمرّوا على رعاية الأجانب الغرباء، وتصونوا نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، محترمين كرامة شعائرهم الدينية، كما أوصانا بذلك نبيّنا الأكرم صلّى اللّه عليه وآله، والسلام عليكم وعلى العلماء والأشراف والأعيان).

وجاء في رسالة ثانية أرسلها بتاريخ ٤رجب ١٣٣٨هـ إلى الشيخ أحمد الداود أحد علماء السنة في بغداد.

(.. تلقّيت بالإبتهاج رقيمتكم فما وجدتها أعربت مقدّراً ولا أبرزت مستتراً، هذا ما أعتقده في عامة المسلمين أن يكونوا على مبدأ القرآن، ومنهج الحق، وقول الصدق، فكيف بمن ربي في حجر العلم، ورضع در الإيمان، أباً عن جد، ولا أرى أنّه يسرّك أن تراني مقتنعاً بما عاهدت عليه اللّه وقد أخذ في ذلك عليك عهدك من قبل أن يبرأك، بل يسرّني أن أرى مثلك في رأس قادة المسلمين إلى الحقّ داعياً، وإلى الضالّين هادياً، بحيث يسترشد بك المسترشدون وينهض بأمرك القاعدون. لتكن أهلاً لذلك فإنّك له أهل.

وليكن التوفيق رائدك في عمل الخير، وكن لساناً ناطقاً بالصواب، داعياً إلى الشرع الشريف أهله، سالكاً بهم محجّته البيضاء.

فإنّك مقتدى المسلمين، وهذا هو الأجدر بي وبك، وبمن جرى مجرانا من خدّام الدين، وأنصار الشرع المبين، وأرجو إبلاغ جزيل السلام والدعاء والدعوة لإخواننا المؤمنين، ونسأل لهم خير الدارين، وبلوغ كلا الحسنيين، فإنصروا اللّه وأثبتوا، فإنّكم إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبّت أقدامكم. وثقوا أنّكم ستجنون ثمرة الجهاد والعناء في اللّه...).

وفي رسالة أرسلها الميرزا الشيرازي في ٣رجب إلى الشيخ موحان الخير اللّه أحد رؤساء عشائر المنتفك جاء فيها:

(.. إنّ جميع المسلمين إخوان تجمعهم كلمة الإسلام، وراية القرآن الكريم، والنبي الأكرم صلّى اللّه عليه وآله وصحبه. فالواجب علينا جميعاً الإتفاق والإتحاد، والتواصل والوداد، وترك الإختلاف، والسعي في كل ما يوجب الإئتلاف. وتوحيد الكلمة، وجمع شتات الأمة، والتعاون على البرّ والتقوى والتوافق في كل ما يرضي اللّه تعالى، فإنّكم إن كنتم كذلك جمعتم بين خير الدنيا والآخرة، ونلتم الدرجة العليا، والشرف الدائم والذكر الخالد..)[٢٠].

لقد أدرك الميرزا الشيرازي أنّ الإنكليز كانوا يعقدون المؤتمرات والأحلاف الدولية لترتيب وضع العراق وسرقته من إرادة شعبه الثائر.

ولذلك فقد بدأ يخاطب بعض الرؤساء في العالم بما يجري في العراق،

---

(٢٠) محمد علي كمال الدين، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٨٩ـ١٩٠.

ليفضح هذه السياسة الغاشمة. فقد كتب بالإشتراك مع شيخ الشريعة الإصفهاني رسالة إلى الرئيس الأمريكي ولسن بتاريخ ٥جمادى الأولى ١٣٣٧هـ. طلب فيها أن يتدخّل لصالح العراق في إنشاء حكومة عربية، وأوضح له أنّ الإرهاب الذي يمارسه الإنكليز يحول دون إمكانية إبداء الشعب العراقي لرأيه صراحة.

كما أرسل إليه هو وشيخ الشريعة رسالة أخرى، أوضح له أنّ الأمة في العراق تريد حكومة عربية إسلامية مستقلّة، برئاسة ملك مسلم مقيّد بمجلس وطني[٢١].

ووجه أيضاً رسالة إلى الشريف حسين يطلب منه دعم قضية العراق ومساندة العراقيين في الحصول على إستقلالهم. وقد حمل الشيخ محمد رضا الشبيبي هذه الرسالة إضافة إلى رسالة وقّعها زعماء النجف موجّهة إلى الشريف حسين[٢٢].

كان الميرزا الشيرازي يحاول في البداية الوصول إلى إستقلال العراق بالطرق السليمة، وهو ما يتّضح من خلال رسائله وبياناته التي وجهها إلى كافة أبناء الأمة في العراق، ففي أحد هذه البيانات كتب يقول بتاريخ ١٠رمضان ١٣٣٨هـ (٢٩مايس ١٩٢٠م):

(إلى إخواننا العراقيين

... إنّ إخوانكم في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من

---

(٢١) تراجع هذه الرسائل وغيرها في ملحق رقم (٢) في نهاية الكتاب.

(٢٢) عبدالرزاق الهلالي، دراسات وتراجم عراقية، ص ٢٢.

أنحاء العراق قد إتّفقوا فيما بينهم على الإجتماع والقيام بمظاهرات سلمية، وقد قامت جماعة كبيرة بتلك التظاهرات مع المحافظة على الأمن، طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لإستقلال العراق إن شاء اللّه بحكومة إسلامية، وذلك بأن يرسل كل قطر وناحية إلى عاصمة العراق بغداد وفداً للمطالبة بحقّه متّفقاً مع الذين يتوجّهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد، الواجب عليكم، بل على جميع المسلمين الإتفاق مع إخوانكم في هذا المبدأ الشريف، وإيّاكم والإخلال بالأمن، والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض..)[٢٣].

لكنّ الميرزا الشيرازي بعد أن إستنفد الوسائل السلمية، ووجد السلطة البريطانية تصعّد من ممارساتها ضد المعارضة السياسية. وبعد أن تأكّد من إمكانية الثورة، وعزم العشائر العراقية على المواجهة المسلحة، أصدر فتواه الشهيرة التي تعتبر الإعلان بالثورة:

(بسم اللّه الرحمن الرحيم. مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن. ويجوز لهم التوسّل بالقوة الدفاعية إذا إمتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم.

الأحقر: محمد تقي الحائري الشيرازي)[٢٤].

---

(٢٣) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٩٧_٩٨.

(٢٤) محمد مهدي البصير، المصدر السابق، ص ١٩٣.

عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ١٠٣.

عبداللّه الفياض، المصدر السابق، ص ٢٣٧.

جعفر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، الجزء الأول، ص ٢٦٣.

وقد أحدثت هذه الفتوى هيجاناً عاماً في العراق. وعززها قول الميرزا الشيرازي لمن يسأله عن الموقف المطلوب: (إعملوا ماشئتم، حان وقت أخذ حقوقكم).

وعلى أثر ذلك، عقد علماء الدين والشخصيات المهمة في النجف الأشرف إجتماعاً حضره الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي والشيخ جواد الشبيبي ونجل شيخ الشريعة. وقرروا توجيه رسائل إلى رؤساء العشائر وخاصة رؤساء الرميثة والسماوة يحثّونهم فيها على الثورة. كما وجّهوا رسالة عامة لكل المسلمين ناشدوهم فيها مقاومة الإنكليز وطردهم من بلاد الإسلام.

وفي منطقة المشخاب القريبة من النجف إجتمع في ٢٩حزيران ١٩٢٠م عدد كبير من رؤساء وزعماء الفرات قرروا فيه إعلان الثورة في ٣تموز، لكنّ إعتقال سلطات الإحتلال شعلان أبو الجون في الرميثة في ٣٠حزيران، جعل موعدها يتقدّم، حيث هجم الثوار من عشيرة الظوالم على مقر الحاكم الإنكليزي وأطلقت سراح الشيخ أبو الجون في اليوم نفسه، فبدأت بذلك الثورة[٢٥].

إستمرّت الثورة حوالي خمسة أشهر وشملت مناطق واسعة من العراق. وكانت العمليات العسكرية على قدر كبير من الضراوة. تحدّثت

---

(٢٥) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٢٢٠ـ٢٢١.

عنها الكثير من المصادر التاريخية[٢٦].

وخلال الثورة، وفي شهر آب ١٩٢٠م تعرّضت الثورة إلى إنتكاسة كبيرة حين توفي قائدها الميرزا الشيرازي، فتولى القيادة والمرجعية بعده شيخ الشريعة الإصفهاني، الذي وجّه نداءه إلى الأمة يحثّهم على مواصلة الجهاد. وقد بذل جهوده من أجل تحقيق إستقلال العراق، حتى توقّفت العمليات العسكرية بإتّفاق مع الثوار في تشرين الثاني ١٩٢٠م. وكان ذلك إثر الهجمات المكثّفة التي قام بها الإنكليز بإمكاناتهم العسكرية الضخمة التي عززوها من الهند ضد الثوار، والتي كانت إرهابية. حيث أنّهم كانوا يحرقون المنازل والقرى والمحاصيل بواسطة الطائرات.

رغم نهاية الثورة قبل الوصول إلى نتائجها الحاسمة في تأسيس الحكومة الإسلامية. فإنّها إستطاعت أن تجبر الإنكليز على تغيير سياستهم وبرنامجهم بشإن مستقبل الإدارة في العراق. فبعد أن كانوا يريدون فرض إدارة بريطانية مباشرة، تحوّلوا إلى تشكيل حكومة عراقية، وهو تراجع كبير في الموقف البريطاني.

---

(٢٦) من الكتب التي ذكرت أحداث الثورة.
د. علي الوردي، المصدر السابق، الجزء الخامس.
فريق المزهر الفرعون، المصدر السابق.
محمد علي كمال الدين، المصدر السابق.
عبدالشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين.
عبدالرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى.

الفصل السابع

تأسيس الدّولة العراقية وموقف التحرّك الإسلامي

رغم تعرّض ثورة العشرين إلى انتكاسة عسكرية في تشرين الاول ١٩٢٠، نتيجة التحشيد العسكري البريطاني المتزايد، واستخدام القوات البريطانية اساليب وحشية في قمع الثوار والانتقام من المناطق الثائرة. رغم هذه النتيجة فإن الثورة استطاعت ان تلحق ببريطانيا هزيمة سياسية كبيرة، حيث وصلت انباء الثورة إلى العالم باسره، مما احرج الادعاءات الانكليزية التي اعلنتها لندن، بأن الشعب العراقي لا يعارض الادارة البريطانية. ولقد كان لمراجع الدين الدور الأول والأخير في ايصال اخبار القضية العراقية إلى العالم من خلال رسائل الاحتجاج التي ارسلوها إلى رؤساء الدول.

كما أن خسارة الانكليز العسكرية خلال فترة الثورة والتي قدرت بحوالي أربعة الآف عسكري بين قتيل ومفقود وجريح، وبأربعين مليون جنيه[1]، خلقت ردود فعل قوية داخل المؤسسة البريطانية. فقد اتسعت

---

(١) د. وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والإجتماعية للحركة القومية العربية والإستقلالية في العراق، ص ٣٩٩.

المعـارضة وظهرت موجة من الاحتجاجات على سياستها داخل العراق، وعبرت الصحف البريطانية عن السخط المتزايد ضدّ أعمالها هذه، وطالبت بوضـع حد لهذه الحماقة، كما طالبت الحكومة بتغيير سياستها في الشرق الاوسط. واعتبرت ان الاستعمار البريطاني واجه الفشل في العراق.

وقـد أثرت هذه الضجّة على الحكومة البريطانية التي حاولت أن تتفادى في المستقبل سياستها القديمة بتغيير كامل لأوضاعها في الشرق الاوسط وتخطيط يتمشى مع المرحلة القادمة[٢].

إنّ هذا التحـوّل ليس مسألة بسيطة في السياسة البريطانية التي إعتادت أن تسير على خطوط ثابتة في تنفيذ مخطّطاتها الخارجية. وحين تضطر إلى تعديد هذه الخطوط، فإنّ هذا يشير إلى خطورة الأجواء الضّاغطة التي تتعرض لها. وليس هناك شك بأن ثورة العشرين مثلت الدرجة الكبيرة من حالات الضغط على القرار البريطاني، بحيث أجبرته على الاعتراف بخطأ السياسة السابقة، وضرورة اعتماد سياسة جديدة.

لقد حاولت الحكومة البريطانية تبرير هزيمتها السياسية واخطائها الكبـيرة في العراق، بالقاء تبعة ما حدث على ارنولد ولسن نائب الحاكم الملكي العـام في العـراق. لكنـه تبرير غير مقنـع، لأن ولسن كان ينفذ القرارات الصادرة من لندن.

صحيح أنـه كان يؤثـر في صناعة القرار، لكن تأثيره لايصل إلى مستوى تصميمه وصناعته. فالجهاز الاستعماري البريطاني كان يعتمد على

---

(٢) د. فاروق صالح العمر، حول السياسة البريطانية في العراق ١٩١٤ـ١٩٢١، ص ٨٨.

الكثير من الدوائر المتخصصة بشؤون المستعمرات. وكانت الخطوة تخضع لمناقشات طويلة قبل أن تأخذ طريقها للتنفيذ. وحصل في مرات كثيرة أن رفض رأي الحاكم السياسي، وكلف بتنفيذ تعليمات مغايرة لقناعته.

إن بعض المؤرخين تبنوا هذا الرأي واعتبروا ولسن المسؤول عمّا حدث في العراق، مثل الدكتور وميض جمال عمر نظمي الذي يرى فيه الرجل البريطاني الذي تولى السيطرة موضعيا واصبح من الواضح أنّه نفذ السياسة التي أرادها واعتبرها مناسبة[٣].

ان القـاء تبعة الاخطاء في مسألة خطيرة مثل قضية العراق على شخص واحد، لاتتطابق مع الموضوعية ومع حقائق التاريخ. كما إنّها تظهر وكأنّ السياسة البريطانية لم تكن تملك دوافع إستعمارية ورغبة شديدة في التسلط المباشر على الشعوب الاسلامية. إنّ إلقاء اللّوم على ولسن وحده، يوحي بان بريطانيا بريئة، وإنّها غير راضية على السياسة التي طبقت في العراق بأعتبارها صادرة عن قناعات رجل واحد يتحمل لوحده مسؤولية اعماله. بينما كانت بريطانيا تسعى لاظهار نفسها بانها لاتزال محبة للشعوب ولا تقصـد من وراء دخـولهـا للعراق احتلاله وفرض هيمنتها عليه وإنّما تحريره، كما جاء على لسـان الجنـرال ستـانلي مود، وهي لا تتحمل تلك التبعات التي أدّت إليها سياسة ولسن غير الحكيمة.

إنّ ولسن كان يمثـل اتجـاها كبيراً في السياسة البريطانية. وكان يعكس في آرائه قناعات حكومة الهند بشأن الادارة البريطانية في العراق.

---

(٣) د. وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والإجتماعية للحركة القومية العربية الإستقلالية في العراق، ص ٤٠٣.

ولذلك فان مسؤولية ما حدث يتحملها هذا الاتجاه بكل دوائره ورموزه ومنهم ولسن. ومن ثم تتحملها السلطة المركزية في لندن التي اقتنعت بها، واصدرت التعليمات بشأن وضع اسس الادارة المباشرة في العراق، وقد اوضح ولسن هذه الحقيقة بالقول:

(لا أعتقد أن أي شيء فعلته، او كان يمكن أن افعله، كان سيغير مجرى الاحداث بصورة جوهرية... واذا كانت حكومة صاحب الجلالة ترغب في الاستفادة من خدماتي ككبش فداء، فاني لن احاول تفادي هذا المصير[٤]).

ان سياسة ولسن الحاقدة وممارساته القاسية ونزعته الاستعمارية الشديدة التي يريد من خلالها احكام السيطرة المباشرة على العراق، وقد جعلت الانظار تتوجه اليه على انه المخطيء الاول. فلم يكن ولسن يتعامل بمرونة سياسة، انما باسلوب استعماري خشن.

المهم إنّ الحكومة البريطانية سلكت هذا الخيار، فوضعت ولسن في دائرة الاتهام واصدرت ضده الحكم بمسؤولية الاحداث التي شهدها العراق، والهزيمة التي لحقت بها، فقررت انهاء خدماته، وارجاع برسي كوكس ليتولى ادارة العراق كمندوب سام.

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة في تاريخ العراق السياسي. حيث خطط الانكليز لمصادرة ثورة العشرين والالتفاف على أهدافها في اقامة حكومة مستقلة يشكلها ابناء الشعب العراقي. وقد انيطت مهمة تنفيذ المخطط بالمندوب السامي الذي بدأ تحركاته الواسعة لاقناع زعماء العراق

---

(٤) المصدر السابق، ص ٤٠٣.

بتشكيل حكومة مؤقتة تمهيداً لتأسيس المملكة العراقية. وهو نوع آخر من الاستعمار أحدث من حالة الاستيلاء المباشر، فالسلطة الظاهرة عراقية ولكنّها لاتملك من الأمر شيئاً وهم في حقيقتهم عملاء للانكليز، وإنّما تدار الأمور من قبل الانكليز.

كانت قيادة الثورة المتمثلة بعلماء الدين، واعية للمخطط الانكليزي، وادركت ان الانكليز بصدد القيام بحركة التفاف على الثورة ومصادرة جهود الثوار وحرف مسيرتها عن اهدافها الحقيقية. لذلك حذرت الهيئة العلمية التي كانت تقود الثورة من المخاطر التي تنطوي عليها عملية ابدال ولسن واعادة كوكس إلى العراق. وكانت الهيئة برئاسة شيخ الشريعة الاصفهاني باعتباره المرجع الاعلى بعد وفاة الميرزا الشيرازي، وعضوية السيد ابو القاسم الكاشاني والسيد أبو الحسن الاصفهاني والميرزا عبد الحسين (نجل الميرزا الشيرازي) والشيخ احمد (نجل الآخوند الخراساني) والسيد نور الياسري. وراحت اللجنة تحذّر العراقيين من مغبة سياسة كوكس الماكرة، وتطلب اليهم بالحاح واصرار ألّا يسرعوا في اعطاء الوعود وقطع العهود على أنفسهم إلّا بعد الروية والتفكير الرصين[٥].

في ١١ تشرين الأول ١٩٢٠م وصل برسي كوكس إلى بغداد، وكان قد شغل سابقا منصب رئيس الضباط السياسيين في الحملة البريطانية على العراق، ثم اصبح حاكماً مدنياً عاماً حتى ربيع ١٩١٨م، اي ان الساحة العراقية لم تكن غريبة عليه، كما انه كان معروفاً لديها.

---

(٥) د. عبدالله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، ص ١٦٢.

عنـدما وصل كوكس إلى العراق، كانت الثورة لاتزال مشتعلة في بعض المناطق، وان كانت آخذة في التراجع والضعف. لذلك حاول كوكس ان يهديء العشائر الثائرة فاصدر بيانا بتاريخ ١٧ تشرين الأول ١٩٢٠م وجهه إلى عشائر العراق ذكر فيه ان عودته إلى العراق هي لغرض مساعدة قادة الأمـة لأيجاد الحكومة الوطنية. وذكر انه من الصعوبة تنفيذ رغبات الحكـومـة البريطانية طالما ان بعض العشائر والطوائف تعادي الحكومة، نتيجة للشكوك في نوايا الحكومة البريطانية، والتي سيعمل على ازالتها. كما عبّر في بيانه عن حيرته في فهم غرض العشائر في استمرار الاضطرابات. ودعاهم ان يخبروا أقرب حاكم سياسي لأي سوء فهم قد يحدث حتى يمكن ازالته[٦].

عقد برسي كوكس في ٢١ تشرين الأول اجتماعا مؤلفا من بونام كارتر ناظر العدلية والرائد بولارد ناظر الاشغال والمستر سنت جون فليبي ناظـر الـداخلية والمقدم ايفلين هاول والمقدم سليتر والمس بيل، وعرض عليهم مشروعه للخروج من الازمة التي تمر بها السياسة البريطانية بالعراق[٧].

خلال هذا الاجتـماع تقـرر ان يتـولى رئـاسـة الحكـومة المؤقتة عبـدالرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد. وبالفعل فاتحه كوكس بشأن تشكيل الوزارة برئاسته وكذلك في ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٠، فوافق النقيب

---

(٦) عبدالرزاق عبدالدراجي، جعفر أبو التمّن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ص ١٢٤ـ١٢٥.

(٧) عبدالرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، الجزء الأول، ص ١٤٦.

بعد بعض التردد.

ومما يلفت الانتباه ان النقيب كان يرفض مثل هذه الامور، وقد عبّر بصورة قاطعة للمس بيل السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطاني عن قناعته ازاء الحكم. ففي ٦ شباط ١٩١٩ زارته بيل في منزله، ويومها كان الانكليز يفكرون بجعل العراق امارة. فعرضت عليه فكرة جعله اميرا على العراق فيما لودعت الحاجة إلى ذلك. فاجابها اجابة حاسمة: (كيف يمكنك القاء مثل هذا السؤال عليّ؟ انا درويش فهلا تعصمني عادتي هذه؟.. ان صيرورتي رئيساً سياسيّاً للدولة هي ضد اشد مباديء عقيدتي تأصلا. ففي أيام جدي عبدالقادر، اعتاد الخلفاء العباسيون استشارته كما تطلبين أنت وزملاؤك مشورتي الآن، لكنه لم يوافق على الاشتراك في الشؤون العامة وسوف لا اوافق انا ولا أي أحد من احفاده على ان نفعل ذلك. هذا جوابي من الـوجهة الدينية، لكني ساعطيك جواباً يستند على اسباب شخصية، فأنني متقدم في السن. وارغب في أن اقضي الخمس او الست سنوات التي بقيت من حياتي في الدرس والتأمل، حيث انها مشغوليتي المستديمة.. سوف لا اتراجع عما قلته الآن حتى اذا كان في ذلك انقاذ العراق من الدمار التام)[٨].

رغم كل هذه التحفظات والمواقف المسبقة القائمة على اساس قناعة ثابتة اظهرها النقيب، فانه وافق على رئاسة الوزارء. فما هو السر في هذا التحول الكبير؟.

---

(٨) د. علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء السادس ، ص ٢١.

المعروف عن عبدالرحمن النقيب، انه رجل شديد الاعتداد بنفسه وبالوجهاء من ذوي الأسر المعروفة. كما انه يمقت علماء الدين ومراجع الشيعة الذين اصدروا فتاواهم بوجوب الجهاد ومحاربة الانكليز والمطالبة باستقلال العراق.

من هذه النقطة دخل اليه كوكس، واقنعه ان عدم قبوله رئاسة الوزارة، سيجعل الحكم يصل إلى ايدي اؤلئك الذين يكرههم من الشيعة.[٩] وعند ذاك كان التحول في موقف الكيلاني وفي مبادئه.

اراد المندوب السامي ان تتشكل الوزارة العراقية من رئيس وثمانية وزراء، يكون لكل وزير مستشار بريطاني، اضافة إلى ١٢ وزيراً بلا حقائب يقومون بمهام مجلس استشاري من الوجوه والاعيان.

وكانت التشكيلة الوزارية الأولى في أوّل حكومة عراقية كالآتي:

عبدالرحمن الكيلاني	رئيساً لمجلس الوزارء.
طالب النقيب	وزيراً للداخلية.
ساسون حسقيل	وزيراً للمالية.
حسن الباججي	وزيراً للعدلية.
مصطفى الآلوسي	وزيراً للاوقاف.
جعفر العسكري	وزيراً للدفاع.
عبداللطيف المنديل	وزيراً للتجارة.

---

(٩) المصدر السابق، ص ٢٢ـ٢٣.

عزت الكركوكلي	وزيراً للمعارف والصحة.
محمد علي فاضل	وزيراً للنافعة (الأشغال والمواصلات).

أمّا الوزراء بلا حقائب فهم:

حمدي بابان.

عبدالجبار الخياط.

عبدالغني كبّة.

عبدالمجيد الشاوي.

عبدالرحمن الحيدري.

فخرالدين آل جميل.

محمد الصيهود.

عجيل السمرمد.

أحمد الصانع.

سالم الخيون.

هادي القزويني.

داود اليوسفاني.

وقد اعتذر حسن الباججي عن استلام أية مسؤولية، فجرى تعديل وزاري، اسندت فيه وزارة المعارف إلى أحد رجال الشيعة وهو السيد محمد مهدي بحر العلوم. كما اعتذر حمدي بابان وهادي القزويني عن المشاركة في الهيأة الاستشارية لمجلس الوزراء، فاختير الشيخ ضاري السعدون ونجم

البدراوي بدلاً عنها[١٠].

بعد ان انتهى المندوب السامي من هذه الخطوة وجه في ٧ تشرين الثاني ١٩٢٠، بياناً إلى الشعب العراقي، محاولاً اظهار حسن نية الحكومة البريطانية بشأن مستقبل العراق، ولتهدئة الاوضاع في المناطق التي كانت ماتزال ترفع لواء الثورة. وقد ذكر في بيانه أن الحكومة البريطانية تنوي الاسراع في اتخاذ الخطوات التي يتوصل بها الشعب العراقي إلى ابداء رأيه في شكل الحكومة التي يرغب فيها. وجاء في البيان ان اختيار شكل الحكومة أمر يبت فيه العراقيون أنفسهم، ولا يمكن اصدار مثل هذا القرار بدون تأليف مؤتمر عام. وان الانتخابات ستجري عاجلاً في المناطق الخالية من الاضطرابات، وان الاماكن التي لاتزال توجد فيها اضطرابات فان من غير الممكن أنّ يجري الانتخاب فيها.

واضـح من البيان، انـه محاولـة لامتصـاص المعارضة الجماهيرية، واسلوب لتهدئة المناطق الثائرة، على اعتبار أن استمرارها في الثورة سيعيق تشكيل المؤتمر العام الذي كان يطالب بتشكيله الشعب العراقي. كما ان برسي كوكس اراد ان يحصل على تعاطف زعماء العراق وتأييدهم للوزارة العراقية.

كان واضحاً لدى الرأي العام أن الحكومة انما هي في حقيقتها ادارة بريطانية تعكس وجهة نظر سلطة الاحتلال، ولا تملك ارادة مستقلة، لذلك قابلها الناس بالشكوك وتعاملوا معها على أنها جزء من المخطط البريطاني

---

(١٠) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول، ص ١٠ـ١١.

للتلاعب بمصير العراق.

وقد واجه علماء الدين في الكاظمية الحكومة المؤقتة بالمعارضة وطالبوا بتأليف حكومة منتخبة من قبل الشعب.[11] وواصل المرجع الاعلى شيخ الشريعة قيادة المعارضة والتحريض ضد الاحتلال والانتداب وتشكيل الحكومة المؤقتة، حتى وفاته المفاجئة في كانون الاول ١٩٢٠. كما واصل علماء الدين دعوتهم للعشائر للاستمرار في المقاومة المسلحة رغم انحسار الثورة. وقد اسفرت هذه الجهود عن تهيؤ عشائر عفك وشمر في منطقة الفرات لاعلان ثورة ثانية. وكان الشيخ محمد رضا نجل الميرزا الشيرازي الذي ابعدته سلطات الاحتلال في حزيران ١٩٢٠. على اتصال بعدد من رؤساء العشائر ووجهاء المدن حول سبل مقاومة الانكليز[12].

كما عارض الحكومة المؤقتة عدد من زعماء ثورة العشرين ورجال المعارضة في بغداد الذين هربوا إلى الحجاز. وقد كتب هؤلاء رسالة إلى عبدالله بن الشريف حسين، بينوا فيها انهم يريدونه ملكاً على العراق، حتى تصبح الحجاز وسوريا والعراق دولة موحدة مستقلة. جاء فيها:

(... وحيث كان في مجالسنا العامة والخاصة التي تنعقد يكثر الهتاف بسموكم ملكاً للعراق فقد ضيقوا (الانكليز) علينا الخناق وساقوا الجيوش الجرارة لمحاربتنا، فصبوا وابل نيرانهم حتى على المساجد والمعابد، فخرقوا القوانين وقتلوا الابرياء حتى النساء والاطفال، واحرقوا الاموال والمساكن.

---

(١١) عبدالغني الملّاح، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق، ص ١٨.

(١٢) عبدالحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠ـ١٩٢٤، ص ٢٣٨.

ونفوا وابعدوا المندوبين ومن شاءوا حتى انجال كبار العلماء لغير ذنب سوى المطالبة بحقوقهم الممنوحة المقررة، فلم يكن لنا ولأمثالنا من السادات ورؤساء القبائل الا المدافعة عن انفسنا واموالنا واعراضنا وصيانة حقوقنا، فطال أمد الحرب نحو خمسة اشهر. وحيث لم يكن لنا مساعد لا بمال ولا بسلاح، ومن المعلوم لدى سموكم قوة الانكليز وجبروتهم، وقد أصروا على هضم حقوق العراقيين. وقد تخاذل بعض (رؤساء) القبائل، ففتوا بعضد الاخرين، فاستفحل جيش العدو وتقدم في البلاد، فاسترجع الحكم فيها بالشدة والضغط. فطلبوا منا كتبياً النزول على حكمهم. وقد ابتدأوا بتشكيل حكومة عربية كاذبة من رجال صنيعتهم يمقتهم الوطن والاهلون، لا حل بأيديهم ولا عقد...).

وقد وقع على هذه الرسالة كل من: جعفر أبو التمن وهادي المكوطر ومحسن أبو طبيخ ونور الياسري وعلي البازركان. وهي محررة بتاريخ ١٠ شباط ١٩٢١م من منطقة حائل(١٣).

المهم أن الحكومة المؤقتة كانت في نظر الشعب العراقي الثائر ادارة بريطانية تسير وفق تعليمات المندوب السامي وليست لها أي ارادة مستقلة، ولا تملك قدرة صناعة القرار ولم تكن هذه النظرة العامة لتغيب عن برسي كوكس، حيث كانت حديث الناس وسخرية الاندية الثقافية والسياسية في العراق. ولعل هذه النقطة هي التي جعلت المندوب السامي يغير خطته بشأن المجلس التأسيسي وموعد تشكيله. فبعد ان كان يرى بأنه

---

(١٣) عبدالرزاق الدراجي، المصدر السابق، ص ٤٨٥ـ٤٨٧.

من الضروري ان يتم على يد الحكومة المؤقتة حتى يتولى مهمة تعيين شكل الحكم وشخصية الحاكم، فانه أخذ يعمل بنفسه على تعيين الحكم الدائم وتحديد الحاكم المقبل ثم تأتي بعد ذلك خطوة المجلس التأسيسي.

إنّ كوكس من خلال مشاهدته المعارضة التي تعرضت لها الحكومة المؤقتة أدرك ان أية خطوة تصدر من الحكومة أو تكون تحت اشرافها، فانها ستواجه معارضة جماهيرية. وهذا يعني ان المجلس التأسيسي سيواجه الفشل منذ البداية، اضافة إلى أن مثل هذه الخطوة غير مضمونة النتائج. فالشّعب العراقي قد يختار حكمًا دائمًا لا يتناسب مع توجّهات الإنكليز، ممّا يضعهم أمام إحراجات جديدة.

من هنا قرر الانكليز أن يعملوا اولاً على تحديد هوية الرجل الذي سيجلس على عرش المملكة في العراق.

كان هناك عدة مرشحين لعرش العراق وهم:

١ـ عبدالرحمن الكيلاني: له ميزات من وجهة نظر بريطانيا وهي أنّه رجل مطيع لهم غاية الطاعة ولكن شيخوخته ومرضه وعدم وجود وريث موفق يخلفه في حالة وفاته، واحتمال معارضة العشائر العراقية جعلت السلطات البريطانية تغض النظر عنه.

٢ـ طالب النقيب: كان على صلة وثيقة ببرسي كوكس، وقد كان يطمح منذ ايام العثمانيين وحتى بعد دخول الانكليز إلى العراق أن تكون البصرة وما جاورها امارة تحت حكمه على غرار امارة الشيخ خزعل وشيخ الكويت. لكن سيرته خلقت له الكثير من الخصوم، لانه ثبت مركزه على اساس البطش والقوة. كما ان عدم استقراره جعله غير جدير بعرش العراق

في نظر الانكليز.

٣ـ عبدالهادي العمري: رئيس الاسرة العمرية في الموصل، لكنه لا يملك انصاراً يسندونه خارج الموصل.

٤ـ برهان الدين بن عبدالحميد الثاني: كان له انصار من مؤيدي العهد العثماني وبعض المدن التي فيها اغلبية تركمانية، لكن انتماءه التركي جعله مستبعداً من قبل الانكليز الذين يريدون قطع أيّ صلة بالدولة العثمانية.

٥ـ أغا خان: زعيم الاسماعيلية، لكن ليس له صلة بالعراق والعراقيين مما جعل الاخذ به امراً غير مقبول.

٦ـ الشيخ خزعل: أمير المحمرة له صلة قوية بجنوب العراق ومن مريدي الشيخ عبدالكريم الجزائري، مما جعل احتمال ترشيحه قوياً بعض الشيء. وقد دفع إلى الشيخ عبداللطيف الجزائري ٤٠ ألف ليرة ذهب لترويج فكرة ترشيحه، ولكن هذا صرفها على نفسه لشؤونه الخاصة.

٧ـ إبن سعود أو أحد أبنائه: فكر في اسناد عرش العراق إليه بعض الانكليز التابعين لمدرسة الهند. ولكن الغالبية العظمى من العراقيين يعارضون ترشيحه. كما ان الانكليز ما كان ليرضيهم ترشيحه اذ أنّ ذلك يقضي على التوازن بين الأسر الحاكمة في البلاد العربية. وكان الانكليز يحرصون على استخدام هذه التوازن في الاوقات الضرورية.

٨ـ أحد ابناء الشريف حسين: وهو أقوى الاحتمالات، لصلة البيت الهاشمي مع زعماء العراق، وموقع الشريف حسين في الحركة العربية وتصديه

للدولة العربية الموحدة خلال ثورته على الاتراك.[١٤] كما ان زعماء العراق طالبوا في استفتاء ١٩١٨ أن يكون العراق تحت ملوكية أحد ابنائه.

وكان رأي زعماء العراق يميل للامير عبدالله على اعتبار أن فيصل كان قد شغل عرش سوريا، وظلت هذه الرغبة حتى بعد سقوط حكومته، لكن الانكليز كانوا يميلون لترشيح فيصل، لانهم يرونه اقدر من أخيه عبدالله.

في ١٧ كانون الأول ١٩٢٠م، طلب وزير الخارجية البريطاني من العقيد كورنوالس أن يعرض على فيصل ـ الذي كان موجوداً في لندن ـ عرش العراق في نفس اليوم. لكن فيصل رفض القبول، على اعتبار أن عرش العراق يعود لأخيه عبدالله.

ولأجل أن يتغلب الانكليز على هذه المشكلة اقنعوا عبدالله بعدم الاعتراض على تنصيب أخيه الاصغر ملكاً على العراق. ويبدو أنهم منوّه من جهة بعرش سوريا، كما انهم من جهة أخرى ضغطوا عليه بتهديد مبطن.

مؤتمر القاهرة

اقترح وزير المستعمرات ونستون تشرشل، عقد مؤتمر في القاهرة للبحث في سياسة بريطانيا بشأن البلاد العربية. واتخاذ الاجراءات المناسبة للخروج من الازمة التي تعاني منها لا سيما مسألة تخفيض النفقات في

---

(١٤) أحمد رفيق البرقاوي، المصدر السابق، ص ٢٣ـ٢٤.

الخـارج.[15] وفي الحقيقـة فان مستقبل العراق قد تحدد قبل المؤتمر، لكنه افصح عنه علناً في القاهرة.

عقد مؤتمر القاهرة في ١٢ آذار ١٩٢١م، وقد مثل الحكومة العراقية برسي كوكس، والمس بيل، وقائد القوات البريطانية في العراق الجنرال هالـدن ومستشارو الوزارات العراقية وهم، مستشار وزارة المالية سليتر، ومستشـار وزارة الاشغـال والمواصلات أتكنسن، ومستشار وزارة الدفاع الميجر ايدي، بالاضافة إلى وزيرين من حكومة العراق هما وزير الدفاع جعفر العسكري، ووزير المالية ساسون حسقيل.

كانت ورقة عمل الوفد العراقي تتضمن بحث النقاط التالية:

١ـ علاقة الدولة العراقية الجديدة ببريطانيا من حيث النفقات.

٢ـ شخصية من سيتولى حكم هذه الدولة.

٣ـ نوع وشكـل قوات الـدفـاع في الدولة الجديدة التي ستتمتع بمسؤوليات اوسع في الدفاع عن نفسها.

٤ـ وضع المناطق الكردية وعلاقاتها بالعراق.

وقـد قرر المؤتمـر خفض النفقات البريطانية، ووضع منهج خاص لتأييد ترشيح فيصل وتمهيد سبل تسلمه عرش العراق. وتكوين جيش محلي من ١٥ ألف مقـاتل اضافة إلى زيادة قوات الليفي (وهي قوات شكلها الانكليز من المسيحيين الاشوريين في العراق) من أربعة آلاف مقاتل إلى ٧٥٠٠. اما بشأن الاكراد فقرر المؤتمر التأكد من رغبة الاكراد في الاندماج

---

(١٥) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص ٤٣٢.

في المملكة العراقية أو الانفصال عنها.

كما قرر مؤتمر القاهرة، اخراج طالب النقيب من العراق باعتباره مصدر قلق وسيثير المشاكل في طريق تنصيب فيصل على العرش.

ومن المسائل المهمة التي حسمها مؤتمر القاهرة، الموقف من زعماء ثورة العشرين والمشاركين فيها. حيث تقرر اعلان العفو العام عن المشاركين فيها خلال فترة قصيرة. وهي محاولة لتهدئة الاوضاع وكسب ود العشائر العراقية.

حدث في مؤتمر القاهرة ان ساسون حسقيل إعترض على تنصيب فيصل ملكاً على العراق. حيث سأل ونستون تشرشل: (جرت العادة في البلاد المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية ان يأتيها أمراؤها من الشمال إلى الجنوب، ولم يسبق أن جاءها أمير من الجنوب، فكيف تعللون هذا الحدث؟). فأجاب تشرشل: (ان ذلك صحيح، ولكن لا تنس ياساسون ان المستر كورنو الس ذاهب مع الامير فيصل وهو من الشمال)[١٦].

ان بريطانيا وجدت في فيصل أفضل مرشح لعرش العراق، وقد جاء في تقرير لوزارة الحرب البريطانية كتب في ١٧ شباط ١٩٢١م، ان الفوائد من وجود فيصل ملكاً على العراق هي:

١ـ اعادة السمعة الحسنة لبريطانيا بعد موقفها من الشريف حسين ومن وعودها السابقة له.

٢ـ ان فيصل يمكن أن يمثل من الناحية الدينية الشخص الذي

---

(١٦) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٢٤ـ٢٦.

تلتقي عنده الطوائف في العراق (السنة والشيعة).

٣ـ ان فيصل له صلات حسنة مع بريطانيا كما أن له خبرة بالادارة العراقية البريطانية ويستطيع أن يدير العراق بارتباطه الوثيق بها على احسن وجه وأفضل من أي عربي آخر.

٤ـ عدم اتفاقه مع البلشفيك فانه ضد الشيوعية، فمجيئه زعيماً لدولة اسلامية سوف يكون له أثر كبير في عدم توسع الشيوعية في المنطقة[١٧].

هذه الميزات التي يمتلكها فيصل هي التي جعلت الإنكليز يسعون لتنصيبه ملكاً على العرش العراقي، وان يتخذوا في ذلك قراراً نهائياً في مؤتمر القاهرة. ثم لتبدأ بعد ذلك الخطوات العملية لتمهيد جلوسه على العرش.

بعد عودة المندوب السامي إلى بغداد، نفذت الخطوة الأولى وهي نفي طالب النقيب إلى جزيرة سيلان. وكانت هذه الخطوة بمثابة ضربة قوية لاتجاه يمثل بعض رجال السياسة الحكومية كان يدعو إلى الحكم الجمهوري. ومن اقطابه جون فلبي الذي ابعده الانكليز عن العراق فيما بعد[١٨].

وقد أثرت هذه الخطوة على عبدالرحمن الكيلاني الذي كان يعارض معارضة شديدة ملوكية أحد ابناء الشريف حسين على العراق. لكنه بعد نفي طالب النقيب انقلب على نفسه، وخاف ان يشمله الطّرد والنفي ان هو عارض رغبة الانكليز في فيصل. فقد بدأ يبدي تحمساً في ملوكيته على

---

(١٧) فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص ١٠٤ـ١٠٥.

(١٨) أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، الجزء الثاني، ص ١٠٢.

عرش العراق. حتى انه بعث في ١٩ حزيران /١٩٢١ برقية جوابية للشريف حسين الذي اخبره بتوجه ابنه فيصل إلى العراق، يعرب فيها عن شوقه لقدوم فيصل واستعداده للامتثال لاوامره جاء فيها:

(لقد أخذت بيد التكريم والاجلال برقية جلالتكم المشعرة بتوجه سمو الامير ذي القدر الخطير الامير فيصل حفظه اللّه إلى العراق. وقد ابتهجنا سروراً من هذه البشارة، ودعونا له بالسلامة، وصرنا ننتظر قدومه ساعة فساعة شوقاً للقياه، فبمنه تعالى عند قدوم سموه نبادر إلى القيام بالواجب علينا، من خدمته، حيث اتحاد النسب والحسب القديمين يقضيان بذلك على الداعي. واما الأمر السامي الملوكي لهذا الداعي بالسعي جميعاً فيما يستلزم راحة البلاد، فهو واجب الامتثال على كل حال، لاقتضاء الحس الوطني، ونسأل اللّه التوفيق)[١٩].

وليس في هذا الموقف غرابة، فلقد سبق للكيلاني ان غير موقفه من السلطة، كما ان له مواقف أخرى سارت على هذا النهج المتقلب.

موقف المعارضة الاسلامية من الملك فيصل

خلال الاستفتاء الذي اجراه ولسن عام ١٩١٨، وقف علماء الدين وزعماء العشائر موقفاً معارضاً للسياسة البريطانية التي كانت تريد أن تجعل العـراق تابعـاً للادارة البريطانية المباشرة، وكانوا في معارضتهم يطالبون بتأسيس حكومة مستقلة تحت رئاسة أحد انجال الشريف حسين. وعلى هذا

---

(١٩) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٣٤.

فان ترشيح فيصل لعرش العراق لا يتعارض مع مطاليبهم القديمة ما عدا مسألتين:

الاولى: انهم يريدون حكمًا دستورياً مستقلًا غير مرتبط ببريطانيا، في حين أن فيصل الذي اختاره مؤتمر القاهرة المنعقد برئاسة تشرشل وزير المستعمرات البريطاني كان ينبيء بانه سوف لا يخرج عن عجلة بريطانيا.

الثانية: هناك اختلاف وجهات النظر حول أي من أبناء الشريف حسين سيتولى عرش العراق، هل هو فيصل أم عبدالله؟.. ولم تكن هذه النقطة اساسية، انما هي شكلية طالما انها لا تتعارض مع المطلب الرئيسي في ملوكية أحد أبناء الشريف حسين.

لكن الذي حدث أن الموقف الاسلامي الذي ظل موحداً في معارضته للانكليز منذ دخولهم العراق، وحتى ثورة العشرين، لم يستمر على هذه الصورة، وتعرض إلى انقسامات في القناعات. فبعض قادة المعارضة الموجودين في الحجاز مثل محسن أبو طبيخ وعلوان الياسري، بايعوا الامير فيصل ملكاً على العراق[٢٠].

في حين أراد بعض علماء النجف الاشرف وعلى رأسهم الشيخ عبدالكريم الجزائري، أن يرشح أمير المحمرة الشيخ خزعل الكعبي نفسه، وقد ارسل إليه الشيخ الجزائري رسالة يطلب منه أن يعيد ترشيح نفسه بعد أن سحب خزعل هذا الترشيح لصالح فيصل، جاء فيها:

(.. أني اعجب كل العجب منك، مع علمي بمعرفتك وعقلك، تجنبك

---

(٢٠) فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية، الجزء الأول، ص ٥٢٤.

في هذه المدة أمور العراقيين. مع انك تربطك بهم رابطة المذهب والوطن واللسان، هذا مع قطع النظر عن الخصوصيات السابقة مع آبائك ـ وبالأخص النجف ـ فان آثارك بها قديماً وحديثاً. والآن بعد ان شاع أن الدولة البريطانية قد اعطت الحرية للعراقيين بانتخاب من يشاؤون لامورهم العامة. وأنت لك الخصوصية عن سواك في هذا الأمر، فلو اعطيتهم بعضك لاعطوك كلهم، فتدارك ما مضى من اعراضك باقبالك عليهم، لتكون السبب في اطلاق مسجونهم، وارجاع شاردهم، وتأمين خائفهم وحفظ كافة شؤونهم، وحفظ صداقتهم، بل وصداقة العرب مع الدولة المعظمة البريطانية وتحوز فخر الدنيا والآخرة، وفقك اللّه تعالى لكل خير، آمين.

حرر يوم ٢٣ رجب ١٣٣٩هـ

عبدالكريم الجزائري)[٢١]

كما كان هناك وجهة نظر أخرى بين علماء الدين مثلها السيد أبو الحسن الاصفهاني، والشيخ محمد حسين النائيني،ن حيث عارض هذا الاتجاه ترشيح فيصل وأي مرشح آخر في ظل الانتداب، مقدماً هدف تحقيق الاستقلال التام وتشكيل حكومة مقيدة ومستقلة عن الاجنبي، على أي هدف آخر. وقد كان هذا الاتجاه يمتلك تأثيراً كبيراً على شيعة العراق بأعتباره يعكس موقف المرجعية[٢٢].

ظهرت آثار هذا الموقف واضحة على المناطق الشيعية، فعندما وصل

(٢١) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٣٢٣، نقلًا عن: مصطفى عبدالقادر النجار، التاريخ السياسي لأمارة عربستان العربية ١٨٩٧ـ١٩٢٥، ص ٣١٢.

(٢٢) المصدر السابق، ص ٢٤١ـ٢٤٢.

فيصل إلى العراق في حزيران ١٩٢١، وراح يزور مناطق الفرات الاوسط والاسفل، لم يكن علماء الدين في استقباله كما كان الاستقبال الشعبي ضعيفاً. وفي كربلاء على الرغم من جهود القائمقام المكثفة لجعل الاستقبال لائقاً، فان أهالي المدينة تجاهلوا أمر هذا الاستقبال. أما في مدينة النجف فقد أظهر علماء الدين جفاءهم وعداءهم حين زار المدينة. وقد تناقل الناس أن المرجع الاعلى أعلن عدم موافقته ورضاه لتنصيب فيصل ملكاً.(٢٣)

أما الموقف الآخر فقد مثله السيد محمد الصدر والشيخ مهدي الخالصي، ولم يكن فيه معارضة لترشيح فيصل. فالسيد الصدر كان مؤيداً لهذا الترشيح، وقد بعث خلال وجوده في الحجاز برقية إلى الشريف حسين يطالبه فيها بالموافقة على ترشيح نجله فيصل لعرش العراق. كما أنه رافق فيصلاً في سفرة قدومه إلى العراق. وأعد مذكرة بيعة ترشح الامير فيصل ملكاً لدولة عراقية مستقلة دستورية، وأكد موقفه هذا بعد تتويجه(٢٤).

أمّا الشيخ مهدي الخالصي فإنّه اشترط على فيصل خلال زيارة الأخير له في ١٢ تموز ١٩٢١م، بمبايعته ملكاً على أَن يسير بالحكم سيرة عادلة، وعلى أن يكون الحكم دستورياً نيابياً، وأن لا يتقيّد العراق بأيّة قوّة أجنبية. وقد أصدر الشيخ الخالصي هذه الفتوى:

(الحمد للّه الذي نشر لواء الحق على رؤوس الخلق فأيدهم بالنصر برئاسة من حاز الشرف والفخر، الملك المطاع الواجب له علينا الاتباع،

---

(٢٣) عبداللّه النفيسي، المصدر السابق، ص ١٧٨ـ١٧٩.

(٢٤) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٢٤٣، نقلاً عن: محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، الجزء الثاني، ص ٣٦٥.

الملك المبجل عظمة ملكنا فيصل الأول دامت شوكته، نجل جلالة الملك حسين الأول دامت دولته، فاحكموا بيعته وابرموا طاعته واهتفوا باسمه مذعنين لحكمه، ونحن ممن اقتفى هذا الأثر وبايعه في السر والجهر، على أن يكون ملكاً على العراق، مقيداً بمجلس نيابي، منقطعاً عن سلطة الغير، مستقلاً معه بالنهي والأمر ولله الأمر).

الراجي عفو ربه

محمد مهدي الخالصي عفى عنه

٧ ذي الحجة ١٣٣٩هـ/ ١٣تموز ١٩٢١م)[٢٥]

ان الشيخ الخالصي انطلق في موقفه هذا على اساس أن تنصيب فيصل ملكاً على العراق حقيقة واقعة لابد أن ينفذها الانكليز، وان من الافضل على ضوء هذه الحقيقة تقييد فيصل بشروط اساسية فيما يتعلق بمستقبل العراق، فإذا لم يلتزم بها، سقطت البيعة عنه.

لكنّ هذه الانقسامات في موقف الحركة الاسلامية، وخصوصاً عدم اتفاق علماء الدين على موقف موحد بشأن الملك الذي سيجلس على عرش العراق، خلق أكثر من فجوة في الصف المعارض، واضعف تماسكه، بحيث اصبح لكل فئة من فئات الشعب العراقي، موقفها بشأن الملك فيصل، تبعاً لميولها وولائها لعلماء الدين.

في ١٦ تموز ١٩٢١ أصدر المندوب السامي بياناً طلب فيه أن يتم أخذ

(٢٥) المصدر السابق، ص ٣٢٤ـ٣٢٥.

وعبدالرزاق الحسني، العراق في دوري الإحتلال والإنتداب، الجزء الأول، ص ٢١٧.

رأي الشعب العراقي بشأن القرار الذي اصدره مجلس الوزراء في ١١ تموز والقاضي بالمناداة بالامير فيصل ملكاً للعراق. وقد أتخذت الحكومة اجراءاتها بهذا الخصوص حيث شكلت لجان توزعت على مناطق العراق للحصول على آراء الاهالي. وكانت طريقة الانتخاب تتم بشكل خطابي، حيث يلقي أحد أعظاء اللّجنة خطاباً يمدح فيه فيصلاً ويردّد الناس كلمة (موافق) وينتهي الاجتماع.

وقد صوت أهالي كركوك وأهالي السليمانية ضد ملوكية فيصل[٢٦].

كما كانت هناك معارضة من قبل الشيعة، حيث طالبوا بوضع مضابط ضد الانكليز. لكن هذه المعارضة لم تعرقل عملية الانتخاب. وانتهت لصالح فيصل، حيث أعلن أنه انتخب بنسبة ٩٦٪ وهي نسبة غير معقولة، لأن اهالي كركوك وحدهم يشكلون ٦٪ من سكان العراق[٢٧].

وفي ٢٣ آب ١٩٢١ وهو يصادف في التاريخ الهجري ١٨ ذي الحجّة وهو يوم الغدير الذي بايع فيه المسلمون الامام علي عليه السلام ولياً وأميراً وخليفةً للرسول(ص). في هذا اليوم جرت حفلة التتويج باقتراح من فيصل.

وبذلك يكون العراق قد دخل مرحلة جديدة من حياته السياسية في ظل النظام الملكي.

كانت السنوات الاولى من ملوكية فيصل حافلة بحركة سياسية

---

(٢٦) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول، ص ٤٣.

(٢٧) عبدالله النفيسي، المصدر السابق، ص ١٨٢.

ساخنة. فهي تمثل بداية المرحلة التي دخلتها السياسة العراقية، وكان مخططا لها أن تسير على النهج الذي رسمه الانكليز واتفقوا مع فيصل بشأن تنفيذه. وقد شهدت هذه السنوات مسألتين كبيرتين، الاولى هجوم الوهابيين على العراق وعقد مؤتمر كربلاء، والثانية الموقف من معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا وانتخابات المجلس التأسيسي. وسنحاول هنا الوقوف عند كل واحدة منهما.

مؤتمر كربلاء

حينما توج فيصل ملكاً على العراق لم تكن الحدود بين العراق ونجد محددة. وقد حذر الملك فيصل المندوب السامي من خطورة عدم وجود خط حدودي مشخص، لاسيما بعد أن قوّض إبن سعود امارة إبن الرشيد في حائل في تشرين الثاني ١٩٢١م فتعاظمت قوته واصبح يشكل خطراً على العراق. نتيجة هروب بعض العشائر النجدية منه والتجائها إلى العراق وما يرافق ذلك من غارات متبادلة. لكن المندوب السامي لم يبد اهتماماً جدياً بالمسألة، ولم يقدم على اجراء عملي لحماية المناطق الجنوبية المهددة.

في شباط ١٩٢٢م تركزت قبائل وهابية كبيرة في الحفر على الحدود العراقية النجدية، وهذا ما سبب استياء القبائل العراقية، واحدث فزعاً عاماً، جعلها تحتمي بصورة غير منتظمة وراء خطوط السكة الحديدية خوفاً من فتك الوهابيين. وقد حذر متصرف المنتفك وزارة الداخلية بأن الوهابيين برئاسة فيصل الدويش يقصدون غزو العشائر، وطلب ارسال بعض الطائرات لكشف المواضع. لكن الحكومة لم تتخذ أي اجراء مناسب في هذا

الخصوص.

أزاء موجة الخوف التي عمت القبائل من تحشدات الوهابيين، ارسل متصرف المنتفك في ١٠ آذار ١٩٢٢ لواء الهجانة المؤلف حديثاً ايا مذاك إلى جنوب سوق الشيوخ وزارهم المتصرف بنفسه، وحرض القبائل على عدم دفع الجزية التي كان يأخذها منهم إبن سعود، وأخبرهم بان لواء الهجانة سوف يحميهم.

لقد عجل هذا الاجراء في الهجوم. ففي ١١ آذار هاجم الوهابيون بقيادة فيصل الدويش منطقة (أبوغار) جنوب سوق الشيوخ ونهبوها. وهجموا على لواء الهجانة وقبائل المنتفك واوقعوا فيها خسائر كبيرة. قدرت بـ: ٦٩٤ انسان، ١٣٠ رأس خيل، ٢٥٣٠ جمل، ٣٨١ حمار، ٤٣٠١٠ رأس غنم، ٧٨١ بيت شعر. وأعلن فيصل الدويش أن حدود نجد هي خط سكة حديد البصرة ـ الناصرية[٢٨].

سببت هذه الحادثة المروعة هيجاناً كبيراً في الرأي العام العراقي، وكان الاعتقاد السائد أن الانكليز هم الذين شجعوا الوهابيين حتى يضعوا العراقيين امام حقيقة واضحة، هي أنهم لا يمكن ان يستغنوا عن دعم الانكليز وحمايتهم، وبذلك يتخلون عن معارضتهم للسلطة الانكليزية وبرامجها السياسية.

ووسط اهتمام الشعب العراقي بهذه الحادثة، قرر مجلس الوزراء في اجتماعه المنعقد في ١٦ آذار، تخويل متصرف المنتفك أن يسدّ مالياً عوز

---

(٢٨) عبدالرزاق الدراجي، المصدر السابق، ص ١٥٣ـ١٥٤.

الذين نكبوا في وقعة المنتفك. ثم قرر في جلسة ١٨ آذار ارسال لجنة مؤلفة من نوري السعيد ممثلاً عن وزارة الداخلية وداود الحيدري ممثلاً عن وزارة العدلية والحاج رمضان ممثلاً عن وزارة الدفاع والميجر يدس مستشار لواء المنتفك، لدرس الحوادث وتقديم بيان عن:

١ـ اسباب وقوع الحادثة وتفصيلاتها.

٢ـ المسؤولين عن وقوع الحادثة.

٣ـ تقدير الاضرار اللاحقة بالاهلين، وما يلزم لهؤلاء من المعاونة.

وقد سافرت اللجنة إلى اللواء المذكور وأجرت التحقيق حول الحادث، ثم قدمت تقريرها الذي تضمن النقاط التالية:

١ـ ان عدم وجود حدود رسمية بين نجد والعراق، حمل إبن سعود على الاجتهاد في نشر سلطانه على القبائل والعربان المنتشرين بين حدود نجد وسكة حديد العراق.

٢ـ ان عشيرة الضفير الساكنة في بادية العراق، معرضة لهجوم القبائل النجدية عليها لوجود أحد رؤوسائها (حمود السويط) تحت حماية إبن سعود ورعايته.

وأعتبر تقرير اللجنة أن الحكومة المركزية في بغداد مسؤولة عن حلول هذه الكارثة، لان متصرفية لواء المنتفك شعرت بقرب حدوث الخطر فطلبت إلى الحكومة المركزية أن تنجدها فلم تمدها هذه بشيء[٢٩].

ناقش مجلس الوزراء في جلسته بتاريخ ٢٧ آذار تقرير اللجنة، وقد

---

(٢٩) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول، ص ٦٠ـ٦١.

طالب بعض الوزراء أن تتولى الحكومة العراقية مهمة الدفاع عن مناطق العراق، واعتبروا بريطانيا هي مسؤولة أيضاً عن أمن الحدود العراقية. لكن المندوب السامي لم يقر هذه المناقشة، كما ان الملك فيصل كان يريد حل الخلاف عن طريق المراسلات مع إبن سعود. مما دفع خمسة وزراء إلى تقديم استقالاتهم من الوزارة. وكان هذا حدثاً مهمًا شغل الحياة الرسمية العراقية، واغضب الملك فيصل الذي اصدر ارادته الملكية بتعيين خمسة وزراء جدد محل الوزراء المستقيلين. فواصلت الحكومة اجراءاتها الدبلوماسية لحل الازمة.

غير أن هذه الاجراءات لم ترض الشعب العراقي، فقرر علماء الدين التصدي لهذه المسألة الخطيرة واتخاذ التدابير اللازمة لردع الوهابيين. فعقد علماء النجف الاشرف عدة اجتماعات، وارسل السيد أبو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين النائيني البرقية التالية إلى الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية:

(جناب حجة الاسلام محمد مهدي الخالصي دامت بركاته:

انه لا ينبغي الاتكال على وعد السلطة البريطانية في دفع شر الخوارج والاخوان على المسلمين. فبناء عليه نأمل حضوركم في كربلاء قبل الزيارة بأيام، وتأمرون رؤساء العشائر كالسيد نور الياسري وأمير ربيعة وسائر الرؤساء بعد ابلاغهم سلامنا بالحضور، كما انّا نحضر مع من في طرفنا من الرؤساء لأجل المذاكرة في شأنهم انشاء اللّه تعالى)[٣٠].

---

(٣٠) محمد حسين الزبيدي، مولود مخلص باشا، ص ١٩٨.

وكان مقرراً أن يعقد المؤتمر في الثالث عشر من شعبان ١٣٤٠هـ. وقد لبى الشيخ الخالصي هذه الدعوة، فوجه زهاء (١٥٠) برقية إلى الرؤساء والزعماء يحثهم على حضور مؤتمر كربلاء. لكن الحكومة اضطربت من هذا التحرك، واوعزت إلى دوائر البرق بعدم ارسال البرقيات. فارسل الشيخ الخالصي رسله إلى الرؤساء، فاضطرت الحكومة إلى إبراق برقيّاته[٣١].

وأصدر علماء الدين منشوراً تضمن منهاج المؤتمر واهدافه، وحدد المنشور تأليف لجنة برئاسة الشيخ مهدي الخالصي وعضوية السيد نور السيد عزيز الياسري والشيخ كاظم أبو التمن والسيد كاطع العوادي والسيد علوان الياسري والشيخ محمد باقر الشبيبي والحاج عبدالحسين الحجيجي، لتنظيم منهاج المؤتمر فاجتمعت اللجنة وقررت منهاجها، واهم ما جاء فيه:

١ـ يعين يوم ٩ شعبان ١٣٤٠هـ (٨ نيسان ١٩٢٢) موعداً للحركة والسفر إلى كربلاء للاشتراك في الاجتماع المزمع عقده هناك، ويجوز للمتأخر أن يلتحق في اليوم الخامس عشر من شهر شعبان صباحاً.

٢ـ الغاية من الاجتماع هي المذاكرة في شأن اعتداءات الخوارج الاخوان على حدود العراق واتخاذ التدابير لحفظ البلاد عامة والعتبات خاصة ازاء ما يحتمل ويتكرر وقوعه.

٣ـ يراعى في هذا الاجتماع اصول الاجتماعات الدينية، والمتبع فيها، والنافذ من مقرراتها هي مقررات الرؤساء الروحانيين.

---

(٣١) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٦٩.

٤ـ يؤيد هذا الاجتماع سياسة الملك فيصل.

٥ـ قبل يومين من اليوم المعين للحركة، تسافر عن طريق الحلة فالنجف فكربلاء هيئة مؤلفة من الشيخ محمد نجل الشيخ مهدي الخالصي، والحاج عبدالحسين صليبي الحجيجي والسيد أبو طالب صهر الميرزا الشيرازي، مهمتها النصح وبث السكينة في الاجتماعات.

٦ـ يكون الاجتماع في كربلاء في دار الميرزا الشيرازي، ويلقى في أول اجتماع خطاب في الغاية المقصودة من الاجتماع، ثم ينفرد العلماء بالزعماء والرؤساء للاشتراك بالمذاكرة وتقرير ما يلزم.

وقد لاقت دعوة الشيخ الخالصي استجابة واسعة في جميع انحاء العراق، وتسلم الشيخ الخالصي برقيات عديدة من رؤساء القبائل والزعماء والوجهاء تعلن تلبيتها للدعوة والحضور في الموعد المقرر. اما قبائل الدليم فقد ابرقت تقول ان هذه الامور راجعة للحكومة ولا يمكنهم الحضور[٣٢].

توجه الشيخ الخالصي من الكاظمية نحو كربلاء في التاسع من شعبان، وقد استقبل في بغداد استقبالاً حافلاً، وانضم إلى موكبه عدد كبير من البغداديين لحضور المؤتمر، وقد ضجت كربلاء بالحشود التي جاءت اليها والتي قدر عددهم بنحو مئتي ألف نسمة[٣٣].

وقد وجهت دعوة للملك فيصل لحضور المؤتمر، فوافق على هذه الدعوة. وكان من المنتظر أن يحضر إلى كربلاء لكن المندوب السامي بعث

---

(٣٢) عبدالرزاق الدراجي، المصدر السابق، ص ١٦١.

(٣٣) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٧٠.

رسالة إلى سكرتير الملك رستم حيدر ذكر فيها أنه قد حصل على معلومات من مصدر موثوق أن الغرض من اقناع الملك لحضور المؤتمر هو لاجباره أن يطلب وبمساندة المؤتمرين من الحكومة البريطانية منح الاستقلال التام للعراق فوراً. وقد طلب المندوب السامي من الملك والحكومة التأني في هذا الموضوع، مما جعل الملك يمتنع عن الحضور ويرسل وزير الداخلية توفيق الخالدي إلى كربلاء مع أوامر مشددة أن تتخذ الاجراءات لحصر الموضوع في البرنامج الذي اعلنه الشيخ مهدي الخالصي. وقد طلب وزير الداخلية ارسال قوة عسكرية إلى كربلاء لحفظ النظام وتنفيذ أوامر الحكومة اذا دعت الحاجة، ووافق الملك على هذا الطلب لانه كان يخشى أن تحدث مظاهرات ضد الانكليز.

انعقد المؤتمر في الموعد المحدد، وكان في مقدمة الحضور السيد أبو الحسن الاصفهاني والشيخ مهدي الخالصي، بينما تغيب الشيخ النائيني لاسباب لم تعلن. وحضر المؤتمر أيضاً، وفدان من علماء السنة في بغداد والموصل. فترأس الشيخ عبدالله النعمة وفد علماء الموصل، بينما ترأس الشيخ عبدالوهاب النائب وفد علماء بغداد، وحضر كذلك وفد من زعماء تكريت برئاسة مولود مخلص [٣٤].

وفي الخامس عشر من شعبان (١٢ نيسان ١٩٢٢) عقد المؤتمرون اجتماعهم الاخير في صحن الامام الحسين عليه السلام. واصدروا الميثاق

---

(٣٤) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٢٤٦ـ٢٤٧، وكذلك محمد حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص ٢٠٠.

التالي الموقع من قبل الرؤساء والزعماء:

بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه ثقتي

نحن الموقعون ادناه: سادات وزعماء واشراف مدن العراق، اصالة عن انفسنا، ونيابة عن ممثلينا، تلبية لدعوة حجج الاسلام دامت بركاتهم الذين يمثلونا والرأي العام الاسلامي، قد حضرنا الاجتماعات المنعقدة في كربلاء للنظر في قضية الاخوان، تلك الاجتماعات المبتدئة من عاشر شعبان والمنتهية بالخامس عشر منه سنة الالف والثلثمائة واربعين، وبناء على ما اوقعه الخوارج الاخوان باخواننا المسلمين من الاعمال الوحشية، من القتل والسلب والنهب، قد اتفقت كلمتنا، بحيث لم يتخلف منا أحد، في كل ما تقتضيه مصلحة بلادنا عامة، وحفظ المشاهد المقدسة، وقبور الاولياء خاصة وسلامتها من جميع طواريء العدوان، وعلى الاخص عادية الاخوان، وقررنا معاونة القبائل بكل ما وسعنا واستطاعتنا لمدافعة الخوارج الاخوان ومقاتلتهم، العائد أمر تدبيرها لارادة صاحب الجلالة الملك فيصل الاول، الساهر على حفظ استقلال بلادنا، وبناء على تعلقنا بعرش السدة الملوكية فاننا نطلب من جلالته اسعاف مطلوب الامة في أمر القتلى والمنهوبات التي اوقعها الخوارج الاخوان حسب القوانين المرعية. وقد نظمنا بذلك نسختين: فقدمنا واحدة منها لاعتاب صاحب الجلالة، والثانية للعلماء الاعلام واللّه المستعان).

وكان من الطبيعي أن يرتاح الملك فيصل لهذا البيان الذي أكد ملوكيته، وعزز موقعه في الدولة، باعتبار أن الذين حضروا المؤتمر هم رؤساء

المعارضة التي كان يخشاها. فأبرق إلى كربلاء بالبرقية التالية:

إلى حضرات حجج الاسلام العلماء الاعلام والرؤساء الكرام.

لقد بلغنا ما تحلى به اجتماعكم هذا التاريخي من مظاهر الحمية الشريفة، والوطنية الصادقة، ومآثر الحكمة والروية، وما أظهرتموه من الاخلاص نحونا، جزاكم الله عنا وعن الدين والوطن والامة خير الجزاء، وانا نبتهل إلى الباريء عزوجل أن يوفقنا واياكم لما فيه حفظ كيان الوطن المحبوب، وتعزيز كلمة الامة واعلاء شأنها، والله خير مجيب والسلام عليكم أجمعين)[٣٥].

من المعروف أنّ الملك فيصل الأول، يتميّز بالقدرة الفائقة على إستعمال الكلمات والألفاظ في برقياته وخطاباته، بحيث لا يعرف منها رأيه الحقيقي، ويحاول أن يرضي بذلك كلاً من الأمة والإنكليز.

وهذه البرقية واحدة من لباقته تلك، فهو لم ينتقد إسلوب الوهّابيين ولم يتطرّق لردود الفعل التي سوف يتّخذها، في الوقت الذي شكر الحاضرين على عواطفهم وحميّتهم.

كان مؤتمر كربلاء تعبئة جماهيرية كبيرة، وإستطاع علماء الدين أن يشدّوا الأمة إليهم في خطوة ناجحة، جاءت في أعقاب الإنتكاسة التي ولدتها نتائج ثورة العشرين ومشاريع الإنكليز في تشكيل الحكومة المؤقّتة وفرض الإنتداب. وأثبت كبار العلماء والمراجع أنّهم لا يزالون يتمتّعون بموقعهم القيادي، وأنّ العشائر العراقية وبقيّة فئات الأمة مرتبطة بهم إرتباطاً وثيقاً،

---

(٣٥) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٧٠ـ٧١.

وأنّها تمتثل لأوامرهم ودعواتهم.

لكنّ الملاحظ على المؤتمر أنّه لم يستفد من التعبئة الهائلة التي صنعها فكانت مقرراته بسيطة قياساً بحجم التجمّع. كما أنّ التأكيد على ملوكيّة فيصل، لا تنسجم مع موقف الكثير من علماء الدين الذين عارضوا تنصيبه ومنهم السيد أبو الحسن الإصفهاني. كما أنّ تأكيد ملوكيّته وهو تابع للانكليز تضعف حركتهم الإستقلالية التي كانوا يتمسّكون بها، ويرون في إستقلال العراق التام هدفاً أساسياً لا يمكن تجاوزه.

إنّ هجوم الوهّابيين على بعض مناطق العراق في هذا الوقت بالذات من بداية الحكم الملكي الذي لم يكن قد ترسّخ بعد، ربّما كان بإيعاز من الإنكليز لشدّ الناس إلى رمز ينقذهم من هذه الكوارث من هجمات الوهّابيين الذين كانوا قد ألفوها في العهد العثماني وها هي اليوم تتكرر.

والرمز الذي كانوا يريدون تقويته هو الملك فيصل صنيعتهم الذي إستطاعوا أن يفرضوه على العراق بطريقة الإستفتاء الذي هيّأوا له كثيراً.

وإلّا فما معنى هذا الهجوم؟ وإبن سعود والملك فيصل كلاهما صنيعتا الإنكليز، ولو أرادوا أن يقضوا عليهما لفعلوا.

إنّنا نرجّح أن يكون الهجوم بإرادة الإنكليز فضلًا عن علمهم به، أمّا ماهو الهدف منه، فقد يكون لشدّ العراقيين كما قلنا للملك الجديد الذي لم يكن يريد في برقيّته للعلماء أن ينال من إبن سعود لا من قريب ولا من بعيد وكذلك لدفع العراقيين إلى قبول بقاء الإنكليز وقواتهم في العراق، حيث هم الوحيدون الذين يستطيعون أن يدافعوا عن الحدود ويدفعوا غائلة الأعداء.

المعارضة الإسلامية لمعاهدة التحالف

خلال تتويج فيصل، أعطت بريطانيا وعدها للشعب العراقي بتأليف مؤتمر عام من أبناء الأمة خلال ثلاثة أشهر ليضع دستور المملكة ويحدد أسس الحياة السياسية في العراق. وعلى هذا الأساس تمت مبايعة فيصل ملكاً على العراق.

غير أنّ الإنكليز يدركون أنّ تشكيل المؤتمر العراقي، بمثابة عقبة كبيرة في طريق مشاريعهم بشإن مستقبل العراق، لأنّ الأمة ستطالب بالإستقلال التام وترفض الإنتداب رفضاً قاطعاً. ومن هنا حاولوا عقد معاهدة بين بريطانيا والعراق تؤكّد الإنتداب، ثم يأتي دور المجلس التأسيسي ليصادق عليها.

وفي الحقيقة، فإنّ هذا المخطط البريطاني كان معدّاً قبل ترشيح فيصل لعرش العراق. والدليل القاطع على ذلك أنّ المندوب السامي قدّم للملك بعد بضعة أيّام من حفلة التتويج مسودّة معاهدة كصيغة أوّلية تدور حولها المناقشات. وتضمّنت ١٥مادة، نذكر منها مايلي:

المادة الثانية: على الملك فيصل أن يستعين بالمشورة البريطانية ولا يعيّن موظفين بدون موافقتها.

المادة الثالثة: تمثّل حكومة بريطانيا بمندوب سامٍ وحاشية إستشارية ويطّلع المندوب السامي على القضايا المهمّة.

المادة الخامسة: أن تمثّل بريطانيا العراق في الخارج.

المادة السادسة: أن تحتفظ بريطانيا في العراق بجيش للدفاع عن التجاوز

الخارجي وتأييد الأمن في الداخل وتستخدم الطرق والسكك الحديدية والموانىء لحركات هذه القوات ونقل الوقود والذخيرة.

المادة العاشرة: عدم عرقلة شؤون المبشّرين.

المادة الرابعة عشرة: إستشارة المندوب السامي في القضايا الماليّة[٣٦].

وعلى هذا فإنّ الحكومة البريطانية كانت تريد المعاهدة صورة عن الإنتداب مع تحقيق بعض المكاسب فيما يتعلّق بالجانب المالي، حيث يمكنها من خلال المعاهدة تخفيض نفقات الإحتلال. في حين كان الشعب العراقي يريد المعاهدة تعاقداً بين طرفين مستقلين وإلغاء الإنتداب الذي كانوا يرونه إستعماراً مقنعاً[٣٧].

إنّ هذا الإختلاف الجوهري بين ما تريده بريطانيا وبين ما يريده الشعب العراقي، جعل مهمّة الحكومة العراقية صعبة، فهي لا تستطيع أن تخرج عن الإرادة البريطانية من جهة، كما أنّها تخشى أن تتجاوز رأي الشعب العراقي، نظراً لقوّة المعارضة وقدرتها على الحركة وتصعيد الموقف ضد الحكومة والإنكليز. لذلك كانت تحاول التوفيق قدر الإمكان بين الموقفين، والتلاعب في صياغة مواد المعاهدة بشكل لا يثير الشعب العراقي.

غير أنّ هذه الأمور لم تكن لتمر دون أن يدرك الشعب حقيقتها. لا سيّما وأنّ مناطق الفرات الأوسط والمدن المقدسة كانت تهتم بمستقبل

---

(٣٦) أحمد رفيق البرقاوي، المصدر السابق، ص ٣٥ـ٣٦.

(٣٧) د. فاضل حسين، مشكلة الموصل، ص ٢١.

العـراق، وتتـابـع تطوّرات الأحداث بدقّة. وينظّم سكّانها مواثيق وطنية يقدّمونها للملك والوزارة، فقد جاء في واحد من هذه المواثيق:

إنّ الميثـاق الـوطني العربي العراقي الذي وقّعنا عليه اصالة عن أنفسنا وتمثيلاً عن متابعينا هو البرنامج السياسي المشتمل على المواد الآتية، التي أقسمنا على رعايتها وإتّخاذها غاية لجهودنا الدينية والوطنية، وعاهدنا اللّه على أن نعمل عليها، وأن لا نعدل عن أيّة جزئية من جزئياتها:

المـادة الأولى: تأليف حكومة حرّة نيابية ديمقراطية مسؤولة أمام الأمة العراقية مستقلّة إستقلالاً سياسياً تاماً لا شائبة فيه، عارية من أي تدخّل أجنبي.

المادة الثانية: تأييد سياسة جلالة الملك فيصل على أساس إستقلال العراق السياسي التام بحدوده الطبيعية.

المادة الثالثة: رفض إنتداب الإنكليز وكل معاهدة تمس بكرامة الأمة العراقية وإستقلالها السياسي التام.

فعلى هذه المواد الثلاث قرّت رغباتنا الصميمية واللّه حسبنا ونعم الوكيل[٣٨].

وحدث في تلك الفترة أن صرّح وزير المستعمرات ونستون تشرشل في مجلس العموم بتاريخ ٢٣مايس ١٩٢٢م قائلاً: (انّ الملك فيصل وحكومته لم يخبرا معتمد بريطانيا لدى العراق عن رفض الشعب العراقي للانتداب). وقد أثارت هذه التصريحات إستنكار الشعب العراقي، فعقد إجتماع في جامع

---

(٣٨) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٨١.

الـوزير ببغـداد إستنكر الحاضرون ما صرّح به تشرشل وهتفوا برفض الإنتداب، ثم عقد إجتماع آخر في جامع الحيدرخانه إنتدب المجتمعون كلاً من الشيخ محمـد الخالصي والسيد محمد الصدر وحمدي الباجچي ومحمد مهدي البصير والشيخ أحمد الداود وياسين الهاشمي (ولكن الأخير لم يحضر ولم يشـارك الـوفد في نشاطاته). لمقابلة الملك فيصل والإجتماع على هذا التصريح، وتوجّه المجتمعون إلى البلاط الملكي.

رفض الملك فيصـل مقـابلة الوفد ومفاوضتهم بصفة رسمية. لكن الشيخ محمد الخالصي قال له بأنّه في حالة عدم وجود قانون معيّن، فإنّ كل عمل فيها قانوني، إذ لا قانون فوق إرادة الشعب، وقد فرضت المعاهدة بخلاف إرادة الشعب، فأرادوا بيان ذلك. فعندئذ إعترف بهم الملك رسمياً، وحادثوه بصفة رسمية، وأنكروا عليه هذه المعاهدة وطلبوا منه التصريح بأن العراق مستقل لا يشوبه أي تدخّل أجنبي، فأخذ الملك يراوغ في ذلك. ثم وافق على أن يقوم الوفد برفض المعاهدة وإعلام عصبة الأمم ودولها برقياً.

نظّم الوفد البرقية التالية:

(لقـد أثبت العـراقيون رغبتهم في الإستقلال التام، ورفضهم أي إنتـداب كان، وحركتهم الخطيرة في عام ١٩٢٠م أعظم شاهد على ذلك، وبمنـاسبـة بيان المستر تشرشل في البرلمان الإنكليزي بخصوص مسألة الإنتداب في العراق، أقام الشعب مظاهرة سلمية فوّضنا فيها لنعرب أمام مجلسكم الموقر، ولدى البرلمانات عن رأيه في رفض الإنتداب، وعليه نرفض

كل إنتداب ونحتج على كل قرار يعارض الإستقلال التام للعراق)[٣٩].

أراد الوفد أن يرسل البرقية إلى عصبة الأمم والبرلمان البريطاني والكونغرس الأمريكي والصحف العالمية، لكن دائرة البرق في بغداد إمتنعت عن إبراقها. فأرسلت إلى إيران فلم تقبلها دائرة البرق الإيرانية لتدخّل السلطات البريطانية.

ولكي تخفّف الحكومة من حدّة الهياج، أصدر وزير الداخلية بياناً أكّد فيه أنّ المفاوضات لا تزال مستمرّة بشكل ودّي وأنّ الحكومة لا تعمل إلّا بما ينطبق مع أماني الشعب. لكنّ هذا البيان لم يكن فيه شيء من الصحّة. فالوزارة كانت ماضية في مفاوضاتها بعيداً عن رغبة الشعب.

في جلسة مجلس الوزراء بتاريخ ٢٢حزيران ١٩٢٢م عرض نص المعاهدة لمناقشتها. فإعترض جعفر أبو التمّن وكان يشغل منصب وزير التجارة قائلًا:

(إنّ هذه المسألة لا يمكن للمجلس أن يقوم بها، ويجب أن تعرض على البرلمان. إنّ السادة الدينيين وأعمدة الإسلام ضد أيّة معاهدة إطلاقاً).

لم يتم التوصّل في هذا الإجتماع إلى نتيجة محددة، فتقرر تأجيل الإجتماع إلى يوم السبت ٢٤حزيران، وفي هذا اليوم سرت إشاعات مختلفة بين الناس حول المعاهدة، فأغلق الناس محلّاتهم في بغداد، وأوفدوا وفداً لمقابلة رئيس الوزراء عبدالرحمن النقيب، فقابله كل من الشيخ محمد الخالصي والشيخ أحمد الداود وكاظم أبو التمّن وعبدالحسين الجلبي والشيخ

---

(٣٩) المصدر السابق، ص ٨٢.

محمد رضا الشبيبي وحمدي الباججي ومحمد مهدي البصير. وبيّنوا له قلق الشعب العـراقي من المعـاهـدة، وحذّروه من الكوارث التي تترتّب على توقيعها. فوعدهم بأنّه لا يوقّع على معاهدة لا تحمل رغائب الشعب.

أدرك الملك فيصـــل خطورة موقف جعفـر أبـو التمّن المعـارض للمعاهدة، فالمعروف عن أبو التمّن إسلاميته وتدينه القوي وتمسّكه برأي علماء الـدين. لذلك حاول فيصل أن يبعده عن الإشتراك في إجتماعات الوزارة، فإستدعاه وأخبره أنّ وزارته سوف تلغى من قبل لجنة كديس (وهي لجنة ألّفها المندوب السامي لدراسة حالة العراق الإقتصادية)، ورجّح له عدم الذهاب إلى مجلس الوزراء والقيام بسفرة لتحسين صحّته. وبالفعل بعث أبو التمّن رسالة إلى مجلس الوزراء يخبرهم بأنّه مريض، وحين علم الوزراء وافقوا على المعاهدة بسرعة، لكنّ أبو التمّن حضر في إجتماع اليوم التالي المنعقد في ٢٥حزيران ١٩٢٢م وقدّم إحتجاجاً شديداً ضد المعاهدة(٤٠).

وفي ٢٦حزيران إستقال جعفر أبو التمّن من الوزارة.

أخـذ علماء الـدين يدعون إلى عقد إجتماعات لدراسة الأوضاع السياسية، وتقديم الإحتجاجات ضد المعاهدة، فأرسلوا رسالة إلى رئيس الوزراء سجّلت في ملفّات الوزارة بتاريخ ٢١تموز، جاء فيها:

(... إنّ غاية الأمـة التي ترمي إليهـا من إبتداء تشكيل الحكومة العربية العراقية وإلى ما بعد، هي إستقلال حكومتها التام، وعدم (قيام) سلطة أجنبية عليها من جميع الجهات، ولا تحوّل عن ذلك مادام لها الإختيار.

---

(٤٠) عبدالرزاق الدراجي، المصدر السابق، ص ١٨٠ـ١٨١.

وقد صرّحت بذلك جميع طبقاتها ورفضت كل ما يمس بإستقلالها وكرامتها. فبناء على ذلك (فإنّ) كل قرار أو معاهدة أو قانون إنتخاب يقع بدون أن ينشر فيقع موقع القبول عند الأمة فذلك كلّه ينافي مبدأها وإستقلالها وهي مجبورة عليه لا ينفذ عليها، وتستعين باللّه على رفضه ونعم المستعان).

وفي ٢٨تموز عقدوا في جامع الهندي بالنجف الأشرف إجتماعاً كبيراً حضره نحو خمسمائة شخصية دينية وسياسية ونوقشت خلاله أوضاع البلاد، وتم التأكيد على الموقف الذي أعلن في رسالة العلماء السابقة.

أما رؤساء الفرات فواصلوا إجتماعاتهم وأبرقوا إلى فيصل بالبرقية التالية في ٤آب ١٩٢٢م:

(بغداد ـ لجلالة ملكنا المفدّى فيصل الأول دامت سلطته

نطلب من جلالتكم تنفيذ المواد التالية:

١ـ رفض الإنتداب، وإعتراف حكومة بريطانيا العظمى بإلغائه رسمياً.

٢ـ إسقاط أيّة وزارة تصدّق معاهدة غير مرضيّة بنظر الأمة، وتعيين وزارة وطنية تطمئن الأمة بأعمالها.

٣ـ إزالة أيّة سلطة أجنبية على الحكومة العراقية.

٤ـ إطلاق حريّة الصحافة.

هذه رغائب الأمة، وبما أنّ الأحوال الحاضرة مخالفة لرغائبها، بادرنا لعرضها لجلالتكم لتكون الأمة معذورة بنظر جلالتكم، والأمر لوليّه أدام اللّه شوكتكم).

كما بعثوا بالبرقية التالية للمندوب السامي:

(بغداد ـ فخامة المعتمد السامي لحكومة بريطانيا العظمى المفخّم.

نعرض لفخامتكم، حسبما وعدت حكومة بريطانيا العراقيين بحكومة دستورية ديمقراطية يرأسها ملك عربي، وبذلك بايعت الأمة العراقية على إختلاف طبقاتها، جلالة الملك فيصل ملكاً عليها، وقد أكّد ذلك جلالة ملك بريطانيا في برقيّته التاريخية بمناسبة تتويج ملك العراق فيصل الأول.

إنّا لا ننكر صداقة حكومة بريطانيا العظمى، صداقة خالية من المحاباة، وبما أنّ فخامتكم يمثّل حكومة بريطانيا العظمى، نودّ أن نوقفكم على رغائب الأمّة التي لا يمكنها التزلزل عنها مهما كلّفها الأمر، وهذه المواد هي الآتية:

١ـ رفض الإنتداب رفضاً باتاً، وإعلان حكومة بريطانيا العظمى بإلغائه رسمياً.

٢ـ مراجعة حكومة جلالة ملك العراق لوزارة الخارجية الإنكليزية، لأنّ مراجعتها لوزير المستعمرات مخالف للاستقلال التام.

٣ـ رفع تدخّل أيّة سلطة أجنبية، لأن أعمالهم لا يمكن أن تطابق سياسة بريطانيا العظمى وللأمة في نفسها الكفاءة لإدارة شؤونها. بهذا تطمئن الأمة ولكم مزيد الإحترام)[٤١].

وسط هذه الأجواء نشط العمل الحزبي المعارض، حيث أخذ يمارس الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية عملها بشكل سرّي بعد أن

---

(٤١) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٨٤ـ٨٦.

ماطلت الوزارة في إعطائها إجازة رسمية[٤٢].

وفي ١١آب تجمّعت أعداد كبيرة من المعارضين في مدينة النجف للتظاهر، إلّا أنّهم بعد ذلك قاموا بعقد مؤتمر في بيت السيد أبو الحسن الإصفهاني حفاظاً للنظام، وبهذا المؤتمر تأكّدت المطالب السابقة، وكتبت بذلك مذكرة إلى الملك وأستدعي أيضاً متصرّف كربلاء وأبلغ بالقرارات[٤٣].

شعر الملك فيصل بقوّة المعارضة، ولم يشأ أن يقف ضدّها، فحاول إرضاء قاداتها الإسلاميين، بأن راح يتقرّب من رؤساء العشائر حتى يخفّف من شدّة المعارضة، فقدّم لهم مساعدات مالية وأشرك بعضهم في مجلس الأعيان مثل السيد علوان الياسري. غير أنّ المعارضة ظلّت على قوّتها.

إنّ تقرّب الملك من قادة المعارضة ومسايرة رؤساء العشائر، جعل الوزارة تطلب منه أن يغيّر سياسته هذه، لكنّه إستمر على موقفه، مما جعلها تستقيل من الحكم[٤٤].

وكتب الملك فيصل إلى المندوب السامي يقول له انّه غير مسؤول عن الحالة في البلاد ولا عن التطوّرات المحتملة الوقوع والتي قد تقود إلى ثورة ثانية. مما جعل العلاقة تتأزّم بين الملك والمندوب السامي، حيث كان الأخير يعتبر الملك ليّناً في موقفه من رجال المعارضة. لكنّه لم يشأ أن يصعّد الموقف أكثر لقرب موعد الذكرى الأولى لتتويج فيصل.

---

(٤٢) أجيز الحزبان في شهر آب ١٩٢٢، وقد تحدّثنا بالتفصيل عن تشكيلاتها ونشاطهما في الجزء الأول من الكتاب.

(٤٣) أحمد رفيق البرقاوي، المصدر السابق، ص ٦٤.

(٤٤) عبدالرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي، الجزء الثاني، ص ٢١.

حاول حزب النهضة العراقية والحزب الوطني العراقي إستثمار حفلة ذكرى التتويج وتصعيد معارضتهما ضد المعاهدة. وفي يوم الإحتفال ٢٣آب ١٩٢٢م قاما بمظاهرة صاخبة في فناء البلاط الملكي، وألقى محمد مهدي البصير عن الحزب الوطني ومحمد حسن كبّه عن حزب النهضة كلمات حماسية، ثم قدّما للملك عريضة مشتركة عنهما طالبت بمايلي:

١ـ عدم التدخّل البريطاني في الأمور الإدارية.

٢ـ تأليف وزارة من الأكفاء المخلصين لكي تطمئن الأمة بإصلاح الحال فيزول الإضطراب وتهدأ الخواطر وتعم السكينة والراحة في البلاد.

٣ـ لا تعقد أيّة معاهدة ولا تجري مفاوضة فيها قبل تأليف المجلس التأسيسي الذي ينتخب أعضاؤه إنتخاباً حرّاً[٤٥].

وحدثت حادثة مشهورة من المحتمل جداً أن تكون مدبّرة من قبل الإنكليز، عندما حضر المندوب السامي إلى مكان الإحتفال، حيث هتف أحد الحاضرين (ليسقط الإنتداب.. لتسقط إنكلترا). وقد أعتبر برسي كوكس هذا الحادث إهانة لحكومته. وصادف أن تمرّض فيصل في نفس اليوم مرضاً مفاجئاً لا يخلو هو الآخر من الشكوك، وأجريت له عملية الزائدة الدودية. وأستغل المندوب السامي غياب الملك ووضع حداً للمعارضة، فأصدر أوامره بغلق الحزبين اللّذين قاما بالمظاهرة، وإبعاد رجالهما إلى جزيرة هنجام، وبتعطيل جريدتي المفيد والرافدان ونفي صاحبيهما أيضاً. وبتكليف السيد محمد الصدر والشيخ محمد الخالصي بمغادرة العراق فوراً إلى إيران.

---

(٤٥) المصدر السابق، ص ٢٢.

كما أرسل المندوب السامي الطائرات البريطانية فقصفت عشيرة آل فتلة في المهناوية، وعشيرة الأكرع في عفك، وعشيرة خفاجة في الشطرة، وعشيرة العزّة في المنصورية في لواء ديالى، ودمّرت المنازل والأكواخ، وأحرقت المزارع وأهلكت المواشي.

وكذلك أمر المندوب كوكس بفصل الموظّفين المؤيّدين للمعارضة، مثل متصرّف لواء الحلّة وقائم مقام الشامية وقائم مقام أبو صخير.

أما الملك فيصل فإنّه بعد أن شفي من عمليته الجراحية، كتب إلى المندوب السامي في ١١أيلول يقول:

(عزيزي سير برسي

الآن، وقد تم شفائي بحمد اللّه تعالى، وسمح لي الأطباء أن أستأنف أشغالي في الدولة، أرى من واجبي قبل أن أتولى هذه التبعة أن أقدّم إلى فخامتكم تشكراتي القلبية، وأن أعبّر لكم عن إعجابي الشديد للسياسة الحازمة، والتدابير الضرورية التي إتخذها فخامتكم، بصفتكم ممثلاً لحكومة صاحب الجلالة، لصيانة المصالح العامة، والمحافظة على النظام والأمن، أثناء مرضي المفاجيء الذي صادف وقوعه بغتة في المدة التي تنقضي عادة بين إستقالة الوزارة وتأليف وزارة غيرها. وختاماً أكرر تشكراتي الخالصة لفخامتكم على مساعداتكم الثمينة)[٤٦].

لقدساير الملك فيصل رجال المعارضة حتى لا يظهر أنّه يقف موقف العداء منهم، أما بعد أن إنتقم منهم المندوب السامي، فقد إنتهى الأمر، وعليه

---

(٤٦) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول، ص ٩٦ـ٩٧.

مسايرة الإنكليز الذين شعر بعدم رضاهم عنهم في موقفه الليّن من المعارضة. وقد عرف عن فيصل طيلة حكمه مناوراته السياسية من هذا القبيل.

أراد المندوب السامي أن ينفّذ الخطوة التالية بعد ضربته التي وجهها للمعارضة، فطلب من الملك فيصل أن يكلّف عبدالرحمان النقيب بتشكيل الوزارة للمرة الثالثة، بإعتباره موالياً للانكليز ولا يعترض على تصديق المعاهدة.

في ٣٠أيلول ١٩٢٢م شكّل النقيب وزارته الثالثة، وفي ١٣تشرين الأول ١٩٢٢م نشرت المعاهدة على الشعب العراقي موقّعة من قبل عبدالرحمان النقيب والمندوب السامي برسي كوكس.

وقد أذاع الملك فيصل بلاغاً تحدّث فيه عن الصعوبات التي لاقتها المفاوضات بشإن المعاهدة، وأنّ هذه المعاهدة هي في صالح العراق، لأنّها تتضمّن دعم بريطانيا ومساندتها وإحترامها سيادة العراق وإستقلاله السياسي. وذكر أنّها خطوة نحو دخول العراق في عصبة الأمم كدولة مستقلة. وطلب من الشعب العراقي أن يقف إلى جانب الحكومة وأن يحترم المعاهدة بإعتبارها وثيقة دولية. ودعا الملك في بلاغه الشعب العراقي إلى العمل على إنجاز الخطوة التالية وهي إنتخاب المجلس التأسيسي ووضع القانون الأساسي[٤٧].

ورغم أنّ بلاغ الملك لم يغيّر شيئاً من قناعة الشعب العراقي بشإن المعاهدة، إلّا أنّ نشر المعاهدة لم يقابل بمعارضة ملموسة وإكتفت الصحافة

---

(٤٧) المصدر السابق، ص ١٠٥.

بالحديث عنها بشكل حذر، خصوصاً وأنّ صحف المعارضة قد عطّلها المندوب السامي.

إنّ مصادقة مجلس الوزراء على معاهدة ١٩٢٢م، يعتبر بمثابة ضربة جديدة توجّه للشعب العراقي بعد ثورة العشرين وتشكيل الدولة تحت ظل الإنتداب، فلقد صادرت هذه الخطوة جهود الأمة في العراق منذ الحرب العالمية الأولى وحتى يوم التصديق عليها، بكل ماحملته هذه السنوات من تضحيات جبّارة قدّمها الشعب العراقي في جهاده ضد الإنكليز من أجل الحصول على إستقلاله وتشكيل حكومة نابعة من إرادة الأمة.

وبذلك فقد خسرت الأمة الكثير وأبعدت عن إستقلالها مسافات بعيدة، بل انّ الإستقلال الحقيقي لم يعد بالإمكان الحصول عليه في ظل الأوضاع التي رسمت المستقبل السياسي للعراق.

إنتخابات المجلس التأسيسي

كان المجلس التأسيسي يمثّل خطوة أساسية في سياسة الإنكليز وعند الملك فيصل على حدّ سواء. فالمعاهدة لا تعتبر سارية المفعول إلّا بعد أن يصادق عليها المجلس، وهذا يعني أنّ الإنكليز سيظلّون في إنتظار إجراء الإنتخابات وإلتئام المجلس حتى تأخذ سياستهم شكلًا قانونياً على ضوء المعاهدة. أما الملك فيصل فأنّه كان يريد أن يمارس سلطاته الدستورية في البلاد، وهذا لا يتم إلّا بعد أن يسن القانون الأساسي في المجلس التأسيسي، ومن هنا كان يهمّه أيضاً إجراء الإنتخابات بأسرع وقت ممكن.

وعلى ضوء هذه الحقائق قرر مجلس الوزراء في ١٧تشرين الأول

١٩٢٢م، إتّخاذ التدابير اللازمة للشروع في خطوته هذه. وقدّم قراره إلى الملك ليصدر إرادته الملكية بهذا الخصوص. وفي ١٩تشرين الأول أصدر الملك إرادته إلى المجلس الوزاري ليقرر المواد التالية:

١ـ دستور المملكة العراقية.

٢ـ قانون إنتخاب مجلس النوّاب.

٣ـ المعاهدة العراقية ـ البريطانية.

وحدد موعد الإنتخاب في ٢٤تشرين الأول طبقاً للنظام المؤقّت للانتخابات الصادر في ٤آذار ١٩٢٢م. وأنيطت بوزير الداخلية عبدالمحسن السعدون تنفيذ هذه الإرادة(٤٨).

غير أنّ المعارضة عادت لتواجه هذه الخطوة بقوّة، حتى أنّ الإنكليز والحكومة والملك لم يتوقّعوا قوّة موقف المعارضة بعد أن تعرّضت إلى ضربة قوية في شهر آب على يد المندوب السامي. وكان العامل الأكبر في قوة المعارضة هو تصدّي علماء الدين للانتخابات، حيث إعتبروا أنّ إجراء الإنتخابات لا يمكن أن يتم بشكل حر صحيح، وأنّ المجلس الذي ستفرزه الإنتخابات المزوّرة سيصادق على المعاهدة. وبذلك تترسّم سياسة العراق ومستقبله بشكل نهائي، ومن هنا كان تصدّيهم قوياً لمنع هذه الخطوة الخطيرة التي تعتبر حدّاً فاصلاً في التاريخ العراقي وفي مصيره السياسي.

برز الدور القيادي لثلاثة من كبار المجتهدين في الدعوة لمقاطعة الإنتخابات، وهم السيد أبو الحسن الإصفهاني والميرزا حسن النائيني

---

(٤٨) المصدر السابق، ص ١١١.

والشيخ مهدي الخالصي. حيث أعلنوا بضرورة مقاطعة الإنتخابات ما لم تحقق للشعب مطالبه التالية:

١ـ إلغاء الإدارة العرفية.

٢ـ إطلاق حرية المطبوعات والإجتماعات.

٣ـ سحب المستشارين من الألوية.

٤ـ إعادة المنفيين السياسيين.

٥ـ السماح بتأليف الجمعيات.

ووصلت من إيران ست نسخ من منشور مطبوع هناك أصدره المنفيّون إليها، أرسلت إلى الشيخ مهدي الخالصي بتوقيع (بيان الجمعيات الإسلامية في طهران)، فيه هجوم عنيف على بريطانيا، وحبّذ المنشور وحدة العراق مع إيران لتخليص الإسلام من الظلم البريطاني، وأرسل الشيخ الخالصي ثلاث نسخ إلى النجف الأشرف، ونسخة إلى السيد حسن الصدر في الكاظمية وإحتفظ هو بنسختين.

كما وصلت إلى الكاظمية نسخة من منشور صادر من قبل (جمعيات الأديان)، يطالب بإنسحاب بريطانيا من العراق.

بدأت فكرة مقاطعة الإنتخابات وإصدار فتوى بمقاطعتها من الكاظمية، حين زار كاظم أبو التمّن ـ عم جعفر أبو التمّن ـ ومعه الشيخ مهدي الخيّاط، الشيخ مهدي الخالصي والسيد حسن الصدر، وعرض كاظم أبو التمّن مشروع الفتوى لتوقيعها، وكانت تتضمّن الطلب من المجتهدين رفض المعاهدة ورفض الإعتراف بالحكومة الحاضرة وبالملك فيصل ومقاطعة الإنتخابات. وقد أيّد الشيخ الخالصي هذا الرأي في حين رفضه السيد حسن

الصدر. وحاول البعض أن يثني الشيخ الخالصي عن توقيع الفتوى بحجّة أنّ علماء النجف لا يوافقون. فأرسل الشيخ الخالصي يستطلع آراء علماء النجف وكربلاء بموضوع الفتوى فأيّدوا إصدارها. وكانت الفتوى جواباً على السّؤال التالي:

(هل يجوز المداخلة ببعض الوجوه في إنتخابات المجلس التأسيسي العراقي أم لا يجوز لكل أحد من العراقيين، أفتونا أدام اللّه ظلّكم على العالمين).

وأجاب على هذه الفتوى أربعة عشر عالماً مؤكّدين حرمة الإنتخابات وإعتبار الإشتراك فيها بمثابة الخروج عن الدين، ووزّعت في شتى أنحاء العراق[٤٩].

نصّت فتوى المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الإصفهاني على مايلي:

(إلى إخواننا المسلمين.. إنّ هذا الإنتخاب يميّت الأمة الإسلامية، فمن إنتخب بعد علم بحرمة الإنتخاب، حرّمت عليه زوجته وزيارته (أي زيارة العتبات المقدسة) ولا يجوز ردّ السلام عليه، ولا يدخل حمّام المسلمين)[٥٠].

واجهت الحكومة صعوبة بالغة في إنجاح الإنتخابات، فقد إستقالت اللجان الإنتخابية في كربلاء والنجف والحلّة والكوفة، وأعلن الموظّفون في الكاظمية عن فشلهم في تأليف اللجان[٥١].

---

(٤٩) د. فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية البريطانية، ص ٨١-٨٣.

(٥٠) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٥١) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم كربلاء، الجزء الثاني، ص ٣٥٩.

أشاعت الحكومة أنّ العلماء لا يعارضون الإنتخاب، ومنعت نشر الفتوى السابقة في بعض المناطق. فوجّهت الإسئلة للمجتهدين حول صحّة هذه الإشاعة. فأصدر السيد أبو الحسن الإصفهاني والميرزا محمد حسين النائيني والشيخ مهدي الخالصي، فتوى مشتركة في ٥ تشرين الثاني نصّت:

(بسم اللّه الرحمن الرحيم.. نعم قد صدر منّا تحريم الإنتخاب في الوقت الحاضر لما هو غير خفي على كل باد وحاضر، فمن دخل فيه أو ساعد عليه، فهو كمن حارب اللّه ورسوله وأولياءه).

وأعقب ذلك صدور فتاوي أخرى أصدرها المجتهدون على إنفراد، وإلى جانب هذه الفتاوي وزّعت بيانات غير موقّعة تحثّ على الإلتزام بفتاوي العلماء في النجف والكاظمية وكربلاء[٥٢].

أراد وزير الداخلية عبدالمحسن السعدون، أن تتخذ الحكومة إجراءات شديدة ضد المعارضة وأن تمارس القوة لتنفيذ الإنتخابات، لكن مجلس الوزراء لم يوافقه على هذا الرأي خوفاً من حدوث تطوّرات خطيرة، فقرر السعدون الإستقالة. وقدّم إستقالته في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٢.

وفي ٢٠ تشرين الثاني إستقالت الوزارة النقيبية بعد أن ثبت عدم قدرتها على إجراء الإنتخابات. وكلّف الملك عبدالمحسن السعدون بتشكيلها. وقد كان الإختيار صادراً من تحمّس السعدون لإجراء الإنتخابات بأي صورة، وهو ما يريده الإنكليز والملك.

---

(٥٢) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٢٦١.

وجـد السعـدون أنّ من غير الممكن إجـراء الإنتخابات في ظلّ الأوضاع القائمة، لذلك حاول أن يمهّد لها بخطوات سابقة، تقلّل من قوّة المعارضة ـ التي إتّسعت دائرتها فشملت إستجابة قسم من أبناء السنة لموقف علماء الشيعـة ـ وتسـاهم في إزالة بعض المعوّقات التي كانت تحول دون إمكـانية تحقيق الإنتخابات والتي قدّمها علماء الدين كمطاليب أساسية. فتوسّطت الوزارة في أمر المنفيين الذين أبعدهم المندوب السامي، ثم وضعت قانوناً للتفتيش الإداري، يكون مقر المفتّشين في بغداد بدلاً من أن يقيموا في الألوية.

وكان الإجراء الأهم هو توقيع بروتوكول ملحق بمعاهدة ١٩٢٢م بين السعـدون والمندوب السامي في ٣٠نيسان ١٩٢٣م، خفضت فيه مدّة المعـاهـدة من عشرين سنة إلى أربـع سنوات[٥٣]. وكان هذا بمثابة دعم بريطاني قوي للسعـدون من أجـل إظهاره بمظهر حسن أمام الشعب. خصوصاً وأنّ إختزال مدّة المعاهدة بهذا الشكل من شأنه أن يخفّف من حدّة المعارضة.

كانت هذه الإجراءات محاولة من السعدون لإضعاف تماسك ووحدة المعارضة، على إعتبار أنّ هذه الإجراءات سترضي البعض وبالتالي تدفعهم إلى ترك مواقع المعارضة. ويبدو أنّ رئيس الوزراء كان يسير وفق مخطط مبرمج في سياسته. حيث كانت وجهة نظره أن لا تستعجل الوزارة في إجراء الإنتخابات قبل أن ترتّب أوضاعها وتقدم على بعض الخطوات المهمّة، في

---

(٥٣) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٤.

حين كان يرى قبل ذلك ضرورة إجراء الإنتخابات بسرعة.

ظلّت المعـارضة الإسلامية ماضية على نهجها. وكان أهم تطوّر في مسلسلها هو نقض الشيخ مهدي الخالصي بيعته للملك فيصل. ففي إجتماع حاشد عقد في مدرسته في الكاظمية، أعلن الشيخ الخالصي نقض البيعة بالقول: (لقد بايعنا فيصلاً ليكون ملكاً على العراق بشروط، وقد أخلّ بتلك الشروط، فلم يعد له في أعناقنا وأعناق الشعب العراقي أيّة بيعة).

وعـزّز الشيخ الخالصي هذا الموقف بأن أفتى بحرمة الدخول في أجهزة الدولة وإداراتها، معتبراً ذلك بمثابة تعاون مع الكفّار[٥٤].

أدرك علماء الدين أنّ إجراءات الوزارة السعدونية قد تضعف الموقف المعارض، فقرروا تأكيد معارضتهم للانتخابات من جديد وتصعيد معارضتهم لخطوات الحكومة. فأصدر في ١٢نيسان ١٩٢٣م كل من السيد أبو الحسن الإصفهاني والميرزا حسين النائيني والشيخ مهدي الخالصي فتوى ألصقت على جوامع الكاظمية، حرّمت دفاع العراق ضد الأتراك. في الوقت الذي كانت فيه قضية الموصل تتفاعل بحدّة بين العراق وتركيا. وقد كان في نيّة الحكـومـة إبعـاد المجتهدين الموقّعين على هذه الفتوى إلى إيران. لكنّها تراجعت عن هذا الإجراء خوفاً من تفاقم الأوضاع. وبدلاً من ذلك حاولت إرضاءهم فأرسلت بعض الوزراء إلى الشيخ مهدي الخالصي، وعرضوا عليه إرجاع إبنه الشيخ محمد من إيران الذي نفي عام ١٩٢٢م. لكنّه رفض هذا العـرض. وإستـأنف العلماء نشاطهم، فأرسل علماء النجف في ١٥مايس

---

(٥٤) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٢٦١_٢٦٢.

١٩٢٣م كتاباً إلى الشيخ مهدي الخالصي والسيد حسن الصدر والسيد محمد مهدي الصدر، أشاروا فيه أنّ الملك فيصل والحكومة العراقية قد وقّعوا على ملحق المعاهدة رغبة في تعجيل إجراء الإنتخابات، ويستشيرونهم في مسألة إصدار فتوى ثانية ضد الإنتخابات. وبعد أن تفاوضوا فيما بينهم، وافقوا على قرار علماء النجف بتحريم الإنتخابات، وكتبوا فتوى ثانية لنشرها. وقد هدّد العلماء بأنّ الحكومة إذا أصرّت على إجراء الإنتخابات، فإنّ الفتوى المنوي إصدارها ستتوسّع لتشمل الحكومة أيضاً[٥٥].

وفي ١٩مايس عثرت شرطة الكاظمية على إعلان ملصق على جدران صحن الكاظمية الشريف يحرّم الإشتراك في الإنتخابات، ويهاجم الحكومة بالقول: (ها هي اليوم تحاول أن تخدع الشعب العراقي النجيب بملحق المعاهدة بدعوى أنّها خطت خطوة واسعة في سبيل الإستقلال)[٥٦].

وفي أوائل حزيران أكّد علماء الدين حرمة الإشتراك في الإنتخابات. وكان نشاطهم المعارض مركّزاً في النصف الأول من شهر حزيران. مما جعل الحكومة تلجأ إلى سياسة تفتيت وحدة المعارضة ومن ثم توجيه ضربة مباشرة لعلماء الدين. وكان مولود مخلص متصرّف لواء كربلاء قد بعث برقية إلى الحكـومة العراقية والبريطانية قال فيها: (إنّ مراكز الدعوة للمقاطعة في الفرات الأوسط لازالت تتخذ موقفاً متصلّباً وأنّها تحتاج إلى تحرّك سياسي واسع النطاق داخل القطر)[٥٧].

---

(٥٥) عبدالرزاق الدراجي، المصدر السابق، ص ٢١٥ـ٢١٦.

(٥٦) فاروق صالح العمر، المصدر السابق، ص ٨٤.

(٥٧) محمد حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص ٢٠٨.

ولتحقيق هذا الغرض، سافر الملك فيصل في ١٨حزيران ١٩٢٣م في جولـة للمناطق الجنوبية، وخطب في البصرة والناصرية والديوانية والحلّة مؤكّداً أهمّيّة إنعقاد المجلس التأسيسي[٥٨].

إستـطاع الملك فيصـل خلال جولتـه من إقناع عدد من رؤساء العشائر بتغيير موقفهم المعارض والتعهّد بالمشاركة في الإنتخابات. مقابل تعهّد الملك لهم، بمنحهم إمتيازات كتلك التي منحت للموالين للحكومة. وأن تعفو سلطات الإنتداب عن دورهم السابق[٥٩].

لقد مثّل موقف هؤلاء الرؤساء تراجعاً كبيراً عن حياتهم السابقة، وأضعف كثـيراً قوّة المعـارضة التي كانت العشائر تمثّل بالنسبة لها السند الميداني والقوّة الحقيقية. وكانت الحكومة والإنكليز يخافون منها، فيحجمون عن تنفيذ الكثير من خطواتهم ضد علماء الدين والشعب العراقي، أما بعد أن إنسحبت بعض العشائر وخرجت من دائرة المعارضة، فإنّ قوّة علماء الدين قد ضعفت نتيجة ذلك، لكنّهم إستمرّوا على مواقفهم.

قبل سفر الملك بيوم واحد أي في ١٧حزيران، قرر مجلس الوزراء البدء بالإنتخابات بعد عودة الملك من جولته. وهذا مايشير إلى أنّ المخطط كان قد وضع بشكل نهائي لإنجاح الإنتخابات. حيث يقوم الملك بإقناع رؤسـاء العشائر بالمشاركة، وبذلك يبقى علماء الدين بعيدين عن الدعم الكامل للعشائر العراقية، وبعد أن يحدث هذا التفتيت في موقف المعارضة،

---

(٥٨) لطفي جعفر فرج، عبدالمحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، ص ٨٧.
(٥٩) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٢٦٩.

يمكن توجيه الضربة المباشرة لعلماء الدين.

إشتدّت حملة نشر الفتاوي في مقاطعة الإنتخابات ولصقها على أبواب الجوامع، وفي الكاظمية حدثت إصطدامات بين الناس والشرطة كان من نتيجتها أن إعتقلت الشرطة حفيد الشيخ الخالصي، وولديه الشيخ حسن وعلي، وكذلك الشيخ سلمان القطيفي (الصفواني) أحد تلامذته. وفي ٢٣حزيران أمر الشيخ مهدي الخالصي بغلق الأسواق إحتجاجاً على إعتقال أولاده[٦٠].

كان الملك فيصل وعبدالمحسن السعدون على إتصال مستمر بشإن آخر تطورات المعارضة وخصوصاً فيما يتعلّق بالشيخ الخالصي الذي يبدو أنّهما كان متّفقين على إبعاده من العراق، ولكن الملك كان متردداً بعض الشيء فسافر إلى البصرة ليظهر نفسه بأنّه غير مشترك في عملية التسفير.

بعد إلقاء القبض على أولاد الشيخ الخالصي، أرسل السعدون إلى الملك في البصرة برقية جاء فيها:

(.. الشيخ مهدي يحرّك الناسْ جهراً على القيام في بغداد والكاظمية، وعلى كل حال لا يمكن على الحكومة أن تصبر على أفعاله، فأرى من الضروري إبعاده عاجلاً هو وأولاده والقطيفي والشيخ علي حفيد الخالصي. المعتمد السامي يوافق على إبعادهم بشرط أن لا يكون ذلك إلى إيران، فإذا توافقون يرسلوا إلى البصرة ومنها إلى جدّة بحراً..).

أرسل الملك إليه البرقية التالية:

---

(٦٠) عبدالرزاق الدراجي، المصدر السابق، ص ٢١٨.

(إذا كان العمل ضرورياً تجاه الشيخ مهدي، فأرغب أن يكون بكل إحترام، وبصورة لا تخل بكرامته الشخصية، وأن لا تعجز عائلته ولا تخوّف).

ثم أعقب الملك هذه البرقية بأخرى:

(لكم الصلاحية المطلقة فيما ترونه مناسباً في الكاظمية وبغداد لحفظ الأمن وشرف الحكومة ويجب إتّخاذ خطّة حازمة. بعد الكاظمية أخبروا مجتهدي النجف بواسطة المتصرّف بكل ماجرى مع الخالصي وأتباعه وطمّنوهم بأن يداوموا محافظين على السكينة وقائمين بواجباتهم الدينية مع إبلاغهم أسف الحكومة على إضطرارها إلى إتّخاذ هذه الإجراءات رغمًا عن الوسائل السلمية التي إتّبعتها حتى الآن. إعلنوا ذلك في الصحف بصورة مناسبة).

وفي ليلة ٢٦/٢٥حزيران داهمت الشرطة منزل الشيخ مهدي الخالصي، وإعتقلته، وأرسل هو وإثنان من أبنائه حسن وعلي وإبن أخيه علي نقي وسلمان القطيفي إلى البصرة بقطار خاص ، ثم بزورق إلى عمان والحجاز. وبعد ذلك هاجر الشيخ الخالصي إلى مدينة قم في إيران.

كان لإعتقال الشيخ الخالصي رد فعل كبير في الكاظمية، حيث كان التوتّر شديداً وسادها الإضراب، لكنّ الحكومة إتّخذت التدابير الإحتياطية فأرسلت أعداداً كبيرة من قوات الشرطة ومصفّحاتها وأحاطت هذه القوات بالمدينة من كل جانب، وأصبحت الكاظمية وكأنّها معسكر.

وفي النجف الأشرف إجتاحت المدينة حملة أحتجاج ضد إجراءات الحكومة فأغلقت الأسواق بناء على أمر علماء الدين، وإمتدّت حملة

الإحتجاج إلى مدينة كربلاء[٦١].

وإحتجاجاً على نفي الشيخ الخالصي، ذهب علماء النجف إلى مسجد السهلة ثم إلى كربلاء ليواصلوا سفرهم إلى إيران، لكن السلطة إعتقلتهم في كربلاء، ونفتهم إلى إيران في قطار خاص منعاً لحدوث إضطرابات، وكان في مقدّمتهم السيد أبو الحسن الإصفهاني والميرزا حسين النائيني وستة وعشرون عالماً آخرون.

كان نفي العلماء سابقة خطيرة في تاريخ العراق، وإنتكاسة لحركة المعارضة الإسلامية، وخسارة للشعب العراقي، حيث ساهم علماؤه في التصدي للاحتلال البريطاني منذ بداياته، ووقفوا في الطليعة يطالبون بحقوقه وإستقلاله وسيادته، وأذكوا فيه روح الثورة والمعارضة والوعي.

وعند هذه النقطة تنتهي مرحلة طويلة من الجهاد السياسي لعلماء الدين بعد أن وصلت إلى درجة عالية من التحرّك والمواكبة للأحداث السياسية. وإستمر العلماء في منفاهم في إيران. وجدير بالذكر أنّ العلماء المبعدين إنّما إستقرّوا في مدينة قم التي لم تكن في ذلك الوقت تضاهي مدينة النجف التي كانت لها سمعة علمية طبّقت الآفاق.

فالحوزة العلمية الكبرى إنّما هي في النجف، وكثرة العلماء والدارسين في النجف والمجتهدون والمرجعية في النجف، وقد كان نفي العلماء عن النجف يعني إبعاداً عن مركز المرجعية الشيعية فضلاً عن الإبعاد عن مسؤولية التدريس لآلاف الطلبة الذين كانوا قد تعطّلوا عن الإستمرار في

---

(٦١) لطفي جعفر فرج، المصدر السابق، ص ٩٠_٩١.

بحوثهم العلمية.

وقد كانت مدرسة الميرزا النائيني وكذلك مدرسة السيد الإصفهاني قد أخـذت أبعاداً عالية في المنهج العلمي، كان لا بد من الرجوع إليها ومواصلة المسيرة.

وكأنّهم حينما كانوا في المنفى قد خيّروا أنفسهم بين أمرين:

الأول: الإبتعاد عن مركز المرجعية مع الأضرار الكبيرة التي سوف تصيبها.

الثاني: الرجوع إلى المركز وإكمال المشوار.

على أن يبتعدوا عن السياسة في كلا الحالتين، لأنّهم إذا بقوا في إيران وأرادوا أن يوجّهوا بنداءاتهم إلى العراقيين فسوف يكون لها تأثير ضعيف، خصوصاً بعد أن وجدوا أنّ الإنكليز قد أحكموا قبضتهم على مقادير العراق من خلال المنـدوب السّامي البريطاني ومن خلال صنيعتهم الملك فيصل وبـطانته، فضلاً عن أنّ الحكومة الإيرانية سوف تمنعهم من سرّيّة العمل السّياسي في أراضيها، وذلك لخضوع السّياستين العراقية والإيرانية في تلك الأيام للسّياسة البريطانية، ولربّما أدرك العلماء أنّ الإنكليز كانوا يطمحون من وراء تسفيـرهم، إبعـادهم عن السّـاحـة السّياسية والعلميّة كذلـك، فليسلمـوا إذن على إحدى السّاحتين قبل أن يخسروهما معاً، ولذلك فقد فضّلوا الأمر الثاني. وعادوا في ٢٢ نيسان عام ١٩٢٤م إلى العراق بعد أن أعـطوا تعهّـداً مكتـوبـاً إلى الملك فيصـل بعـدم الإشتغـال في الأمـور

السّياسية[٦٢]. وقد إستثنى من قرار عودة المجتهدين الصّادر في شباط ١٩٢٤م بالإتفاق مع المندوب السّامي، الشيخ مهدي الخالصي[٦٣].

أما ما يتعلّق بإنتخابات المجلس التأسيسي فإنّ حكومة عبدالمحسن السعدون بعد أن أبعدت العلماء إلى إيران ظنّت أنّ الجو قد بات مهيّئاً لإجراء الإنتخابات، فقرر مجلس الوزراء حل الهيئات التفتيشية السابقة وألّفت هيئات جديدة. وشرّعت في إنتخابات الجولة الأولى للمنتخبين الثانويين بإستعمال أساليب الشدّة والبطش[٦٤]

وقد واجهت هذه الجولة مقاطعة ومعارضة، لا سيّما في المدن والمناطق الشيعية التي رفض سكّانها تشكيل اللجان الإنتخابية، وتم التذكير بفتاوي العلماء من خلال البيانات السياسية التي شملت مدن النجف وكربلاء والكاظمية والحلّة والعمارة ومناطق العشائر في المنتفك. أما في المدن التي أرغم سكانها على الإنتخاب فقد عبّر كثير من الناخبين عن معارضتهم.

تم إنجاز المرحلة الأولى في تشرين الأول ١٩٢٣م، وحاولت وزارة السعدون إنجاز المرحلة الثانية[٦٥]، لكنّها واجهت معارضة شديدة، فقبل أن

---

(٦٢) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ١٣٤.

(٦٣) المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٦٤) عبدالرزاق الدراجي، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٦٥) كانت إنتخابات المجلس التأسيسي ومن ثم إنتخابات المجالس النيابية في العراق الى مدة طويلة تجري على مرحلتين، وذلك أن الناخبين في المرحلة الأولى ينتخبون بعض الأشخاص ليقوم هؤلاء في المرحلة الثانية بإنتخاب أعضاء المجالس البرلمانية.

ولا شك أن لهذه الطريقة مساوىء كثيرة لأنّ التأثير على سير الإنتخابات سوف يكون كبيراً وبالتالي فإنّ الحكومة سوف يتحقق لها ما تريد.

تبدأ عملية الإنتخابات تجددت الدعوة لمقاطعتها، وأعيد إستنساخ فتاوي العلماء وإلصاقها على الجدران في الكاظمية، مذكّرة الناس بحرمة الإنتخاب وأنّ الشيخ الخالصي كان قد أبعد نفسه عن كل ما يمت بصلة إلى الإنتخابات[٦٦].

فشلت وزارة االسعدون في إنجاح المرحلة الإنتخابية الثانية. فقدّمت إستقالتها في ١٥تشرين الثاني ١٩٢٣م. وخلّفتها في الحكم وزارة جعفر العسكري.

كانت إستقالة السعدون نتيجة رغبة الملك فيصل في تحسين علاقاته مع الشيعة، فقد كتب إلى علماء الدين المبعدين يعدهم بإزالة ما تركته إجراءات السعدون في نفوسهم. وأرسل العلماء من جانبهم كتباً خاصة إلى وكلائهم في العراق يخبرونهم فيها بأنّ الملك فيصل وعدهم بحل وزارة عبدالمحسن السعدون وتأليف وزارة شيعية برئاسة وزير شيعي تسعى إلى عودة المنفيين ونبذ المعاهدة. وقد أرفق العلماء مع كتبهم هذه فتوى تلغي تحريم المشاركة في الإنتخابات على أساس أنّ الملك سينجز وعده لهم، وطلبوا أن يطّلع الملك على هذه الفتوى دون أن تنشر على الناس إلى أن يقوم الملك بتنفيذ وعده[٦٧].

لم ينجز الملك فيصل كل وعوده، فقد كلّف جعفر العسكري بتأليف الوزارة ولم يكلّف وزيراً شيعياً. لكنّه سعى إلى إعادة العلماء كما ذكرنا سابقاً،

---

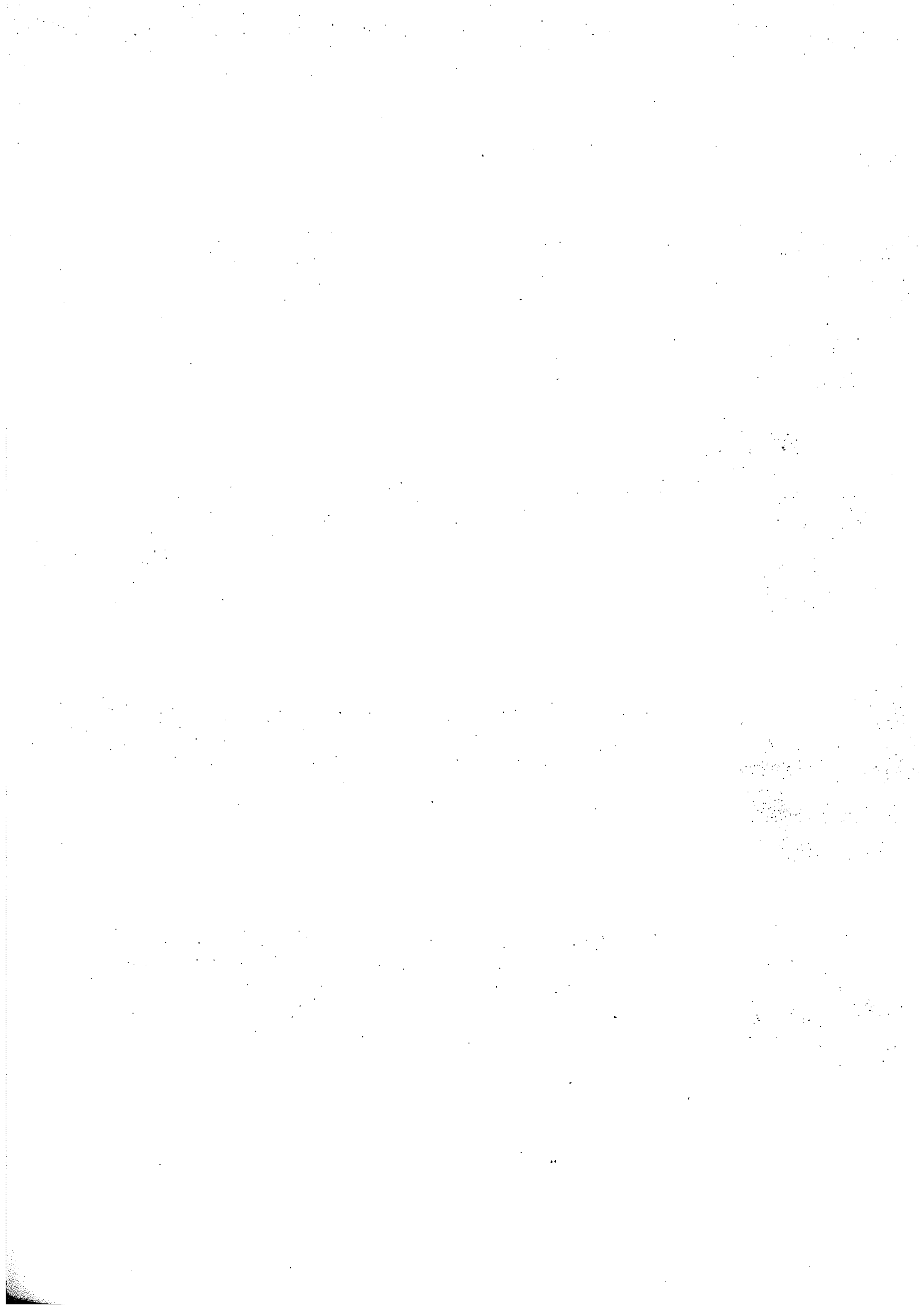
(٦٦) عبدالحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(٦٧) لطفي جعفر فرج، المصدر السابق، ص ١٤٥ـ١٤٦.

كما أنّه ضغط على السعدون ليحمله على تقديم إستقالته.

الفصل الثامن

التحرّك الإسلامي منذ منتصف العشرينات إلى حركة رشيد عالي الكيلاني



بعد نفي مراجع الدين والعلماء إلى إيران، وعودتهم عام ١٩٢٤م إلى العراق، وإعطائهم تعهّداً بعدم تدخلهم في الشؤون السياسية، إستطاعت الحكومة ومن ورائها السياسة الإنكليزية أن تحقق بذلك عدّة مكاسب:

١ـ التخلّص من دور العلماء الذين كانوا يثيرون المشاكل والمتاعب أمام مشاريعها الخائنة.

٢ـ إلقاء الرعب في نفوس الأمة ليشعروهم بأنّ الدولة قويّة تستطيع أن تسفّر العلماء وتفرض إرادتها كما تشاء.

٣ـ والغرض الأهم هي أنّها إستطاعت أن تنشىء مجلساً برلمانياً مزيّفاً لا يمثّل إرادة الأمة أبداً حتى قال الرصافي يصف هذا المجلس والأوضاع الأخرى الجارية في البلاد:

علم ودستـور ومجلس أمّـة كلٌّ عن المعنى الصّحيح مزيّف؟؟

أمّا الأمة فقد كانت قد تعبت في مواجهتها للانكليز منذ عام ١٩١٤م إلى عام ١٩٢٠م، فقد كانت خسائرها كثيرة في المال والرجال وإحترقت المزارع.

وقد إستطاع الإنكليز في أعقاب تلك الفترة وحكوماتهم العميلة المتعاقبة على دست الحكم في العراق من التأثير على كثير من رؤساء العشائر، فمال كثير من أولئك إلى صفوف الدولة وإلى أطماع الإنكليز وأشغلوهم وخدعوهم بمناصب زائفة في المجالس النيابية والوزارات وتحقيق الرغبات الوضيعة، ونشأت من كل ذلك حالة من الركود والخضوع والإنسجام مع الوضع الراهن والتعايش معه.

ولكن الأخطر والأنكى من كل ذلك، حالة جديدة كانت لا بدّ أن تنشأ ـ طبيعياً ـ على أعقاب الحالة السابقة.

فقد بدأ الإنكليز وأعوانهم يثيرون حفيظة العشائر بل حفيظة كل الأمة ضد العلماء، كانوا يقولون لهم إنّ العلماء متأخّرون، رجعيّون، لا يستطيعون مواكبة الحياة الجديدة والتي شعّت على العالم بعد الحرب العالمية وزوال الدولة العثمانية.

حقاً أنّ تخطيط الدول المستعمرة والإنكليز، كان تخطيطاً دقيقاً جداً في ضرب الدين ورجال الدين وإبعاد الناس عنهم وعن الإسلام الذي يخشونه كثيراً.

فالإنكليز عن طريق عملائهم سفّروا العلماء إلى خارج العراق وقضوا مآربهم في تأسيس المجلس النيابي، وعقد الإتفاقية المشينة.

ثم بعد مارجع العلماء، أخذوا يشنّون حرباً إعلامية ظالمة ضدّهم بأنّهم متخلّفون، متأخّرون.

وكان طبيعياً أيضاً أن ينشط الإتجاه اللاإسلامي المتمثّل بالموجة الإلحادية والتبشيرية في الأوساط الإجتماعية، نتيجة غياب الدور الإسلامي

الواعي.

وقد شجّع هذا الغزو الفكري، حالة الجمود التي سيطرت على الوسط الإسلامي من حيث أوضاعه الخاصة، حيث أصبحت الأجواء التقليدية هي التي تحكم الحياة الإسلامية.

وكادت أن تنتهي هذه المرحلة التاريخية بهزيمة إسلامية لو لا تصدّي مجموعة من علماء الدين للهجمة الثقافية المنحرفة، ومقاومتها في عدّة ميادين فكرية وإجتماعية وسياسية. وسنتحدّث في هذا الفصل عن عدد من كبار العلماء الذين مارسوا دورهم الإسلامي الكبير في الدفاع عن الإسلام، ومواجهة الهجمات الكافرة والصليبية، وإن كان علماء آخرون لهم نصيب ودور بارز في مقارعة الإنحراف، أما الذين سوف نتحدّث عنهم فهم:

الشيخ حبيب العاملي.

الشيخ محمد جواد البلاغي.

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

الشيخ محمد رضا المظفّر.

السيد محسن الأمين.

الشيخ حبيب العاملي:

كان الإستعمار البريطاني للعراق لا يحمل الصفة العسكرية والسياسية فحسب، بل كان أيضاً يحمل صفة الغزو الفكري الصليبي في محاولة لعزل الأمة عن إسلامها، وسحب هويّتها الإسلامية، وذلك مخطط إستعماري كبير تعرّضت له البلدان الإسلامية بأسرها. فإبتعدت عن

أصالتها الإسلامية، وأصبحت تفكّر بطريقة غربية، لا تمت إلى واقعها الإسلامي بصلة.

لم تقتصر الحملات التبشيرية ومدارس الغزو الفكري على المدن الكبيرة والحواضر، بإعتبارها أكثر ثقافة من غيرها، بل شملت المدن والمناطق العشائرية في مختلف مناطق العراق. فمثلاً تعرّضت مدينة العمارة في جنوب العراق إلى هذه الموجة الصليبية، مما أثار مخاوف المرجعية وعلماء الدين، من هذا المخطط الإستعماري، ولأجل التصدّي لهذه السياسة، ذهب الشيخ حبيب العاملي إلى مدينة العمارة عام ١٩٢٨م، لمواجهة الحملة التبشيرية هناك[1].

حينما قدم الشيخ إلى العمارة وجد أنّ الإنكليز يمتلكون كل الإمكانات في تحقيق مآربهم، فهم يمتلكون الأموال ويمتلكون الغلبة العسكرية كما يمتلكون الوسائل التي بواسطتها يبثّون أفكارهم الضالّة، من مكتبة عامة هي الوحيدة في تلك المنطقة، ومن مستشفى مجّاني ومساعدات تقدّم للمحتاجين.

فكّر في الأمر كثيراً، ووجد أنّ المال أنّما هو أساس العمل وهو لا يمتلكه، ولكنّ اللّه هيّأ له ذلك. حيث صادف في بدايات إقامته في العمارة، أن طلب منه أحد الوجهاء الأكراد أن يكتب وصيّته والتي تضمّنت شؤونه المالية وكيفية التصرّف بها بعد وفاته. فأعلمه الشيخ العاملي أنّ المبادرة بإستثمار أمواله في حياته أفضل له مما لو كانت بعد وفاته، فإتّعظ الوجيه

---

(١) حديث مع الشيخ سليمان العاملي، نجل الشيخ حبيب العاملي، بتاريخ ١٨ ذي الحجّة ١٤٠٩هـ = ٨٩/٧/٢١ في مدينة بعلبك بلبنان.

الكردي، ودفع له المال وقدره ٥٠ليرة ذهبية، وهو مبلغ كبير في تلك الفترة.

أوّل خطوة أقدم عليها الشيخ العاملي، إنشاء مكتبة عامة مقابل المكتبة التبشيرية. وبذلك إستطاع أن يجتذب الشباب إلى هذه المكتبة الإسلامية، ويحول دون ذهابهم إلى المكتبة البريطانية.. وقد أخذ عدد روّاد المكتبة الأخيرة يتناقص بإستمرار ثم إنقطعوا عنها فلم يعد يدخلها أحد من الشباب المسلمين، حتى أنّ مديرها وهو مسلم إرتدّ نتيجة الحملة التبشيرية ترك المكتبة بعد أن خلت من الروّاد، وهجرها الشباب إلى المكتبة الإسلامية. وكان قد تعرّض لحالة تأديبية في الشارع جعلته يستغيث بالشيخ العاملي ويستغفر عن ذنوبه. أما الشيخ العاملي فقد واجه في مكتبته نجاحاً باهراً. وقدّم للجيل الإسلامي بديلاً يلبّي حاجاته إلى الحصول على مصادر الثقافة والمعرفة.

وأقدم الشيخ العاملي على خطوة ثقافية مهمة، حين أصدر عام ١٩٢٩م مجلة ثقافية إسلامية تحت إسم (الهدى) لتساهم في تربية الجيل الإسلامي وتعميق أفكاره في مواجهة الأفكار الضالّة.

وكان في مدينة العمارة مستشفى ملكي عراقي يديره شاكر السويدي الذي كان معروفاً بفضاضته وخشوتنه وسوء تعامله مع المرضى مما كان يدعوهم لمراجعة المستشفى البريطاني التابع للحملة التبشيرية. وصادف في تلك الأيام أن كان في العمارة طبيب لبناني مسيحي يتردد على الشيخ العاملي ويطلب ودّه، فطلب منه الشيخ أن يعالج المرضى على نفقته الخاصة، فأبدى هذا الطبيب إستعداده.. وعند ذاك أصدر الشيخ العاملي فتوى حرّم فيها مراجعة المستشفى التبشيري، وقطع بذلك طريق التأثير الثاني للحملة

التبشيرية، حيث كان أحد رجال التبشير الصليبي يلقي أفكاره على المرضى داخل المستشفى.

ومع ذلك فإنّ الشيخ العاملي لم يكن يمتلك من الإمكانات ما تمكّنه من إنجاز مشاريعه بصورة تامة ويقطع عليها السبيل بحيث يستطيع أن يوقف الحملات الصليبية. فالإدارة المحلية في العمارة كمدير الشرطة ومتصرّف اللواء ومدير المستشفى الملكي، كانوا ضد توجّهاته الإسلامية، وهذا ما كان يعيق أيّة محاولة تغييرية على طريق الإسلام، ويقف أمام كل مشروع إصلاحي في الوسط الإجتماعي.

ذات مرة سافر الشيخ العاملي إلى النجف الأشرف بناءً على طلب المرجع الديني السيد أبو الحسن الإصفهاني لمناقشة بعض الأمور، وفي طريقه نزل في بيت الشيخ عبدالحسين آل ياسين في الكاظمية، فجاء في صباح اليوم التالي باقر سركشك (سميّ فيما بعد بالسيد باقر البلاط) يدعوه لحضور مأدبة غداء في البلاط الملكي على شرف الملك فيصل الأول، ووافق الشيخ بعد أن إستشار مضيفه آل ياسين.

خلال المأدبة سأله الملك فيصل عن بعض الأمور الدينية، فأجابه الشيخ العاملي على شكل محاضرة إسلامية نالت إعجابه وإعجاب الحاضرين. مما دفع الملك فيصل إلى أن يعرض عليه إستعداده لأن ينجز له ما يريد. فقال له الشيخ العاملي: أريد منك ثلاثة أمور: إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وإحقاق الحق في الدولة.

لم يفهم الملك فيصل ما قصده الشيخ العاملي. وصادف في اليوم الثاني أن زار السيد محمد الصدر الملك فيصلاً فإستوضح منه الأخير عمّا كان

يقصده الشيخ العاملي في حديثه معه. فأخبره بأنّه يشكو من ثلاثة أمور في مدينة العمارة: رئيس الأطباء، ومدير الشرطة والمتصرّف. وفعلاً نفّذ الملك ما أراد الشيخ العاملي، فأصدر أوامره السريعة، بتغيير هؤلاء الثلاثة، وعندما رجع الشيخ العاملي إلى العمارة، إستقبله الناس بحرارة وحفاوة بالغة وهم يهتفون: (يهلال الشيعة شهلغيبة)، أي ما أطول غيبتك يا أيّها الشيخ، حيث شبّهوه بالهلال.

وكان هذا إنجازاً كبيراً حققه الشيخ العاملي، حيث أخذ الناس يراجعون المستشفى الملكي الحكومي. أما مستشفى الحملة التبشرية فقد أغلق بعد أن إمتنع الناس عن الذهاب إليه بتأثير فتوى الشيخ وبعد أن وفّر لهم البديل المناسب.

أصدرت الحملة التبشيرية كتاباً بعنوان: من يشفع لنا؟. والجواب هو المسيح. فكتب الشيخ العاملي كتاباً في الردّ على شكل قصّة ممتعة بعنوان: محمّد الشفيع. وكان الرد بمثابة ضربة نهائية للحملة حيث توقّفت عن النشر، وعطّلت نشاطها، بعد أن واجه الشيخ العاملي مشاريعها بإسلوب إسلامي واعٍ.

كان نجاح الشيخ العاملي ضربة مؤلمة للسياسة الإستعمارية الصليبية، حيث إستطاع أن يعيد مجتمعاً كبيراً إلى أصالته الإسلامية، ويحافظ على عقيدته، ويحبط محاولات الإنكليز في غزو هذه المنطقة العشائرية.

وحين أنهى الشيخ العاملي مهمّته، ترك منطقة العمارة عام ١٩٣١م، ورحل إلى سوريا ليواصل عمله الرسالي هناك الذي لا يقل في عطائه

ونشاطه عـمّا قدّمه في العراق، حتى توفي رحمه اللّه عام ١٩٦٥م بعد أن عاش ٨٦عاماً. وترك العديد من المؤلّفات، مثل:

١ـ محمّد الشفيع.

٢ـ منهج الحق.

٣ـ الصراط المستقيم.

٤ـ أسس الكلام في تاريخ الإسلام.

٥ـ الحقائق في الجواب على الفوارق.

٦ـ ذكرى الحسين.

وكتب كثيرة أخرى في الشؤون الإسلامية المختلفة.

الشيخ محمد جواد البلاغي:

يحتل الشيخ البلاغي موقعاً كبيراً في تاريخ الفكر الإسلامي، فهو رحمـه اللّه عاصـر الهجمة الثقافية الإستعمارية على بلاد المسلمين، والتي شملت العراق من خلال الأفكار الإلحادية والتبشيرية. وقد تصدّى الشيخ إلى الوقوف بوجه هذه الغزو الثقافي، فكتب مؤلّفاته الخالدة التي يردّ فيها على الفكر المستورد، ويفنّد أسسه بإسلوب شيّق لم يكن مألوفاً في الأجواء الإسـلامية. وذلك عن طريق عرض الفكرة وما يحيط بها، بشكل حوار إحتجاجي بين إثنين. يكون أحدهما مؤمناً والآخر ملحداً أو رجل تبشير نصرانياً أو يهودياً.

ففي الـرد على الحملة التبشـيرية، وإثبات أحقّية الإسلام وختم الرسالات السماوية بمحمّد (ص)، كتب الشيخ البلاغي عدّة كتب قيّمة

منها:

الهدى إلى دين المصطفى، والتوحيد والتثليث، وأعاجيب الأكاذيب.

كما كتب يرد على الأفكار الإلحادية، كتاب: أنوار الهدى، والبلاغ المبين، ورسالة في ردّ شبهات الملحدين.

ولم يكتف الشيخ بذلك، بل وقف يتصدّى للأفكار المنحرفة كالوهّابية والبابية والبهائية التي إنحرفت عن الإسلام ودخل بعضها إلى دائرة الكفر. وفي هذا المجال كتب الشيخ رحمه اللّه، كتبه القيّمة: نصائح الهدى والدين إلى من كان مسلمًا وصار بابياً، رسالة في إبطال فتاوى بعض العلماء الوهّابيين، المصابيح في بعض من أبدع في الدين في القرن الثالث عشر.

إضافة إلى عدد كبير من الكتب في المجالات الفقهيّة والفلسفيّة وفي العقائد وفي تفسير القرآن الكريم. وقد واصل رحمه اللّه مسيرته في الكتابة والتأليف حتى وفاته في عام ١٣٥٢هـ[٢].

وعندما كتب كتابه (آلاء الرحمن في تفسير القرآن) أرسله إلى صديقه السيد محسن الأمين الذي كان في ديار الشام، كتب إليه يطلب رأيه فيه، وقد جاء في رسالته إليه بتاريخ ٩/شعبان/١٣٥٢هـ أي قبل وفاته رحمه اللّه بثلاثة عشر يوماً (.... أقدمت على كتابته راجياً من اللّه أن ينبّه الأمة من غفلاتها فيكتبوا خيراً منه، ألا ترى إنّ أهل العلم قد أهملوا ما يعنيهم ويلزمهم في هذا العصر التعيس....)[٣].

---

(٢) مجلة دراسات وبحوث، العدد السابع، السنة الثانية.

(٣) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، المجلد الرابع، ص ٢٦١.

وكتاب آلاء الرحمن يختلف عن كثير من تفاسير القرآن المعروفة. فالشيخ رحمه اللّه يتكلّم عن إعجاز القرآن وقراءاته وطريقة تفسيره وما إلى ذلك.

وهو بالإضافة إلى ذلك أديب وشاعر، يختلف عن كثير من العلماء المتأخّرين الذين يرون في الشعر منقصة للعالم.

ولعلّه ينفرد عن علماء السلف أنّه هو الوحيد الذي إستطاع أن يتعلّم اللغة العبرية، وهي لغة يحرص أهلها أن لا يتعلّمها غيرهم ـ ومما يذكر بهذا الصدد، أنّه تعرّف على يهودي في مدينة سامراء وإستطاع أن يقنعه بأن يعلّمه اللغة العربية مقابل تعليمه إيّاه اللغة العبرية، وكان كما أراد. فتعلّمها بل وأجادها قراءة وكتابة ونطقاً.

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء(*):

يعتبر الشيخ كاشف الغطاء. إستثناء من بين مراجع الدين المعاصرين له، فقد مارس رحمه اللّه دوراً كبيراً في الساحة السياسية، في الوقت الذي إنحسر فيه التحرّك الإسلامي، إثر نفي مراجع الدين إلى إيران. ومن ثم عودتهم إلى العراق، وإنصرافهم إلى الشؤون العلمية بالدرجة الأساسية. أما الشيخ فإنّه ظلّ يواكب حركة الأحداث في الساحة، ويساهم في صناعة المواقف ويتصدّى للسياسة الإستعمارية. حتى يمكن القول أنّه لم يترك حدثاً إلّا وأعطى موقفه الإسلامي الرافض أو المؤيّد.

(*) المعلومات المتعلقة بالشيخ كاشف الغطاء مستلّة من كتابنا المخطوط حول المرجعية.

وخـلافاً لبقيّة المراجع، كان الشيخ كاشف الغطاء، كثير التحرّك والسفـر، فقـد كان يزور البلدان الإسـلامية، فيحضـر المؤتمرات الدولية الإسلامية، حيث يطرح وجهة نظر الإسلام في المسائل السياسية المهمّة، مثـل قضية فلسـطين، والوحدة الإسلامية وغيرها من مشاكل المسلمين. كاشفـاً أساليب الإستعمار وسياسته، ومنبّهاً المسلمين إلى خطورة واقعهم الذي ترسمه دوائر الإستكبار.

وتصدّى الشيخ لتلك الأساليب فواجهها مواجهة جريئة شجاعة، حيث وقف في مناسبات كثيرة يحاول توحيد صفوف الأمة الإسلامية التي فرّقتهـا الفتنـة الـطائفية، ووقف يكشف خطر الشيوعية والإستعـمار والصهيونية على بلاد المسلمين، ووقف ثالثة يفضح الهيئات الدولية المتمثّلة بالأحلاف العسكرية والصيغ السياسية التي تحاول ربط البلدان الإسلامية بالسياسة الإستعمارية، وفي كل موقف كان رحمه اللّه لا يعوزه البيان ولا تنقصه الجرأة، وقد إنتزع إعجاب الجميع في صلابته وقوّة طرحه ووضوح رؤيته.

في كانون الأول ١٩٣١م (رجب ١٣٥٠هـ) عقد مؤتمر إسلامي كبير في القدس الشريف بمناسبة ليلة الإسراء والمعراج، لبحث شؤون المسلمين عامـة ومسلمي فلسـطين خاصة. وقد وجّهت الدعوة إلى الشيخ كاشف الغـطاء، فحضـر المؤتمـر الذي ضمّ الكثير من علماء المذاهب الإسلامية والمفكّرين والشخصيات الإسلامية البارزة.

في اليوم الأول من المؤتمر وبعد صلاة المغرب، دعي الشيخ لإلقاء خطبته، فألقى خطبة رائعة أثارت إعجاب الحاضرين، فقرر علماء المذاهب

جميعاً أن يأتموا به صلاة العشاء، ثم طلبوا منه أن يكون هو الإمام طيلة مدّة بقائه في القدس[٤].

وسنأتي على ذكر مواقفه خارج العراق وفي المؤتمرات الإسلامية وحول القضايا الإسلامية في فصل قادم من الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

أما مواقفه في العراق. فقد تميّزت بالمواكبة الدقيقة لحركة الساحة السياسية. وكان له الحضور المهم والمتميّز من بين بقيّة علماء الدين، وقد شكّل إهتمامه بالأحداث عنصراً مهمًا في مجريات الكثير من الأحداث السياسية العراقية. حيث لجأت إليه العشائر العراقية ورجال السياسة، وحتى الحكومة في بعض الفترات تطلب منه أن يقول كلمته ليهدّئ العشائر الثائرة أو ليساهم في إستقرار الأوضاع المضطربة.

وقد برز هذا الدور المهم للشيخ كاشف الغطاء، خلال السنوات السبع التي سبقت الحرب العالمية الثانية، حيث عاش العراق فترة ساخنة من العمل السياسي، وشهدت الحياة السياسية إضطراباً كبيراً في أوضاعها العامة.

فحينما تشكّلت الوزارة من قبل (علي جودت الأيوبي) بتاريخ ١٩٣٤/٨/٢٧م، كان من باكورة أعمالها حل المجلس النيابي، وعملية حل المجلس كان يلجأ إليها رؤساء الوزارات دائمًا لضمان النوّاب الذين سوف يؤيّدون خطوات الوزارة، أو على الأقل لا يثيرون في وجهها الغبار.

وجرى الإنتخاب من جديد في ١٩٣٤/١٢/٦م، وكانت الإنتخابات

---

(٤) محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، الجزء الثاني، ص ٢٧٣.

تجري على مرحلتين:

المرحلة الأولى: المنتخبون الثانويون.

المرحلة الثانية: المنتخبون الأوّلون الذين سوف يتشكّل المجلس منهم. وتدخّلت الدولة بالإنتخابات بصورة سافرة مزرية، فألقت في الصناديق أسماء النوّاب الذين رشّحتهم. ففاز بعض رؤساء القبائل الذين يوالون الدولة، في حين لم يفز الآخرون. ولّما لم يجد أولئك أنفسهم ممثلين في الإنتخابات التي أجرتها الوزارة صاروا يوحّدون صفوفهم وينضمّون إلى رجال المعارضة في بغداد، وعقدوا عدّة إجتماعات ومؤتمرات.

وفي أوّل أيّام عيد الفطر في ١٩٣٥/١/٩م، إجتمعت المعارضة في النجف وعقدوا مؤتمراً في دار الشيخ عبدالواحد الحاج سكر، ورفعوا كتاباً إلى سماحة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه اللّه، يبيّنون فيه الأساليب التي دعتهم إلى عقد تلك المؤتمرات، وبيان مطاليبهم من الحكومة.

وكتبوا في آخره: نرجو أن تتفضّلوا علينا بقبولكم عقد إجتماع عندكم في النجف الأشرف برئاسة سماحتكم للمداولة في الشؤون التي أصبحنا نتذمّر منها ونتحسّس بآلامها من الوجوه الدينية والأخلاقية والإجتماعية والإقتصادية والإدارية، لعلّنا نتمكّن من الإتفاق على رأي مفيد لصالح البلاد ونرفع فيه بواسطتكم بياناً مفصّلاً لجلالة ملك العراق نرجو فيه الفائدة للجميع والنفع لخير الأمة والوطن المحبوب.

التواقيع

٧شوال/١٣٥٣هـ

فإستدعى «الشيخ كاشف الغطاء» الرؤساء الموقّعين على هذا الكتاب،

كما إستدعى غيرهم إلى مؤتمر عقده في داره بالنجف في يوم ٩شوال ١٣٥٣هـ. وحضره نحو من «٢٠٠» رئيس، فجرى حديث الإصلاح وما يترتّب على القائلين به من وجوب شدّ بعضهم أزر بعض، وضرورة تساندهم لتحقيق ذلك، وقد تقرر في هذا المؤتمر وجوب تقديم عرائض من قبل هؤلاء بالقضايا التي يشكو الشعب منها، على أن ترفع إلى الملك وإلى رئيس مجلس الأعيان والنوّاب. وبالفعل فقد رفع أولئك عريضة إلى الملك(٥).

وكان حكمت سليمان من المعارضين لعلي جودت الأيوبي، وكان يطمح هو في تأليف الوزارة، ولذلك فقد كان يؤلّب المعارضة في فضح الحكومة، ومناشدة الملك في الإصلاح.

وتطوّر الخلاف بين المناصرين للحكومة والمعارضين، وكاد يؤدّي إلى نشوب قتال فيما بينهم.

وإستفتي الشيخ كاشف الغطاء في جواز إقتتال القبائل فيما بينهم. فكان للجواب الذي أعطاه تأثير عظيم، وهذا هو نصّ السؤال والجواب:

ما يقول مولانا حجّة الإسلام والمسلمين آية اللّه شيخنا الأعظم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء دامت بركاته: هل يجوز محاربة العشائر بعضها مع بعض والقتال فيما بينهم وهل ترضون بذلك وما حكم المحارب بحسب الشريعة الإسلامية؟ أفتونا مأجورين.

«سائل»

ولعلّ الحكومة هي التي دبّرت هذا الإستفتاء، بل لعلّها كانت تتصوّر

---

(٥) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الرابع، ص ٤٩.

أنّ الشيخ كاشف الغطاء نفسه هو الذي حرّك العشائر.

فكان الجواب:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، وله الحمد والمجد، قال عزّ شأنه: ياأيّها الذين آمنوا إتّقوا اللّه حقّ تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون، وإعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولا تفرّقوا.

من البداهة بمكان أنّ محاربة العشائر بعضهم لبعض، وإستعمال القتال والمضاربة فيما بينهم، هو من أفظع المآثم وأعظم الجرائم وأكبر المحرّمات. ومحاربة المؤمنين فيما بينهم محاربة اللّه ورسوله وفساد في الأرض كبير، ومعاذ اللّه أن نرضى بها، ويرضى بها مسلم. ومن نسب إلينا ذلك فقد إفترى على اللّه وإقترف إثمًا كبيراً.

ومن رضي بذلك أو سعى به، فجزاؤه جهنّم خالداً، ومن بدأ بمحاربة إخوانه أو جيرانه أو حرّش بين القبائل أو أغراهم بالمقاتلة فعليه وزر تلك الدماء المحترمة بأجمعها، وقد علم كل ذي حس أنّ خطّتنا ومخاطباتنا لا تزال مقصورة على دعوة الناطقين بكلمة التوحيد إلى توحيد الكلمة وجمع الشمل ولّم الشعث، ولا نرى سلمًا للسلامة وسبباً للسعادة إلاّ بالإتفاق والوحدة والتعاون والتضامن والإخلاص للسعي وراء الصالح العام، وهذا واجب على كل واحد من أبناء الأمة وكبار مفكّريها وقادتها وزعمائها، واجب عليهم إيقاد تلك الجذوة في كل صدر وإشعالها في كل فؤاد، عسى أن تنجع أو تنفع في هذه الأمة المتفكّكة الأجزاء المنهوكة الأعضاء عسى أن يبعث لرجالها وشبيبتنا الظمآنة إلى منهل التعاليم الوطنية، عين فوّارة تستقي من منابعها الصائبة شراباً عذباً ونجعة صالحة.

وإنّ غرضي الأسمى وهو في الأعلى، الذي قد أخذ اللّه عليّ العهد والميثاق في القيام والدعوة إليه، من غير توان ولا فترة هو تعزيز قضيّتنا المقدسة والسعي في الإصلاح لتضميد بعض الجراح الذي نزف به جسم الأمة دماً زكيّاً. الإصلاح هو أقصى ما نروم وغاية ما نحاول وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، إن أريد إلّا الإصلاح ما إستطعت وما توفيقي إلّا باللّه عليه توكّلت وإليه أنيب.

وفي الختـام أقول: أعاذكم اللّه أيّها الإخوان من تسلّط الشيطان الذي يريد أن يذيق بعضكم بأس بعض حتى تهلكوا جميعاً ويخرّب بيوتكم بأيديكم، فإحـذروا كيده ومكـره وإلّا خسـرتم الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين[٦].

النجف الأشرف ١٥ذي القعدة/١٣٥٣.

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

* * *

وإستقـالت الوزارة أخيراً في ١٩٣٥/٢/٢٣م حيث لم تستطع أن تصمد أمام المعارضة القوية.

لكن لم يأت من بعدها حكمت سليمان، وإنّما جاء جميل المدفعي.

ولكن الأوضاع لم تستقر ولم تهدأ وحاولت حكومة جميل المدفعي أن تستعمل القوة، فواجهتها العشائر بالقوة. وحدثت صدامات بين الطرفين،

---

(٦) المصدر السابق، ص ٥٢.

وعقدت عدّة إجتماعات من قبل المعارضة.

وكـان الشيخ كاشف الغـطاء رحمـه اللّه، قد ترأّس الإجتماعات السياسية التي عقـدت في النجف الأشـرف، فأبرق إلى الملك غازي في ١٩٣٥/٣/١٤م يقول فيها:

جلالة الملك المعظّم، بغداد..

كيان العراق المقدّس في الحال الحاضر مهدّد بالأخطار الهائلة، يلزم توقيف الحـركات عسى أن يحصل الحل بالإصلاح الصحيح الذي يحفظ الشعب والبلاد.

كاشف الغطاء

وأوعز الملك إلى رستم حيدر رئيس الديوان الملكي، فردّ على هذه البرقية:

حجّة الإسلام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء..

عرضت برقيتكم على صاحب الجـلالـة، فأمرني بتبليغكم تقديره لإهتـمامكم بالوضع الراهن، جلالته حريص جداً على حقن الدماء وكل سعي يبذل من قبلكم في هذا السبيل.

حيدر

وإزدادت الأحوال سوءً، إذ تحرّك الحاج عبدالواحد سكر وكذلك الشيخ شعـلان العـطية رئيس عشيرة «الأكرع» وقطعوا بعض الجسور، وإلتهبت المنـطقة، مما أضطرّ الحكومة أن تعطّل المجلس . ثم قدّم رئيس الوزراء «جميل المدفعي» إستقالته إلى الملك غازي بتاريخ ١٩٣٥/٣/١٥م.

وتشكّلت الوزارة برئاسة ياسين الهاشمي في ١٩٣٥/٣/١٧م وأول

عمـل قامت به الـوزارة الجـديدة أنّها أصـدرت منشـوراً وزّعته بواسطة الـطائرات على القبائل المضطربة، طلبت فيه أن تعود إلى مزاولة أعمالها خلال ثلاثـة أيام لتسـرع الحكومة في تطبيق الإصلاح الذي وعدت به، وتتمكّن من سحب القوات المرابطة.

ولكنّ القبـائـل كانت لا تصدّق بعهود الحكومة بشإن الإصلاح، ولذلك فقد إستمرّت بعصيانها، وبدأت الحكومة بإستعمال القوة ضدّهم.

وكان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قد أرسل أحد معارفه إلى «الشامية» و «الرميثة» لينصح الرؤساء بالإخلاد إلى السكينة، فكتب إليه أولئك الرؤساء كتابين[٧]:

الكتاب الأول:

حضرة العالم الفاضل حجّة الإسلام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء متّعنا اللّه ببقائه..

نقدّم عرض إخلاصنا والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته..

وبعد وردنا رسولكم عبدالأمير، وأبلغنا آراءكم وإرشاداتكم الثمينة وفي الحقيقة مالنا غنى نحن عن ذلك، فالآن كما أعرضنا لحضرتكم في غرّة شوّال في النجف الأشرف إن كان الأعمال تخص منافع شخصية وأغراض حزبية في سقوط وزارة وتشكيل غيرها فكلًا منّا يعرف طريقته الحزبية التي تستعملها سائر الشعوب، وإن كان الغرض من ذلك أن هناك أموراً تتطلّب الخدمة للبلاد، نرجوا إعلامنا بها، وإنّنا مستعدون للعمل بالطرق المشروعة

---

(٧) المصدر السابق، ص ٨٢.

التي تؤمّن سلامة البلاد تحت ظلّ العرش الهاشمي ومن اللّه التوفيق.

١٣ذي الحجّة١٣٥٣هـ

الكتاب الثاني:

مولانا حجّة الإسلام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء دام بقاءه..

بعد تقبيل أياديكم، نعرض لخدمتكم نحن إفتهمنا في تشكيل هل وزارة وهذه الوزارة لا نثق بها لأنّها كانت سابقاً ما عندها إلّا غايات وأحزاب والذرر (الضرر) في الإسلام ولا حصل منها إصلاحاً إلا (إلى) البلاد ونبيّن إلا (إلى) حضرتكم أنّ عشائرنا وقفت علا (على) البلاد موجب الإذطراب (الإضطراب) من هذه الوزارة لأنّ هذه الوزارة لها غايات والفتن بين الناس، فعليه نرجو الجواب من حضرتكم مستعجل وعمرك باقي والسلام.

١٤ذي الحجّة١٣٥٣هـ.

وقد ردّ الشيخ كاشف الغطاء على هذين الكتابين بما يلي:

إلى الزعماء الأماجد:

وردني كتابكم وعرفنا ماذكرتم ومعلوم لديكم أنّني بمركزي الروحاني ومقامي الديني، لا يجوز لي أن أتدخّل في أي وزارة أو حزب أو في أي شإن من شؤون السياسة، وإنّما دخلت لأجل الصالح العام وتخفيف الحيف عن هذه الأمة البائسة، ولا نرى ذلك يتم إلّا بإتفاقكم وتفاهمكم، أيّها الفراتيّون جميعاً، فلو إتّفقتم وفّقتم وحصل لكم كل شيء، وحينئذ فكل وزارة ترضخ لكم وتذعن لأوامركم وتعطيكم كل ما تأملون، وإن بقيتم على هذا من الإختلاف فكل وزارة تأتي فهي عابثة بكم وخادعة لكم ومحتقرة لشأنكم،

هذا هو جوهر الحقيقة وماعداه فضول، ويجب عليكم الهدوء والسكون ويحرم عليكم المضاربة بينكم بل وبين غيركم والسلام.

عن النجف الأشرف في ١٥ذي الحجّة١٣٥٣هـ

محمد الحسين كاشف الغطاء

ولقد أثّرت هذه الرسائل كثيراً في وضع العشائر التي خلدت إلى الهدوء.

وصدر بعد ذلك بيان من الحكومة بتاريخ ١٩٣٥/٣/٢٤م: «عاد المضطربون من التدابير الوقتية السابقة المتخذة في لواء الديوانية إلى أعمالهم الإعتيادية وتّمت المواصلات البريدية والبرقية مع الأطراف وإستتب الهدوء والسكينة».

وأرسلت الحكومة وفداً للتفاوض مع رؤساء العشائر، ولكن يظهر أنّ الرؤساء لم يجدوا في رسل الحكومة أهلية للوساطة وأنّهم كاذبون في وعودهم. يضاف إلى ذلك أنّ الشرطة كانت قد قبضت في مساء اليوم الثاني من صفر سنة ١٣٥٤هـ المصادف لليوم السادس من مايس من سنة ١٩٣٥م على الروحاني الشيخ أحمد أسد اللّه بدعوى أنّه كان يحرّض قبائل الرميثة على عدم إحترام السلطة، وإعتقدت القبائل أنّ هذا الإعتقال جرى بتحريض من رسل الحكومة وأعوانها، فما كان منها إلّا أن هاجمت سراي الحكومة في ٧/مايس /١٩٣٥م وحاصرت الحامية وكتبوا رسالة إلى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، هذا نصّها:

لحضرة مولانا حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء دام ظلّه..

بعد إعراض إخلاصنا لديكم..

مولانا نخبركم لا أخبرتم بمكروه، فبخصوص المدّة الماضية نحن دعوتنا سلمية وفي مخابراتكم ولم تزل تأمرونا بالهدوء والسكون، وفي يوم ٢ صفر الساعة ١١ نهـاراً أخذ الشيخ الفاضل أحمد أسد اللّه خديعة على حين غفلة من الناس جميعاً، وشاع خبر عند العشائر الساعة واحدة ليلًا فهاجمت عموم عشائر الرميثة وهجموا على ناحية الرميثة وأخذوا المحطّة وقطعوا القطار وحـاصـروا لصراي الرميثة وأيضاً أتت طيّارة وضربت رشّاش فضربوها وقتلوا أهلها فيها فوقعت وأهلها ميّتين موت. والآن نحن مستعدّين للحرب وفي تمام الإتحاد. وإن شاء اللّه هذا أوّل نصر ببركات دعائكم ونرجوا من لطفكم تشـرّفونا بجواب، وعموم عشائر بني إحجيم وظوالم وبين أزيرج وجميع العشـائـر مستعـدّين وممتثلين إلا (إلى) أمـركم ونسأل اللّه النصر بوجودكم ومتّعنا اللّه ببقائكم آمّين، وإننا ما تحرّكنا حتى إعتدوا علينا وسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

٧صفر/١٣٥٤هـ

تواقيع الرؤساء

ولكن التمـرّد توسّع وأصبح ثورة عارمة شملت منطقة واسعة من الـرميثة والناصرية وسوق الشيوخ وغيرها وحصلت مجابهات شديدة بين الحكومة والعشائر الذين سيطروا على مناطق واسعة.

وقـد أبـرق الشيخ محمـد حسـين كاشف الغـطاء إلى معتمده في الناصرية البرقية التالية:

العلّامة الشيخ عبدالحسين مطر:

ناصرية

مشغولون بالإصلاح، يلزم السعي لمنع المضاربة سيأتيكم تعريفنا.

حفظ الأمن واجب.

كاشف الغطاء

وأبرق الشيخ كذلك إلى ياسين الهاشمي رئيس الوزراء هذه البرقية:

فخامة رئيس الوزارة:

بغداد

وردتنا برقيات من بعض وجهاء الناصرية يستمدّون فيها إرشاد الرؤساء للخلود إلى السكينة، أبرقنا وحررنا بطلب الهدوء. الأمل مساعدتكم على توطيد الأمن، والمسارعة إلى إجراء المفاوضة حسبما أذاعه وزير الدفاع في بيانه لرؤساء عشائر المنتفك، وعليهم أن ينتظروا نتيجة ما نترقبه من وقوع ما يعدون به من المفاوضة.

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

ومع أنّ اسلاك البرق والتلفون في المناطق الثائرة كانت معطّلة، فقد نقلت هذه البرقيات على الأسلاك الخاصة بالجيش، ورأت الحكومة أنّ كتاباً يصدر من الشيخ كاشف الغطاء إلى معتمده في الناصرية قد يساعد على ردع رؤساء القبائل. فكلّف رئيس الوزراء، متصرّف لواء العمارة صالح جبر، أن يذهب إلى النجف الأشرف لمواجهة الشيخ وإستحصال الكتاب المطلوب. فإتّصل المتصرّف بوزير الداخلية يستأذنه القيام بهذا العمل. ولكنّ الوزير لم يقر التكليف إعتقاداً منه بأنّ فيه زجاً للشيخ في مسؤوليات هي من واجبات الحكومة من جهة، ومن جهة أخرى إنّ فيه إضعافاً لهيبة

الحكومة. ومع ذلك فإنّ الوزير ترك له إطاعة أمر رئيس الوزراء.

فسافر المتصرّف إلى النجف وإتّصل بالشيخ كاشف الغطاء وبيّن له ضرورة تدخّله لإنقاذ الموقف[8]، فوافق الشيخ على هذا الطلب وسلّم إلى يد المتصرّف هذا الكتاب:

العلّامة الشيخ عبدالحسين مطر أدام اللّه تأييده..

بعد السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته..

كنّا أبرقنا إليكم، وأوجزنا في برقيتنا خطّتنا ومشغوليتنا بالإصلاح، وها نحن نؤيّد ذلك، ونرغب أن تقوموا بالإرشاد إلى وجوب منع المضاربة والحيلولـة دون إراقة لدماء أو تخريب لخطوط وقطع المواصلات والطرق العامة. والواجب الشرعي يحتم وجوب تبليغ طلبنا ورغبتنا إلى الرؤساء، وخصوصاً إلى الشيخ منشد وعجيل وكاطع، وإعلامهم بأنّنا لا نرغب بأي حركة تعكر صفو السلام وعليهم أن ينتظروا نتيجة ما نترقبه من وقوع ما يعدون به من المفاوضة وننتظر منكم جواب كتابنا، هذا ودام لكم التوفيق والتأييد والسلام.

الأحد ١٥صفر١٣٥٤هـ

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

إرتاحت الحكومة لهذا الكتاب، فأخذت عدّة نسخ منه ووزعتها على الثائرين بواسطة الطائرات.

وكـان ياسـين الهاشمي رئيس الوزراء قد إستحسن هذا الكتاب

---

(٨) المصدر السابق، ص ١١٩.

فوجّه إلى الشيخ آل كاشف الغطاء الكتاب التالي:

بغداد في ١٩صفر١٣٥٤هـ المصادف ١٩٣٥/٥/٢٢ م «خصوصي»

حضـرة صاحب السماحة الأستاذ الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء المحترم..

بعد تقديم التحيّة الطيبة ومزيد الإحترام:

أبـدي أنني كنت قد إطلعت على إرشـادات سماحتكم الأخـيرة، المتضمّنة لزوم الإخلاد إلى السكينة وإجتناب الأعمال الوحشية، وكم كنت أتمنى أن يقدّر الرؤساء ما تنطوي عليه نواياكم الحسنة في سبيل إعلاء شأن الدين الإسلامي الأغر، وعلى أثر وصول برقيتكم إتصلت بالمتصرّف وزودته بما يلزم ولا سيّما حول العناية بعدم تدخّل مسـؤولي الحكومة بالواجبات الشرعية المترتبة على أعلام الدين وحملة الشرع المبين، ولا يسعني أن أختم كتـابي قبـل الإعـراب لسماحتكم عن تمنّياتي القلبية بإزدهار عهد المودّة والأخاء بين جميع المسلمين ولسماحتكم مزيد الإحترام.

المخلص : ياسين الهاشمي

ولكن الحركات العشائرية لم تنته، وإذا هي هدأت قليلاً فإنّها تثور في وقت آخر، ثم تحرّك الجيش بقيادة بكر صدقي، وإضطرّ ياسين الهاشمي إلى الإستقالة في ١٩٣٦/١٠/٢٩م وشكّل حكمت سليمان الوزارة الجديدة بنفس التاريخ المذكور.

* * *

بعـد هذا السرد المطوّل لتدخّل الشيخ كاشف الغطاء في الأمور

السياسية للبلاد، نود أن نبيّن عدّة نقاط:

١ـ إنّ الشيخ كاشف الغطاء، هو المجتهد الوحيد الذي تدخّل بالشؤون السياسية، ولم تكن له مرجعية معروفة في ذلك الوقت.

٢ـ كان هناك علماء كبار ومراجع عظام كالميرزا النائيني والسيد أبو الحسن الإصفهاني، كما كان آخرون في كربلاء والكاظمية وسامراء ولم يكن لهم أي دور في الأحداث الدامية التي عمّت البلاد، وكأنّهم كانوا يخشون التسفير مرّة ثانية كما فعلوا معهم سابقاً.

٣ـ يظهر أنّ الشيخ كاشف الغطاء، كان على وفاق مع العشائر في ثورتهم.

٤ـ ويظهر أنّه شخصياً وكثيراً من العشائر كانوا يطمحون أن يؤلّف الوزارة «ياسين الهاشمي» وهنا نقتبس ما ورد في كتاب «مذكّرات طه الهاشمي ١٩٤٢ـ١٩٥٥م» في الصحفة ٣٣٥:

«قال عبدالله علوان: كنت في النجف ومات المجتهد الإيراني[٩]، فكتب لي ياسين الهاشمي بخط يده يطلب أن أسعى بأن يحل محمد حسين كاشف الغطاء مكانه لأنّه عربي. ويقول عبدالله (الجذوع) إنّه ذهب إلى أطراف الفرات وإجتمع بهذا وذاك وسعى لدى رجال النجف، وأخيراً أخذ الناس يعتقدون بكاشف الغطاء بعد وفاة مجتهدهم ويقدّمون له الزكاة.

أقول (القول لطه الهاشمي صاحب المذكرات): وكان وفاء كاشف الغطاء للهاشمي أنّه حرّض القبائل في ثورة الفرات الأولى وأرسل عملاءه

---

(٩) يقصد بذلك الميرزا حسين النائيني.

إلى كل جهة، وظهر أنّه من أوّل المحرضين في حركة سوق الشيوخ.

ولكن تدخّل الحكومة في زعامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء لم تنفعه بقدر ما جلبت له الضرر، فقد جعلت زعامته دون زعامة المراجع الكبار.

٥ـ لم نجد في رسائل الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، إندفاعاً إسلامياً ـ كما ينبغي ـ وإنّما هو (العرب والوطن والشعب وجلالة الملك).

٦ـ لقد مرّت على المرجعية فرص ثمينة جداً لو كانت جهودهم قد تظافرت من أجل خدمة الإسلام وحثّ العشائر على المطالبة بتطبيق أحكام الإسلام، ولكنّهم ما إستغلّوا تلك الفرص.

٧ـ الذين تحرّكوا هم العشائر، أمّا في النجف الأشرف فالشيخ كاشف الغطاء وحده، وليس معه أحد من العلماء فضلاً عن المراجع، أي أنّه لم يكن في النجف الأشرف أو في أوساط العلماء رأي عام في الثورة ضد الحكومات، والواقع أنّ ثورات العشائر ما كانت لطلب الإصلاح وإنّما لتغيير حكومة ووزراء، أو ثأراً لكرامة ـ كما يتصوّرون ـ لأنّ الرئيس الفلاني لم يفز بالإنتخابات.

٨ـ كانت سياسة الإنكليز ـ وقد شخّصتها المس بيل ـ أن يدخل الزعماء والسياسيّون في تشكيلات الحكم من نيابة ووزارة وأعيان ليفلّوا من عزيمتهم ثم بالتالي ليدافعوا عن الحكم والسلطان.

٩ـ وإذا كان الشيخ كاشف الغطاء قد تحرّك سياسياً فذلك لأنّ رؤساء العشائر قد تحرّكوا لهوى في أنفسهم، وأقحموه معهم أو أقحمته الحكومة ليردئهم، ولربّما كان يسعى رحمه الله لمجيء ياسين الهاشمي إلى

الحكم، كما يقال عنه ذلك.

١٠ـ ومع ذلك كلّه، فقد تحرّكت الأمة، وتحرّك هو من بعدها والمفروض أن يكون العكس.

* * *

الشيخ محمد رضا المظفّر(*):

يعتبر الشيخ المظفّر (قدّس سرّه) نموذجاً متميّزاً من بين كبار علماء الدين، حيث أقدم على إصلاحات كبيرة في الدراسة الحوزوية، حتى أسّس بذلك حركة إصلاحية واضحة المعالم، رغم كون الأجواء التي عاشها، تعارض مثل هذا النهج بشدّة.

وقف الشيخ المظفّر على الحالة العامة في النجف الأشرف، ودرس بدقّة نقاط الضعف التي تعاني منها الحوزة العلمية.

فوجد أنّ الفوضى والإرتباك يلفّها من جميع جوانبها من حيث الكتب الدراسية ومن حيث الأساتذة والطلّاب، ومن حيث أيّام الدراسة التي تذهب هدراً دونما إنتظام.

كما وجد أنّ الدراسة في النجف الأشرف، رغم أنّها تهيّء الطالب للوصول إلى مستوى علمي رفيع، إلّا أنّها لا تجعل منه مبلّغاً إسلامياً وداعية إلى اللّه يمارس مهمّته التغييرية وسط المجتمع. وقد كان رحمه اللّه يرى أنّ من شروط الداعية إلى الإسلام أن يحسن فن الخطابة والكتابة. ولم تكن

(*) أغلب ماورد في هذه المعلومات مأخوذة من مخطوطنا حول المرجعية.

هاتان الأداتان بالمستوى الذي يتناسب مع مهمّة الحوزة وحجم مسؤولياتها العالمية آنذاك.

بدأ الشيخ المظفّر إسلوبه الإصلاحي، بأن أوجد جماعة من علماء الحوزة من الذين يتفهّمون حالة النجف الأشرف ويشاركونه همومه. ثم بدأت محاولته في تنظيم الدراسة الحوزوية وتنقيح الكتب الدراسية، ووجد أنّ الدراسة المنهجية هي الخطوة الأولى في هذا الطريق[١٠].

وإنطلاقاً من هذا الفهم، ومن أجل إحداث الإصلاح. تمّ تنفيذ المشروع الأول في الحركة الإصلاحية هذه بتأسيس منتدى النشر، وهي مدرسة عالية للعلوم الدينية وذلك في عام ١٣٥٣هـ (١٩٣٥م)[١١].

هدفت جمعية منتدى النشر إلى إدخال التنظيم والمنهجية في الدراسات الحوزوية الإعدادية والتي يطلق عليها إسم تسمية (السطوح).

وكانت الهيئة المؤسسة ترى ضرورة التدرّج في إحداث الإصلاح داخل الأجواء الإسلامية في النجف وفي الحوزة العلمية. وبذلك فإنّها تختلف عن غيرها من المحاولات الإصلاحية السابقة والتي حاولت إدخال الإصلاح دفعة واحدة، دون الإعتماد على الإسلوب المرحلي، مما جعلها تصطدم بالرأي العام، وتواجه صعوبة السير وسط معارضة الأجواء التقليدية. فكان أن توقفت في بدايات الطريق دون أن تحقق أهدافها.

ويبدو أنّ الهيئة المؤسسة لجمعية منتدى النشر، إستفادت من هذه

---

(١٠) الشيخ محمد مهدي الآصفي، مقدمة كتاب عقائد الإمامية للشيخ المظفّر، ص ٢٢.

(١١) مجلة النجف، العدد الرابع، صفر ١٣٨٨هـ، آيار ١٩٦٨، مقابلة مع السيد هادي فيّاض .

التجارب، فأخذت في حسابها مراعاة الرأي العام وعدم مفاجأته بما يعتبره تجدداً، في الوقت الذي كان فيه التجدد يعد مفسدة مهما كان نوعه أو درجته، وأياً كان القائلون به.

ويتحدّث السيد هادي فيّاض وهو من الهيئة المؤسسة، عن مراعاة الهيئة للجو العام في النجف الأشرف، بالقول: ولا أدل على ذلك من تسمية الجمعية بإسم لا يتّصل بالهدف الأساسي إلّا بالتأويل والطرق البعيدة (منتدى النشر) بينما كان الواجب يقضي أن يكون إسمها منتزعاً من هدفها الأصلي، كأن يكون بإسم منتدى العلم والثقافة أو ما يشبه ذلك. إلّا أنّ الأهداف التي سطّرت في نظام الجمعية كانت صريحة في الهدف الأصلي للجمعية، فقد كانت المادة الرابعة من مواد النظام مايلي:

(مقاصد المنتدى تعميم الثقافة الإسلامية والعلمية والإصلاح الإجتماعي بواسطة النشر والتأليف والتعليم، وغير ذلك من الطرق المشروعة التي يسنّها مجلس إدارته)[١٢].

ضمّت الهيئة التأسيسية لمنتدى النشر كلًا من: الشيخ محمد جواد الحجامي (عميداً)، الشيخ محمد رضا المظفّر (سكرتيراً)، السيد موسى بحر العلوم، السيد يوسف الحكيم، الشيخ هادي حموزي، الشيخ علي ثامر[١٣]. ثم أصبح الشيخ المظفّر عميداً لجمعية المنتدى.

كان السيد أبو الحسن الإصفهاني يؤيّد ويساند هذه الجمعية، في حين

---

(١٢) المصدر السابق، ص ٣٨.

(١٣) علي الخاقاني، شعراء الغري، الجزء الثامن، ص ٤٥٩.

كان الآخـرون يقفـون ضدّها، ويثيرون في وجهها الأراجيف والتشكيك والأباطيل بحجّة أنّها تريد أن تحرف الحوزة والتشيّع، لأنّها تجري في الدراسة مجرى المدارس الحديثة من صفوف وكراسي ودوام منتظم وإمتحانات وعطلة سنوية، بل إنّ هؤلاء كانوا ضد فكرة الإمتحانات من أيّة جهة كانت على طول الخط، فكم من مرّة حاول المصلحون في الحوزة إخضاع الطلّاب إلى الإمتحانات. ولكي تحدد بموجبها الرواتب التي تعطى لهم. فكان الجهال من المعممـين يثورون ويحرّكون غيرهم معهم بتبرير واه، هو أنّ الإمتحانات مقدّمة للقضاء على الحوزة وطريقة الدراسة التي عاش عليها الأوّلون.

وكان المنتدى يحرص كثيراً على أن يظهر لأولئك المعارضين أنّه لم يشذ عن هدف الحوزة، فكان يستدعي العلماء للتدريس وللتفتيش ليطّلعوا بأنفسهم على واقع الدراسة ومستواها وجدّيتها، وكانت الكتب التي تدرس إنّـما هي كتب الحـوزة (الشرائع واللمعة والقطر والألفية والمعاني والبيان للتفتازاني). أمّا الأصول والمنطق فكانت تدرس تأليفات الشيخ المظفّر.

وكـان الشيخ محمـد رضـا المـظفّر طفرة في عالم الحوزة والتفكير الحوزوي، وكان يصرّ على أن يجعل طالب الحوزة نموذجياً مؤمناً واعياً، وكان رحمه اللّه في طليعة العلماء الواعين، فهو من القلائل جداً، حيث كان يقف السـاعـات يخطب في تلاميذه وفي الإحتفـالات والتجمعات التي يقيمها المنتدى، خطابات إسلامية حماسية ثورية، وكان رحمه اللّه يحرص على أن يكـون تلاميذه يحسنون الخطابة الجماهيرية. فكانوا يعوّدون إسبوعياً أن يلقي عدد منهم خطبة في تجمّع عام للمدرسة. وكان إلى ذلك واعياً سياسياً على غاية من الإيمان والورع والتقوى، كما كان موسوعة علمية شاملة، فهو

في الفلسفة في المقام الأول منها، وهو في الفقه والأصول مجتهد ومجدد فيها، وفي علم المنطق كذلك، ولا تزال كتبه في الأصول والمنطق تدرس في الحوزة في العراق وإيران وفي أماكن أخرى.

وهو أديب وشاعر من الطبقة الأولى، وهو مؤرّخ واسع الإطلاع، ولعلّ القليلين كانوا يعرفون أنّه كان أستاذاً في الرياضيات (اللوغارتيمات والجبر والمقابلة والهندسة النظرية) وكان ذكياً يتدفّق ذكاء وفطنه، وكان رجلاً إجتماعياً يجلس مع تلاميذه ويحادثهم ويتندّر معهم، ومع ذلك فإنّ تلاميذه كانوا يحترمونه أيّما إحترام ويتّخذونه قدوة في حياتهم، ورحم اللّه أبا عصام (الشهيد عبدالصاحب دخيل)(*)، فقد كان يقول إنّ إثنين أثّرا في حياتي كثيراً (الشيخ محمد رضا المظفّر وشخص آخر لا يزال في العراق).

وكان رحمه اللّه دؤوباً، إذا إقتنع بفكرة فإنّه يسعى حتى يحققها، يواصل نهاره وأكثر ليله في العمل.

أتذكّر أنّني حينما كنت طالباً في الصف الثاني من كلية الحقوق، كتبت بحثاً دراسياً، فذهبت إلى النجف وعرضته على الشيخ رحمه اللّه في بيته، وإستمرّت بنا الجلسة إلى الثانية عشرة ليلاً، وعندما شعر الشيخ أنّي تعبت، قال لي إذهب لتنام وأنا سوف أستمر بمطالعة الموضوع ونقده.

كان رحمه اللّه عفيفاً عاش فقيراً ومات فقيراً في عام ١٩٦٣م، بعد أن إستحصل موافقة رسمية بتأسيس كلية الفقه التي تخرّج منها كثير من

(*) أحد قادة حزب الدعوة الدعوة الإسلامية الأوائل والذي قضى عليه بعث العراق عام ١٩٧٢، حيث ألقاه في حوض التيزاب (الأسيد) بعد أن تعرّض إلى تعذيب شديد جداً، لم يستطيعوا أن ينتزعوا منه كلمة إعتراف.

العلماء الذين واصلوا دراساتهم فنالوا شهادة الدكتوراه في الفلسفة وعلوم القرآن والشريعة واللغة. ولو لم تلوّث الحكومة البعثية وتفسد هذه الكلية عندما تدخّلت بشؤونها لكان لهذه الكلية ولجمعية منتدى النشر بصورة عامة شأن عظيم في الحوزة وفي الدراسات الإسلامية.

وتلك الصفات والمؤهّلات التي ذكرنا بعضها في الشيخ محمد رضا المظفّر هي التي جعلت الآخرين يقفون أمام مشاريعه وأفكاره ويحاربونها حرباً شعواء، فهو عالم في أعلى المستويات وهو مجتهد مجدد يعترف له الكل بذلك وهو من أسرة علمية، فأخوه الأكبر آية اللّه الشيخ محمد حسن المظفّر كان أحد مراجع النجف، وأخوه الثاني الشيخ محمد حسين المظفّر كان رئيساً للمجمع الثقافي لمنتدى النشر وصاحب تأليفات عديدة.

وأولئك الذين كانوا يعارضونه، كانوا يخشون من مشاريعه أن تنمو وتتطوّر فتغيّر من حالة الركود التي كانوا يعيشونها ويألفونها، والشيخ المظفّر كانوا يعرفون له القابلية الكبيرة في متابعة مشاريعه وإنجاحها ـ وهنا مكمن الخطر على القاعدين ـ.

* * *

في عام ١٩٤٦م أنشأت جمعية منتدى النشر (لجنة الوعظ والخطابة) كان الغرض منها تهذيب المنبر الحسيني من الخزعبلات. فالمنبر الحسيني لم يكن في الواقع منبراً للحسين وأهداف الحسين ومبادىء الحسين وتعاليم الحسين(ع)، وإنّما كان للخزعبلات والسخف من القول ومحاولة إستدرار عواطف الناس بكل إسلوب ساذج ليبكوا على مصيبة الحسين ولكي يعتبر

الخطيب في ذلك ناجحاً مقبولاً ومن ثم ليزداد وارده المالي من هذا الباب.

فكّرت جمعية منتدى النشر في ذلك، وتوصّلت إلى إنشاء (لجنة الوعظ والخطابة) لتدريب الخطباء على المنبر الجيّد الهادف بعد ما يدرسون قسماً من التاريخ والفقه والنحو والأدب وما يحتاجه الخطيب الناجح من وعي وثقافة. وأنيطت المهمّة بمجموعة جيّدة من الخطباء المنبريين، كان على رأسهم المرحوم الشيخ محمد علي القسّام الذي كان أحد خطباء ثورة العشرين، فقد كان هذا الشيخ رحمه اللّه خطيباً بارعاً واعياً متديّناً مقبولاً ومحترماً لدى العلماء والخطباء وجمهور الناس. وعمل معه مجموعة من الخطباء والأساتذة كالشيخ محمد جواد القسّام والشيخ مسلم الجابري والسيد عبدالحسين الحجّار والسيد جواد شبّر. والثلاثة المتأخّرون كانوا في البداية تلاميذ في منتدى النشر وتثقّفوا بالثقافة الإسلامية الواعية وتخرّجوا بتفوّق وعملوا في لجنة الوعظ والخطابة برئاسة الشيخ محمد علي القسّام كما قلنا.

وقد لقي هذا المشروع وهذه اللجنة صدوداً عظيماً وعداء شديداً من كافة الطبقات النجفية، وذلك للأسباب التالية:

١ـ أما الخطباء التقليديون والذين قلنا عنهم أنّهم كانوا يتخذون المنبر الحسيني وسيلة لإبتزاز أموال الناس وتصريف الحكايات الباطلة والأحاديث المختلفة، حتى غدت ثورة الحسين عليه السلام وحركته العظيمة مشوّهة في منابر هؤلاء. وهؤلاء بدأوا يخشون على منابرهم من أن تنجح جمعية منتدى النشر في مشروعها فيتخرّج مجموعة من الخطباء الجيّدين فيحتلّون المنابر دونهم، وقد كان المشروع ينوي أن لا يؤهّل الشخص للخطابة إلّا بعد حصوله على إستشهاد بكفاءته.

وأخذ هؤلاء التقليديّون يشنّون حملة واسعة ظالمة ضدّ هذا المشروع وضدّ منتدى النشر بالذات.

٢ـ أمّا الآخرون فقد كانوا ضد كل جديد، إذ يعتبرونه خروجاً على المألوف مما إعتادوا عليه من المنابر، وكان الخطباء يثيرونهم في هذا السبيل لإتخاذ الموقف الرادع، حتى قال أحدهم رحمه اللّه: لقد قتل الحسين مرّتين (يوم عاشوراء ويوم منتدى النشر).

٣ـ الجمهور، فقد إستطاع الخطباء وهم الموتورون في هذا المشروع أن يؤثّروا على الجمهور تأثيراً بالغاً. ونتيجة ذلك أصبح المجتمع النجفي كلّه ضد هذه الفكرة الإصلاحية، وضد مشروع تطوير الخطابة.

فلقد تظافرت الجهود كلّها لإحباط المشروع، حتى أنّ أحد الرعاع في تلك الأيام كان يسوق حماره وهو يبطىء في السير، فقال يخاطب الحمار: (ويلك ألا تمشي؟ كأنّك شيخ منتدى) فهذا المسكين يسمع بالمنتدى، وأنّه ضد الحسين ومنبر الحسين، ويتصوّر أنّه رجل معمّم ضال عن الطريقة المثلى.

نعم لقد إستطاعوا أن يؤثّروا على عقول الناس ويحرّكوهم كما يشاؤون، حتى إضطرّت جمعية المنتدى إلى غلق المشروع ليبقى شاهداً في التاريخ على ظلم الإنسان وجهله.

* * *

وقد إستطاعت جمعية منتدى النشر رغم كل المصاعب والعقبات التي وضعت في طريقها، لقد إستطاعت بمؤسساتها ومدارسها ومن ثم كلية الفقه ـ قبل أن تؤمّمها حكومة البعث ـ أن تخرّج مجاميع كثيرة من العلماء

والشعراء وأصحاب الشهادات العليا، بالإضافة إلى المفكرين الواعين.

ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ كثيراً من الرساليين الإسلاميين العراقيين وغيرهم، سواء كانوا علماء أو غيرهم، إنّما هم من خرّيجي منتدى النشر. فقد إستطاع المنتدى أن يخلق جيلًا عريضاً يختلف في تفكيره عن النمط الذي عاشته الحوزة والنجف بصورة عامة.

وملاحظة مهمة لا بدّ من ذكرها هي أنّ هذا السيل الهادر من طلّاب المنتدى وأساتذته، إستطاع بالتالي أن يحتل بالتدريج مكانة مرموقة في النجف الأشرف وذلك لثلاثة أسباب:

١ـ لكثرة الواعين من الحوزة خريجي المنتدى الذين يعدّون بالمئات والذين لا شك أنّهم يدافعون عن مؤسستهم وأساتذتهم.

٢ـ لأنّ الوعي في النجف بدأ ينمو قليلاً قليلاً ولم يبق على العهد الذي كان عليه سابقاً.

٣ـ لأنّ الأمة بدأت أينما تتوجّه ترى عالماً أو شاعراً أو خطيباً أو مثقفاً وكلّهم من خرّيجي منتدى النشر. وفي أواسط الستينات تغيّرت النظرة تغييراً ملموساً حول المنتدى، أي بعد ثلاثين عاماً من التأسيس، كانت مليئة بالمعارضة والصّدود من كافة الطبقات.

ولا نبالغ إذا قلنا إنّ منتدى النشر كان خطوة مهمة على طريق الوعي الإسلامي العارم الذي لفّ العراق وبعض البلدان الأخرى، بل إنّ منتدى النشر في الواقع كان خطوة على طريق تأسيس «حزب الدعوة

الإسلامية»(*).

ولا نكتم سرّاً عندما نقول إنّ الطبقة الأولى من الدعاة إنّما كانوا من طلّاب منتدى النشر.

وللعلم فإنّ الشهيد الصدر كان تلميذاً في مدرسة منتدى النشر بالكاظمية قبل أن ينتقل إلى النجف الأشرف لمواصلة دراسته الحوزوية عام ١٩٤٥م. وأنّ أبا عصام كان تلميذاً في منتدى النشر وهو الذي كان يقول إنّه تأثّر في حياته كثيراً بالشيخ محمد رضا المظفّر. وأنّ الشيخ عارف البصري والسيد عبدالرحيم الشوكي من خرّيجي الدورة الأولى لكلية الفقه.

رحم اللّه أولئك الصفوة الذين تبيّنوا الطريق ووضعوا الخطى عليه وبدأوا المسير رغم الصعاب والعقبات. الذين حاولوا الإصلاح جهد إمكاناتهم فتوفّقوا في بعض وخالفهم الحظ في البعض الآخر.

* * *

السيد محسن الأمين:

مارس السيد الأمين طوال حياته الدور الإصلاحي في كل المواقع التي عمل بها، وترك آثاره عميقة في الواقع الإسلامي في سوريا ولبنان بعد أن درس في النجف الأشرف قرابة العشر سنين.

(*) هو أول حزب إسلامي شامل نشأ في وسط الحوزة العلمية والمرجعية في النجف والذي سوف نتحدّث عنه بإسهاب في الجزء الثالث إن شاء اللّه تعالى.

تميّز السيد الأمين بجرأته الكبيرة، حيث إنتقد المظاهر السلبية التي تحيط بالحياة الإسلامية، سواء تلك التقاليد والأعراف الموجودة داخل الحوزة العلمية، أو الممارسات الدخيلة على الإسلام. وتعرّض نتيجة ذلك إلى حملات قاسية من قبل الطارئين على الحوزة وعلى العمل الإسلامي. ومع ذلك واصل نهجه الإسلامي الأصيل بشجاعة وثبات.

إنّ أهم وقفة في حياته الإصلاحية رحمه الله، هي دعوته إلى تنقية المنبر الحسيني من الشوائب التي لحقت به، من حيث الروايات التاريخية المختلقة والأحاديث الموضوعة المنسوبة إلى الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الطاهرين. كما شجب بشدّة الطريقة التي تمارس بها الشعائر الحسينية مثل ضرب القامات والسلاسل والطبول ولبس الأكفان وغير ذلك، وإعتبر هذه الممارسات مخالفة لتعاليم الإسلام، ولنهج الإمام الحسين عليه السلام، وأصدر في هذا الخصوص كتابه الشهير (التنزيه لأعمال الشبيه)، وقد إشتهر بإسم رسالة التنزيه[١٤].

وقد كتب هذه الرسالة بعد أن وجد أنّ بعض العلماء يعارضون نهجه في تنقية الشعائر الحسينية، ويعتبرون أنّ هذه الممارسات جائزة وليست فيها حرمة شرعية.

وإثر ذلك إتّجه الجميع لكبار العلماء يستفتونهم في أمر الضرب بالسيف والقامة كمظهر من مظاهر الحزن على أبي عبدالله الحسين عليه السلام، فأفتى السيد أبو الحسن الإصفهاني بحرمة ذلك، وقال ما مضمونه:

---

(١٤) إعتمدنا في المعلومات على المجلّد العاشر من أعيان الشيعة، سيرة السيد الأمين.

الإسلامية»(*).

ولا نكتم سرّاً عندما نقول إنّ الطبقة الأولى من الدعاة إنّما كانوا من طلّاب منتدى النشر.

وللعلم فإنّ الشهيد الصدر كان تلميذاً في مدرسة منتدى النشر بالكاظمية قبل أن ينتقل إلى النجف الأشرف لمواصلة دراسته الحوزوية عام ١٩٤٥م. وأنّ أبا عصام كان تلميذاً في منتدى النشر وهو الذي كان يقول إنّه تأثّر في حياته كثيراً بالشيخ محمد رضا المظفّر. وأنّ الشيخ عارف البصري والسيد عبدالرحيم الشوكي من خرّيجي الدورة الأولى لكلية الفقه.

رحم اللّه أولئك الصفوة الذين تبيّنوا الطريق ووضعوا الخطى عليه وبدأوا المسير رغم الصعاب والعقبات. الذين حاولوا الإصلاح جهد إمكاناتهم فتوفّقوا في بعض وخالفهم الحظ في البعض الآخر.

* * *

السيد محسن الأمين:

مارس السيد الأمين طوال حياته الدور الإصلاحي في كل المواقع التي عمل بها، وترك آثاره عميقة في الواقع الإسلامي في سوريا ولبنان بعد أن درس في النجف الأشرف قرابة العشر سنين.

(*) هو أول حزب إسلامي شامل نشأ في وسط الحوزة العلمية والمرجعية في النجف والذي سوف نتحدّث عنه بإسهاب في الجزء الثالث إن شاء اللّه تعالى.

تميّز السيد الأمين بجرأته الكبيرة، حيث إنتقد المظاهر السلبية التي تحيط بالحياة الإسلامية، سواء تلك التقاليد والأعراف الموجودة داخل الحوزة العلمية، أو الممارسات الدخيلة على الإسلام. وتعرّض نتيجة ذلك إلى حملات قاسية من قبل الطارئين على الحوزة وعلى العمل الإسلامي. ومع ذلك واصل نهجه الإسلامي الأصيل بشجاعة وثبات.

إنّ أهم وقفة في حياته الإصلاحية رحمه الله، هي دعوته إلى تنقية المنبر الحسيني من الشوائب التي لحقت به، من حيث الروايات التاريخية المختلقة والأحاديث الموضوعة المنسوبة إلى الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الطاهرين. كما شجب بشدّة الطريقة التي تمارس بها الشعائر الحسينية مثل ضرب القامات والسلاسل والطبول ولبس الأكفان وغير ذلك، وإعتبر هذه الممارسات مخالفة لتعاليم الإسلام، ولنهج الإمام الحسين عليه السلام، وأصدر في هذا الخصوص كتابه الشهير (التنزيه لأعمال الشبيه)، وقد إشتهر بإسم رسالة التنزيه[١٤].

وقد كتب هذه الرسالة بعد أن وجد أنّ بعض العلماء يعارضون نهجه في تنقية الشعائر الحسينية، ويعتبرون أنّ هذه الممارسات جائزة وليست فيها حرمة شرعية.

وإثر ذلك إتّجه الجميع لكبار العلماء يستفتونهم في أمر الضرب بالسيف والقامة كمظهر من مظاهر الحزن على أبي عبدالله الحسين عليه السلام، فأفتى السيد أبو الحسن الإصفهاني بحرمة ذلك، وقال ما مضمونه:

---

(١٤) إعتمدنا في المعلومات على المجلّد العاشر من أعيان الشيعة، سيرة السيد الأمين.

(إنّ إستعمال السيوف والسلاسل والطبول والأبواق وما يجري اليوم أمثاله في مواكب العزاء بيوم عاشوراء إنّما هو محرّم وهو غير شرعي).

ولم يكن السيد أبو الحسن الإصفهاني وقتذاك المرجع الأعلى، فحاول المخالفون جمع فتاوى مضادة لفتواه، وتعرّض السيد الإصفهاني إلى حملة معادية نتيجة تأييده للسيد الأمين، وتصدى الخطباء والشعراء لهذه الحركة الإصلاحية، وكان منهم الخطيب الشهير السيد صالح الحلّي، الذي راح يتحدّث مهاجماً هذه الدعوة، وأحدث بذلك هياجاً عاماً لما يتميّز به من مقدرة عالية في الخطابة.

إنقسم الناس في النجف الأشرف وغيرها إلى فريقين، علويين وأمويين، حسب إصطلاحهم، فأنصار السيد الأمين أطلقوا عليهم تسمية الأمويين، أمّا خصومه فسمّوهم بالعلويين، وكانت الكثرة الغالبة تتمثّل (بالعلويين). وغالباً ما كانت تحدث نقاشات حادة بين الطرفين تنتهي بالضرب والإهانة.

قوبلت دعوة السيد الأمين برد فعل قوي، ففي أوّل شهر محرّم جاء بعد الفتوى، إزداد عدد الضاربين بالسيوف والسلاسل وإزداد إستعمال الطبول والصنوج والأبواق، وكثرت الأهازيج التي تتضمّن التحدّي للحركة الإصلاحية. حتى لقد نظم السيد صالح الحلّي قصيدة يهجو فيها السيد الأمين، كانت قد إنتشرت على الألسن، وكان مطلعها:

ياراخلاً إمّا مررت بجلّق* فأبصق بوجه أمينها المتزندق.

(*) جلّق: مدينة دمشق

وقد كتب بعض الخصوم رسائل تهاجم نهج السيد الأمين، وتحاول الرد على ما كتبه وتبنّاه. لكنّ السيد الأمين تصدى لهذه الكتابات، وردّ عليها بإسلوب علمي مدعوم بالآراء الفقهيّة، وقد إخترنا هذا المقطع، يقول السيد الأمين:

(نقـول عطفـاً على قولـه (أي المؤلّف والمخالف): (أيقرح الرضا جفـون عينيه ولا نتـأسّى به فنقـرح على الأقل صدورنا ونجرح بعض رؤوسنا). إنّنا لم نر كم جرحتم مرّة بعض رؤوسكم ولا كلّها، ولا قرحتم صدوركم من اللّطم ولا فعل ذلك أحد من العلماء، وإنّما يفعله العوام والجهلة. أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم.

ونقول عطفاً على قوله: (أتبكي السماء والأرض بالحمرة والدم ولا يبكي الشيعي بالدم المهراق من جميع أعضائه). إنّنا ما رأيناكم أهرقتم دماً طول عمركم للحزن من بعض أعضائكم ولا من جميعها. فلماذا تركتم هذا المستحب المؤكّـد تركـاً أبدياً وهجرتموه هجراً سرمدياً، ولم يفعله أحد من العلماء في عمره ولو بجرح صغير كبضعة الحجام، ولماذا لم يلبسوا الأكفان ويحملوا الطبول والأبواق وتركوا هذه المستحبّات تفوز بها العوام والجهلة دونهم).

لقد تجاوزت هذه الدعوة مناطق العراق، لتصل إلى مناطق العالم الإسـلامي، فتحـدّثت عنهـا الصحف الإسلامية بين معارض ومؤيّد. ولن يتراجع السيد رحمه اللّه رغم شدّة المعارضة وقساوة التعريض به. وظلّ ثابتاً على دعوته مؤمناً بها.

وتدور الأيام وإذا بأكثر أولئك المتزمّتين ممن كانوا يناغون العوام،

يتراجعـــون ويعتـذرون للسيد الأمـين، وتبقى صرختـه التي أطلقهـا في الثلاثينات من هذا القرن واحدة من الصرخات التي كان من الطبيعي أن تواجه من يقف ضدّها ويعارضها.

جمعية الهداية الإسلامية:

تأسّست في بغداد في ١كانون الثاني ١٩٣٠م غايتها «مقاومة الإلحاد والدعايات اللاإسلامية بالطرق المشروعة».

أسماء أعضاء هيئتها المؤسسة هم:

الشيخ إبـراهيم الـراوي، السيد إسـماعيل الواعظ، الشيخ علي القره داغي، كمال الدين الطائي، إبراهيم عثمان، محمد صالح السهروردي.

أما بعد الإجازة والإنتخابات، فقد شكّلت الهيئة الإدارية من:

الرئيس : الشيخ إبراهيم الراوي.

نائب الرئيس : بهاء الدين الشيخ سعيد.

السكرتير: كمال الدين الطائي.

أمين الصندوق: إبراهيم عثمان.

الأعضاء: الحاج نعمان الأعظمي، طه الراوي، عبدالعزيز الشوّاف، منير القاضي، عبدالكريم الشيخلي، خليل الراوي، محمد صالح الجرجيس ، نجم الدين الواعظ.

ولكننا لم نجد لهذه الطليعة أثراً يذكر في تحقيق غايتها، كما هو مذكور في غرض التأسيس، اللّهم إلّا ما جاء في تقرير مديرية التحقيقات الجنائية والإقامة الذي أعدّته عن الأسباب التي أدّت إلى نهب أموال اليهود التي

سميّت (بالفرهود) التي تعرّض لها اليهود في العراق في حزيران من عام ١٩٤١م.

فيذكر التقرير الأسباب التي أدّت إلى هذه الحوادث، فيعد منها:

(.... الدعايات التي قامت بها جمعيّات الدفاع عن فلسطين، وجمعية الهداية الإسلامية ونادي المثنى، فإنّ هذه المؤسسات قد قامت بدعاية واسعة ضد الإنكليز واليهود بتوزيعها النشرات المليئة بفظايع الإنكليز والصهيونيين في فلسطين والتي تحتوي على تصاوير إستفزازية، منها تخريب الجوامع في فلسطين وتمزيق القرآن الكريم وأشلاء بعض القتلى من مجاهدي العرب هناك، وإلى غير ذلك من التصاوير مما ألهب شعور الناس مقتاً وبغضاً لليهود)[١٥].

حركة رشيد عالي الكيلاني:

في حركة مايس ١٩٤١م والتي تسمّى بحركة رشيد عالى الكيلاني، حينما وقع الإشتباك بين الجيش العراقي والجيش البريطاني المتواجد حينذاك في قاعدة الحبانية. كان رشيد عالي يستند في تحرّكه على ألمانيا الهتلرية عن طريق وزيرها المفوّض في بغداد (غروبا) وسفيرها في أنقره (فون بابن)، وقد أرسلت ألمانيا عدّة طائرات إلى العراق لتساعد الجيش العراقي في حربه ضد بريطانيا ولتضع قدمها فيما بعد ذلك في العراق.

وهرب الوصي عبدالإله من العراق، وشكّل رشيد عالي حكومة

---

(١٥) صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق، ص ١٣١ـ١٣٢.

الدفاع الوطني.

آنذاك تحرّك علماء النجف (السيد أبو الحسن الإصفهاني والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبدالكريم الجزائري) وأصدروا بيانات وفتاوي تؤيّد حكومة رشيد عالي، وندرج هنا فتاوي العلماء:

بسم اللّه الرحمن الرحيم: السلام على كافة إخواننا المسلمين وأخص العراقيين منهم.

إنّ الواجب الديني يقضي على كل مسلم بحفظ بيضة الإسلام وبلاد الإسلام بقدر إستطاعته. وهذه البلاد العراقية المشتملة على مشاهد الأئمة ومعاهد الدين، يجب علينا جميعاً محافظتها من تسلّط الكافر والمدافعة عن نواميسها الدينية، فإلى هذا أحثّكم وأدعوكم، وفّقنا اللّه وإياكم لخدمة الإسلام والمسلمين إن شاء اللّه تعالى.

٦ربيع الثاني ١٣٦٠هـ

أبو الحسن الموسوى الإصفهاني

بسم اللّه الرحمن الرحيم: وله الحمد «إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبّت أقدامكم».

أيّها المسلمون في عامة الأقطار والأمصار:

تعلمون أنّ العراق هو قاعدة الدين وعاصمة العرب والمسلمين ومعقل البلاد العربية ومعقد آمالها ومفزع أبطالها، ولما أحسّ رجالات العراق وساسته المخلصون بأنّ كرامته أصبحت على خطر وأنّ صيانته من إستيلاء الأجانب على مقدراته تحتاج إلى وثبة جبّارة وصلابة في مجابهة النازلة غير

العادلة والقضية الجائرة، لذلك نهضوا هذه النهضة التي يحفّزها الحزم ويقودها العزم وترفّ عليها أجنحة النجاة والنجاح بعناية اللّه جلّ شأنه، وروحانية الإسلام المقدّسة إن شاء اللّه، وبعد هذا فهل يشك أحد من المسلمين فضلاً عن العراقيين في وجوب المؤازرة والنصرة لهذه الحركة الحافظة لسلامة البلاد وكرامتها.

كل إنسان بقدر إستطاعته، وأقصى ما في وسعه ـ القريب والبعيد فيه سواء ـ مع التعقّل والروية والتمسّك بأمراس الحزم على ضوء الحكمة والبصيرة، وتعاضد المسلمين عموماً والعراقيين خصوصاً، حكومة وشعباً ليكونوا على ثقة من أنّ قضيّتهم عادلة، وأنّ اللّه جلّ شأنه منجز لهم وعده بقوله «إن تنصروا اللّه ينصركم» وحرام وأفظع من كلّ حرام أن يحارب المسلم أخاه المسلم من أي عنصر كان ومن أي بلاد يكون.

والسلام عليكم أيّها المسلمون جميعاً ورحمة اللّه وبركاته.

حرّره في مدرسته العلمية في النجف الأشرف ٥ربيع الثاني سنة ١٣٦٠هـ.

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

بسم اللّه الرحمن الرحيم

إلى كافة إخواننا المسلمين المتديّنين بشريعة سيّد المرسلين:

السلام عليكم جميعاً ورحمة اللّه وبركاته.

لا يخفاكم ما قام به فخامة رئيس الوزراء وأبناؤنا الجيش العراقي الباسل في الحال الحاضر من النهضة المباركة لحفظ إستقلال العراق والبلاد

الإسلامية وقطع تصرّف الأجانب فيها، فبما أعهده فيكم يا معشر العراقيين من الشمم والحميّة والغيرة الإسلامية، ولكم السابقة في تشييد هذه الحكومة الإسلامية، أحثّكم وأدعوكم للمساعدة لهذه النهضة الدفاعية ما إستطعتم فإنّها نصرة للدين وحماية للمسلمين واللّه يرعاكم بتأييده.

٦ربيع الثاني سنة ١٣٦٠هـ

عبدالكريم الجزائري[١٦]

إنّ مواقف علماء الدين الشيعة السابقة الذكر تدلّ على عمق إخلاصهم لأبناء الأمة الإسلامية في العراق، وسعيهم إلى تخليصهم من الإنكليز. وقد وجدوا في حركة مايس، فرصة للخلاص. رغم أنّ رشيد عالي الكيلاني كان شديداً على الشيعة ومعروفاً بتعصّبه المذهبي لدرجة إرتكابه عدّة مجازر ضد أبناء الشيعة خلال إشتراكه في الحكم كوزير للداخلية[١٧].

---

(١٦) عبدالرزاق الحسني، الأسرار الخفيّة في حركة السنة ١٩٤١ التحريرية، ص ٢٥٧ـ٢٥٨.

(١٧) حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق، ص ١٨٥.

الفصل التاسع

الواقع السياسي
والإجتماعي في العراق
بعد الحرب العالمية الثانية
(١٩٤٥ ـ ١٩٥٧م)

حين إنتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، بعد ست سنوات من الصـراع الـدامي، دخـل التاريخ العراقي مرحلة جديدة تختلف في مظاهـرهـا السياسية عن الحقب السـابقـة، وذلـك كجزء من التحوّلات السياسية الكبيرة التي شهدها المجتمع الدولي بعلاقاته ونظمه ومعادلاته.

لقـد كانـت نتيجة الحرب، أنّ قطبين عالميين هما أمريكا وروسيا يتقـاسمان مناطق العالم. فيما كانت الدول الأخرى منهكة القوى، كثيرة المشاكل، وتجلس في المرتبة الثانوية في العالم الجديد. فإستلزم ذلك أن تعيد هذه الدول ـ ومنها بريطانيا ـ مناهجها السياسية في مناطق نفوذها. فمرحلة ما بعد الحرب لم تعد كالسابق، وهو ما يتطلّب ترسيم خطوات جديدة في إدارة شؤون البلدان الخاضعة لسيطرتها، على إعتبار أنّ مناطق النفوذ لم تعد مستعمـرات خاصـة ببريطانيا، إنّـما مواقع جغرافية تدخل ضمن معادلة الصراع الدولي القائم بين المعسكرين، وهذا يعني أنّ الإدارة البريطانية لن تكون مستقلة في مناطق نفوذها، بل ستتأثّر بالإتجاهات الدولية الحاكمة، وستضطر لأن تلائم سياستها الخارجية في التعامل مع مستعمراتها ومناطق

نفوذها بما ينسجم مع الصورة الجديدة للصراع الدولي، في أشكاله السياسية والإجتماعية والثقافية. وهو ما حدث.

لقد نظرت بريطانيا إلى العراق وفق هذه الإعتبارات، فوجدته يحوي عناصر إنفجار عديدة. ولا يمكن أن يستمر في مسيره القديم حسب النظم التقليدية التي حكمت حياته منذ توّج فيصل الأول ملكاً على العراق في آب ١٩٢١م. والذي عزّز هذه القناعة في العقل البريطاني، هو ما حدث في بدايات الحرب العالمية من إمكانية التمرّد على السلطة البريطانية، حين قام رشيد عالي الكيلاني بحركته في مايس ١٩٤١م.

ولم يغب عن ذهن الإدارة البريطانية، تجارب العقود الماضية، وأبرزها التحرّك الإسلامي الذي قاده مراجع الدين على إمتداد عقد من الزمن، وبالتحديد بين عامي ١٩١٤م و ١٩٢٣م، وهي الفترة التي سيطر فيها التحرّك الإسلامي على الساحة والأحداث. ثم تكررت له الشواهد في مواقف متفرقة منها ما حدث في أواسط الثلاثينات، إبّان ثورات العشائر العراقية في الجنوب، وفيها برز الدور المؤثّر للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وكذلك موقف العلماء من ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م.

وإذا كان التحرّك الإسلامي غائباً في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فإنّ ذلك لا يلغي إمكانية عودته ذات يوم، وإن عاد إلى الساحة، فإنّه سيحدث تطوّراً خطيراً، وربّما لا يتاح لبريطانيا أن تسيطر عليه هذه المرّة.

كانت بريطانيا تريد أن تضع حلّاً نهائياً لمشكلة الخطر الإسلامي، فلا تكتفي بمراقبته ووضع عناصر ضاغطة عليه، بل تجد له بديلاً داخل

المجتمع العراقي، بحيث يتحوّل الإسلام إلى عقيدة ثانوية إسميّة لا أكثر، أمّا المظاهر العامة في الأمة فإنّها تتحرّك بإتجاهات مضادة، تستطيع أن تحاصر الإسلام في البداية، وتدخله دائرة الإتهام والقصور كخطوة وسط، ثم تسلخه من الأمة كهدف نهائي.

من خلال هذه الخطوط العريضة للواقع.. وعلى أساس تلك النظرة للمستقبل، جاءت الرغبة البريطانية لوضع الساحة العراقية على الطريق المرسوم، فشهد العراق أوّل خطوة في مرحلته الجديدة في نيسان ١٩٤٦م، حيث فسحت الحكومة المجال للعمل الحزبي بعد أن كان معطّلاً طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية[1].

إنّ عودة الحياة الحزبية إلى الساحة، كان يعني تقوية الإتجاهين القومي والشيوعي في العراق، وفي تقويتهما زيادة في إضعاف الإتجاه الإسلامي، لأنّهما من خلال تحرّكهما على الساحة وتنافسهما على الموقع السياسي والثقل الجماهيري، سيستقطبان قطاعات الأمة، ويسدّان الثغرات أمام التحرّك الإسلامي، فتتقلّص إمكانية عودته إلى الحياة السياسية.

ورغم أنّ الحكومة أجازت الأحزاب الوطنية والقومية، ولم تجز الشيوعيين الذين أرادوا التحرّك الحزبي العلني من خلال حزب التحرر الوطني، إلّا أنّ الحزب الشيوعي كان هو الأقوى من بين الأحزاب السياسية. فلقد إستطاع خلال السنوات التي سبقت تلك الفترة، ونتيجة عمله السرّي أن يتوغّل في قطاعات واسعة في صفوف الأمة، وأن يؤثّر فيها

---

(١) يراجع الفصل الخامس من كتاب (العمل الحزبي في العراق بين عامي ١٩٠٦م ـ ١٩٥٨م) للمؤلّف.

فكـرياً. وإنتشرت الأدبيات والكتب الشيوعية بشكل واسع في الشارع العراقي بتشجيع من الإنكليز أنفسهم، حتى يمكن القول إنّ فترة ما بعد الحرب العالمية هي فترة النشاط الشيوعي، وكانت تسير بمؤشّر تصاعدي حتى عام ١٩٥٨م.

وأيام كان العراق يشهد مدّاً علمانياً في مدنه وقصباته، كانت الحوزة العلمية تعيش فترة ركود واضحة. لقد كانت تعيش في دائرة محدودة. والذي زاد في حصارها أجواؤها الخاصة التي صنعها المنتفعون كما سبقت الإشارة. ويكفي أن نذكر هنا صورتين توضّحان غلبة الإتجاه التقليدي الضيّق على الحوزة العلمية:

الأولى يرويها سماحة العلّامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حيث يقول إنّه خلال أحداث عام ١٩٤٨م في فلسطين ولبنان، كان والده الشيخ عبدالكريم شمس الدين وجماعة من العلماء، يقرأون بعض الصحف العربية في منزله بالنجف الأشرف، بشكل سرّي خوفاً من إفتضاح أمرهم، لأنّ ذلك يعد خروجاً على الحوزة العلمية، أما الراديو فإنّه أمر كبير قد يفسق صاحبه[٢].

والثانية حدثت معي حيث أردت أن أشتري جهاز راديو، فقلت لأحد المعممين، ولا أقول أحد العلماء، إنّني أريد شراء راديو لأستمع إلى الأخبار. فقال لي إنّك عندما تحرّك المؤشّر فسوف تسمع ولو لجزء من اللحظة صوت أغنية وهو لا يجوز، وعليه فإنّ إقتناء الراديو حرام.

---

(٢) حديث لسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين مع أحد الأخوة في شباط ١٩٧٨ م.

كان ذلك في عام ١٩٥٢م حيث كانت الأحداث السياسية في العراق ساخنة، وقد تولّى نور الدين محمود رئاسة الوزراء وأعلن الأحكام العرفية.

إنّ هاتين الحادثتين ـ ومثلهما كثير ـ تكشفان عن الحجر الذي كان مضروباً على الحوزة العلمية وعلى الأجواء الإسلامية. وهي الأجواء التي وقفت في وجه المحاولات الإصلاحية التجديدية لبعض مراجع المسلمين وعلماء الدين مثل الشيخ محمد رضا المظفّر، كما ذكرت سابقاً.

ومع وجود مثل هذه الأجواء، كان لا بدّ أن يواجه التحرّك الإسلامي عقبات ميدانية، حيث يريد أن ينطلق وسط الأمة بشكله الحركي. على إعتبار أنّ الأسلوب الحركي له صورة تجديدية لا تنسجم مع التقليد السائد. مما يجعل الأنظار ترصده بعدم إرتياح، لأنّها ترى فيه خروجاً على النمط الإجتماعي المتعارف عليه. وهي مشكلة كبيرة واجهت الحركيين على إمتداد الحقب التاريخية وفي مساحات العمل الإسلامي المتنوعة.

وإزاء هذه الضغوطات التي تحيط بالتحرّك الإسلامي، تصبح الساحة مفتوحة أمام الإتجاهات اللاإسلامية، لأن تنمو وتتسع قاعدتها الشعبية، مستفيدة من الفراغ الحركي في العمل الإسلامي. وقد إستغلّت الفئات اللاإسلامية هذه الحالة، فكانت بارعة في إثارة حفائظ التقليديين ضد كل خطوة جديدة للعمل الإسلامي. ونجحت في إحباط عدّة مشاريع رسالية على يد الإسلاميين أنفسهم.

إنّ هذه الصورة المعتمة للواقع الإسلامي في العراق خلال فترة ما بعد الحرب، لم تستطع أن تلغي إرادة التحرّك في الساحة. فكانت هناك محاولات لإعادة القوة الإسلامية إلى الأمة، كما كانت إلى جانبها بعض

المظاهر الإسلامية ذات الصفة الجماهيرية. لكنّ هذه المحاولات وتلك المظاهر لم تصل إلى الدرجة التي يمكن وصفها بالحالة الإسلامية أو بالتيّار الإسلامي، لأنّها لم تمتلك مقوّمات الإستمرار، ولم تستند إلى رؤية شاملة بعيدة الأمد للتغيير الإجتماعي. فظلّت تتحرّك في دوائر محدودة وسط الأمة، أما الإتجاه العام فكان يسير بقوّة نحو الجهة المعادية للاسلام.

إنّ الحكم على تلك المحاولات بالضعف أو بعدم الوصول إلى المستوى المطلوب الذي يجعل منها حقيقة ميدانية مؤثّرة في المجتمع، ليس تقليلاً من دورها. فهي رغم محدودية النتائج التي أعطتها وصغر المساحة التي شغلتها مقارنة بالكيانات السياسية الأخرى، إلّا أنّها مثّلت مبادرة طليعية إلى طريق التحرّك الإسلامي في ظل أجواء خانقة. فلقد وضعت الخطوات الأولى ومهّدت السبيل لخطوات أخرى فادحة. كما أنّها كتجربة عمل، أغنت بلا شك التحرّك اللاحق، وإستفاد منها العاملون للاسلام في مشاريع عملهم فيما بعد. وكان للتجربة دور كبير في تدعيم حركة العمل الإسلامي في الفترات التالية لتلك المرحلة. خصوصاً وأنّ الكثير من الذين مارسوا العمل الإسلامي وتعرّضوا إلى عقبات في تحرّكهم، تحمّلوا مسؤوليات كبيرة في الحركة الإسلامية بعد إنطلاقتها القوية خلال السنوات الأخيرة من الخمسينات، مثل الشهيد السيد مهدي الحكيم والشهيد عارف البصري والشهيد عبدالصاحب دخيل وغيرهم من الذين تحول الأسباب الأمنية دون أن نذكر أسماءهم.

ربّما تواجه عملية إستعراض مظاهر التحرّك الإسلامي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية صعوبات أرشيفية، لأنّ التاريخ الذي سجّل

الوقائع والأحداث، إهتمّ بالقضايا الكبيرة التي شهدها العراق. إضافة إلى أنّ المهمة الرسمية للتاريخ العراقي أغفلت الكثير من الحقائق وأدخلت ما يزوّر الوقائع.

إنّ فترة ما بعد الحرب العالمية شهدت نمطين من التحرّك الإسلامي، الأول: التحرّك الإسلامي الجماهيري. والثاني: التحرّك الحزبي. وسنحاول هنا المرور على كلا التحرّكين لتصبح الصورة واضحة حول تلك الفترة. ولأنّ لهذين النمطين إمتدادات مهمة في السنوات التي أعقبتها.

التحرّك الجماهيري:

لم يكن التحرّك الإسلامي على الصعيد الجماهيري، يسير وفق خطّة بعيدة الأمد، أو إنطلاقاً من تخطيط دقيق، بل كان ممارسات فردية يقوم بها الأشخاص الذين يتحسّسون أهمية التحرّك الجماهيري.

إنّ التحرّك الشعبي من المسائل المعقّدة في العمل السياسي، لأنّه يتداخل مع كافة الخطوط التي تمس الواقع الإجتماعي والسياسي للأمة. ولأنّه يتحرّك إلى جانب نشاطات سياسية أخرى، تحاول كل واحدة أن يكون لها الحضور الأول على الساحة. ولقد ظل التحرّك الجماهيري ومقدار فاعليته موضع دراسة الكيانات السياسية بمختلف إنتماءاتها وإتجاهاتها العقائدية والسياسية. فالكيان السياسي لا يستطيع أن يكون رقماً مؤثّراً ما لم يستند على قاعدة شعبية واسعة.

والتحرّك على صعيد الجماهير لا ينحصر بمظهر واحد، إنّما له العديد من الأشكال المتجددة والمتنوعة. لكنّ التحرّك الإسلامي في هذا الخصوص

إقتصر على الإحتفالات الجماهيرية في المناسبات الإسلامية. وهي ممارسة إعتادها الناس بشكل تقليدي في دوائر ضيّقة. لكن خلال تلك الفترة حدث تطوّر نسبي في هذا المجال، حيث أقيمت إحتفالات إسلامية جماهيرية ذات صفة عامة، وليس كما يحدث في نطاق المسجد أو المحلّة.

وهنا تظهر مبادرات السيد هبّة الدين الشهرستاني، حيث كان يقيم إحتفالات كبيرة في مدينتي الكاظمية وكربلاء بمناسبة ميلاد الإمام علي والإمام الحسين عليهما السلام. ويدعو إلى هذه الإحتفالات شخصيّات من مفكّرين وشعراء، مثل عبدالله العلايلي من لبنان، والشاعرين المعروفين الشيخ اليعقوبي والشيخ الفرطوسي[٣].

وبعد إعلان قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م، ثارت مشاعر المسلمين لهذا الحدث الخطير. غير أنّ الأحزاب القومية والشيوعية إستغلّت العاطفة الإسلامية للجماهير ووظّفتها لصالحها، حيث لم يكن هناك تنظيم إسلامي يستوعب الأمة ويوجهها حسب المسار الصحيح.

وقد تحسس جماعة من الشباب الرسالي بهذه الأحداث الخطيرة في بداية الخمسينات، وهم السيد مهدي الحكيم، وأحد أفراد أسرة الجزائري العلمية، وعبدالصاحب دخيل، وغيرهم. فقرروا إقامة إحتفال إسلامي في كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك في الصحن العلوي الشريف، يتضمّن تلاوة من القرآن الكريم ودعاء الإفتتاح ثم محاضرة إسلامية عن دور الإسلام، وأنّه منهاج الحياة ونظام المجتمع. غير أنّ هذا المشروع واجه

---

(٣) جريدة الجهاد، العدد ٣٢٨، ١٥ شباط ١٩٨٨م.

معارضة قوية من الشيوعيين الذين وجدوا فيه تحرّكاً منظّماً، فأثاروا حوله الإشاعات وإتهموا القائمين عليه بأنّهم من الإخوان المسلمين ومن المرتبطين بالإستعمار ومن السنة، كما تعرّضوا لبعضهم بالمضايقة، مما إضطرّهم إلى إيقاف مشروعهم قبل أن يصل إلى اليوم العاشر من رمضان(٤).

وفي الوقت الذي كانت فيه الصعوبات قوية أمام هذه المحاولات فإنّ الأزمة الطائفية كانت تثار بشكل مقصود بغية تمزيق الأمة الإسلامية. وهو الهدف الذي برعت في تحقيقه الدوائر الإستعمارية، وإستطاعت أن توجد حواجز نفسية كبيرة بين أبناء الأمة الواحدة، بحيث أصبح من المتعذّر حصول إنسجام حقيقي بين السنة والشيعة.

وقد برزت محاولات عديدة من قبل علماء الطرفين لتهدئة هذه الأزمة، وصولاً إلى وحدة إسلامية تجمع المسلمين. وأقام الشيخ محمد الخالصي أكبر إحتفال إسلامي حول هذا الموضوع في مدينة الكاظمية يوم الجمعة ٢٩صفر ١٣٧١هـ (٣٠كانون الأول ١٩٥١م). حضر الإحتفال وفود من إيران والهند وباكستان وسوريا وتركيا وغيرها من البلاد الإسلامية. وأمّ المصلّين الشيخ الخالصي، وخطب في خطبتي الصلاة متحدثاً عن أسباب الخلاف وكيف تعمّق في واقع الأمة. كما خطب الشيخ محمد سعيد العرفي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في دمشق آنذاك حول نفس الموضوع(٥).

وشكّلت هذه الخطوة مبادرة مهمة على طريق التصدّي للسياسة الإستعمارية القاضية بتفرقة الأمة، وإشغالها بأزمات جانبية مفتعلة.

---

(٤) حديث مع الحاج صالح الأديب، بتاريخ ٢ آذار ١٩٨٦م.

(٥) مجلة الوحدة الإسلامية اللبنانية، العدد ١٠١، ٢٨ تشرين الأول ١٩٨٨م.

صحيح إنّ هذه المبادرة لم تستطع أن تقطع شوطاً كبيراً، ولم تكمّل بقيّة الخطوات نحو الخروج بصيغة عمليّة تعيد للأمة وحدتها، لكنّها وجّهت أنظار المسلمين إلى الخطر الذي تقف ازاءه الأمة الإسلامية. وقد كانت هناك أيضاً مبادرات واعية من قبل علماء الدين الشيعة على هذا الطريق.

من المظاهر الجماهيرية الشائعة أيضاً في العراق، الشعائر الحسينية التي تجري في شهر محرّم الحرام، إحياء لذكرى إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام. ورغم أنّ هذه المناسبة الإسلامية ذات مضامين رسالية كبيرة، ورغم أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام، أحيوا هذه الذكرى، بطرق هادفة توضّح للأمة أبعاد الثورة الحسينية، لتكون أمامهم منهجاً في حياتهم العامة وفي علاقتهم مع الحكّام. رغم ذلك فإنّ الشعائر الحسينية تحوّلت إلى ممارسات خاطئة تقوم بها فئة معيّنة من الناس تعيشها كتقليد تاريخي ذي وقت معلوم، دون أن تتلمّس روح الثورة التي فجّرها الإمام الحسين عليه السلام، ودون أن تعكس مضامينها الإسلامية، لذلك كانت برامج العزاء الحسيني مقتصرة على المراثي ومجالس العزاء ومسيرات حسينية للمواكب والهيئات، وكلّها تركّز على الجانب المأساوي الذي أصاب الإمام وأهل بيته، من غير أن يكون في برامجها ما يعطي للجمهور أبعاد ثورة الإمام الحسين.

يقول العلّامة السيد مرتضى العسكري في حديث معه بتاريخ ٢٥كانون الثاني ١٩٨٩م، إنّه أحصى (٥٥) مجلساً حسينياً، فلم يجد في أي منها محاضرة إسلامية، أو قارئاً يخطب في الناس. وإنّه حضر أواخر العهد الملكي في اليوم التاسع من محرّم مجلساً حسينياً في الحسينية الحيدرية في الكاظمية وهو أكبر المجالس. وقد أحصى سماحة السيد العسكري عدد

الشباب الحاضرين فكانوا ثلاثة فقط. ويضيف إنّه راقب موكباً (للتطبير) طيلة المساء وحتى طلوع الشمس فلم ير فيهم مصلياً واحداً.

إنّ هذه الأرقام المحزنة لها دلالاتها الكبيرة، فهي تكشف أنّ الشّعائر الحسينية لم تكن رسالية، وليس ذلك مستغرباً إذا عرفنا أنّ العديد من تلك المواكب كان يقيمها الشيوعيون، ويرفعون فيها شعارات شيوعية.

وقد حاول العديد من الإسلاميين الواعين أن يعيدوا الروح الحقيقية للشعائر الحسينية، ويجعلوها مدارس للتوعية ولنشر المفاهيم الإسلامية الهادفة، لكن تلك المحاولات واجهت أزمات مفتعلة أثارها المغرضون بغية إحباطها. وبالفعل نجحوا في ذلك إلى حدّ بعيد. وسنعود إلى هذا الموضوع عند الحديث عن مواكب الطلبة في الجزء الثالث إن شاء اللّه.

وخلاصة القول إنّ التحرّك الإسلامي على صعيد الإحتفالات الإسلامية، كان يحدث في مناسبات متفرّقة بشكل جماهيري كبير، إلّا أنّه لم يشكّل مظهراً حركياً مغيّراً في الأمة. أمّا الشعائر الإسلامية فإنّها ظلّت تدور في الأوساط غير الرسالية دون أن تتمكّن المحاولات القليلة من إستيعاب الجمهور وتوجيهها بإتّجاه الممارسة الهادفة.

النشاط الحزبي:

تعود الجذور التاريخية للعمل الحزبي الإسلامي إلى العقد الثاني من القرن العشرين، حين شكّل جماعة من علماء الدين جمعية النهضة الإسلامية كما سبق الحديث عنها. ورغم هذه التجربة الرائدة والعمق التاريخي للنشاط

الحزبي الإسلامي، إلّا أنّ الإتجاه التنظيمي إنحسر في الأوساط الإسلامية منذ بدايات العقد الثالث، ولم يشهد العراق بعد تلك الفترة إلى نهاية الحرب العالمية الثانية أي تنظيم إسلامي. في الوقت الذي نشطت فيه وعلى إمتداد تلك السنوات الطويلة، الأحزاب اللاإسلامية وبالخصوص الحزب الشيوعي العراقي. وإستطاعت تلك الأحزاب أن تشغل الساحة السياسية، وتتصدّر أحداثها، مستغلّة الغياب الحركي للاسلاميين.

ولعلّ من أبرز نتائج هذا الغياب الإسلامي، هو عدم قدرة الحزب الإسلامي في ولادته الجديدة على مواجهة التيارات اللاإسلامية. وقد ساهم عنصران مهمّان في تحجيم قدرة الحركة الحزبية الإسلامية:

الأول: ظهـرت الأحـزاب الإسلامية ـ على قلّة عددها ـ بشكل متباعد زمنياً في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. بحيث كانت الفاصلة الزمنية بين كل حزب وآخر ـ على الأغلب ـ تقترب من سنتين. وقد حال هذا التباعد دون تحوّلها إلى تيّار سياسي كبير له تأثير الظاهرة على الوضع السياسي في العراق. بينما نجد أنّ الأحزاب الوطنية والقومية ظهرت في وقت واحد، بل أجازتها الحكومة العراقية في يوم واحد، ثم ظهرت في السنوات التالية أحزاب سياسية جديدة. فكان طبيعياً أن تشغل هذه الأحزاب معظم المسـاحة السياسية والجماهيرية. فعاشت نتيجة ذلك الأحزاب الإسلامية المواقع الصغيرة، وكانت تتحرّك في مجالات إثبات الوجود وبناء الشخصية السياسية لها.

الثـاني: لم تنشـأ الأحـزاب السياسية الإسلامية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٥٢م على قاعدة متينة وعلى تصوّر دقيق شامل،

بحيث يضمن لها إستمرار العمل تحت أجواء قلقة في ظل ظروف صعبة. لذلك نجد أنّ بعضها توقّف عن العمل وإنسحب من المعترك السياسي، فيما ظلّ البعض الآخر يزاول نشاطه في أوضاع صعبة لم توفّر له قاعدة جماهيرية واسعة أو دائرة تنظيمية كبيرة تتناسب مع تقدّم عمره الحركي.

وعلى ضوء هذين العنصرين يمكن لنا تفسير عدم إمكانية الأحزاب الإسلامية في تلك الأيام على منافسة غيرها من الإتجاهات السياسية ومزاحمتها على مواقعها في الساحة.

إنّ الفترة التي أعقبت نهاية الحرب العالمية وحتى تأسيس حزب الدعوة الإسلامية، شهدت ولادة أربعة أحزاب إسلامية، سنحاول الوقوف عندها بشكل سريع:

الإخوان المسلمون:

تأسست جماعة الإخوان المسلمين في العراق عام ١٩٤٨م، وضمّت الهيئة التأسيسية كلًا من : تحسين عبدالقادر الفخري، الشيخ محمد محمود الصوّاف، علي فاطن، عبدالرحمن الشيخلي، منيب الدروبي، عبدالغني شنداله، محمد فرج السامرائي وغيرهم. وكان الشيخ أمجد الزهاوي يمثّل الظل العلمائي للجماعة.

ومن تاريخ التأسيس تكون حركة الإخوان المسلمين، أوّل تنظيم سياسي إسلامي في العراق بعد الحرب العالمية الثانية. كما أنّ طريقة تأسيسها كإمتداد لجماعة الإخوان المسلمين في مصر التي تأسست عام ١٩٢٨م يشير إلى أنّ المبادرة العراقية لم تظهر حتى تلك الفترة في الأوساط

الإسلامية. ولعلّ في ذلك مؤشّراً على أنّ الأوضاع الإجتماعية في العراق لم تتهيّأ للقيام بمبادرة حزبية إسلامية حتى تلك الفترة. هذا إضافة إلى أنّ الأوساط الإسلامية الشيعية والتي تتصدى لقيادتها المرجعية الدينية وعلماء الدين، تأخّرت في المجال الحركي في فترة ما بعد ثورة العشرين ومن ناحية الزمن عن التحرّك الإسلامي المنظّم للسنة. بينما في التجربة الأولى للعمل الحزبي الإسلامي، سجّلت المرجعية وعلماء الدين الشيعة الخطوة المتقدّمة في هذا المجال.

إنّ هذه المقارنة البسيطة تدلّ على طبيعة الجو العام الذي كان يسود الوسط الإسلامي في العراق، حيث يشكّل الشيعة الأغلبية من سكانه.

كانت السنوات الأولى من عمر الإخوان المسلمين، متركّزة حول الجانب التنظيمي وبناء قاعدتها. لذلك لم يكن للجماعة في السنوات الست الأولى نشاط ملحوظ على الساحة. وقد ظهر هذا النشاط عام ١٩٥٤م في كليات جامعة بغداد، وكان أعضاء الحركة يتداولون مطبوعات الإخوان المسلمين التي تصدر في القاهرة.

وحول هذه النقطة أرى من الضروري الإشارة إلى حقيقة تاريخية مهمة، تلك هي أنّ علماء الشيعة وعلى إمتداد العصور، إهتموا بالجانب الفكري إلى الدرجات القصوى، وذلك إنطلاقاً من عقيدتهم في الإجتهاد الذي لا يحصل على نيل درجته، إلّا من بذل جهداً إستثنائياً في تحصيل العلوم الدينية، ولا ينقطع المجتهد عن البحث العلمي، بل يواصل دراساته المعمّقة حتى وفاته أو يقعده المرض والشيخوخة عن الدرس والبحث. وقد تخرّج من الحوزات العلمية مفكّرون كبار أغنوا الفكر الإسلامي والثقافة

الإسلامية بما قدّموا من نظريات ودراسات عالية وكتب ضخمة إنتزعت إعـتراف غيرهم من العلماء والمفكّـرين بضخامة الإنجاز الفكري الذي قدّموه. والإحاطة بأسماء أولئك العظام عملية عسيرة، يكفي أن نقول إنّ هناك العديد من الموسوعات الرجالية كتبت لغرض التعريف بهم بشكل موجز.

ولقـد تصدى علماء الشيعة ومفكّروهم في الردّ على الشبهات التي أثيرت حول التشيّع وحول الإسلام والتي روّج لها الإستعمار والملحدون، وبرزت موجة الإلحاد والفكر المادي. لقد تصدّى لذلك علماء الدين وألّفوا كتباً قيّمة في دحض تلك الشبهات، وبرز من بينهم السيد عبدالحسين شرف الدين والسيد هبّة الدين الشهرستاني والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ محمد رضا المظفّر وغيرهم.

لكنّ هذه الجهود الفكرية العظيمة لم تشفع بدراسات حركية حول العمل الإسلامي، وكانت المكتبة الشيعية تفتقر إلى مثل هذه الكتب على الصعيد الحـركي. مما دفع العاملين للاسلام إلى إعتماد كتب الشهيد سيد قطب بالدرجة الأولى، حتى ظهرت الأقلام الحركية لتسد الفراغ الحركي السابق.

وعـلى ذلـك يمكن القـول إنّ الكتب التي كان يتداولها الإخوان المسلمـون في العـراق، قد إستفـاد منها الحركيّون الآخرون في ثقافتهم العلمية، بشكل ملحوظ.

إتّسم تحرّك جماعـة الإخوان المسلمين بالنشاط الفكري، وكانت أوجه نشاطاتهم متمثلة في إصدار جريدة (الحساب) عام ١٩٥٤م، وكانت

الصحيفة الإسلامية الوحيدة في تلك الفترة، حيث كانت توجد مجلّات إسلامية لكنّها محدودة الإنتشار. كما كانت تقيم الجماعة إحتفالاً إسلامياً ليلة القدر من كل شهر رمضان[٦].

وفي عام ١٩٥٤م إحتفت الجماعة بالشهيد السيد نوّاب صفوي زعيم منظمة (فدائيّان إسلام) إثر عودته من القاهرة في تلك السنة. وقد أقيم له حفل تكريمي في باحة مسجد الإمام الأعظم في الأعظمية ببغداد.

ولّما كانت الجماعة إمتداداً للحركة في مصر، فإنّ وضعها في العراق كان يتأثّر بوضع الحركة الأم. ومن هنا فإنّ نشاطها في العراق كان يقوى أو يضعف تبعاً للأوضاع التي تمرّ بها جماعة الأخوان المسلمين في مصر.

إنتشر تأثير جماعة الإخوان المسلمين على الأوساط السنية، وتركّز نشاطها في الموصل وسامراء والرمادي بالدرجة الأولى، كما شملت نشاطاتها بغداد والبصرة. ولعلّ الحاجز المذهبي هو الذي كان يحول دون إمكانية التأثير على الأوساط الشيعية، كما هي الحالة أيضاً بالنسبة للأحزاب الشيعية التي ظهرت في تلك الفترة.

حزب التحرير الإسلامي:

تأسّس في العراق إمتداداً للحزب الذي تأسس في القدس الشريف عام ١٩٥٢م برئاسة الشيخ تقي الدين النبهاني. وكان الطلبة والأساتذة الأردنيون والفلسطينيون هم الذين شكّلوا فرع الحزب في العراق. وقد

---

(٦) يراجع الفصل الخامس من كتاب (العمل الحزبي في العراق بين ١٩٠٦م ـ ١٩٥٨م) للمؤلّف.

أوجدوا له إمتدادات في بغداد والموصل والبصرة والناصرية. وظلّت كوادر الحزب من غير العراقيين.

من أوائـل عناصره البارزة في العراق: الشهيد الشيخ عبدالعزيز البدري، صالح سرية، عبدالغني الملّاح، أبو علي حسين الدبوني، إبراهيم مكي إبراهيم، محمد الكواز، طالب السامرائي، عبدالغني الشمّري، طالب الرفاعي، نزار النائب وغيرهم. وقد إنسحب فيما بعد العديد من هؤلاء.

في عام ١٩٥٤م حاول حزب التحـرير أن يمارس نشـاطه بشكل رسمي، فلم تجزه الحكومة بعد مماطلة طويلة، مما دفعه إلى توضيح ذلك في بيان وزّعه في وقت واحد في صلاة الجمعة في كل من الموصل وبغداد والبصرة والناصرية ودمشق والقدس وعمان. وهاجم في البيان حلف بغداد والمعاهدة العراقية ـ البريطانية حول النفط عام ١٩٥٥م.

ونتيجة لذلك إعتقلت السلطات العراقية الأشخاص الموقّعين على الـطلب، وفرضت على كل واحد منهم غرامة مقدارها (١٥٠) ديناراً. كما أصدرت قراراً بحظر نشاط حزب التحرير الإسلامي.

إنضمّ إلى حزب التحـــرير بعض الحـــركيين من الشيعـة، لكنّهم إنسحبوا منه، بعد مناقشات فكرية مع زعيم الحزب.

حركة الشباب المسلم:

تأسست في حدود عام ١٩٥٣م ـ كما ذكر لنا أحد أعضائها ـ على يد أحد العاملين للاسلام الذي بدأ نشاطه في النجف الأشرف، ثم إمتدّ تحرّكه إلى كربلاء المقدسة.

كانت تعقـد الحركة مجلساً كبيراً في كربلاء كل إسبوع، وأخذت أفكارها تنتشر بين صفوف الشباب وخاصة طلّاب ثانوية كربلاء للبنين.

تمكنت حركة الشباب المسلم من تنظيم تظاهرة، هي أوّل تظاهرة إسلامية في تلك الفترة. حيث إعتاد الناس على تظاهرات الشيوعيين.

كانت الحـركـة تتخذ من مدرستي الجزائري والخليلي الصغرى في النجف الأشرف منطلقاً لها. وقد كانت تصدّر من هناك مجلة (الذكرى) الشهرية.

تعـرّضت الحـركـة لمضايقات القوميين الذين شنّوا هجومهم على مؤسس الحـركة ومنعوه من المجيء إلى كربلاء. فأضطرّ إلى ترك الجلسة الأسبوعية.

وبعد سنة من تأسيس هذه الحركة، تأسس تنظيم آخر بإسم (منظمة المسلمـين العقـائـديين). وقد تحرّك هذان التنظيمان في أوساط مختلفة من الشعب العراقي، وإمتدّا إلى خارج العراق.

الحزب الجعفري:

تعود جذور هذا الحزب إلى عام ١٩٥١م، حيث حدث إعتداء على بعض الزوّار الإيرانيين، وكان يظن في حينها أنّ للسلطة علاقة بالإعتداء الذي قام به (شقاوات) النجف الأشرف، أو على الأقل أنّها كانت تشجّع على ذلك. وكان المعتدى عليه يجوب الأسواق والصحن الشريف ويخطب في الناس ويثير مشاعرهم ويستنكر عليهم أن تحدث في أوساطهم مثل هذه الجريمة، ثم لا يتحرّكون للمحافظة على كرامة النجف وسمعة المتدينين.

فكان بذلك يثير المشاعر ويحرّك النفوس، وقد أضربت الأسواق إثر ذلك، وعطّل علماء الدين دروسهم، وإمتنعوا عن إقامة صلاة الجماعة، إحتجاجاً على ما حدث.

وفي تلك الأجواء جاءني الشهيد عبدالصاحب دخيل، وتحدّث معي عن المكانة المقدسة للنجف الأشرف التي يسكنها علماء الإسلام ومراجع المسلمين، وأنّها لا بدّ أن تحكم من قبل العلماء، فهم الذين يشكّلون الحكومة المحلية وهم الذين يقيمون الحدود وينزلون العقاب بالمعتدين، وهم الذين يحافظون على الأمن.

وعندما وجدني قد إقتنعت برأيه طلب مني أن نبحث عن شخص ثالث لنشكّل وفداً ونذهب إلى المراجع والعلماء لنطرح عليهم هذا المشروع. وبالفعل وجدنا لنا نصيراً ثالثاً. وزرنا السيد محسن الحكيم والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محمد جواد الجزائري وغيرهم. وقد تعاطفوا مع الفكرة، لكنّ شيئاً عملياً لم يحدث.

إنّ هذه الحادثة كانت الدافع الرئيس وراء إتّجاهنا للعمل الحزبي، فشكّلنا (عبدالصاحب دخيل والمرحوم صادق القاموسي وأنا) عام ١٩٥٢م حزباً إسلامياً. وكنّا نعقد إجتماعاتنا في بيوتنا أو في بعض زوايا مدرسة منتدى النشر بشكل سرّي خوفاً من الجو العام في النجف الأشرف الذي لا يتقبّل مثل هذه النشاطات. وندعو إليها بعض الأصدقاء ونتدارس شؤون الساحة. وقد أولينا إهتماماً خاصة بالتربية الروحية والإلتزام بالشعائر الإسلامية وصلاة الليل وإقامة المجالس الحسينية الهادفة، إضافة إلى التحرّك على أبناء الأمة لتغييرهم نحو الإسلام وهدايتهم له.

كنا نكتب منشورات تتحدث عن أهدافنا وأفكارنا الحركية، ونوزعها على من نثق به ونطلب منه أن يستنسخ نسختين ويوزّعها على غيره، ضمن ظروف سريّة طبعاً.

أردنا أن نقوم بعمل جماهيري نستطيع بواسطته أن نؤثّر على المجتمع. فأقمنا مجلساً حسينياً في الصحن العلوي الشريف من قبل الخطيب الشيخ مسلم الجابري رحمه اللّه. غير أنّه لم يلق النجاح، حيث أثيرت حولنا تهمة (الإخوان المسلمين). وقد إتّجه الشهيد عبدالصاحب دخيل نحو المواكب الحسينية، فكان رحمه اللّه يحضر هذه المجالس ويخطب فيها ويلقي محاضرات إسلامية هادفة عن ثورة الحسين عليه السلام وأبعادها الرسالية.

إنّ تسمية الحزب الجعفري، جاءت بعد أن تعرّضنا لإتهامات شتّى، كان منها إتّهامنا بأنّنا من السنة وأنّنا وهابيون، وهي تهمة خطيرة في ذلك الحين.

كانت نقطة النهاية في عمل الحزب، هي فشل مشروعه في إقامة مجلسه الحسيني، فأصبح الحزب بعد ذلك بحكم المنحل.

بعد هذا الإستعراض السريع للتحرّك الإسلامي في مجاليه الجماهيري والحزبي، يمكن الخروج بنتيجة واضحة، تلك هي عدم قدرة التحرّك الإسلامي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولأكثر من عقد من الزمن، على التأثير في المجتمع العراقي والساحة السياسية بحيث يوقف التيّارات الشيوعية والقومية، ويطرح نفسه بثقل على الأمة فيستقطبها لصالحه ويغيّرها بإتجاه الإسلام. لكن مع التأكيد على أنّ ذلك التحرّك كان

بمثابة التجربة الفتية في خطوات التحرّك الإسلامي اللاحقة.

ولكي تكتمل الصورة عن الظروف العامة التي عاشها العراق قبل تأسيس حزب الـدعـوة الإسلامية، وهي الفترة التي إصطلحنا عليها في الحديث السابق بفترة ما بعد الحرب العالمية. لا بد من الإحاطة بالأجواء الإجتماعية والسياسية العامة التي كانت تعيشها الأمة في العراق أيّامذاك.

يقول العلّامة السيد مرتضى العسكري، إنّه بعد أن درس الحالة الإجتماعية في العراق، ووجد بُعد الأمة عن الإسلام، وتأثيرات التيارات الـلاإسـلامية عليهـا، خصوصاً في أوساط الشباب، فكّر بضرورة إنشاء مدارس عصـرية ومعاهد إسلامية لتربية الجيل الإسلامي. فحاول إنشاء معهد للعلوم الدينية في سامراء لكنّه لم ينجح. فذهب إلى الكاظمية وإتّفق مع المرحوم الأستاذ (أحمد أمين) على فتح مؤسسة عصرية ومعهد للعلوم الـدينية، بحيث يذهب المتخرّج منها لإكمال دراسته في الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

وبالفعل تم إنشاء المعهد خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، وعند تخرّج الدفعة الأولى، قرر السيد العسكري والأستاذ أحمد أمين، أن يتحمّلا نفقات الدراسة لعشرة طلّاب. فلم يذهب إلى الحوزة العلمية سوى طالب واحد. علماً بأنّه لم يكن يدرس في حوزة النجف الأشرف أي طالب من بغداد أو الكاظمية.

وخلال وزارة السيد محمد الصدر عام ١٩٤٨م، أسس العلّامة السيد مرتضى العسكري معهداً دينياً في الكاظمية وإستحصل على إجازة رسمية من الحكومة لتشجيع الطلّاب على الإنتساب إليه، لكن لم يسجّل فيه سوى

تسعة طلّاب لم يواظبوا على الدوام، وإنتهى أمره إلى الغلق[٧].

لقد كان المجتمع منساقاً وراء التيّار السائد في العراق، دون الإهتمام بما يمثّله هذا التيّار من بعد عن الإسلام ومعاداة للعقيدة الإسلامية. وقد تربّت في المدارس الحكومية والتبشيرية أجيال عديدة من أبناء الأمة، حملت الأفكار الوضعية، ونسيت الإسلام.

وفي سنوات الحرب العالمية الثانية وما تلاها إزدادت قوة الشيوعيين في العراق بصورة ملحوظة، ولازلت أتذكّر الكتب الشيوعية الكثيرة التي إنتشرت في العراق من أقصاه إلى أقصاه في المكتبات وعلى الأرصفة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وبعدها.

ورغم أنّ الإنكليز هم الذين شجّعوا الشيوعية على الإنتشار فيما سبق، فإنّهم واجهوها كمشكلة كبيرة، فالعلاج الذي أرادوه لمرض النازية، أصبح هو مرضاً يحتاج إلى علاج.

لقد نظرت بريطانيا وأمريكا إلى الشيوعية على أنّها خطر جديد على نفوذهما في المنطقة الإسلامية، وأنّ واقع ما بعد الحرب كان يتطلّب مواجهة النفوذ الشيوعي المتزايد وذلك فيما عرف بالحرب الباردة بين المستكبرين الشرقي والغربي. وحاولت الدوائر الإستكبارية الإعتماد على علماء المسلمين في خطّتهم الجديدة، ففي عام ١٩٥٤م تبنّت أمريكا جانباً من هذه المهمة، حيث بعث (كارلند إيفانز هوبكنز) نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية، برقيات إلى خمسة وعشرين

---

(٧) حديث مع السيد مرتضى العسكري، بتاريخ ١٩٨٩/١/٢٥م.

شخصا من الشخصيات الإسلامية، وإلى عدد مماثل من الشخصيات المسيحية في العالم، يدعوهم لحضور مؤتمر يعقد في لبنان لبحث القيم الروحية في الديانتين (الإسلامية والمسيحية) والأهداف المشتركة وموقفهما من الشيوعية.

كان نصيب علماء الشيعة في العراق من هذه الدعوات ثلاثة، إذ وجّهت إلى كل من: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ علي كاشف الغطاء والشيخ محمد الخالصي.

وندرج أدناه نص الرسالة التي وجهت إلى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

نيويورك في ١٥آذار سنة ١٩٥٤م

فضيلة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المحترم

النجف ـ العراق

سيدي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا شك أنّكم تشاركونني الرأي في أنّ الإسلام والمسيحية لهما أهداف واحدة في كثير من النواحي، كما أنّ لهاتين الديانتين أعداء مشتركة، من بينها المغريات والأغراض المادية ثم الشيوعية، وأعتقد أيضاً أنّكم تشاركونني في رأيي أنّه مادام لهاتين الديانتين العظيمتين أهداف مشتركة وأخصام مشتركة، يترتّب إذن وضع أسس للتعاون بينهما.

وبعد التباحث مع بعض الشخصيات من المسلمين والمسيحيين وجدت أنّ أفضل الطرق لمعالجة هذا الأمر هو عقد إجتماع تمهيدي يضم

رجال الدين من كلا الطرفين.

في هذا الإجتماع يدلي كل فرد من المجتمعين برأيه ويقر النقاط التي يمكن الوصول إلى إتفاق بشأنها، إذ أنّ هذا الإجتماع هو عبارة عن تبادل في الرأي.

بناء على ذلك عرضت الإقتراح على مجلس إدارة جمعيتي الذي رحّب بدوره بالفكرة ورجا التوفيق لهذه الخطوة المباركة، كما أبدى إستعداداً لمؤازرة المشروع.

لذا فقد كلّفني مجلس الإدارة المذكور أن أتّخذ الإجراءات اللازمة لعقد هذا المؤتمر، وها أنا ذا أوجّه الدّعوة إلى ٢٥ من الشخصيات المسيحية و ٢٥ من الشخصيّات المسلمة كيما نجتمع في أوتيل إمبسادور الكائن في (بحمدون) لبنان، وذلك لحضور المؤتمر الذي سيعقد في ٢٢ نيسان سنة ١٩٥٤م ويستمر ستّة أيّام (من ٢٢ ـ ٢٧)، هذا وقد حرصت على أن يجري عقد هذا المؤتمر في أحد المصايف المنعزلة في جوّ هادىء بعيد عن ضوضاء الصّحافة.

وستكون أبحاث المؤتمر محصورة في (النواحي الروحية والقيم المثلى التي وردة في تعاليم الدين مبيّنة عقم الفلسفة المادية الفانية)، وسيتناول البرنامج المواضيع التالية:

١ـ مراجعة القيم الروحية في كلتا الديانتين:

أ ـ القيم الروحية في الإسلام.

ب ـ القيم الروحية في المسيحية.

٢ـ النواحي الروحية في الدين وقدر الإنسان وكرامته.

أهمية هذه القيم:

أ ـ بالنسبة إلى الفرد:

١ـ في الإسلام.

٢ـ في المسيحية.

ب ـ بالنسبة إلى العائلة:

١ـ في الإسلام.

٢ـ في المسيحية.

ج ـ بالنسبة إلى المجتمع:

١ـ في الإسلام.

٢ـ في المسيحية.

«الصيغة الدينية والدنيوية في المجتمع».

«الصيغة الجماعية والفردية في المجتمع».

٣ـ الأعمال الحيوية المستمدة من الدين:

أ ـ في الإسلام، الزكاة وإمكانية إنتشارها.

ب ـ في المسيحية، أعمال البر والعدالة الإجتماعية.

٤ـ خطر الشيوعية على المجتمع في عصرنا الحاضر:

أ ـ ماهو جواب الإسلام على الشيوعية.

ب ـ ماهو جواب المسيحية على الشيوعية.

٥ـ التطبيق العملي:

أ ـ ماهي الطرق الكفيلة في الإسلام لنقل هذه القيم الروحية إلى الجيل الحديث؟.

ب ـ ماهي الطرق الكفيلة في المسيحية لنقل هذه القيم الروحية إلى الجيل الحديث؟.

ج ـ ماهي الوسائل التي يمكن للطرفين أن يتعاونا بموجبها لتحقيق هذا الهدف؟.

وسيتباحث المؤتمرون معاً مرتين أو ثلاث في اليوم ثم يعقدون الجلسات عقب ذلك، ولي وطيد الأمل في أن يمضي المؤتمرون قسماً من وقتهم في التآلف والتآخي.

وبهذه المناسبة يسرّني أن أذكر أنّ الكثيرين من الشخصيات المسيحية والإسلامية البارزة من جميع أنحاء العالم قد قبلوا دعوتنا. وإنّي أسترعي إنتباهكم إلى أنّه يمكنكم الإستعلام عن موقف جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية وأهدافها السامية من أصحاب السعادة الدكتور محمد فاضل الجمالي أو السيد عبدالله بكر أو السيد موسى الشاهبندر.

كما وإنّي أوردت في كتابي هذه التفاصيل كلّها راجياً تشريفنا بقبول دعوتنا هذه التي أوجهها إليكم للاشتراك معنا في أبحاث المؤتمر. حيث أنّ حضوركم سيعود بالنفع الكبير. نحن مستعدون لتغطية نفقات السفر ذهاباً وإيّاباً إلى (بحمدون) مع بقيّة نفقات المعيشة أثناء إقامتكم فيها.

أعتقد أنّكم تدركون ولا شك أنّه من الضروري جداً أن نعلم فيما إذا كنتم ستتكرّمون علينا بحضوركم وذلك كيما أتمكّن من دعوة شخص آخر بدلاً منكم اذا لم يكن بمقدوركم ذلك.

لذا أرجو أن تتكرّموا بإرسال جوابكم لي برقياً وفي أقرب فرصة ممكنة، ويمكن إرسال البرقية بالعنوان التالي:

وبالختام تفضّلوا بقبول فائق التحية والإحترام.

المخلص

كارلند إيفانز هو بنكنز

نائب الرئيس التنفيذي

أما الشيخ محمد حسين فلم يكتف بعدم الحضور، وإنّما أجابهم برسالة مطوّلة، طبعت في كتاب أسماه «المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون».

وقد أحدث الكتاب هذا ضجّة وإنتشر إنتشاراً واسعاً، ولم يكن يألف الناس في تلك الأيام أن يتحرّك العلماء وأن ينتقدوا الدولة وتصرفاتها، بل ويتعرّضوا للسياسة الأمريكية والبريطانية بصورة عامة.

والواقع أنّ الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه اللّه كان يختلف إختلافاً كبيراً عن بقيّة المراجع، فإنّ أولئك إذا سكتوا ولم يتدخّلوا بشؤون الدولة فإنّ الشيخ لم يسكت، بل تدخّل وإعترض وإنتقد، وله مواقف عديدة يذكرها النجفيّون بصورة خاصة والعراقيون بصورة عامة في هذا الشأن، ولعلّ تحرّك الشيخ كان أحد الأسباب التي جعلت المراجع الآخرين ينظرون إليه وكأنّه مرجع من الدرجة الثانية أو أنّه إنسان بعيد نوعاً ما عن الورع والتقوى والزهد في الدنيا.

وكان رحمه اللّه عندما يذهب إلى الصحن الشريف للصلاة يركب سيارته وكان الآخرون يوجّهون له نقداً لاذعاً لأنّه خرج عن العرف المألوف في المشي على الرجلين أو ركوب الحمير.

كان رحمه اللّه محبوباً من قبل النجفيّين ومؤثّراً فيهم تأثيراً نسبياً، في

حين كان المراجع الآخرون يفتقدون هذه الميزة.

كما كان خطيباً بليغاً وأديباً كبيراً ينظم الشعر أحياناً، وله خطابات مشهورة في القدس وفي مسجد الكوفة، وقد كان واسع المعرفة والإطلاع وله مؤلفات عديدة في كثير من أبواب المعرفة غير الفقه والأصول التي درج عليها الفقهاء الآخرون.

ولم تعرف قيمته الحقيقية إلّا بعد وفاته، حيث أحدث ثلمة كبيرة رحمه اللّه وأسكنه فسيح جنّاته.

ولنعد إلى حديثنا الذي بدأناه، أنّ الشيخ كاشف الغطاء أجاب دعوة المؤتمر برسالة مطوّلة نقتبس منها مايلي:

من النجف الأشرف

بسم اللّه الرحمن الرحيم

جناب نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط كارلند إيفانز هوبكنز المحترم.

إكراماً وإحتراماً

وردني كتابكم تدعوني فيه إلى الحضور في المؤتمر الذي إعتزمتم عقده آخر نيسان في (بحمدون) لبنان، ويتكوّن من خمسة وعشرين شخصاً من علماء المسلمين ومثلهم من المسيحيين للمداولة في أهداف كلتا الديانتين، وقلتم إنّ أبحاث المؤتمر ستكون محصورة في النواحي الروحية والقيم المثلى التي وردت في تعاليم الدين، مبيّنة عقم الفلسفة المادية الفانية، ثم ذكرتم جهات البحث في كلتا الديانتين إلى أن وصلتم إلى الغاية المقصودة والناحية التي لعلّها هي الغرض الوحيد من هذه الترانيم والأناشيد، فقلتم خطر

الشيوعية على المجتمع في عصرنا الحاضر، ويتلخّص جميع ماذكرتم من النواحي التي تريدون البحث عنها والنظر فيها من أعضاء المؤتمر الذين يبلغ عددهم الخمسين، وتبلغ موادها العشرين، نعم تتلخّص أبحاثها في أمرين:

١ـ القيم الروحية والمثل العليا في الإسلام والمسيحية.

٢ـ خطر الشيوعية على المجتمع وطلب علاجها من الإسلام والمسيحية.

فنقول: يلزم قبل كل شيء أن تعرفوا جيّداً أنّ لسان العمل أبلغ وأشدّ أثراً من لسان القول، وأنّ ألوف المؤتمرات والمذاكرات وكل الإجتماعات والمجتمعات ليس لها أي أثر إذا لم تكن الدولة المؤسسة لتلك المؤتمرات والمذاكرات هي في نفسها منسجمة وملتزمة بالقيم المثلى والنواحي الروحية، ولا يندفع خطر الشيوعية إلّا بتحقيق حرية الشعوب والعدالة الإجتماعية وقلع جذور الظلم والعدوان وقمع رذيلة الحرص والشره على حق الغير والتجاوز عليه، فهل أنتم يامعاشر الأمريكان وياحكومة الولايات المتحدة ويادولة الإنكليز هل أنتم واجدون تلك الصفات؟ وهل عندكم شيء من القيم الروحية والمثل العليا؟ وهل أبقيتم للقيم الروحية قيمة؟ وقديماً قال الحكماء إنّ فاقد الشيء لا يكون معطيّاً.

أليست أعمالكم الفظيعة وضربتكم القاسية للعرب والمسلمين في فلسطين قد سوّدت وجه الدهر وألبست الأعصار جلابيب الخزي؟.

كان الشرق بأجمعه يعاني كابوسين من الإستعمار، إنجليزي وفرنسي، وجاءت اليد الصيهونية اللئيمة لتهاجم قرى العرب العزلاء وتقتل رجالها وأطفالها ونساءها الأبرياء، ألستم أنتم الذين لا تزالون تمدّونهم بالمال

والسلاح، وتدفعونهم إلى هذه الجرائم دفعاً، وإلاّ فاليهود أقصر باعاً وأضعف قلباً من أن يجرأوا على العرب هذه الجرأة.

ألستم أنتم أخرجتم تسعمائة ألف نسمة من العرب أخرجتموهم من أوطانهم وبلادهم وشرّدتموهم بالصحاري والقفار يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء؟ وكانوا في أوطانهم أعزّاء شرفاء، يكاد يتفجّع لحالهم الصخر الأصم ويبكي لحالهم الأعمى والأصم وأنتم لا تزالون تغرّون اليهود بالعدوان عليهم، فهل فعل نيرون كأفعالكم هذه؟.

والعجب كل العجب أنّكم في نفس الوقت تطلبون من المسلمين والعرب الإنضمام إلى جهتكم والتحالف معكم وإبرام المعاهدات لكم، فأنتم تضربون العرب بأرجلكم ورجالكم، تصفعونهم على عيونهم بيد وتمسحون رؤوسهم باليد الأخرى.

وجئتمونا اليوم تريدون عقد المؤتمرات للمثل العليا وتناشدون إقامة المذاكرات للقيم الروحية، أليست هذه الإضرابات التي تراق فيها دماء أهل الوطن الواحد والملّة الواحدة في طهران وسوريا ومصر ولبنان، أليست كلّها من أصابعكم الخفيّة التي تلعب ليلاً ونهاراً من وراء الستار؟ ألستم أنتم الذين تصبّون البلاء والمحن وتريقون دماء الأبرياء في الشرق والغرب؟ فتونس ومراكش والجزائر تصطلي في المغرب بناركم وكوريا والهند الصينية وكينيا تضطرم في الشرق بأواركم، كل هذا حرصاً على المال وتهالكاً على المادة ـ المادة التي تقول عنها في كتابك ـ.

إنّ أبحاث المؤتمر ستكون محصورة في النواحي الروحية والقيم المثلى التي وردت في تعاليم الدين مبيّنة عقم الفلسفة المادية الفانية. وهل الدين

عندكم غير المادة؟ وهل تعبدون إلّا المادة؟ وهل ملأتم الدنيا شراً وبلاء إلّا في سبيل المـادة؟ وهل أعددتم القنابل الذريّة وأخواتها المهلكة للعالم إلّا للاستيلاء والغلبة وإستعباد العالم وتفانياً على المادة؟ وهل هذا الإصرار على الإستعمار وسلب الأحرار حريّاتهم المقدسة إلّا عبودية للمادة، وهل يسيل لعابكم إلّا لهذه المادة السائلة؟ وهل تطلبون السيادة إلّا على هذه المادة السوداء؟.

نعم كانت أهالي القارة الأمريكية بمعزل عن العالم القديم، ولكن زجّ بها وجرّها إلى هذه الويلات والولايات شيطان أبالسة الإستعمار، زجّها بهذا الأتون المضطرم لصالحه وإكمال رسالته في الإستعمار وإستعباد الأمم والغلبـة على الألمان والنازية التي كادت أن تجعله صفراً في أرقام صحيفة الدول. إستعان بها في الحرب الأولى والثانية وقرأ عليها درس الإستعمار درساً درساً، وغرس في لهاتها ضروس الإستعمار ضرساً ضرساً.

وبالضرورة أنّ أمريكا أصبحت تريد السيطرة لا على الروس فقط بل على العالم كلّه، وعسى أن يصل التحالف الأمريكي الإنجليزي إلى تخالف يسحق كلّ منهما الآخر..).

ثم يستمـر رحمـه اللّه في حديثه الشجاع عن المآسي التي أوقعها الإستعـمار الأمـريكي والـبريطاني في المنطقة العربية بصورة خاصة، ثم يتطرّق إلى «حلف بغداد» الذي عقد عام ١٩٥٤م بين العراق وتركيا وإيران وباكستان.

فيقول رحمه اللّه في ص ٣١:

ثم كيف وأنّى يتورّط العراق بالدخول في حلف تركيا والباكستان في

الوقت الذي تدعو فيه الحكومة العراقية الدول العربية إلى الوحدة العربية أو الإتحاد العربي.

وهل هذا إلّا كجمع النقيضين والتوفيق بين الضدّين «متطلباً في الماء جذوة نار» كيف نحالف تركيا وهي صديقة (إسرائيل) في الوقت الحاضر، وأوّل دولة إعترفت بها ولاتزال تؤيّدها وتروّج بضاعتها وتجارتها؟.

وحكومة تركيا الآن عدوّة العرب والإسلام وصديقة اليهود، وقديماً قالوا: (صديق عدوّي ليس لي بصديق) وقد باعت تركيا شرف إستقلالها بالدولار وصارت آلة لأمريكا تصرفها كيف تشاء، وبإشارة منها أصبحت أكبر مساعد لإسرائيل لقيطة أمريكا وإبنتها المدلّلة.

ثم أنّ دخول العرب في حلف تركيا سهم في قلب العروبة، نعم هو سهم ذو ثلاث شعب:

١ـ أنّه إماتة لقضية فلسطين.

٢ـ تمزيق لوحدة العرب.

٣ـ نقمة الشعوب العربية وثورتها ولعنة الأجيال.

وفي صحيفة ٤٣ يقول رحمه اللّه:

إنّ من يتطلّب المثل العليا حقيقة ويلتمس العثور على ما يجمع القيم الروحية تماماً واقعاً، لا يجدها مهما كدّ وكدح، وشرّق وغرّب، لا يجدها إلّا في شريعة محمد وقرآن محمد (ص) وسيرة محمد (ص) ولا يجد الديمقراطية الصحيحة والإشتراكية العادلة إلّا في حياة محمد (ص) وعند خلق محمد (ص).

أمّا عن كيفية حلّ مشكلة فلسطين، فيقول رحمه اللّه في ص ٦٩:

(وإختلاف كلمة الدول العربية بعد الحرب العالمية الثانية هو الذي أدّى إلى فاجعة فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل.

والعالم العربي الآن يعرف جيّداً أنّ لإسرائيل أهدافاً إعتدائية، ويعرف أنّ إسرائيل كالنار الملتهبة تستمر في إحراق ما يجاورها أو تخمد ويقضي عليها، وكالوباء المكروبي الذي يظل منتشراً أو يقتل ويفنى.

إنّ قضيّة فلسطين في الوقت الحاضر بعد أن إعترفت بها دول كثيرة، أصبحت معقّدة جداً، وحلّها يحتاج إلى كثير من الحكمة والحذر والصبر والشجاعة، ولمعالجتها ينبغي أن نأخذ بنظر الإعتبار أموراً كثيرة أشير إلى بعضها:

١ـ يجب الإبتعاد عن الأقوال الفارغة والوعيد والتهديد والحذر من التظاهر بالدعوة إلى الإنتقام والثأر، والجولة الثانية تلك الدعوة التي تدسّها وتنشرها الدول الإستعمارية علناً عن سوء قصد كي تلهّي العرب بالخيال والأماني عن الواقع المر وتحوّل نقمة العرب منهم إلى إسرائيل.

وينبغي الحذر من دسائس الإنكليز والأمريكان ودحض دعاتهم التي تظهر العرب بمظهر المعتدي والمنتقم والحال أنّ العرب يطالبون بحقّهم وهم الموتورون، ولو ردّوا إليهم بلادهم لم يكن لهم مع اليهود ولا غيرهم حقد أو سوء، وقد عاش اليهود مع العرب بسلام حقبة طويلة من الزّمن.

٢ـ إنّ أصل بلائنا بإسرائيل كما ذكرنا من إنكلترا التي كوّنتها، وأمريكا التي شجّعت إسرائيل وعاونتها، فخلاصنا من إسرائيل مرتبط إرتباطاً وثيقاً بخلاصنا من الإستعمار.

فإن إستقلّت الدول العربية إستقلالاً كاملاً وتكوّنت فيها حكومات

الوقت الذي تدعو فيه الحكومة العراقية الدول العربية إلى الوحدة العربية أو الإتحاد العربي.

وهل هذا إلّا كجمع النقيضين والتوفيق بين الضدّين «متطلباً في الماء جذوة نار» كيف نحالف تركيا وهي صديقة (إسرائيل) في الوقت الحاضر، وأوّل دولة إعترفت بها ولاتزال تؤيّدها وتروّج بضاعتها وتجارتها؟.

وحكومة تركيا الآن عدوّة العرب والإسلام وصديقة اليهود، وقديمًا قالوا: (صديق عدوّي ليس لي بصديق) وقد باعت تركيا شرف إستقلالها بالدولار وصارت آلة لأمريكا تصرفها كيف تشاء، وبإشارة منها أصبحت أكبر مساعد لإسرائيل لقيطة أمريكا وإبنتها المدلّلة.

ثم أنّ دخول العرب في حلف تركيا سهم في قلب العروبة، نعم هو سهم ذو ثلاث شعب:

١ـ أنّه إماتة لقضية فلسطين.

٢ـ تمزيق لوحدة العرب.

٣ـ نقمة الشعوب العربية وثورتها ولعنة الأجيال.

وفي صحيفة ٤٣ يقول رحمه اللّه:

إنّ من يتطلّب المثل العليا حقيقة ويلتمس العثور على ما يجمع القيم الروحية تماماً واقعاً، لا يجدها مهما كدّ وكدح، وشرّق وغرّب، لا يجدها إلّا في شريعة محمد وقرآن محمد (ص) وسيرة محمد (ص) ولا يجد الديمقراطية الصحيحة والإشتراكية العادلة إلّا في حياة محمد (ص) وعند خلق محمد (ص).

أمّا عن كيفية حلّ مشكلة فلسطين، فيقول رحمه اللّه في ص ٦٩:

(وإختلاف كلمة الدول العربية بعد الحرب العالمية الثانية هو الذي أدّى إلى فاجعة فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل.

والعالم العربي الآن يعرف جيّداً أنّ لإسرائيل أهدافاً إعتدائية، ويعرف أنّ إسرائيل كالنار الملتهبة تستمر في إحراق ما يجاورها أو تخمد ويقضي عليها، وكالوباء المكروبي الذي يظل منتشراً أو يقتل ويفنى.

إنّ قضيّة فلسطين في الوقت الحاضر بعد أن إعترفت بها دول كثيرة، أصبحت معقّدة جداً، وحلّها يحتاج إلى كثير من الحكمة والحذر والصبر والشجاعة، ولمعالجتها ينبغي أن نأخذ بنظر الإعتبار أموراً كثيرة أشير إلى بعضها:

١ـ يجب الإبتعاد عن الأقوال الفارغة والوعيد والتهديد والحذر من التظاهر بالدعوة إلى الإنتقام والثأر، والجولة الثانية تلك الدعوة التي تدسّها وتنشرها الدول الإستعمارية علناً عن سوء قصد كي تلهّي العرب بالخيال والأماني عن الواقع المر وتحوّل نقمة العرب منهم إلى إسرائيل.

وينبغي الحذر من دسائس الإنكليز والأمريكان ودحض دعاتهم التي تظهر العرب بمظهر المعتدي والمنتقم والحال أنّ العرب يطالبون بحقّهم وهم الموتورون، ولو ردّوا إليهم بلادهم لم يكن لهم مع اليهود ولا غيرهم حقد أو سوء، وقد عاش اليهود مع العرب بسلام حقبة طويلة من الزّمن.

٢ـ إنّ أصل بلائنا بإسرائيل كما ذكرنا من إنكلترا التي كوّنتها، وأمريكا التي شجّعت إسرائيل وعاونتها، فخلاصنا من إسرائيل مرتبط إرتباطاً وثيقاً بخلاصنا من الإستعمار.

فإن إستقلّت الدول العربية إستقلالاً كاملاً وتكوّنت فيها حكومات

نزيهة مخلصة تتعاون وتتحّد وتتسلّح للقضاء على الخطر، تهيّأ الخلاص للعرب من إسرائيل وماتت من نفسها بلا عناء، بل تموت بدون حرب وتستسلم في الحال بلا قتال ولا جدال لمطالبِ العرب، ويمكن حينئذ ضمّ القسم اليهودي إلى الإتحاد العربي الواسع ومعاملتهم كمواطنين أو إعتبارهم من أهل الذمّة حسب قانون الإسلام.

٣ـ إنّ إختلاف كلمة دول العرب هو الذي أدّى إلى الكارثة ولا يتمكّن العـرب من إيقاف نمو إسرائيل أو القضاء عليها، إلّا بتضامنهم وإتّحادهم، وإلّا فإنّ البلاء إذا توسّع هذه المرة فإنّه سوف يعم الجميع بل يؤدّي إلى فناء العرب وتشريدهم في الآفاق وينعكس الأمر فيصبح اليهود مجتمعين آمنين في بلدان العرب، والعرب مشرّدين عن بلدانهم وأوطانهم.

ولا ينفع حينئذ الندم ولا يمكن العلاج فإنّ مثقالاً من الوقاية خير من قنـطار علاج، وسـوف نكـون نحن الأسـلاف لعنة الأخلاف وسبّة الأجيال، وإذا بقينـا على خدرنـا وكسلنا ونومنا العميق ستصلنا النار في القريب العاجل.

بالله عليكم أيّها العرب إرحموا أنفسكم من العذاب الذي تعانونه الآن ومن البـلاء الـذي يدبّره لكم الأعداء، ووحّدوا صفوفكم وتضامنوا وتعاونوا ولا تتهاونوا تنجحوا وتفلحوا.

الكتاب «المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون» يقع في ثمانين صفحة يطفح حرقة وألماً للوضع المأساوي الذي سبّبه الإنكليز والأمريكان.

ولكنّـه رحمـه الله لم يتخلّص من الـروح القومية العربية، يفكّر بالوحدة العربية التي هي كفيلة بالخلاص من إسرائيل ـ كما يتصوّر ـ وكأنّه

ليس مرجعاً للمسلمين يجب أن يفكّر إسلامياً بعيداً عن القوميات، ثم إنّه رحمه اللّه يتصوّر أنّ الإسلام يجسّد أعلى مضامين الديمقراطية والإشتراكية، وهو مرجع الأمة الإسلامية.

وكيفما كان فإنّ الشيخ كان فلتة في المراجع، لا يدانيه أحد منهم، رحمه اللّه وأسكنه فسيح جنّاته.

ولعلّ إنفلات الشيخ كاشف الغطاء عن عرف العلماء والمراجع يرجع إلى ثلاثة أسباب:

١ـ إنّه لم يكن ضمن العلماء الذين سفّروا إلى إيران، ثم أرجعوا بعدما أخذ منهم تعهّد بعدم التدخّل في الشؤون السياسية.

٢ـ لأنّه كان عراقياً عربياً، ليست فيه شبهة كونه ليس من أهل البلاد ـ كما يتذرّع بها الحكّام ـ.

٣ـ لأنه رحمه اللّه كان في حدّ ذاته شجاعاً قوياً، يحسن الكلام مع الحكّام ويلقي في نفوسهم الرعب.

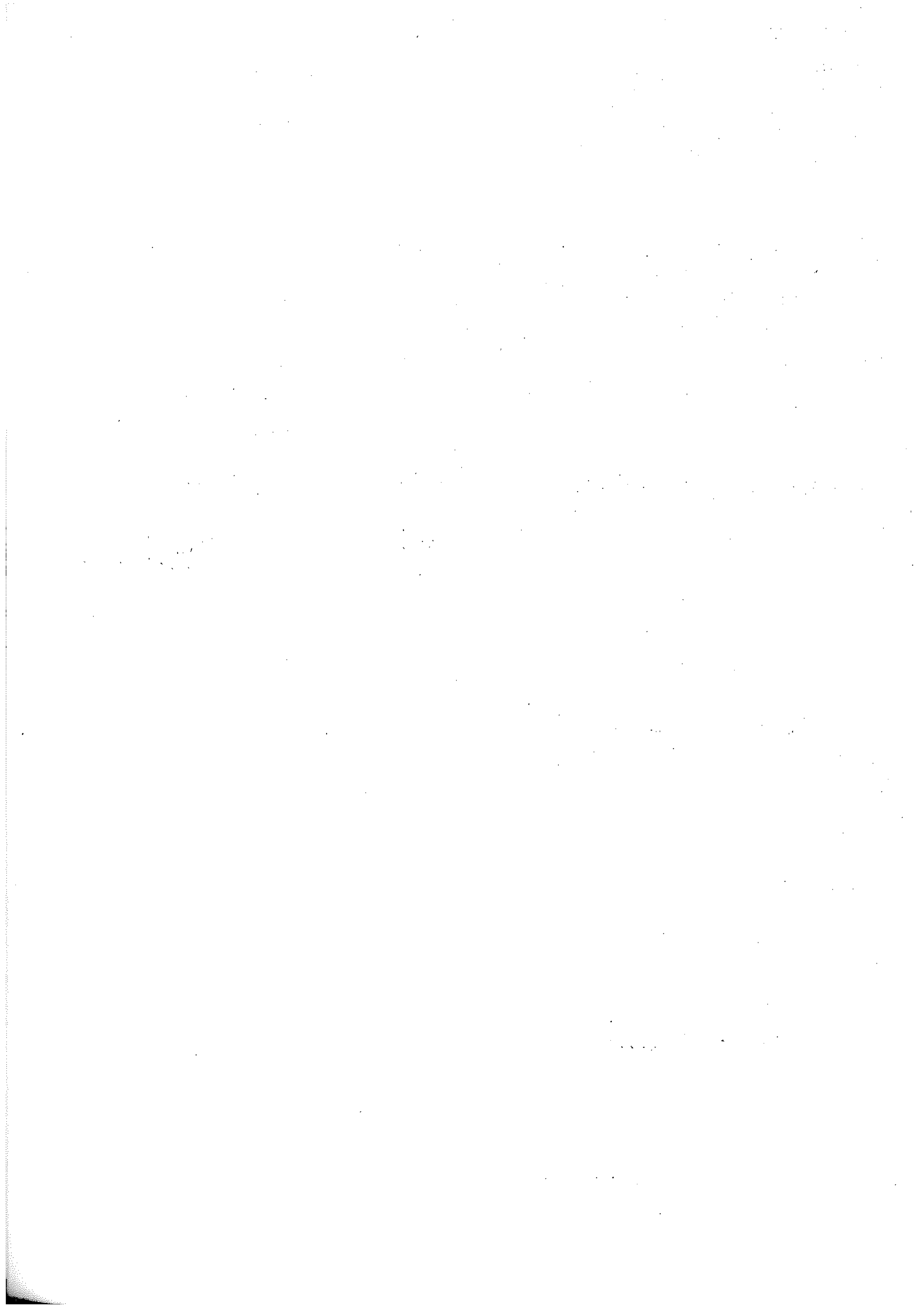
وإذا كانت الشيوعية بهذا المستوى من الخطر، فإنّ ذلك يعني بالمقابل ضعف الإتجاه الإسلامي داخل المجتمع، على إعتبار أنّ الشيوعية لا تنشطر إلّا في الأجواء التي يغيب عنها الإسلام. وقوّة التيار الشيوعي تشير بشكل طبيعي إلى إمتلاكه قاعدة واسعة بين صفوف الأمة.

لقد أفرز النشاط الشيوعي مجتمعاً يعيش فيه الإسلام غريباً معزولاً. فلم يكن مستغرباً أن تخلو المساجد من الشباب، وأن يحضرها عدد قليل من الشيوخ. بل هجرت العديد من المساجد حتى لم يعد يهتم بها أحد.

كان العراق في تلك السنوات يمر بمرحلة حمراء، فعاش خلالها

الإسلام واحدة من فتراته المظلمة عبر تاريخه الطويل. تلك هي الظروف السياسية والإجتماعية التي عاشتها الساحة العراقية والتي ولد فيها حزب الدعوة الإسلامية الذي سيتركّز الجزء الثالث في الحديث عنه إن شاء اللّه تعالى.

الملحقات



وثيقة موقعة من قبل علماء الدين ورؤساء العشائر تطالب بالاستقلال

«بسم الله جلّ شأنه»

نحن عموم أهالي النجف الأشرف علمائها واشرافها واعيانها وممثلي الرأي العام فيها وكافة أهل الشامية ـ سادتها وزعماء قبائلها وممثليها ـ قد أنتدبنا بعض علمائنا وأشرافنا ووجهائنا، وهم حضرات الشيخ جواد الجواهري والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي والسيد نور السيد عزيز الياسري والسيد علوان الياسري والحاج عبد المحسن شلاش، لان يمثلونا تمثيلاً صحيحاً قانونياً أمام حكومة الاحتلال في العراق وأمام عدالة الدول الديمقراطية التي جعلت من مبادئها تحرير الشعوب. وقد خولناهم أن يدافعوا عن حقوق الامة ويجهروا في طلب استقلال البلاد العراقية بحدودها الطبيعية، العاري عن كل تداخل أجنبي

في ظل دولة عربية وطنية يرأسها ملك عربي مسلم مقيد بمجلس تشريعي وطني. هذه هي رغائبنا لا نرضى بغيرها ولا نفتر عن طلبها، ومنه نستمد الفوز والنجاح وهو حسبنا ونعم الوكيل في ١٨رمضان سنة١٣٣٨، ثم وقع على الوثيقة جمهرة كبيرة من علماء النجف والوجوه ورؤساء العشائر وهم:

(١) شيخ الشريعة الاصبهاني (٢) السيد ابو الحسن الاصبهاني (٣) الشيخ علي آل شيخ جعفر كاشف الغطاء (٤) السيد كمال الدين (٥) الشيخ مشكور الحولاوي (٦) الشيخ موسى تقي زاير دهام (٧) الشيخ اسحاق الرشتي (٨) الشيخ مهدي الخراساني ـ الآخوند ـ (٩) السيد علي نجل الامام السيد حسن الشيرازي (١٠) الشيخ محمد جواد البلاغي (١١) الشيخ جواد الشبيبي (١٢) الشيخ علي المانع (١٣) السيد محمد رضا الصافي (١٤) الشيخ محمد جواد الجزائري (١٥) السيد سعيد كمال الدين (١٦) السيد صالح البغدادي (١٧) السيد احمد الحبوبي (١٨) السيد عباس الكليدار (١٩) السيد علي بحر العلوم (٢٠) السيد محسن القزويني (٢١) الشيخ جعفر الجواهري (٢٢) الشيخ علي الأعسم (٢٣) محمد جعفر السيد باقي (٢٤) الشيخ عبد الحسين الحياوي (٢٥) السيد محمد حسين السيد كاظم القزويني ـ الكيشوان ـ (٢٦) السيد هادي الخرسان (٢٧) السيد هادي النقيب الرفيعي (٢٨) السيد محمد الحسيني (٢٩) الشيخ محمد حسين الجواهري (٣٠) عبد الغني مسعود (٣١) الحاج محمد سعيد شمسه (٣٢) محمد رضا الصراف (٣٣) السيد مهدي السيد سلمان (٣٤) الحاج حسون شربه (٣٥) السيد حسن كمونة (٣٦) محمد الحاج محسن النجم (٣٧) غيدان عدوة (٣٨) الحاج حسين الظاهر (٣٩) محمد رؤوف شلاش

(٤٠) السيد علي جريو (٤١) عبد المهدي الدجيلي (٤٢) عيسى الخلف (٤٣) هادي الحاج علوان (٤٤) صالح نعمة (٤٥) الحاج سعد الدعمي (٤٦) الشيخ عبود الشيخ حسون ابلال (٤٧) مجيد عرب (٤٨) عبد الجليل ناجي (٤٩) السيد محمد رضا الحلو (٥٠) الحاج جواد شعبان (٥١) مجيد الحاج محمد شريف (٥٢) احمد سلمان النجم (٥٣) محمد سعيد ناجي (٥٤) يوسف عجينة (٥٥) نعمة السيد محمد الصافي (٥٦) كاظم الشيخ محمد عليبيج (٥٧) الحاج هادي فخر الدين (٥٨) سلمان فخر الدين (٥٩) ملا عزيز آل سلمان حسين النجم (٦٠) سلمان الظاهر رئيس الخزاعل (٦١) السيد هادي امكوطر (٦٢) حاج جاسم آل جياد (٦٣) مرزوك العواد (٦٤) عبد الواحد الحاج سكر (٦٥) علوان الحاج سعدون (٦٦) سلمان العبطان (٦٧) السيد عبد زيد (٦٨) السيد محسن ابو طبيخ (٦٩) السيد هادي زوين (٧٠) صدام الفنيخ (٧١) جري المريع (٧٢) لفتة آل شمخي (٧٣) عبادي آل حسين (٧٤) مهدي آل عسل (٧٥) مجبل آل فرعون (٧٦) السيد عبد الله العذاري (٧٧) الشيخ عبد اللطيف شعبان رئيس خدمة (٧٨) الحاج عبد الله شعبان.

رسائل الميرزا الشيرازي وشيخ الشريعة الى الرئيس الامريكي ولسن

تحظى بخدمة جناب الأجل سفير دولة امريكا المتحدة في طهران المحترم بعد الاحترام اللائق:

لزمنا ان نحرر لكم في هذه الآنة على سبيل الايجاز، وذلك نظرا الى ما املته حكومة الولايات المتحدة من الشروط المعروفة التي قدمها رئيس جمهوريتها لإحقاق الحقوق، وتقرير المصائر، قد رأينا أن نراجع حكومة الولايات المتحدة بتوسطكم ونستعين بها في تأييد حقوقنا بتشكيل دولة عربية.

ولا يخفاكم أن كل أمة مطوّقة بالقوات العسكرية المحتلة من كل الجوانب لاتجد امامها مجالا حرا للتّعبير عن آرائها في الحرية والاستقلال.

أما حرية الرأي المزعومة في هذا العهد فلا يطمئن اليها الناس، لهذا خشي أكثر الاهالي ان يعلنوا رغائبهم، ويكشفوا عما في ضمائرهم، واذا بان خلاف ذلك فانه لاشك منبعث عن الظروف القاسية المحيطة بهذه البلاد، لذلك رأى الشعب العراقي أن يستعين بحكومة الولايات المتحدة على المطالبة بحقوقه وانجازها.

شيخ الشريعة

محمد تقي الحائري

٥ جمادى الاولى ١٣٣٧ هـ

لحضرة رئيس جمهورية الولايات المتحدة الاميركية المحترم.

ابتهجت الشعوب جميعها بالغاية المقصودة من الاشتراك في هذه الحروب الاوروبية من منح الامم المظلومة حقوقها وافساح المجال لاستمتاعها بالاستقلال حسب الشروط المذاعة عنكم، وبما أنكم كنتم المبدأ في هذا المشروع. مشروع السعادة والسلام العام، فلابد وأن تكونوا الملجأ في رفع الموانع عنه، وحيث قد وجد مانع قوي يمنع من اظهار رغائب

كثير من العراقيين على حقيقتها بالرغم مما أظهرته الدولة البريطانية من رغبتها في ابداء آرائهم. فرغبة العراقيين جميعهم والرأي السائد ـ بما انهم امة مسلمة ـ أن تكون حرية قانونية واختيار دولة جديدة عربية مستقلة اسلامية، وملك مسلم مقيد بمجلس وطني. واما الكلام في أمر الحماية فان رفضها او الموافقة عليها يعود الى رأي المجلس الوطني بعد الانتهاء من مؤتمر الصلح.

فالأمل منا حيث انا مسؤولون عن العراقيين في بث آمالهم وازالة الموانع عن اظهار رغائبهم بما يكون كافيا ليطلع الرأي العام على حقيقة الغاية التي طلبتموها في الحرية التامة، ويكون لكم الذكر الخالد في التاريخ بحرية العراق ومدنيته الحديثة. في١٢ جمادى الاولى سنة ١٣٣٧ هـ.

شيخ الشريعة الأصبهاني

محمد تقي الحائري الشيرازي

رسالة الميرزا الشيرازي للامير فيصل

الى حضرة صاحب السمو فيصل نجل جلالة ملك العرب خلد الله ملكه.

بعد الدعاء لدوام عزكم، وبقاء مجدكم. نبدي لكم اننا لا زلنا نسمع انباء تفاديكم العظيم، في سبيل احياء الجامعة العربية التي هي عنوان المجد الاسلامي، ذلك المجد الرفيع، الذي رفع قواعده أجدادك الطاهرون، وحمى حوزته أسلافك الماضون، فحيا الله نخوتكم الهاشمية، وغيرتكم الاسلامية،

وأدامكم ملكاً تقر به عيون المسلمين، وتفخر به أئمة الدين، هذا ولا يخفاكم ما تكابده الأمة العراقية المظلومة في كل لحظة من أنواع الظلم الفاحش، مضافاً الى الاستهانة بمكانتها التاريخية، والازدراء بتقاليدها الاسلامية، وما زالت تئن من التحكم الباطل، والاعتداء على حقوقها المشروعة، وقد بلغ الظلم مبلغاً لايجوز معه الصبر، وحيث ان هذا المحيط العراقي مضغوط عليه كل الضغط من كل الجهات، حتى انه لايمكنه رفع صوته مباشرة الى الأمم التي ترأف بالضعيف وتشفق عليه، رجحنا أن نعتمد الشيخ محمد باقر الشبيبي ليوقفكم على الاعمال القاسية الجارية في العراق، ويكشف لكم عن المظالم التي مازالت تستعملها حكومة الاحتلال، فترفعوها الى الصحافة الحرة في كل انحاء العالم، وتظهروها صريحة إلى الحكومات الاوروبية والاميركية، حتى نتمكن بواسطتها من تحصيل مقاصدنا العالية، وتيقنوا أن السكوت عن الضيم أمر لايستطيع العراقيون تحمله، فساعدوا اخوانكم الذين اعتمدوكم من قبل للمطالبة باستقلال بلادهم، ولا تجعلوا سبيلا للتشبث الاجنبي كيف كان، وامتداد نفوذهم الى هذه الديار الاسلامية، ودوموا مؤيدين ظافرين.

محمد تقي الحائري الشيرازي

رسالة الشريف حسين الى الميرزا الشيرازي

الديوان الهاشمي

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه وحده:

من الحسين بن علي. الى الجهبذ الأفضل، والحبر الاكمل، مولانا الشيخ محمد تقي الشيرازي.

السـلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته. وانا في اهنا الساعات تلقينا محرركم الكريم، وطيه صور افاداتكم للجنة وعلم مآل الجميع، واني بعناية اللّه سأبذل كل ما في الجهد لحصول رغائبكم، وكيف لا أقول ذلك وانها هي احدى أساسات الاعمال التي ارتكبنا من اجلها التهلكة، فكونوا مطمئنين باللّه سبحانه تعالى بأنا على ما تؤملون. إمّا الفوز برغائبكم بل رغائبي فيكم التي هي قرّة عيني او ترك الدنيا وما فيها، واللّه يتولانا واياكم بتوفيقه فانه يخلق مايشاء ويختار، وسلامي عليكم كافة ورحمة اللّه وبركاته.

الحسين بن علي

٢٤ ذي الحجة ١٣٣٧ هـ

رسالة جعفر العسكري الى الميرزا الشيرازي

لجناب حضرة مولانا وملاذنا آية اللّه الشيخ مرزة محمد تقي دام ظله.

بعد تقديم الاحترام:

نشكـركم على احسـاسـاتكم الجليلة بقيامكم تجاه واجب الوطن المقـدس قيامـا مأزورا بروابط الـوفاق والاخاء، ماجعل ثقتنا تامة بنيل

المأرب، فلتحيى الاحفاد الممثلون اقدام الاجداد، وليعش استقلالكم التام، ولتعش له أشبالكم متوجة بتيجان العز على ممر الدوران.

ان لكم اخـوانـا عاضون على نواجذ غايتكم التي ستنالوها عن قريب. وانهم لشبان يرون الموت حياة في سبيل ذرة لو هضمت من حقوقكم المصونة بحوله تعالى، ولهذا قد وجدنا لوقع صداكم رنة سرور بافئدتنا تبشر بنيل الآمال، ان الواجب الذي يسوقنا اليوم بسياط من حديد الى سبيل الـوفـاق التام، وان لا نضع حرفا واحدا لكلمتنا الوحيدة جعلنا نعرض لحضـرتكم ماقـد جرى مع الـوفـد الامـريكي ومنـوياته تجاه الشعوب بالتخليص فنقول:

الوفد حرّ بحركاته، سار على منهج قويم يلائم مصالح الشعوب، مقتف آثار الحقوق بكل انصاف مانح حرية اللسان والضمير، فما لنا اليوم الا أن نثبت أمامه بأننا قوم لا تؤثر بتوحيد كلمتنا بعد الفراسخ والاقاليم، وان نكبات العصور الغابرة لم يكن لها أقل تأثير بحسنا القومي، وان العرب تلك العرب مهما حكمت او ستحكم الدهور.

سيدي الفاضل: يجب ان تكون مطالبكم من حضرات اعضاء الوفد القادم اليكم عما قريب هو الاستقلال التام الذي لا تشوبه اقل شائبة تمس بكرامته من أية دولة كانت، وبما ان المساعدة لازمة على شرط ان تكون مقتصرة على الامور الفنية والاقتصادية، لذلك رأينا ان تطلبوا المساعدة الاميركية لمدة معينة، كما طلب اخوانكم السوريين والفلسطينيين ـ كذا ـ ونسترحم من حضرتكم في سعي هذا المشروع، ونختم داعين المولى يوفقكم

لخدمة اوطانكم سيدي

خادم الوطن

جعفر العسكري

رسائل بين السلطة الانكليزية والميرزا الشيرازي بعد وفاة السيد اليزدي

ـ ١ ـ

ادارة الحاكم الملكي العام في العراق..

الرقم ١٣٢٩٤

التأريخ ٥ايار سنة ١٩١٩م

الى حضرة آية الله العالم العلامة، الحبر الفهامة الميرزا محمد تقي الشيرازي دام ظله العالي.

تحية وسلاما وبعد:

نعت الينا الاخبار بمزيد الاسف انتقال المرحوم الطيب الذكر حضرة آية الله السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، فأكبرنا المصيبة وتغلب علينا الحزن لفقدان ركن من أهم أركان حضرات العلماء الاعلام وحجج الاسلام دامت بركاتهم، فلا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم، وانا للّه وانا اليه راجعون، هذا قضاء اللّه لا مردّ له.

نعم ان الرزء أليم، والخطب جسيم، لاسيما وان الراحل الكريم كان

المأرب، فلتحيى الاحفاد الممثلون اقدام الاجداد، وليعش استقلالكم التام، ولتعش له أشبالكم متوجة بتيجان العز على مر الدوران.

ان لكم اخوانا عاضون على نواجذ غايتكم التي ستنالوها عن قريب. وانهم لشبان يرون الموت حياة في سبيل ذرة لو هضمت من حقوقكم المصونة بحوله تعالى، ولهذا قد وجدنا لوقع صداكم رنة سرور بافئدتنا تبشر بنيل الآمال، ان الواجب الذي يسوقنا اليوم بسياط من حديد الى سبيل الوفاق التام، وان لا نضع حرفا واحدا لكلمتنا الوحيدة جعلنا نعرض لحضرتكم ماقد جرى مع الوفد الامريكي ومنوياته تجاه الشعوب بالتخليص فنقول:

الوفد حرّ بحركاته، سار على منهج قويم يلائم مصالح الشعوب، مقتف آثار الحقوق بكل انصاف مانح حرية اللسان والضمير، فما لنا اليوم الا أن نثبت أمامه بأننا قوم لا تؤثر بتوحيد كلمتنا بعد الفراسخ والاقاليم، وان نكبات العصور الغابرة لم يكن لها أقل تأثير بحسنا القومي، وان العرب تلك العرب مهما حكمت او ستحكم الدهور.

سيدي الفاضل: يجب ان تكون مطالبكم من حضرات اعضاء الوفد القادم اليكم عما قريب هو الاستقلال التام الذي لا تشوبه اقل شائبة تمس بكرامته من أية دولة كانت، وبما ان المساعدة لازمة على شرط ان تكون مقتصرة على الامور الفنية والاقتصادية، لذلك رأينا ان تطلبوا المساعدة الاميركية لمدة معينة، كما طلب اخوانكم السوريين والفلسطينيين ـ كذا ـ ونسترحم من حضرتكم في سعي هذا المشروع، ونختم داعين المولى يوفقكم

لخدمة اوطانكم سيدي

خادم الوطن

جعفر العسكري

رسائل بين السلطة الانكليزية والميرزا الشيرازي بعد وفاة السيد اليزدي

ـ ١ ـ

ادارة الحاكم الملكي العام في العراق..

الرقم ١٣٢٩٤

التأريخ ٥ايار سنة ١٩١٩م

الى حضرة آية الله العالم العلامة، الحبر الفهامة الميرزا محمد تقي الشيرازي دام ظله العالي.

تحية وسلاما وبعد:

نعت الينا الاخبار بمزيد الاسف انتقال المرحوم الطيب الذكر حضرة آية الله السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، فأكبرنا المصيبة وتغلب علينا الحزن لفقدان ركن من أهم أركان حضرات العلماء الاعلام وحجج الاسلام دامت بركاتهم، فلا حول ولا قوة إلّا باللّه العلي العظيم، وانا للّه وانا اليه راجعون، هذا قضاء اللّه لا مردّ له.

نعم ان الرزء أليم، والخطب جسيم، لاسيما وان الراحل الكريم كان

تقيا ورعا عالما علامة، وحبرا فهامة، مطاع الامر والنهي، في كل ماله تعلق بالامور الدينية والدنيوية، محبا للخير والوطن، عاملا على تسكين الخواطر. ناصحا عاقلا، رشيدا حكيما، حازما هماما، محرضا للناس على التزام جانب السكينة، هاديا لهم الى طريق الخير والصلاح، ناهيا لهم عن ارتكاب الهفوات والغلطات، على انه في اشخاص حضرات آيات اللّه العلماء الاعلام، وحجج الاسلام، دامت بركتهم، أكبر معزّ عن فقده، ولنا في تحليهم بصفاته، واتباعهم خطاه الحكيمة خير سلوان يخفف عنا وطأة فراقه.

فنسأل اللّه ان يتغمد الراحل الكريم برضوانه، ويسكنه فسيح جناته. وان يعوضنا عنه بكم خيرا، ونطلب من المولى عز وجل ان يطيل بقاءكم، ويسعد أيامكم، ويعلي قدركم بين الانام، بما انتم أهل له من رفعة المقام آمين.

وقد أوفدنا من جانبنا حضرة النواب محمد حسين خان البوليتيكل أتاشية لدولة الحاكم الملكي العام بالعراق الى كربلاء المعلى والنجف الاشرف لتقديم واجب التعزية الى حضرات أنجال واعضاء عائلة الراحل الكريم، وإلى حضرات العلماء الاعلام، وحجج الاسلام دامت بركاتهم، فنرجوكم أن تشملوه بعناية خاصة. هذا واسمحوا لنا بالتعبير لكم عن تقدير الحكومة البريطانية العظمى لخدمات حضرات العلماء الاعلام دامت بركاتهم واستعدادهم لقاء ما ترونه فيه خير العباد ولكم منا السلام اولا واخيرا.

القائم مقام آ. ب. هاول

القائم باعمال الحاكم الملكي العام بالعراق

- ٢ -

ادارة الحاكم الملكي العام في العراق

العدد ٣٤٥٤٩

التاريخ ١٧نوفمبر سنة ١٩١٩

حضرة المستطاب حجة الاسلام والمسلمين آية الله في العالمين، آية الله اغاي ميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي مد ظله العالي.

اصدع حضرتكم بكمال الاسف ان سماعي نعي صهركم المرحوم المغفور له ساكن الجنان السيد محمد باقر طاب ثراه في الحقيقة اثر في تأثيرا محزنا وجعلني مكدرا بدرجة لامثيل لها، وفي الواقع ان فقد المرحوم يستوجب الاسف والحزن، حيث ان المرحوم لم يستوف حظه من شبابه فأسرع الى دار البقاء مأسوفا عليه، ولكن من حيث أن وضعيات هذا العالم تمشي خلافا لرغائب ابناء البشر ولم يجعل خالق الكون لهذا المخلوق مقرا دائما، فيجب على الانسان ان يتلقى ماقدر عليه بطيب نفس لكي يدخل بزمرة الصابرين وينال اجرهم، ومن الواضح ان اسدائنا النصح لحضرتكم... كتعليم الحكم للقمان الحكيم، فلذا نكتفي بدعائنا لدوام وجودكم المقدس، مبتهلين اليه تعالى ان يحفظ خلف المرحوم تحت ظلكم الظليل، وان يمتع المسلمين ومخلصيكم من فيض قدسيته بالرفاه والسعادة، فلا نصدعكم باكثر من هذا والسلام.

فتنت كرنل. ا. ت. ولسن

قائمقام الحاكم الملكي العام في العراق

- ٣ -

وهـذه الرسالة وردت من (السر ولسن) جوابا على رسالة الميرزا الشيرازي المؤرخة في ٨ ذي القعدة ١٣٣٧ هـ في وقت عزم فيها على الهجرة من كربلا واصبح الرأي العام العراقي قلقا من الحادث.

ادارة الحاكم الملكي في العراق - بغداد

٦ - - ١٩١٩

حضرة آية الله العظمى، حجة الاسلام المرزا محمد تقي الحائري الشيرازي دامت بركاته.

لي الشرف ان اعرض لكم انه وصلنا كتابكم المؤرخ ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٧ هـ تذكرون بكل أسف ان الاعمال التي اقدمت عليها حكومة بريطانيا العظمى لاجراء واجبات وظائفها، ولحفظ احكام القوانين والانظمة اوجبت استياء وتشويش العلماء الاعلام دامت بركاتهم في كربلا. وكنت اعتقد ان في تجارب الاربع سنوات الماضية قد ثبت لدى حضرتكم والمتعلقين بكم، بأن الحكومة البريطانية اعتنت بصيانة وسلامة العتبات المقدسة اكثر من أيام دولة اخرى.

كانت كربلا منذ مدة طويلة بؤرة للاغتشاشات والثورات بين الاهالي والحكومة، وكما لا يخفاكم بأن هذه الثورات كانت تحدث اضرارا وخسائر وتلفيات كثيرة من قبل الجنود التركية على الاهالي والمدينة، لاسيما ان شرف العلم والعلماء كان غير مصون في تلك العصور، مما أدى الى تيقظ الحكومة البريطانية واهتمامها بمثل هذه الاصول المخالفة للعادات

البريطانية. لقد حصلت لنا اطلاعات كافية في مدة الاثني عشر شهرا الماضية تثبت ان بعض الاشخاص في كربلاء يقومون بتشويش الاذهان، وينشرون أخباراً غير مرضية وغايتهم من ذلك تشويش افكار الناس ضد الحكومة البريطانية، وكنت منتظرا من مدة طويلة انهاء هذه الاشاعات. غير المرضية بعد اعلان الصلح، لكني الاحظ ان الامر قد انعكس، وان بعض الجاهلين قد زادت جسارتهم وكثر سعيهم في تشويش الناس، فلذا لاحظت ان من الواجب القبض على بعض الافراد، وان الاشخاص الذين قبض عليهم هم اربعة من اهالي المدينة الذين لم تكن لهم علاقة معكم ولا مع العلماء الاعلام والروضات المطهرة.

والاثنان اللذان هما من السادة وان لم يكونا من ذوي الاهمية الاّ انهما ينشران الاشاعات الكاذبة ضد الانجليز، وهو باعث لتشويش أفكار الاهالي، ونظرا لاقداماتكم فقد عزمنا على تسريح السيد محمد علي الطباطبائي وارساله الى سامراء على أن يسكن هنالك ولا يخرج منها بدون اجازة منا، فنرجوكم اشعاره بهذا الامر تحريريا عند وصول كتابنا هذا اليكم مع اخباره بأن يبقى هناك ساكنا ولا يتدخل في أمور الناس، واذا تخلف عن التقيد بهذا الامر فانا بكمال حريتنا ننفيه عن هذه المملكة الى محل لايتمكن فيه من احداث أي تشويش.

وأما السيد محمد مهدي المولوي فان له اليد الطولى في تشويش أفكار العموم، وبما انه هندي الاصل فقد استحسنا ارساله الى وطنه الاصلي حيث يعيش بكمال الحرية، لانه لايمكن ابقاءه في كربلا، حيث وجوده موجب لعدم استراحة الناس فيها.

لنا وثيق الرجاء ان بعض الاشخاص في كربلا قد انتبهوا واحترزوا في اعطاء جميع الناس الرفاهية التامة، لكنها لاتود ان يستعمل بعض الاشخاص هذه الحرية والرفاهية لاغراض الاغتشاشات والتشويشات بين الناس. وقد قدمت هذه الرسالة بواسطة النواب محمد حسين خان المعروف بالخدمة لدينا، وفي الحقيقة انه الرجل الوحيد الذي نعتمد عليه. وقد زودته ببعض معلومات شفوية ليعرضها على حضرتكم والسلام.

أ. ت. ولسن

قائمقام الحاكم الملكي العام في العراق

ـ ٤ ـ

وهذه الرسالة من (ولسن) جوابا على رسالة، كتبها الميرزا الشيرازي ومنها تحسست السلطة المحتلة مغبة العاقبة الوخيمة التي ستجنيها من جراء ابعاد بعض الشخصيات فاضطرت الى ارجاءهم لكربلاء استرضاء للميرزا الشيرازي وتهدئة خاطره وذلك في يوم ٩ ربيع الاول سنة ١٣٣٨ هـ.

ادارة الحاكم الملكي في العراق

بغداد ١٤ جنوري سنة ١٩٢٠م

جناب المستطاب الاجل الاكرم الاعظم شمس العلماء الاعلام وبدر الفقهاء العظام، حجة الاسلام والمسلمين، آية اللّه في العالمين، حضرة الاغا ميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي، ادام اللّه تعالى وجوده الشريف.

بعد اهداء التحيّات العاطرة، والاحترامات الفائقة، اصدعكم بكمال

الشرف، وأملنا ان يكون وجودكم المقدس مصونا من جميع المكاره، ومقرونا بالصحة والعافية. قد صرت ممنونا وشاكرا حضرتكم بوصول رقيمتكم الشريفة المعربة عن مسرتكم وتقديركم لحكمنا الاخير القاضي بارجاع المنفيين، ليطمئن خاطركم المقدس ان الحكومة ليس لها كراهة خاصة مع أحد افراد الملة، بل انها تود ان يكون العموم مشغولين بأعمالهم في غاية الامنية والراحة، ويساعدوا الحكومة بادامة الامنية والراحة العمومية، ويتجنبوا الاعمال الداعية لسلب راحة الغير.

لم يخف على حضرتكم ـ نظرا لكثرة تجاربكم السابقة ـ بان التقدمات المادية في هذا القطر قد زادت بظرف هاتين السنتين او الثلاث، كما قد ساد الهدوء والسكون في جميع القطر العراقي بصورة لم يلاحظها أحد من قبل. الحاصل لي الامل ان تساعدوا الحكومة ـ بصفتكم أول رئيس روحاني للملة الشيعية ـ عند انتهاء الحرب العامة في المواد الصعبة العمرانية، وليطمئن بالكم بان الحكومة مهما يسعها لم تقصر عن التسهيل، لسلامة وراحة عامة زوار المشاهد المقدسة، ولا تدخر وسعا عن قمع حركات قطاع الطرق واستئصال شافة السراق، وسوف تمنع بصورة مقرونة بالعدل كل معاملة سيئة تصيب الزائرين والاهلين.

اقدم ذريعة الاخلاص المشفوعة باعظم احترام، مع تمنياتي الصميمية ببقاء وجودكم الاقدس.

ا. ت. ولسن

القائم باعمال الحاكم الملكي العام في العراق

رسائل بين شيخ الشريعة والحاكم الانكليزي العام

كتبت هذه الرسائل على اثر المظاهرات والتجمعات الكبيرة التي قام بها العراقيون من أجل المطالبة باستقلال بلادهم.

وها هو نص الرسالة التي بعث بها شيخ الشريعة الى الحاكم السياسي العام بتاريخ ٨ شوال سنة ١٣٣٨ والموافق ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٠.

الى حضرة الاجل الحاكم الملكي في العراق عمت معدلته

بعد تقديم الاحترامات اللائقة..

أبدي أنكم قد عرفتم وجربتم، في هذه المدة الطويلة التي حدثت فيها هذه المظاهرات والاجتماعات: أن أهل العراق سالكون سبيل السلم والهدوء والسكون، ويطالبون بما يريدون في حقوقهم، حسب مواعيدكم من أول الامر، وبموجب ماتقرر لدى الدول المعظمة من حرية الشعوب. وكان طلبهم على وجه المعقول المشروع خاليا من القلق والمشاغبات خالصا من اثارة أي فتنة أو فساد، وذلك بمقتضى سجيتهم ومتانة عقولهم وسلامة فطرتهم ونصح عقلائهم، مؤكدا كل ذلك بما برز قولا وكتبا كرارا ومرارا من آية الله الشيرازي دامت بركاته ومن بقية العلماء الاعلام من ايجاب السكون العام عليهم والزامهم بترك كل مافيه الاخلال بالامن لهذا افتينا بوجوب السكون وحرمة الثورة والفساد. وقد برهنوا في حركتهم ومظاهراتهم المتواصلة على تمسكهم بالنظام والقانون والانقياد لفتاوي العلماء. الا أنه

بلغنا خبر عجيب كان يصعب علينا تصديقه حتى تحقق، من القبض على نجل آية اللّه الشيرازي وجماعة من أهالي كربلاء والحلة، ولاذنب لهم الا مطالبـة مايطلبـه اخوانهم، ومس كرامة كل الروحانيين. وتأذى من هذه الجسارة كل المسلمين، وعن قريب يعم كل أهالي ايران والهند والقفاس، وكل بلدة وقصبة يسكنها المسلمون. وهذا عمل هادم لكل مابنت فيه من قديم الزمان أولياء الدولة الفخيمة من إشاعة العدل والانصاف. وهو يورث سوء الـظن جميع الامم في الحكـومـة البريطانية. وبالجملة فقد تشوشت الافكار، وتبدلت الظنون، ويكاد يؤدي الى الاخلال بالنظام الذي تريدون حفظه. وأرى ان الاصلح أن تأمر بفكهم سريعا قبل أن ينجر لما يخرج علاجه عن مقدرتنا. ولا أدري كيف خفي عليكم هذا الامر غير المناسب لهذا الوقت والزمان. وأنتظر الجواب سريعا إن شاء اللّه.

شيخ الشريعة الاصفهاني

وجاء الجواب المؤرخ ١٦ شوال ١٣٣٨ هـ الموافق ٢ تموز ١٩٢٠م وهذا نصه:

الى جناب عمدة العلماء وقدوة الفضلاء العظام حجة الاسلام آية اللّه في الانام حضرة الشيخ فتح اللّه شيخ الشريعة الاصفهاني دام بقاؤه العالي.

ردا على تلغرافكم المؤرخ ٨ شوال ١٣٣٨ هـ المرسل الى دولة القائد العام لجيوش الاحتلال، فقد أشار علي حضرة القائد العام أن أعبر لكم عن مزيد أسفه عما صدر بواسطة الضباط الذين في الادارة الملكية والذين تحت ادارته عن سابق مصادفته والتي كانت منبع هم وقلق سيادتكم لان

رسائل بين شيخ الشريعة والحاكم الانكليزي العام

كتبت هذه الرسائل على اثر المظاهرات والتجمعات الكبيرة التي قام بها العراقيون من أجل المطالبة باستقلال بلادهم.

وها هو نص الرسالة التي بعث بها شيخ الشريعة الى الحاكم السياسي العام بتاريخ ٨ شوال سنة ١٣٣٨ والموافق ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٠.

الى حضرة الاجل الحاكم الملكي في العراق عمت معدلته

بعد تقديم الاحترامات اللائقة..

أبدي أنكم قد عرفتم وجربتم، في هذه المدة الطويلة التي حدثت فيها هذه المظاهرات والاجتماعات: أن أهل العراق سالكون سبيل السلم والهدوء والسكون، ويطالبون بما يريدون في حقوقهم، حسب مواعيدكم من أول الامر، وبموجب ماتقرر لدى الدول المعظمة من حرية الشعوب. وكان طلبهم على وجه المعقول المشروع خاليا من القلق والمشاغبات خالصا من اثارة أي فتنة أو فساد، وذلك بمقتضى سجيتهم ومتانة عقولهم وسلامة فطرتهم ونصح عقلائهم، مؤكدا كل ذلك بما برز قولا وكتبا كرارا ومرارا من آية الله الشيرازي دامت بركاته ومن بقية العلماء الاعلام من ايجاب السكون العام عليهم والزامهم بترك كل مافيه الاخلال بالامن لهذا افتينا بوجوب السكون وحرمة الثورة والفساد. وقد برهنوا في حركتهم ومظاهراتهم المتواصلة على تمسكهم بالنظام والقانون والانقياد لفتاوي العلماء. الا أنه

بلغنا خبر عجيب كان يصعب علينا تصديقه حتى تحقق، من القبض على نجل آية اللّه الشيرازي وجماعة من أهالي كربلاء والحلة، ولاذنب لهم الا مطالبة مايطلبه اخوانهم، ومس كرامة كل الروحانيين. وتأذى من هذه الجسارة كل المسلمين، وعن قريب يعم كل أهالي ايران والهند والقفاس، وكل بلدة وقصبة يسكنها المسلمون. وهذا عمل هادم لكل مابنت فيه من قديم الزمان أولياء الدولة الفخيمة من إشاعة العدل والانصاف. وهو يورث سوء الظن جميع الامم في الحكومة البريطانية. وبالجملة فقد تشوشت الافكار، وتبدلت الظنون، ويكاد يؤدي الى الاخلال بالنظام الذي تريدون حفظه. وأرى ان الاصلح أن تأمر بفكهم سريعا قبل أن ينجر لما يخرج علاجه عن مقدرتنا. ولا أدري كيف خفي عليكم هذا الامر غير المناسب لهذا الوقت والزمان. وأنتظر الجواب سريعا إن شاء اللّه.

شيخ الشريعة الاصفهاني

وجاء الجواب المؤرخ ١٦ شوال ١٣٣٨ هـ الموافق ٢ تموز ١٩٢٠م وهذا نصه:

الى جناب عمدة العلماء وقدوة الفضلاء العظام حجة الاسلام آية اللّه في الانام حضرة الشيخ فتح اللّه شيخ الشريعة الاصفهاني دام بقاؤه العالي.

ردا على تلغرافكم المؤرخ ٨ شوال ١٣٣٨ هـ المرسل الى دولة القائد العام لجيوش الاحتلال، فقد أشار علي حضرة القائد العام أن أعبر لكم عن مزيد أسفه عما صدر بواسطة الضباط الذين في الادارة الملكية والذين تحت ادارته عن سابق مصادفته والتي كانت منبع هم وقلق سيادتكم لان

الحكومة في العراق منذ الاحتلال والى الآن تعد من سيادتكم كأحد أركان السلم ومن لايترك عمل أي خير لمنفعة الأهالي. فدولة القائد العام ونفسي كلانـا متأسفان كل الأسف عن العمل المحتم وجوب تنفيذه من ضباط الحكومة والذي صار منبع هم وقلق سيادتكم.

إنّه لمعلوم لدى سيادتكم ما صار من الاغتشاش في أقضية الفرات أخـيرا. فقبـل حدوث القبض هجمت بعض القبائل على طريق السكة الحديدية (الشمندوفير) وأضرّت به، والذين أقدموا على هذه الاعمال غير القانونية هي بتحريض بعض الاشخاص. فتخريب الشمندوفير هو عبارة عن فقد أرواح أو الاضرار بارواح بريئة من الجمهور. وأيضا السرقات من القوافل (الكروانات) ومن الحجاج الذين يزورون الاماكن المقدسة من الحلة على طريق كربـلاء، كانت غالبة الحدوث قبل القاء القبض. ولقد شوشت أفكار الجمهور في بحثهم عن الاشخاص الذين يجتهدون تعمداً في وجـود القلاقل والذين يهيجون أميال وأهواء الجهلاء. فمثل هذه الامور - والحقيقة - هي ضد حفظ السلام في أي مملكة، لاسيما في العراق، حيث أن أهلها في كفاءة قليلة من العلم، بل وقابلين لتتبع النصائح المضرة والملقاة لهم من أي شخص كان. ولقد يهمنا كثيرا سلامة الاماكن المقدسة وأيضا سلامة حجـاج ايران والـذين هم يترددون بكثـرة في هذا الفصـل من السنـة وبالاخص سلامة الامة في العراق. ولقد صممت الحكومة الانكليزية بان تؤيد باقرب فرصة تسنح فيها ما قد أعلنت به هي بنفسها في خصوص مستقبل هذه المملكة. ولكن لايمكن عمل ذلك اذا كانت أفكار الناس مشوشة والقلاقل سائدة. ويتوقف نجاح هذا المشروع على حفظ السلام

العام.

فلتلك الاسباب صار ذلك القبض. وأن دولة القائد لجيوش الاحتلال لمتأكد على مقدار علم سيادتكم الواسع في أحوال الانسانية وصراحتكم وحكمتكم الغريزية. فيتضح لدى سيادتكم على أنه لايوجد أي مجرى آخر تتخذه الحكومة بوقتها غير هذه الاحتياطات التي قد أخذتها ولا كان في وسعها تأخيره في وقت آخر.

وفي ضمن ان النصر من سيادتكم بان تستمروا على مساعدتكم الثمينة للحكومة في العراق لخير البلاد ولسهولة كيانه السياسي ولزيادة نجاح ورفاه الامة.

الفتننت كولونيل السير

ا. ت. ولسن

قائممقام الحاكم الملكي العام في العراق

وقد رد شيخ الشريعة على هذه الرسالة بالرسالة التي كتبها بتاريخ ٢١ شوال ١٣٣٨ هـ الموافق ٨ تموز ١٩٢٠م واليك نصها.

حضرة صاحب الفخامة قائممقام الحاكم الملكي العام في العراق دامت معدلته..

أخذنا كتابكم المؤرخ ٢ يوليه (تموز) ١٩٢٠ وفهمنا مقاصدكم وما يريده القائد العام لجيوش الاحتلال. وقد أظهرت لكم سابقا في لزوم اتخاذ التدابير السلمية وارجاع المنفيين وإظهار الشفقة على سواد الناس من الحاضر والبادي، قبل تفاقم الامر وقبل ان ينجر الى مايخرج علاجه من مقدرتنا.

والان قد بلغ الامر الى ماكنا نكره وقوعه، وجعل الناس يقولون ان حضرة آية اللّه الشيرازي دامت بركاته يأمرنا بالسكوت والمحافظة على الامن العام، والحكومة كل يوم تلقى القبض على جماعة منا بلا ذنب ولا سؤال ولا جواب.. وما ذكرتم من الفساد وتخريب الشمندوفير، فهو من القبض على من قبضتهم عليه في الحلة وكربلاء. ويشهد بذلك تسييرهم الى البصرة بالقطار. وفي الحقيقة هو هذا التخريب وبعض القلاقل مستند الى سياسة ضباط الانكليز. فقد القوا القبض على رئيس الظوالم شعلان بلا ذنب، فصار سببا لاراقة الدماء في الرميثة والابيض. وقد كانت عشائر الشامية ورؤساؤها عازمين على ملاقاة الحكومة، فلما بلغهم القاء القبض على الحاج مخيف وابن أخته تشوشت أفكارهم، فان أحوال الحاج مخيف وسكونه والتزامه للسلم والطاعة للحكومة معروفة لدى العموم. وأما السراق للقوافل والكروانات فهو أمر عادي.

والسبب الوحيد في هياج الناس أنهم يعتقدون أن القبض على من قبض عليه، ليس الا لمطالبتهم بالحقوق المشروعة. وهو أمر يشترك فيه كل العراقيين. فاذا قبض على نجل آية اللّه الشيرازي دامت بركاته، وهو بريء من كل ذنب خال من كل فساد، فمن الذي يأمن بعد ذلك على نفسه؟

وما ذكرتم أنه لا يمكن الكلام في الحقوق المشروعة، ولا إنجاز ما وعدتم به من أول الامر، مادامت التشويشات بهذه الصورة. فهم يقولون إنّا نعلم وكل عالم شاعر يعلم انه في كل وقت تطالب الامة بحقوقها المشروعة تحدث من ضباط الحكومة المحتلة الحركات الموجبة للتشويش لكي تعتذر من إعطاء الحق بهذه الاعتذارات. إعطاء

وفي هذه المدة الطويلة قد عرفتم مسلكي أن أطلب دائما راحة العباد وتأمين البلاد والروابط الودية بين الحكومة المعظمة والامة العراقية. والذي أقوله صداقة، وآراه طريقا وحيداً في تسكين التشويشات وحفظ الامن العام،\وإعادة الاحوال الى سابقها أن تساعدونا وتقبلوا شفاعتنا في اطلاق سراح المنفيين واستعمال المودة لسائر المتظاهرين، حتى الذين نسبت اليهم بعض التشويشات، لكي يسعنا التسكين ومكاتبة الجميع بالانقياد والطاعة. وموافقة الحكومة متى أرادت مواجهتم . فاذا رأينا ورأوا من الحكومة إحترام الحقوق الاممية ومعاملة العراقيين معاملة مودة وشفقة، صار لنا كل الامل بقدرتنا على اعادة الاحوال الى سابقها، وتسكين الناس من الهياج.. واللّه المستعان.

شيخ الشريعة الاصفهاني

٢١ شوال سنة ١٣٣٨

وانتظاراً لما سوف تسفر عنه هذه المفاوضات بين شيخ الشريعة والسير ويلسن، وتطميناً لحسن النية التي يضمرها سماحة شيخ الشريعة، فقد كتب هذه الرسالة الى رؤساء العشائر يدعوهم الى الكف عن مهاجمة القوات الانكليزية، وكانت الثورة لم تعلن رسميا بعد. واليك نص رسالته رحمه اللّه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

السلام على إخواننا المؤمنين ورؤساء العشاير وزعماء القبائل ورحمة اللّه وبركاته..

أبدي لكم أنه بعدما بلغنا خبر بعض المشاغبات وبعض المضادات

مع الحكومة رأيناه على خلاف المصلحة الحاضرة، فأشتغلنا بمذاكرة الحكومة على التأمين التام، حتى على من علم منه بعض التشويشات وعلى ارجاع المنفيين وعلى إصلاح ذات البين. ونرجو التوفيق في جميع ذلك.

إلا أن اللازم فعلا السكون وترك مضادة الحكومة وسلوك الطرق السلمية والاقتصار على مطالبة الحقوق الشرعية من غير ثورة ولا فتنة، حتى نقدر على استدعاء المواد السابقة الذكر من الحكومة.

وإياكم أن تقابلوا الحكومة بقول أو فعل ينافي مطلوبنا ومطلوبكم وارجو من جميعكم عدم الخروج من هذه الخطة ان شاء اللّه.

شيخ الشريعة الاصفهاني

وبعد أن اشتعلت نيران الثورة في مناطق العراق، انقطعت المراسلات بين شيخ الشريعة والحاكم الملكي العام، الى أن أخذ الاخير مبادرة المفاوضة من جديد. ولتعذر وصول الرسائل عن طريق البريد، فقد ألقت الطائرات البريطانية على كربلاء يوم ١٩ ذي الحجة وعلى طويريج في اليوم التالي الرسالة المطبوعة الآتية:

دائرة الحاكم الملكي العام ببغداد..

في: ١٣ ذي الحجة ١٣٣٨ الموافق ٢٠ آب ١٩٢٠

حضرة العلام الفهام حجة الاسلام والمسلمين آية اللّه في العالمين شيخ الشريعة الاصفهاني دام علاه.

بعد إهداء السلام والتفقد عن صحة ذاتكم الشريفة، نؤمل ان كتابنا الذي أظهرنا فيه احساساتنا الودية وتبريكاتنا الصميمية بتقلدكم هذا المقام المنيع والشرف الرفيع الذي انتم حائزون عليه الان قد وصلكم سالما. ولكن

في الحقيقـة ونفس الامـر أن المقام الرفيع يستوجب التعزية والتسلية لا التـبريك والتهنئة في هذه الايام، نظرا الى المصائب التي انتابت العراق وسائر المالك. وكان هذا من آراء المرحوم العلامة المبرور الميرزا محمد تقي الشـيرازي طاب ثراه الـذي كما هو معلوم لدى العمـوم عبر في إحدى مفاوضاته الاخيرة أنه يريد الصلح بين الحكومة والملة واجتناب سفك الدماء وازهاق النفوس.

ولايمكنني أن أشك بان الذات الممتازة بصفات الانسانية والتقوى كحضرتكم لابد ان تشعر بهذا الشعور السامي. واما من جهة الحكومة، فكما هو المعلوم في أقطار العالم أن الحكومة الانكليزية المعظمة قد اعتمدت دائما على الاركان الثلاثة وهي الرحمة والعدل والتسامح الديني. ومن قبل أن تقع الحرب العظمى كان للدولة الانكليزية التي شعارها المسالمة جيش صغير للدفاع عن نفسها، فلما شرع الالمان والاتراك من تلقاء أنفسهم بالهجوم على بريطانيا العـظمى قامت الامم الموجودة في الممالك الانكليزية قومة واحدة ودخل ابناؤها صفوف الجيش. ولما انكسر العدو شر كسرة ووضعت الحـرب أوزارهـا، كان للدولة الانكليزية جيش جرار عدده خمسة ملايين منتشرا في بلاد العدو في العالم بأسره.

ولما انتهت المنازعات بادرت الدولة الانكليزية بترخيص عساكرها بالرجوع الى منازلهم وأوطانهم، والعودة الى الحياة السلمية، فنقص بذلك عددهم نقصا كبيرا، على أنه يمكن حشد هذا العدد العظيم مرة أخرى متى دعت الحاجة الى ذلك.

وأمـا من جهة ثروة الدولة الانكليزية وسائر موادها، فلا يلزم أن

اشــرح، هو ظاهــر كالشمس في رابعة النهار، فأهل العراق قبلوا الدولة الانكليزية، وكانوا مسرورين من ابقاء جيوشها في هذه البلاد لما غلبت الاتراك.

ولكن لما رأى بعض المفسدين والمغرضين ذلك التنقيص في جيشها، قاموا يشوشون الاذهان ويحشدون الافكار. وملخص الكلام هو أن ظهرت هذه الحالة الحاضرة التي توجب الاسف.

ومـاهي الحـالة الان..؟ هي أن العشائر العراقية في حالة الحرب وقـوية، ولكن عددها قليل، وليس لها من الدراهم الا القليل، ولا توجد وسائل لاختراع الآلات الحربية كالمدافع والبنادق والرصاص، ولا يمكنها ان تحصل على المعاونة من الخارج. واذا لم ترجع الى زراعتها فأنها ستتلف وتموت العشائر جوعا.

ها قد بذل العرب حتى الان كل مافي وسعهم من الجهد، ولا يمكنهم أن يأتـوا بعمل فوق ماعملوا، وهم يرون رأي العين أن قوتهم مائلة الى الـزوال، بعكس الحكومة فان قوتها كانت في مبدأ الامر قليلة، فتمكنت العشائر ان تسبب لها بعض المضايقة. ولكن الان ترد المراكب في البصرة كل يوم حاملة العساكر والمدافع والقنابل والبنادق والرشاشات والذخائر الحربية وسائر مايلزم لاعمال العسكرية. وإذا إقتضى نظركم الشريف أن تبعثـوا معتمداً الى بغداد لكي يشاهد هذه الاشياء بعينه فإنّنا نرحب به ونرجعه سالما آمنا بدون تأخير!

فبناء عليه إنّ النتيجة النهائية هي معلومة، فلم يدوم سفك الدماء؟ ان الـدولـة الانكليزية عملا بقواعدها الجارية ستجازي بعض المشائخ

وغيرهم الذين ضللوا بالناس، وأسماؤهم معلومة عندي كما هي معلومة لديهم، ولاريب أن فضيلتكم تعرفونهم أيضا، ولا حاجة الى ذكرها هنا. ولكن لاخوف على غيرهم ولا على عامة الناس، بل يمكنهم ان يرجعوا لاوطانهم ومنازلهم سالمين وستسلم نفوسهم.

وكما لايخفى على فضيلتكم بأني لما رأيت لزوم هذه المسألة واهميتها، فقد عينت حضرة الكولونيل هاول ناظر المالية نائبا عني ليدخل في المفاوضات والمراسلات التي لابد أن تجري قبل أن تنتهي المنازعات. وبما أن حضرتكم مشغولوا البال في الامور الدينية والمسائل الروحانية على الاغلب فلهذا نرجوكم ان تعينوا معتمدا معبرا أو معتمدين لكي يلاقو الكولونيل هاول في محل مناسب ويتباحثوا معه في هذه المسائل المهمة.

هذا مالزم ذكره لفضيلتكم، وفي الختام نبلغكم احتراماتنا الوافرة وتحياتنا الصميمية والسلام..

اللفتننت كولونيل السر ارنولد ويلسن

الحاكم الملكي العام في العراق

وقد ردّت لجنة الدّعاية في قيادة الثّورة على هذه الرّسالة بمنشور خاصّ كما أجاب عليه شيخ الشريعة بالكتاب الآتي الذي عمّم طبعه على صورة منشور ووزّع في كافة مناطق الثّورة:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الحاكم العام ببغداد:

استشعرنا من القاء طياراتكم في عدة اماكن صورة كتابكم الينا مضافاً الى طبعه في جريدة العراق اهتماما بوقوفنا عليه وطلبا لجوابنا عنه.

ومن الغريب أن كتابكم هذا سبق جوابه منا قبل أن تحرروه بمدة طويلة مرة بعد أخرى بثثنا نصائحنا فيها وانذرناكم قائلين لكم تداركوا الأمر قبل خروج علاجه عن مقدرتنا. ولاشك أنكم تعلمون أن تداركه باعطاء العراقيين حقوقهم التي طالبوكم بها مطالبة سلمية فأبيتم الا اغتصابها وجعلتم أصابعكم في آذانكم حذرا من أن تسمعوا مطالبا بها، واخذتم بعد الوعود بالوعيد وبعد التأمل بالتضليل، واستعملتم الشدة والغلظة فنفيتم وقتلتم وسجنتم وأخفتم وأضمرتم العداء الذي أظهرتم اثاره وطلبتم نفوس أولئك المتضلعين وأموالهم وما يجب الدفاع عنه من حرمهم فدافعوكم قياما بواجبهم، وهاجمتموهم تبعا لهوى نفوسكم، فوقفوا موقفا حذرناكم عاقبته وأنذرناكم سوء منقلبه أنا والسلف المرحوم آية اللّه الشيرازي الذي سقتم مساق تعزيتي بفقد نفسه الزكية بنسبة المصائب التي انتابت العراقيين الى آرائه المقدسة، كأنكم ماوقفتم على كتاباته الى جميع الجهات وإلزام العموم بلزم الهدوء والسكون والمطالبة السامية بحقوقهم المشروعة، فجرحتم بتلك النسبة عاطفتي خصوصا وعواطف المسلمين عموماً وجئتم بها نكراء بلغ سيلها الزبى وضاقت بها حلقتا البطان.

وارسلتم بواخركم المشحونة باسباب الدمار وآلات النار. قدمتم العساكر وكتبتم الكتائب اخضاعا لتلك الامة المظلومة، وسحقاً لقوتهم المهضومة.

ثم بعد هذا تقول غير متلكىء إنّ دولتكم اعتمدت على الاركان الثلاثة العدل والرحمة والتسامح في الدين. نعم اني اؤكد ما تقوم عليه دولة وتبنى عليه عروش مملكة هي هذه الاركان، ولكنها عندكم أسماء سميتموها

وأبنية مقاصد هدّها اعتسافكم ونقضها تورطكم.

اين العدل وقد جعلتم جواب مسألة مصير العراق لأصوات مدافعكم العالية وخلفها زجر وتهديد؟ واين الرحمة وقد قست قلوب ضباطكم فهي كالحجارة أو أشد قسوة لا ترحمون شيخاً فانياً، ولا امرأة جثت على الرفق بها الشرايع المقدسة، ولا طفلا ناشئا ملأتم الطرق بتلك الهامات الفلقة والمفاصل الموزعة؟..

وأين التسامح في الدين، ولاينبئك مثل خبير.. النجف قبة الإسلام ومهد الدين، فهي مشهد ومعبد ومدرسة علم وزاوية ناسك طوقتموها بالحصار وخنقتموها بالاحاطة اكثر من اربعين ليلة لاتفتر مدافعكم فيها عن رعد ولا رشاشاتكم عن مطر يصيب وابله على المساجد والمدارس، حتى ضاق خناق زوارها وعيل صبر مجاوريها يقتاتون تلك المدة الطرق ويشربون الرنق.

هذا والعهد غير بعيد.. مسجد الكوفة من أعظم مساجد العراق تناوبته طياراتكم، فألقت قنابلها على من فيه من المتعبدين والمتهجدات والمتهجدين، فاختلطت لحومهم وعظامهم بذلك التراب الطاهر.. فبالله المستعان على هذه الاعمال التي تئن من فجائعها بقعة العراق وتنتحب حولها الانسانية.

والعجب انكم تطلبون التئام هذا الصدع الذي لايجبر كسره، وتقولون نحن لانريد أن نجازي العراقيين كلاً، وانما نجازي من أسماؤهم عندنا وعندكم معلومة، بزعم أنهم مفسدون. فكان تعريف الفساد عندكم هو المطالبة بالحق. نحن لانعرف من أحوالهم الاّ أنّهم طالبوا بحق فمنعتموهم

وأدرتم عليهم رحى الحـرب الـطاحنـة فدافعـوكم عن أنفسهم واموالهم وأعـراضهم. ولـو تركتمـوهم وحقهم ما سالت منكم ولا منهم قطرة دم. ولكننكم أنتم فتقتم هذا الـرتق الـذي لايخيط بالخيوط ولا الابر، فأنتم السبب وعليكم التبعة.. ورأينا فيه أن يمنحوا استقلالهم التام خالياً من كل شائبة عاريا عن كل قيد.

اما امر المفاوضة فلم نستوضح منكم غايته ولم اثق بحسن نهايته. وعلى كل فهو امر دقيق يحتاج الى جلاء فكر وتأمل..

ومن اللّه نسأل حسن الختام.

شيخ الشريعة الاصبهاني
٢ محرم سنة ١٣٣٩ (*)

وثائق حركة الجهاد عام ١٩١٤

الوثيقة الاولى

ثار مبدر آل فرعون ضد الأتراك عام ١٩١٣ واستطاع الأتراك في الأخير اخماد ثورته وتشتيت جموع آل فتلة، فسلم مبدر نفسه الى السلطة ثم سجن هو ومزهر الفرعون وسر تيب المزهر الفرعون وعبد الكاظم الحاج سكر وحسن الحاج سكر، وسلبت أراضيهم وأعطتها الى آخرين وشردت عوائلهم. ونظرا لطول المدة طلب الحاج عبد الواحد الحاج سكر واخيه عبد الكاظم من السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي الشفاعة والوساطة لدى الأتراك لاطلاق سراحهم. ولكن الحكومة اطلقت سراحهم ليذهبوا

(*) أخذنا هذه الوثائق من: محمد علي كمال الدين، الثورة العراقيّة الكبرى.

الى البصـرة لمحـاربـة الانكليز واللحوق بالمجاهدين. وأدناه نص رسالة شفاعة الحاج عبد الواحد وأخيه:

بمنّه تعالى

السلام عليك ياامير المؤمنين ورحمة اللّه وبركاته

علم الأعـلام ومـرجع الخاص والعام جناب مولانا وملاذنا حجة الاسلام سيد محمد كاظم الطباطبائي ادام اللّه تعالى بقاه.

مولاي.. لايخفى على جنـابك طالت علينا المدة ونحن ماكثين في السجن ولا أحد في امكنتنا سوى عيال واطفال وحصلت المغدورية على حقوقنا من ابواب اشتا وهالآن اوراقنا تتداول بين المحاكم وحسب الظاهر اذا بقينا في هذه الحالة تطول المدة علينا، ومعلومكم اننا أبناء حاجي سكر خاصة مستضلين بحمايتك سابقا ولاحقا ومع هذا أنت أبا للمسلمين عامة ورعاية حقوق كل فرد من الملة هو فريضة ذمتك.

بقي مولاي الاستخارة كلش زينة وعلى الترك موزينة أن تساعدنا همتك في كتابة تلغرافية الى الصدارة إسترحاماً في رفع مغدوريتنا واطلاقنا من الحبس فان يوافق نظرك نكتب الصورة حسب ما يأدي نظرك وتمضيها في مهـرك وتسلمهـا الى خدامـك حاجي عزوز وعلي الشيخ محسن وهما ايدقونها لعل ان تكون لك اليد البيضاء في اطلاقنا، ونكون رافعين اكـف الابتهال بالدعوات المتحدة من عيال واطفال لدوام وجودك مولاي.

٢٦ محرم ١٣٣٠هـ

الخادم

عبد الواحد الحاج سكر

الخادم

عبد الكاظم الحاج سكر

الوثيقة الثانية

كتاب من شعلان العطية الدخيل الى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي يستفسر فيها عن صحة فتواه بوجوب الدفاع للحفاظ على بيضة الاسلام. نصه:

بعد تقبيل أنامل حجة الاسلام ومؤيد شريعة جده سيد الأمام قدوة العلماء ونخبة الفقهاء حضرة حجة الاسلام كاظم دام ظله.

أمـا بعد يامولانا فقد اجتمعت جميع عشاير عفك، دغارة، اجبور وكافة لواء الديوانية الى بغداد، من المحقق عندنا برضى منا ورغبة وفيهم تمام القوة والرهبة لما تحقق هتك الأعراض من الكافرين وهجومهم على بيضة الاسلام لكن مولاي بعض الجهلة يكولون السيد ماوجب الدفاع ينافي من الحكومة وأعطى فتوى. فالرجاء ان تكتب لنا فتوى مؤكدة لفتواك والمسلمـين بعونه تعالى قابلين لدفع الكافر بأهون مايكون ولكن يردون امدادك وكتاباتك ونحن قد تجاسرنا. نرجو المسامحة والله ارحم الراحمين وسيد علي الحلي مدة شهر عندنا شاف بعينه اجتماع الخلق يفيدكم شفاء

والسلام.

١ ذا الحجة ١٣٣٣هـ

الخادم

شعلان العطية الدخيل

الوثيقة الثالثة

جواب السيد اليزدي على كتاب الشيخ شعلان العطية المؤرخ في ذي الحجة ١٣٣٣هـ، يؤكد فيه فتواه بوجوب الجهاد، وقد وجه عنوانه الى كافة أهالي عفك المذكورين في كتاب الشيخ شعلان. نصه:

الى كافة إخواننا المؤمنين الموحدين من أهالي عفك

لايخفى عليكم تحقق هجوم الكفرة على ثغور المسلمين، فانفروا كما قال اللّه خفافا وثقالا ولألفينكم كما يقول عز من قائل أشداء على الكفار رحماء بينهم فانهضوا بتوفيق اللّه الى جهاد عدوكم وعدو نبيكم. واعدوا لهم ما استطعتم من قوة. فقد أعلنا بوجوب الدفاع عن حوزة المسلمين وبيضة الدين وقد فضل اللّه المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة الرابعة

رسـالة من الحاج عطية ابو كلل الى السيد اليزدي، يوضح فيها استعداده وجماعته للدفاع عن الاسلام، وينتظر أوامر السيد بشأن الذهاب

الى الجبهات او البقاء في النجف نصها:

بمنه تعالى

جناب الاكرم المكرم حجة الاسلام مولانا السيد كاظم الطباطبائي دام مجده الى منبع عين الفخر، وملجأ أهل الصدر، رب المفاخر والمحامد زكي الأصل والعناصر، سليم الباطن جميل الظاهر، والمحبو من ربه بحسن المآثر، من بسط على الأمم بساط الأمن والأمان، وأفاظ عليهم سجال العدل والاحسان، صاحب النصر والتمكين والعز حد المكين، شمس سماء المعارف على كل باق ومقيم، أيد اللّه تعالى ملكه ثم مولاي بعد المبدء اليكم وأحث نعمة عليكم أولا بالذات هو سلامة تلك الذات البهية والأخلاق المرضية وصفات سنية وخصال شهية صانها وحماها رب البرية. ثانيا يامولاي بلغنا من بعض المحبين الأخبار بأن جنابك متفق مع العلماء وصار. القرار فيما بينكم انكم تمضون الى محاربة الكافرين ولأجل استقامة الدين، ومولانا الخادم موجود مع جماعة من الخيل والرجال والأسلحة وعندنا من الجوادر وبيوت الشعر. تحبون ان تتامرونا ندخل الى النجف أو خارج النجف ام نسير امام القوم الى بعض حدود ايران ولا نحتاج الى مصارف الطريق وبعونه وقوته سترون المسلمين على الكافرين عذابا صبا.

والآن الخادم ينتظر الجواب والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردا ولا زلتم محسنين ولو أطفالنا بالنجف يستظلون من ضل الى ضل ولكن جزاكم اللّه خيرا، والسلام.

الخادم الحاج عطيّة ابو كلل

الوثيقة الخامسة

كتاب السيد نور السيد عزيز الياسري الى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي يسأل فيه عن صحة فتواه بالجهاد والنفير، وماذا يكون واجبه وعشيرته تجاه هذا الأمر. نصه:

جناب مولانا الاعم حجة الاسلام حضرة السيد محمد كاظم زيد مجده آمين لازال مؤيدا محبور بطاها والطور بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مقدما نتفقد صحة ذاتكم الشريفة وهاتيك الاحوال المنيفة وعنا من لطف الباري في خير. ثم مولانا لايخفا على نجابتكم بموجب ما طرق مسموعا ان جنابكم مأمرين بالجهاد وهذا أخذناه من أفواه الناس بلا تحقيق. فاذا جنابكم مأمر في الجهاد. المرجو تعرفونا سرا حتى نكون على بصيرة من أمرنا واذا هذا الخبر ماله صحة نرجو كذلك تعرفونا حتى لايشعر احد من الناس في هذا الخبر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٩ ذي الحجة ١٣٣٢هـ

الداعي

سيد نور السيد عزيز

الوثيقة السادسة

كتاب السيد محمد كاظم اليزدي الى وكيله في الكوفة السيد علي

القزويني يخبره بفتواه ويأمره باستنهاض العشائر وتبليغهم بوجوب الجهاد. نصه:

السيد المعظم جناب السيد علي القزويني المكرم.

ادام اللّه تعالى توفيقك. قد شاع وذاع فتوانا بوجوب الدفاع عند مهاجمة الكفار على بلاد المسلمين. وحيث أن العدو قد قرب وصار الأمر في غاية الشدة، وعظم البلاء فاللازم على كل واحد الاهتمام في دفع هذه الملمة والسعي في حفظ بيضة الاسلام كل شخص بحسب حاله وتمكنه ـــ الى المدافعة وان لم يكن من اهله او ان كان ـــ له عذر من ـــ لاستنهاض العشاير ووعظهم ونصيحتهم وتهييجهم وعلى جنابك الاهتمام في تبليغ ماذكرناه فحفظ الاسلام واجب على كل واحد بأي وجه يمكن والنصر من اللّه تعالى انشاء اللّه.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة السابعة

منشور عام صادر من المرجع الديني الاعلى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي الى عموم المسلمين يطلب فيه منهم الاتحاد والتآلف وترك الخلافات وعدم التشاجر والاقتتال فيما بينهم، للوقوف صفا واحدا أمام العدو الكافر. نصه:

فليعلم عامة المسلمين وكافة اخواننا المؤمنين ان اللّه تبارك وتعالى قال في كتابه المنزل على نبيه المرسل (ص) وشاورهم في الأمر وان سفك الدماء وقتال المسلمين فيما بينهم غير جائز شرعا ولا يباح مال المسلم ودمه

وعرضه للمسلم بلا موجب شرعي.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة الثامنة

كتاب السيد اليزدي الى أهالي الشطرة وعشائرها، يؤكد فيه برقياته وأوامره السابقة والمبلغة اليهم بوجوب الجهاد، ويأسف لعدم اكتراثهم بها، ويحذرهم من عواقب ذلك نصه:

السلام على كافة اخواننا في الشطرة وفيما حولها ورحمة اللّه وبركاته غير خفي عليكم انا أبرقنا غير مرة لكم ولغيركم وكتبنا حتى كلّ القلم وشافهنا حتى اضطرب اللسان حثّاً على الدفاع وإلزاماً بحفظ الثغر المهاجم، وأقول الآن عوداً على بدء ويجب عليكم الدفاع وحفظ بيضة الاسلام فبأي عذر بعد اليوم تعتذرون واتقوا اللّه حق تقاته ولا تموتنّ الّا وانتم مسلمون.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة التاسعة

كتاب السيد محمد كاظم الطباطبائي الى الشيخ خيون العبيد رئيس عشائر العبودة في الناصرية يأمره يخبره بفتواه ويأمره بالتوجه وعشيرته الى البصرة. نصه:

ذو الرشاد المتكاثر والعقل الوافر ولدنا الأغر خيون ادام اللّه عزته واجزل توفيقه وكرامته.

وبعد فقد بلغك كما بلغنا هجوم الكفار على بلاد المسلمين واحاطتهم بالبصرة يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبى اللّه الا ان يتم نوره. وحيث كان الأمر كذلك فاني الزمك وأوجب عليك ان تتوجه أنت مع جميع المسلمين الذين هم طوع أمرك الى البصرة لسد ثغرها ودفع الكفرة الحافين بها فان ذلـك واجب عليك من اللّه تعالى وعلى كل من بلغه كلامي ممن يتمكن من شد الـرحال الى البصرة بماله ونفسه وخيله وسلاحه ورجاله. وليس لمسلم متمكن من ذلك عذر. والحكومة وساير المسلمين في هذا اليوم سواء في وجوب الدفاع وحفظ بيضة الاسلام وفقكم اللّه وساير المسلمين لذلك. وبلوغ الأجر فيما هنالك والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة العاشرة

كتـاب السيد محمد كاظم اليزدي الى الشيخ خيون العبيد رئيس عشـائـر العبـودة في النـاصرية يأمره بتجهيز عشيرته وتسليحها لمقاومة الانكليز ويوضّح له أنّ الأمر متعلّق بنصرة الاسلام أكثر من تعلّقه بنصرة الدولة العثمانية. نصّـه:

جناب الأفخم خيون العبيد حرسه اللّه تعالى

بعد السلام عليك ورحمة اللّه وبركاته.

يقينـا بلغك كما بلغنا هجوم الكفار على بلاد المسلمين، وإحاطتهم بالبصرة يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبى اللّه الا ان يتم نوره ولو

كره المشركون وحيث ان الأمر كذلك فلا يجوز لك أن تشغل نفسك بغير مدافعة الكافرين فان الواجب عليك وعلى كل من بلغه فتوانا من وجوب الدفاع على المتمكّنين من المسلمين عند مهاجمتهم الكفار على بلاد الاسلام ان تشد رحلك الى حفظ ذلك الثغر، ولا يسوغ التقاعد عن نصرة الاسلام والمسلمين.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة الحادية عشرة

كتاب السيد اليزدي الى الشيخ كاطع آل بطي رئيس عشيرة الزيرج في الناصرية يعلمه بفتواه في الجهاد ويطلب منه التحرك مع عشيرته الى البصرة، وتبليغ الشيخ خيون العبيد وعشيرته بوجوب الدفاع عن الاسلام.

نصه:

ذو العز المنيع والمجد الرفيع والفضل الجلي كاطع آل بطي أدام اللّه عزته وأجزل توفيقه وكرامته.

وبعد فقد بلغنا ان خيون غير موافق للحكومة والحكومة في هذا اليوم وساير المسلمين سواء في وجوب دفاع الكفار لانه يجب على كل مسلم متمكن حفظ بيضة الاسلام ودفاع الكفار الهاجمين على المسلمين، فاللازم عليك من قبلنا ان تمنعه من مخالفة الحكومة وتلزمه مع أصحابه والجمع الذي تحت يده ان يتوجه الى البصرة لحماية ثغرها ودفع الكفرة المحيطين بها فاني اوجبت عليكم ذلك كما أني اوجب عليك ان تتوجه مع جمعك وأصحابك الى البصرة لسد ثغرها ورد الكفرة عنها فان لكم بذلك الأجر الجزيل والثواب

الجميل من الله العزيز الجليل وليس لكم ولا لكل مسلم متمكن من ذلك عذر عند الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة الثانية عشرة

كتاب السيد اليزدي الى الشيخ علي الفضل رئيس عشيرة يعلمه بفتواه في الجهاد، ويطلب منه التحرك مع عشيرته الى البصرة، وتبليغ الشيخ خيون العبيد وعشيرته بوجوب الدفاع عن الاسلام وعدم قبول أي عذر عن التخلف. نصه:

عمدة الكرام وقدوة أرباب الاحترام علي الفضل دام توفيقه واستنار الى سبل الطاعات طريقه.

وبعد فقد بلغنا ان خيون مخالف للحكومة غير موافق لهم. والحكومة في هذا اليوم وساير المسلمين سواء في وجوب دفاع الكفرة بعد خروجهم على المسلمين واحاطتهم بالبصرة، فالواجب عليك ان تمنع خيون من مخالفة الحكومة وان تلزمه من قبلنا بموافقته اياهم وخروجه مع جمع المسلمين الذين هم تحت يده وطوع امره الى البصرة لسد ثغرها ودفع الكفار عنها، كما اني أوجب عليك وعلى المسلمين الذين هم طوع أمرك التوجه أيضا الى البصرة لحمايتها من الكفرة وليس لك ولا لخيون ولا لساير المسلمين الذين بلغهم امرى من ذلك عذر عند الله تعالى لانه يجب على كل مسلم متمكن حفظ بيضة الاسلام ودفع الكفار الهاجمين على المسلمين بماله ورجاله وخيله وسلاحه. وفقكم الله تعالى جميعا لذلك وبلوغ الأجر فيما هنالك والسلام

عليك ورحمة اللّه وبركاته.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة الثالثة عشرة

نموذج آخر لكتب السيد اليزدي التي بعث بها الى رؤساء الناصرية الشيوخ يطلب منهم منع الشيخ خيون العبيد من الوقوف ضد مقاومة الانكليز، وتبليغه بوجوب الدفاع عن الاسلام ومجاهدة المحتلين، ويأمرهم فيها بالالتحاق بصفوف المجاهدين في البصرة. نصه:

بعد السلام عليك ورحمة اللّه وبركاته.

بلغونا ان خيون العبيد في مثل هذه الأيام التي يقينا بلغكم هجوم الكفر فيها على ثغر البصرة من بلاد الاسلام قد اشغل نفسه بغير ماهو اللازم من مدافعة الكفار وقد بلغكم فتوانا من وجوب الدفاع عند مهاجمتهم على المسلمين فاللازم عليكم ان ترشدوه لما هو اللازم والأصح له ولغيره من حفظ بيضة الاسلام وسد ثغوره. وفقكم اللّه تعالى لكل خير وسعادة.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة الرابعة عشرة

جواب السيد اليزدي الى ولده محمد يخبره بوصول برقيّته ويعلمه بانشغاله في تهييج الرأي العام، والكتابة الى الشيخ خيون العبيد وباقي الرؤساء بترك الخلافات الداخلية واعتبار القضية مصيرية. نصّه:

الأغر السيد محمد حرسه اللّه تعالى

وردتنا تلغرافاتكم وسررنا بلا مثل ونحن في تمام المشغولية فيما يهمنا من تهييج المسلمين وقد كتبنا الى شيوخ العشاير فردا فردا وجوب الدفاع وكذا الى خيون وباقي الرؤساء فيما يلزم من اصلاح داخليتهم وحثهم على نصرة الدين وتبليغهم الفتوى حسب ما عرفتمونا عنه.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة الخامسة عشرة

رسالة من السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي الى الشيخ خيون العبيد رئيس عشائر العبودة في الناصرية يثني عليه ويبارك له انخراطه في صفوف المجاهدين على اثر كتاب الطباطبائي السابق. نصها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ذي العزة والمنعة والاباء والرفعة الأمجد الأكرم جناب الشيخ خيون المكرم زيد توفيقه

لازلت مؤيدا منصور، وقلب الشرع بك مسرور، بما انت فيه من حياطة الاسلام وصيانة اعراض المسلمين، والمحافظة على الذمام، وحماية شريعة سيد المرسلين، تعطي السيف حقه جهاداً في سبيل اللّه، باذلا نفسك طلبا لرضاه، مخلدا لك الذكرى الجميل في كل جيل وكل قبيل آمين بمحمد صلى اللّه عليه وآله الطاهرين.

وبعد

فقد بلغني عنك ماهو المألوف فيك من الشيمة العربية والنهضة الاسلامية، شكر اللّه تعالى مساعيك، وشدد صولتك على الكافرين، وجعل

من طلائعك الرعب والنصر لك قرين، فلعمري لقد نشطتني على المداومة لك بالدعوات راجيا من اللّه تعالى أن يزهق بسيفك ارواح المشركين، ويطهر تلك الصفحات، وها أنا بما أعد اللّه تعالى للمجاهدين من الخير أهنيك، وبرسم التقوية بالاكرمين عسكر وحط أغريك فلك البقاء ولهما البشرى بالسعادة الأبدية والحياة السرمدية والأمل أن تكون المبلغ كافة العشائر المشـتركـين في هذا الوجه الحسن عين التشكر لتلك المساعي المشكورة والوثبات المأتورة وان تخصهم ونفسك بالتحيّة والسلام.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة السادسة عشرة

جواب السيد اليزدي الى ولده السيد محمد في العمارة يأمره ببذل اقصى جهوده في توحيد العشائر وبث الوعي بين صفوفها للتهيؤ للجهاد، ويخبره بتخلي الشيخ خيون العبيد رئيس عشائر العبودة في الشطرة عن الحركة ثم منحه الأمان من قبل متصرف الناصرية وانخراطه فيها، نصه:

ولدنا الأغر السيد محمد دام بقاه.

اتانا تلغرافك فحمدناه تعالى على ماأنت عليه من السلامة. واللازم عليك الجـد والاجتهـاد في تحصيل الاتحـاد بين العشـاير وبـك المواعظ والنصايح وتيلّنا سابقا الى الولاية الجليلة اشعرنا فيه بما اعتذر به خيون وقد أتانا منه اليوم تلغرافا يخبرنا بأن متصرف المنتفك قد أعطاه الأمان وسئلنا تأكيد الأطمينـان من حضرة الولاية أيضا فينبغي لك ان تبلغه ذلك عنا ليتفضل عليه بما يطمئني به ليتوجه هو وأتباعه الى مدافعة الكفار. وسألنا

من حضرة الولاية أيضا ان يتفضل على ساير العشائر برفع الضيق عنهم من الرسومات والتسهيل على المجاهدين منهم لتحصيل الكفاية وقطع الاعذار.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة السابعة عشرة

بعث الشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي من السّماوة برقية الى السيد محمد كاظم اليزدي يعلمه فيها بعدم موافقة الحكومة على بيع بعض المجاهدين لذخائرهم للاستفادة من مبالغها في السفر للدفاع، وعلى أثر ذلك بعث السيد اليزدي الى متصرف الناصرية برقيته هذه لتسهيل مهمتهم. نصها:

ناصرية: لحضور....

وردتنا برقية من السّماوة فيها انّ السّادة والرؤساء ومن يتبعهم من السائرين للدفاع وردوا السّماوة، وحيث انهم عاجزون عن مؤنة سفرهم، اضطروا لنقل بعض الذخائر معهم ليبيعوها بالسّماوة والحكومة منعتهم من بيعها، وقد طلبوا مراجعة الحكومة في اعطاء رخصة في بيعها وتأمين التجارة. فالمأمول اجابة مطلوبهم وتسهيل السبيل لأمثالهم فإنّه أنجح وأصلح.

محمد كاظم الطباطبائي

الوثيقة الثامنة عشرة

رسالة من السيد محمد اليزدي الى والي بغداد يشرح له الاجراءات

المتخـذة من قبل والده السيد محمد كاظم اليزدي بتهيئة عموم المسلمين الاطراف والعشائر للجهاد، ويطلب منه اصدار امره الى دائرة البرق في النجف لارسـال البرقيات الموقعة من والده مجانا، وقبول شفاعته لديهم لتسهيل مهمة التحاق المسلمين بالجبهات. نصها:

الى حضور ولاية بغداد الجليلة ادام اللّه اجلالها.

نقدم وافر التسليمات، وصالح الدعوات، بدوام العز والنجاح، مقرونا بالنصر والظفر، وبعد تقديم واجب الاحترامات نبدي لحضرتكم السامية أعزها اللّه. اننا لم نزل في هذه الاوقات دائبين سعيا في المراجعات ومراسلة الأطراف من العشائر والقبائل وعامة المسلمين وكان من أسباب التسهيل لهذا الأمر علينا وتذليل عقباته، ترخيص الحكومة في اخذ التلغرافات التي تتعلق بهذه المقاصد المرعبة بدون اداء رسم لها، واخيرا قد بلغنا ايقاف هذه المعاملة فأوجب ذلك فتور في بعض الأعمال التي نرغب في تعجيلها حذرا من فوات وقتها أو تأخير نتائجها حيث لا يتيسر سرعة المواصلات بغير البرقيات. وحيث ان (ممزقة) كما لايغرب عن فكركم السامي بهذا نأمل من ساحتكم اصدار الأمر (ممزقة) النجف بقبول البرقيات الموقعة بتوقيع والدنا حضرة حجة الاسلام دام ظله العالي او توقيعه (ممزق) فان في ذلك تسهيلا ومساعدة على ما نحن بصدده من تحريك الهمم وتنشيط العزائم الى الدفاع والحركة الى الثغر ان شاء اللّه.

ثم لايخفى على رأيكم السديد ان حضرة والدنا حجة الاسلام دام ظله قد كثرت عليه الالتماسات وطلب الشفاعة الى الحكومة نصرها اللّه ولا مندوحة له عن اجابة البعض عندكم ومعلوما لديكم ودمتم بالعز والشرف

والسلامة والسلام.

الوثيقة التاسعة عشرة

خلال وجود السيد محمد نجل السيد محمد كاظم اليزدي في بغداد وعزمه على التوجه الى جبهات الدفاع، كتب برقية الى والده يعلمه فيها بعزمه، وقد اجاب السيد اليزدي على برقية ولده يؤكد له استمراره في الأمر ويدعو له بالسداد والنجاح. نصها:

ولدنا الأعز السيد محمد سلمه اللّه تعالى

وصلنا تلغرافك المعرب عن عزمك على الحركة الى جهة مواقعة العدو، فسرنا ما أنت فيه من الاقدام والاهتمام والقيام بما فرضه اللّه تعالى عليك، الذي انت اولى به نصرك اللّه وكافة اخواننا المؤمنين على الكافرين. واوصيك شد اللّه تعالى ازرك وارشد امرك بالجد والجهد في ارشاد الناس لما هو السداد واستنهاض القبائل وتنبيه الغافل والانذار عند الاعذار ببث المواعظ والنصائح المتنبهة لهم من سنة الغفلة والتعلل من غير علة واتمام الحجة على من في طريقك من الطوائف وسكان البلاد والقرى بحيث لاتترك مكانا الا وقد أديت ماعليك فيه من البلاغ فان الوقت ينبغي لمثلك فيه الاهتمام فبالتعب يكتب الراحة وبالمشقة يكتب الأجر وليكن ثقتك باللّه وتوكلك عليه سبحانه في جميع أوقاتك. وأما ما طلبت منا من تحريك فنحن ومن اللّه التوفيق ساهرون له مجدون فيه بكل طريق ونستمد من اللّه في اداء مايجب علينا وما هو وظيفتنا وهو ولي التوفيق والنصر.

(محمد كاظم الطباطبائي)

الوثيقة العشرون

كتاب السيد محمد كاظم اليزدي الى والي بغداد، يخبره باصدار فتواه في وجوب الدفاع عن بيضة الاسلام، وبارسال ولده السيد محمد الى ساحة الحرب. نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله وصحبه الراشدين

لحضور والي ولاية بغداد وقمندان فيلق العراق الأفخم ثم الى جميع امرائه الظافرة وجنوده القاهرة وعساكره المنصورة والى عامة المسلمين في نواحي العراق ومن في ثغوره أعزهم الله جميعا بالنصر والتمكين والظفر على اعداء الله خذلهم الله التسليمات والتحيات المباركة الحسنى تغدو وتروح عليكم بالنصر والسكينة والثبات والطمأنينة سلام حرب عليكم ضارع الى الله سبحـانه في دفع اللواء عنكم وحراسة الاسلام بكم فانه جل شأنه خليفتي عليكم وانتم وديعتي عنده وكفى به حفيظا وحسيبا وكافيا ونصيرا.

وبعـــد

فانـه لّما دهم الخطب واستفحل البلاء واعضلت النازلة على ثغور الاسلام والمسلمين وكان من أهم الواجبات واعظم شرايع الدين ان ينهض كل مسلم متمكن للدفاع عنه حسب مقدوره ولا يسوغ لمؤمن بالله واليوم الآخر ان يتوانى عنه او يتقاعس دونه، الا واني رغبة الى الله جل شأنه وابتغاء لمرضاته وحرصا على الدفاع عن دينه الأقدس وناموسه الاعظم قد قدمت اليكم اعز ما عندي وأنفس مالدي ولدي وفلذة كبدي السيد محمد سلمه الله تعالى آثرتكم به مع مسيس حاجتي له وشدة عوزي اليه فانه ادام

اللّه حراسته على ماله عندي من علاقة الأبوة ومكانة البنوّة قد بلغ من مراتب الجـد والاجتهـاد وسوامي منازل العلم والفضيلة الى المقام الذي يستغني ولا يستغنى عنـه ويستقيل ولا يستقل دونه وفوق ما هنالك ومع تسامق عرفانه وصلاح على تقى أسس بنيانه وحصافة عقل احكمت معاقله واستكملت منـازلـه ولما استنهضته للقيام باعباء هذه المهمة والسعي عني للمساعدة في دفع هذه الململة تلقاها برحيب صدر وثابت قلب وركين حلم فأرسلته اليكم داعيا الى اللّه ورسوله آخذا بحجزة الناس الى اتباع سبيله ــــ رضوانه وسلوك سبيل جنانه وليبلغ عني ما يلزم اعلانه ويهم بيانه حفاظا في اللّه على دينه ويدفع لأعدائه والى اللّه أرغب ضارعاً اليه في أن ينفع به الاسلام والمسلمين ويدفع به كما دفع بأجداده كيد الكافرين الا وإنّ وصيتي اليكم وعهدي لكم هو ماعهده اللّه سبحانه الى عباده أن تخلصوا الى اللّه في نياتكم وتصلحـوا طوياتكم وان تتـظاهـروا في مواقفكم كلها بشعاير الاسلام وشرايعه المقدسة على نهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان شعاركم التكبير والتهليل ولهجتكم الاستعانة باللّه واستنزال النصر عنده فان الأمر عظيم والخطر جسيم لكم الأجر خطير والثواب كثير والعمل رائد النجاح وملاك العمل الاخلاص فلا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ولا تهنـوا وأنتم الأعلون وان اللّه لمع المتّقين وأشدّ فزعي الى اللّه ومسئلتي منه أن يصون ولدي وكافة اخواننا المؤمنين بعنايته ويكفلهم بحياطته ويدفع عنهم كيد اعدائه واللّه خير حافظا وهو أرحم الراحمين وهو المستعان وعليه التّكلان.

محمد كاظم الطباطبائي (*)

(*) أخذنا هذه الوثائق من: مجلة آفاق عربيّة، العدد ١٨.

مصادر الكتاب

الكتب:

١ـ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة.

٢ـ ابن حجر العسقلاني، الصواعق المحرقة.

٣ـ أحمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسيّة بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ ـ ١٩٣٢.

٤ـ أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى.

٥ـ أنور الجندي، العالم الإسلامي والإستعمار السياسي والإجتماعي والثقافي.

٦ـ اينوان الكسيفيج زينويف، انقلاب مشروطيّت ايران.

٧ـ آغا بزرك الطهراني، ميرزاي شيرازي.

٨ـ ـــــ، نقباء البشر في القرن الرابع عشر.

٩ـ الجنرال تاونزند، محاربتي في العراق.

١٠ـ جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة.

١١ـ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها.

١٢ـ جلال الدين مدني، تاريخ سياسي معاصر ايران.
١٣ـ حامد الكار، نقش روحانيت بيشرو در جنبش مشروطيّت.
١٤ـ حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز.
١٥ـ د. حسن آيت، جهره حقيقي مصدّق السلطنه.
١٦ـ حسن العلوي، الشيعة والدولة القوميّة في العراق.
١٧ـ حسن الكربلائي، قرارداد رژي ١٨٩٠ م يا تاريخ انحصار دخّانيّات در سال ١٣٠٩ هـ .
١٨ـ د. حسين مؤنس، الشرق الإسلامي والعصر الحديث.
١٩ـ سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران.
٢٠ـ سلمان هادي الطعمة، تراث كربلاء.
٢١ـ صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق.
٢٢ـ صادق نشأت ومصطفى حجازي، صفحات من إيران.
٢٣ـ صدر واثقي، سيّد جمال الدين حسيني بايكذار نهضتهاي اسلامي.
٢٤ـ عادل غفوري خليل، أحزاب المعارضة العلنيّة في العراق ١٩٤٦ ـ ١٩٥٤.
٢٥ـ عبّاس العزّاوي، تاريخ العراق بين احتلالين.
٢٦ـ د. عبدالله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطوّر العراق السياسي الحديث.
٢٧ـ د. عبدالله الفيّاض، الثورة العراقيّة الكبرى.
٢٨ـ عبدالحسين مجيد كفائي، مركي در نور... زندكاني آخوند خراساني.
٢٩ـ عبدالحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق

١٩٠٠ ـ ١٩٢٤.
٣٠ـ عبدالرزّاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقيّة.
٣١ـ ـــــ، تاريخ العراق السياسي الحديث.
٣٢ـ ـــــ، الأسرار الخفيّة في حركة السنة ١٩٤١ التحرّريّة.
٣٣ـ ـــــ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب.
٣٤ـ عبدالرزّاق الدراجي، جعفر أبو التمّن ودوره في الحركة الوطنيّة في العراق.
٣٥ـ عبدالرزّاق الهلالي، دراسات وتراجم عراقيّة.
٣٦ـ عبدالغني الملّاح، تاريخ الحركة الديمقراطيّة في العراق.
٣٧ـ عبدالهادي حائري، تشيّع ومشروطيّت در ايران ونقش روحانيّون مقيم عراق.
٣٨ـ عقيقي بخشايشي، يك صد سال مبارزه روحانيّت مترقّي.
٣٩ـ علي الخاقاني، شعراء الغـري.
٤٠ـ علي دواني، نهضت روحانيّون ايران.
٤١ـ ـــــ، وحيد بهبهاني.
٤٢ـ ـــــ، فرقة ضالّة وهابيّة.
٤٣ـ علي ظريف الأعظمي، تاريخ الدول الفارسيّة في العراق.
٤٤ـ علي الفاضل القائيني، علم الأصول تاريخاً وتطوّراً.
٤٥ـ د. علي الوردي، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث.
٤٦ـ د. غسّان العطيّة، العراق.. نشأة الدولة.
٤٧ـ د. فاروق صالح العمـر، الأحزاب السياسيّة في العراق

١٩٢٢ ـ ١٩٣٢.
٤٨ـ ــــــ، حول السياسة البريطانيّة في العراق ١٩١٤ ـ ١٩٢١.
٤٩ـ ــــــ، المعاهدات العراقية ـ البريطانيّة.
٥٠ـ د. فاضل حسين، مشكلة الموصل.
٥١ـ فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة.
٥٢ـ كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلاميّة.
٥٣ـ لطفي جعفر فرج، عبدالمحسن السعدون، ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر.
٥٤ـ محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة.
٥٥ـ محمد باقر الخونساري، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات.
٥٦ـ المرجع الشهيد السيّد محمد باقر الصّدر، المعالم الجديدة للأصول.
٥٧ـ محمد جواد فضل اللّه، صلح الإمام الحسن.. أسبابه، نتائجه.
٥٨ـ محمد جواد مغنيّة، الشيعة والحاكمون.
٥٩ـ محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء.
٦٠ـ محمد حسين الزبيدي، مولود مخلص باشا.
٦١ـ محمد حسين الطباطبائي، الشيعة في الإسلام.
٦٢ـ محمد حسين كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها.
٦٣ـ ــــــ، المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون.
٦٤ـ محمد حسين المظفّر، تاريخ الشيعة.
٦٥ـ محمد رضا المظفّر، عقائد الإماميّة.
٦٦ـ محمد علي الأنصاري الشوشتري، مقدّمة كتاب تاريخ حصر

الإجتهاد.
٦٧ـ محمد علي كمال الدين، الثورة العراقيّة الكبرى.
٦٨ـ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلّيّة العثمانيّة.
٦٩ـ محمد نهاونديان، بيكار بيروز تنباكو.
٧٠ـ محمد مهدي الآصفي، مدرسة النجف وتطوّر الحركة الإصلاحيّة فيها.
٧١ـ ـــــ، تاريخ الفقه الشيعي، مقدّمة كتاب الروضة في شرح اللّمعة الدمشقيّة.
٧٢ـ ـــــ، مقدّمة كتاب عقائد الإماميّة حول حياة الشيخ محمد رضا المظفّر.
٧٣ـ محيط طباطبائي، تطورحكومت در ايران بعد از اسلام.
٧٤ـ مرتضى العسكري، خمسون ومائة صحابي مختلق.
٧٥ـ مرتضى مطهّري، الحركات الإسلامية في القرن الرّابع عشر الهجري.
٧٦ـ د. مريم مير أحمدي، دين ومذهب در عصر صفوي.
٧٧ـ د. منوجهر بارسادوست، زمينه هاي تاريخي اختلافات ايران وعراق.
٧٨ـ د. مهـدي ملك زاده،تاريخ انقلاب مشروطيّت ايران.
٧٩ـ مير بصري، تاريخ انقلاب مشروطيّت ايران.
٨٠ـ نظام الدين زاده، هجوم روسي به ايران زمين.
٨١ـ هاري سندرسن، مذكّرات سندرسن باشا.
٨٢ـ هاشم محيط يافي، مقدّمات مشروطيّت.
٨٣ـ وزارة التربية الإيرانيّة، قسم التاريخ، تاريخ معاصر ايران (للصفّ الخامس الثانوي).

٨٤ـ ومیض جمال عمر نظمي، الجذور السياسيّة والفكريّة والإجتماعيّة للحركة القوميّة العربيّة الإستقلاليّة في العراق.
٨٥ـ ـــــ، (بالإشتراك مع د. شفيق عبدالرزّاق، و د. غانم الصالح)، التطوّر السياسي المعاصر في العراق.
٨٦ـ يار شاطر، دانشنامه ايران واعلام.
٨٧ـ يعقوب آزند، قيام شيعي سربداران.

المجـلّات:

١ـ مجلّة الجهاد للبحوث والدراسات.
٢ـ مجلّة المستقبل العربي.
٤ـ مجلة النجف.
٥ـ مجلة لغة العرب.

المقـابلات:

١ـ آية اللّه السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي/ قم المقدّسة.
٢ـ العلّامة السيّد مرتضى العسكري/ طهران.
٣ـ العلّامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين/ طهران.
٤ـ الشيخ سليمان العاملي/ بعلبك.
٥ـ السيّد محمود الطباطبائي/ الإمارات العربيّة.

المحتـــويات

